التراجم/1



العلامة يوسف القرضاوي
إنسان الهم والهمة

عبد السلام البسيوني

سلسلة التراجم/1

العلامة القرضاوي

إنسان الهم والهمة



د. عبد السلام البسيوني

يقول الله تبارك وتعالى:

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ، (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ؛ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ، فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الفتح:29.

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ أمنوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب: 70–71.

ويقول الله تبارك اسمه: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ) الشعراء:183

وفي البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنهما عن أبيه: أن رجلًا ذُكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويحك، قطعت عنق صاحبك) – يقوله مرارًا – (إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحدًا).

اللهم إني أحسب شيخي القرضاوي مجدد هذا القرن، وإمام أهل السنة، وشيخ المجاهدين، وبقية الموقعين عن رب العالمين، وأنت سبحانك حسيبه، ولا أزكيه عليك سبحانك

اللهم إني أشهدك، أني – بهذه الورقات – أحق حقًّا، وأبطل باطلًا،

وأحيي سنة، وأعلن حبًّا، وأعز العلم والعلماء

الإهداء

إلى شيخي الجليل، برهان حب لله تعالى

وإلى كل من علمني حرفًا وطوقني بفضله

أهدي هذا العمل، سائلًا الله تعالى القبول والرضا

وأن يرحم والديَّ، ويرضى عنهما؛ كما ربياني صغيرًا

القرضاوي الإنسان

كم كتب الكاتبون عن العلامة القرضاوي: الفقيه والمحدث والداعية والشاعر والإعلامي واللغوي والمؤسس والمؤصل، والمناظر والمحاور و! و!

لكنهم قلما كتبوا عن القرضاوي الإنسان:

في ضحكه وحزنه، وأشواقه ومواجعه، وانفعاله وسكون روحه!

القرضاوي الإنسان الذي تحاول هذه الورقات أن تعرضه، من خلال معايشة من الكاتب، وعدد كبير من أصدقاء الشيخ الجليل وتلاميذه.

وبعيدًا عن الغلو و(التوثين) و(الأسطرة)

أسأل الله تعالى أن يكون ما فيه شهادات حق، لا يبتغى بها إلا وجه الله الكريم.

د. عبد السلام البسيوني

السادة الذين استفدت من آرائهم وكتاباتهم في الكتاب

جمعت مادة هذا الكتاب – بحمد الله تعالى – من بعض كتبي، خصوصًا: القرضاوي شاعرًا، والقرضاوي عالميًّا، ومن بعض مقالاتي الصحفية، ومن مذكرات الشيخ – سيرة ومسيرة – بأجزائها الأربعة، ثم من مشافهات، وكتابات عدد من المشايخ الأفاضل من أصدقاء الشيخ وتلاميذه، وأثبت أسماءهم هنا على الترتيب الأبجدي، مع حفظ الأقدار والألقاب، وكلهم والله عزيز كريم:

1. إبراهيم أبو محمد / المفتي العام لقارة أستراليا
2. إحسان الفقيه/ كاتبة، إعلامية وشاعرة.
3. أحمد بن راشد بن سعيّد/ أستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود
4. أحمد النسناس/ من تلاميذ الشيخ والعاملين في مكتبه.
5. أسماء غالب القرشي / اليمن – جامعة القرآن الكريم، عميد كلية البنات
6. إسماعيل إبراهيم/ أحد تلاميذ الشيخ والعاملين بمكتبه
7. إسماعيل غريب الكيلاني/ من أصدقاء الشيخ ومحبيه
8. أشرف محمد دوابة/ عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
9. أكرم كساب/ سكرتير الشيخ الأسبق وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
10. اكناته ولد النقرة/ من رجال الدعوة والفكر والسياسة – موريتانيا
11. إنصاف أيوب المومني/ أستاذ مساعد في جامعة الملك عبد العزيز.
12. بسيوني الحلواني/ مدير تحرير جريدة الجمهورية المصرية
13. جاسر عودة/ عضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
14. جميلة تلوت/ باحثة في الفكر الإسلامي، وعضو رابطة تلاميذ القرضاوي.

15. حسام تمام رحمه الله/ صحفي

16. حسن عبد الحميد/ داعية سوري

17. حسن فوزي/ سكرتير الشيخ وعضو رابطة تلاميذ القرضاوي.

18. حلمي محمد القاعود/ أستاذ جامعي ومفكر

19. خالد حنفي/ عميد الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية، ورئيس لجنة الفتوى بألمانيا

20. رضوان دعبول/ صاحب مؤسسة الرسالة، ومن أصدقاء الشيخ

21. زغلول النجار العلامة الكبير/ من أصدقاء الشيخ

22. سلمان العودة / من أصدقاء الشيخ، وعضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

23. السيد ولد أباه/ كاتب وأستاذ جامعي موريتاني

24. شيماء الصراف/ باحثة في الحضارة الإسلامية، العراق

25. صهيب عبد الغفار حسن / رئيس جمعية أهل الحديث في لندن

26. عبد الرحمن البر/ عميد كلية، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

27. عبد الرحمن سعودي/ رجل أعمال

28. عبد الرحمن يوسف القرضاوي/ شاعر وإعلامي

29. عبد القادر العماري/ قاضٍ، من أصدقاء الشيخ

30. عبد الله الجديع/ عضو المجلس الأوربي للإفتاء

31. عبد الله السكرمي/ أحد تلاميذ الشيخ والعاملين بمكتبه

32. عبد الله العقيل/ المستشار، من أصدقاء الشيخ

33. عدنان زرزور/ أستاذ جامعي ومفكر إسلامي

34. عصام تليمة/ سكرتير الشيخ الأسبق وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

35. علاء الدين حسين رحال / أستاذ جامعي، الأردن
36. على العمري/ أكاديمي وإعلامي، رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة.
37. عمرو عبد الكريم/ عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
38. فايز عبد الله النوبي سباق/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، ألمانيا
39. فتحي أبو الورد/ أحد تلاميذ الشيخ والعاملين بمكتبه
40. فيصل بن جاسم آل ثاني/ مفكر قطري، ومسؤول إعلامي
41. كوثر يونس/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي
42. ماجدة محمد شحاتة/ مصر– كاتبة، عضو رابطة تلاميذ القرضاوي
43. مجد مكي/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، سوريا
44. محمد إلهامي/ كاتب ومؤرخ
45. محمد ثابت/ كاتب
46. محمد أحمد الراشد/ الأستاذ الكبير،العراق
47. محمد سليم العوا/ الأمين العام السابق للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
48. محمد شنق/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، الجزائر
49. محمد صبرة (أبو صبرة السكرة) صحفي
50. محمد عادل عقل/ إعلامي
51. الدكتور محمد علي بلاعو/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، ليبيا
52. محمد فوزي النتشة/ صديق الشيخ
53. محمد قطب القصاص/ جار الشيخ وتلميذه.
54. محمد يوسف عدس/ من أصدقاء الشيخ

55. مسعود صبري/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، مصر

56. منذر قحف/ صديق الشيخ، باحث في المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة

57. منير جمعة/ أستاذ بكلية الأداب بجامعة المنوفية ونائب رئيس اتحاد العلماء والدعاة بألمانيا

58. نجاة غانية/ الجزائر

59. نزيهة امعاريج/ أستاذة جامعية، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، المغرب

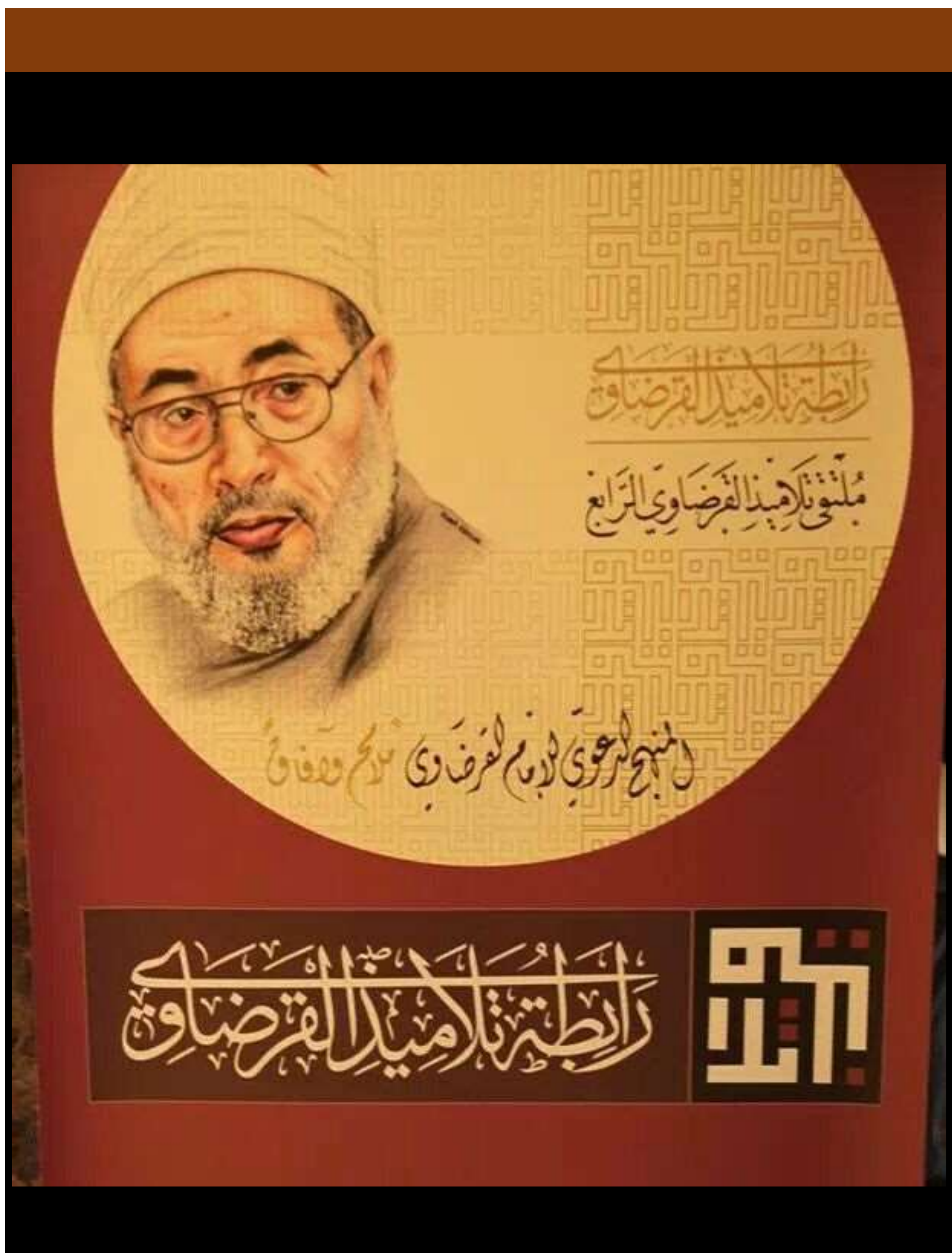
60. وصفي عاشور أبو زيد/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، مصر

61. وضاح خنفر/ إعلامي،المدير العام لقناة الجزيرة سابقًا

62. وليد أبو النجا/ عضو أمانة رابطة تلاميذ القرضاوي، مصر

63. يحيى عبد الهادي/ عضو رابطة تلاميذ القرضاوي، الأردن




رابطة تلاميذ القرضاوي
مُلتقى تلاميذ القرضاوي الرابع
المنهج الدعوي للإمام القرضاوي ملامح وآفاق
رابطة تلاميذ القرضاوي

يسألونك عن المدح:

- قرأت كثيرًا عن قبح المدح عند السلف، وخطورته، وأثره الذي يبدو نوعًا من قطع العنق: (ويحك، قطعت عنق صاحبك)؛ يقوله مرارًا، كما في البخاري رحمه الله تعالى.
- وقرأت كثيرًا عن تورع عدد من الصالحين عنه، واجتنابهم إياهم، والتحذير منه!
- لكنني أعلم أيضًا أن ربي تبارك وتعالى مدح أنبياءه عليهم السلام – في كتابه الكريم – مدحًا مُزهيًا!
- ومدح سيدي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام، ولقبهم ألقابًا معجبة كالصديق والفاروق وذي النورين والمرتضى وأمين الأمة وسيف الله، وغير ذلك.
- وأعلم أن كبار علماء الأمة لُقبوا بألقاب ضخمة مثل الإمام الأعظم، وإمام أهل المدينة، وأقضى القضاة، وإمام الأئمة، وإمام الحرمين، وحجة الإسلام، ومحيي الدين، وشيخ الإسلام، والإمام الأكبر، وغيرها!
- ورأيت عند أهل الحديث ألقابًا عظيمة الوقع مثل: أمير المؤمنين في الحديث، والحاكم، والحجة، والحافظ، والمحدث، وكذلك عند أهل الفنون المختلفة: التفسير، والفقه، واللغة، وغيرها!
- ورأيت في كتب السنة أبوابًا للمناقب والفضائل جمة وافرة، كأنها سنة.
- ورأيت مئات وألوف الكتب عن تراجم الأئمة الإعلام!
- وقرأت عن المدح المحمود: (قال ابن بطال في شرحه حديث (أحسبه! ولا أزكي!): "يجوز الثناء على الناس بما فيهم؛ على وجه الإعلام بصفاتهم، لتُعرف لهم سابقتُهم وتقدمُهم في الفضل، فينزلوا منازلهم، ويُقدَّموا على من لا يساويهم، ويُقتدى بهم في الخير، ولو لم يجز وصفُهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يُعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترى أن النبي عليه السلام خصَّ أصحابه بخواص من الفضائل بانُوا بها عن سائر الناس، وعُرفوا بها إلى يوم القيامة؟
- وكذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حضوره فقال: (ما رآك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك)! رواه البخاري.

قال الإمام ابن حجر: وهذا من جملة المدح، لكنه لما كان صِدقًا محضًا، وكان الممدوح يؤمَن معه الإعجاب والكِبْر مُدِحَ به، ولا يدخل ذلك في المنع، ومن جملة ذلك الأحاديثُ المتقدمة في مناقب الصحابة، ووصف كل واحد منهم بما وصِف به من الأوصاف الجميلة)!

ومهم أيضًا أن أشير إلى أن هناك اتجاهًا كنودًا لئيمًا يبخس العلماء منازلهم، ويزري بأقدارهم، ويبدل حسناتهم سيئات، ولا يألو يفترى عليهم الفرى، ويبهتهم، ويشنع عليهم.

ولما كان شيخي العلامة يوسف القرضاوي هو – أحسبه والله حسيبه – الإمام الأكبر، ومجدد القرن، ورأس أهل السنة، وبحر العلوم، وموسوعي العصر، وهو عندي من هو، كان الغرضَ الأكبر الذي يصوب نحوه المبطلون سهامهم، من كل صقع وقطر، وفكر وملة؛ فلا أعرف في عصرنا من يستهدفه مشايخ السلطان، والمبتدعة، والخوارج، وأصحاب الفكر العائر، والصهاينة، والملاحدة، والزنادقة، والفراعنة غير رجل واحد: هو الشيخ القرضاوي!

لذا ظننت أن تناول بعض من سجاياه، والكتابة عن بعض فضائله ومناقبه يكاد يتعين على مثلي؛ لأسباب كثيرة منها أنني:

- قد من الله علي بالقرب منه أكثر من ثلث قرن!
- وخالطت بعض أقرانه، وخاصته، وسمعت منهم عنه، من أمثال أبي وأستاذي العلامة أ.د. عبد العظيم الديب، والرباني القرآني أ.د. حسن عيسى عبد الظاهر، والعفيف النقي أ.د. حسن المعايرجي، وأشباههم، رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين؛ فمن دونهم!
- وخالطت خاصةَ تلاميذه، وبعض أبنائه!
- وكنت في مجلس رابطة تلاميذه منذ إنشائها، ولا أزال!
- ورافقته في بعض أسفاره!
- وحضرت مجالس في بيته، ومحاضرات وندوات له لا تعد!
- ووافقته وخالفته، وأرضيته وأغضبته!

- **وسمعت ورأيت الكثير مما لم يتح لكثير من الناس، كبكائه، ومزحه، وانفعاله، وتصميمه، وتراجعه، وسخائه، وحنوه، وترحابه!**

وإنني لأرجو أن أكون بهذه الورقات قد أديت واجبًا، وسددت ثغرة، ورددت بعض جميل، وكشفت عن بعض خبيءِ حبي للشيخ، وإجلالي إياه؛ إجلالًا لما يمثل، وما قدم.

فاللهم إن هذا ظن عبدك في عبدك، وأنت حسيبي وحسيبه، ولا أزكي على الله تعالى أحدًا، فاشهد اللهم أنني أحبه فيك، وأسألك بحبك نبيك صلى الله عليه وسلم والصالحين أن تحشرني معه إلى فردوسك الأعلى، مرحومين مرضيين – ووالدينا وذرارينا وشيوخنا وأحبتنا – من غير سابق حساب ولا عذاب؛ اللهم آمين، وصل وسلم وزد وبارك على سيدي المصطفى وآله وصحبه أجمعين.

تلميذ الشيخ وخريجه

عبد السلام البسيوني

السبت: 24 من ذي القعدة 1437

الموافق: 27 من أغسطس 2016



مدخل

من أبرز التجارب الدعوية التي نفعني الله تبارك وتعالى بها – فيما أحسب – حبي الزائد للاستيثاق والمعاينة، وعدم المجازفة في الأحكام؛ حتى أرى أو أسمع أو أقرأ – دون لبس ولا احتمال – تصديقًا لما روي في الأثر: إذا رأيت مثل الشمس فاشهد؛ وإلا فدع!

تعلمت هذا مقتبل تجربتي الدعوية، قبل نحو أربعين سنة؛ بعد أن رأيت شبانًا يكفرون (س) من العلماء لأنه يلبس البنطلون، ويلعنون (ص) من الدعاة لأنه يشرب العرقسوس، ويفسّقون (ل) من المفكرين لأنه يقرأ الشعر، ويستبيحون دم (ع) من المشايخ لأنه يقول بالوجه والكفين!

سمعت أحد حدثاء الأسنان يسيء لمحدث العصر الألباني – عليه رحمات الله ورضوانه – وبين يديه مختصره على البخاري يقرؤه! فسألته متعجبًا:

– تأخذ الحديث عن رجل تكفره؟ كيف تأمنه على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فارتبك، وقال: معك حق! سأنظر في ذلك!

ومن مثل هذا الموقف آليت على نفسي ألا أسمع لأحد؛ بل كان علي أن أشهد مثل الشمس، تثبتًا، ويقينًا، واستعفاءً، ومعذرة إلى ربي تبارك وتعالى.

وفي أواخر السبعينيات شوش كثيرٌ من الشبان على القرضاوي فبقيت على حذري – دون قبول له أو رفض – حتى أعثرني الله تعالى على كتابه عن (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) وعلى أصول مقالاته في مجلة الأمة – أثناء عملي بها عامي 1984م و1986 – فبهرني منه ترتيب الفكرة، وعمق النظرة، وهدوء النبرة، والترتيب العقلي، والتمكن النقلي، والحمية الظاهرة، والغيرة الواضحة على الإسلام والشباب المسلم، وعلى مصير الصحوة المظلومة من أبنائها ومن أعدائها.

ولست في القرضاوي والله صاحب هوىً، لأسباب كثيرة، فأنا لم أتتلمذ بشكل مباشر على يديه، بل أمضيت سنوات التكوين وما بعد التكوين – ثلاثين سنة كاملة؛ سنة تنطح سنة – دون أن أتعرف

إليه، أو أقرأه كما ينبغي، ثم كان أن اطلعت عليه، وقرأته، وأنا متبلور فكريًّا، وصاحب شخصية لها رؤيتها – خطأ كانت أم صوابًا – فخرج حكمي حكم شخصٍ متأمل، غير مندفع، ولا منبهر، كما أنني أتصل بفضيلته في مناسبات وأحوال!

كما أن لي مشروعي الفكري الذي يقوم على المزج بين منهجية السلف، وشمولية رؤية الإخوان، ومودة القلب لكل المسلمين – عامتهم وخاصتهم – واتساع العقل للمدارس الفكرية ومعطيات العصر، والتعامل مع كل الرموز، دون أن أعلق لافتة بعينها!

لكن الشيخ – لحسن حظي – بقي في نفسي الأعلى، والأعلم، والأفهم، والأكثر شمولية، والأوسع واديًا، والأخصب مرعًى، جزاه الله عني وعن الأمة خير الجزاء!

بدأت علاقتي المباشرة بالإمام متع الله منذ 1984 (لأشهد) من خلائقه وخصائصه الشيء الكثير المعجب؛ أحسبه، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا. ولأتيقن أنني لم (أشهد) مثله، ولم يؤثر فيّ أحد – بعد الشنقيطي رحمه الله تعالى – ما أثّر هو؛ بشموليته، وموسوعيته، وحضور ذهنه، وقوة حافظته، وإضافاته، ومواقفه!

- شهدته وهو يصدع بحقٍّ لا يقوى غيره أن يصدع به، ولا يجرؤ غيره أن يفوه ببعض منه؛ مع تربص المتربصين، وإرصاد المرصدين؛ يصدع به في جلاء لا يعرف الالتواء، وجرأة لا تحتمل المداجاة.
- شهدته وهو محمر الوجه، هادر الصوت، مشتعل العاطفة، منفعل النبرة؛ غضبًا لدين الله تعالى، والاجتراء على حرماته، وتطاول سبئيي الزمان عليه.
- شهدته وأنا أخالفه برأيي في أحد الرموز الجليلة التي يُكبرها – وكان رأيي على غير ما يرى فضيلته – فيراجعني في رفق فيما يقول لي: أنت حرٌّ في رأيك، ويصمت بدون لومٍ أو تثريب.
- شهدته وهو يسمع لمثلي بتركيز عالٍ؛ لا يقاطع، ولا يثور، ولا إليك إليك، ولا عندك عندك؛ فإذا انتهيت من كلامي رد برفقٍ وحلمٍ وأبوة تملك القلب، وتأسر نفس الرجل الكريم.

- شهدته وهو يصلي متأنيًا يطيل الركوع والسجود ويبطئ القراءة والدعاء ويحقق الحروف والمخارج.
- شهدته وهو يصلي في الجامع الكبير ساعتين ما بين قراءة طويلة ودرس طويل وأدعية مأثورة جامعة تهز النفس وتخترق الفؤاد.
- شهدته وهو يمدح أهل الفضل – ولو كانوا مخالفين له – ويذكرهم بالخير والمحبة؛ المودودي وابن باز والبنا وابن عثيمين وأبو زهرة؛ وصولا إلى أحمد فؤاد نجم!
- شهدته موسوعيًّا يتنقل بين الأدب والشعر والحديث والفقه والتفسير والدعوة والاعتقاد والاقتصاد والسياسة والأصول والفلسفة.
- شهدته شاعرًا ومحاضرًا مواجهًا ومناظرًا، جادًّا ومازحًا، مادحًا وقادحًا؛ كل ذلك في بساطة لا تحول بينك وبينه.
- شهدنه متأملًا ومفكرًا، منشئًا ومقررًا، قابلًا ومصرًّا، متراجعًا ومصممًا!
- شهدته وقد أتاه فقير من بلد من بلاد الله يطلب معونةً فيخرج دفتر الشيكات ويعطيه عطاءً كبيرًا دون أن يتلفت حوله، أو يتنحنح، أو يوثق اللحظة!
- شهدته وهو ينبسط لضيوفه ويمازحهم ويكرم، وفادتهم، ويجتهد في إدخال السرور عليهم.
- شهدته متواضعًا، وهو يحكي عن طفولته الفقيرة وفي عينيه فرحة طفلٍ وبراءة قطرة ندى، ورأيته حييًا يخفض بصره، ويغض من استشرافه لمن حوله.
- شهدته وهو يمزح، ويروي من الأشعار العامية، واللمحات الأدبية، واللطائف ما يبهج ويُسعد.
- شهدته والجمهور يتقاطر لسماع محاضراته حيث كتب الله تعالى له القبول، والناس يتدرون كلامه وخطبه ومواعظه ومحاضراته بالقلب قبل العقل، وبالشوق قبل التربص.
- شهدته وهو يسأل عن إخوانه، ويسعى لهم، ويحرص على أرضائهم، ويذكرهم بالخير.
- شهدته وهو يبادرني بالمجاملة والكتاب الهدية والنصيحة؛ على جلافتي، وقلة تواصلي، وانشغالي بسفاسف الأمور.

- **شهدته وهو يحاول تلميع هذا، ونصيحة ذاك، وذكر ذلك بخير، والثناء على ذياك بظهر الغيب.**
- **شهدته فرحًا بفضل الله عليه، شاكرًا لأنعمه عز وجل وآلائه.**
- **شهدته في أحوالٍ لا أملك معها إلا أن أدعو الله تعالى أن يكثر من أمثاله وأن يبارك في عمره وعلمه، وأن ينفعنا بحبه وحب الصالحين، اللهم آمين.**

***** أكبر عيوب القرضاوي أن عمره لا يسع همته، وأنه يعامل بدنه ونفسه بكثيرٍ من القسوة والعنفوان.**

***** أكبر عيوب القرضاوي أن مشاريعه أوسع، وتصوراته أبعد مدىً من السنين المتبقية، التي يسابقها بالجلَد ومداومة العمل.**

***** أكبر عيوب القرضاوي أن كثيرين ممن لم يقرؤوه، ولم يقتربوا منه لم يفهموه، ولم يستوعبوا سعة واديه، وكثرة خير الله عليه، وقراءته للمستقبل البعيد؛ حيث لا ينظر كثير من المتصدرين إلا تحت أقدامهم.**

***** أكبر عيوبه أن عينيه أتعبتاه، وأن ركبتيه أزعجتاه، وأن الصحة بدأت ترفع البطاقات الصفراء في وجهه، وتقول له: حاسب، خد بالك يا طويل العمر.**

***** أكبر ذنوبه – تبارك الله – أنه عمل ونسي نفسه وهو يعمل، حتى احتج جسمه، واشتكت عيناه، وأذناه، وكله.**

فيا سيدي القرضاوي! متع الله بك، وأطال في عمرك، وأحسن عملك، ونفعنا بمحبتك، وثمّر جهادك وجهدك، وآتاك من الخيرات ما لا تحتسب، وأحياك – كما تمنيتُ لكم من قبل – مليون عام!

وأرجوك يا سيدنا الشيخ: لا تفرط في صحتك؛ فالأمة تحتاجك، والحق يحتاجك، والعلم يحتاجك، والخير يحتاجك، والمُثل كذلك تحتاجك!

الباب الأول

باب المناقب الإيمانية والروحية



القرضاوي شفيفًا روحانيًّا

أحسبه والله حسيبه، ولا أزكي على الله تعالى أحدا!

القرضاوي شفيفًا روحانيًّا

من يقترب من الشيخ يعرف أنه قريب الدمعة، شديد الرقة، له حال مع ربه، أحسبه والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا.

صليت بجواره مرات عديدة، وسمعته وهو يقرأ في صلاته، أو يسبح، أو يدعو، فأحسست أن الرجل عميق الفكرة، شديد التركيز – طبيعة واستغراقًا – وكم غبطته على بعض تعبيراته، أو ردود أفعاله، وودت أن لي مثلها.

ورأيته مرات كثيرة باكيًا – كما سيأتي – يجتهد في أن يكتم بكاءه فلا يستطيع!

وله تعابير وجمل لا تخرج – فيما أزعم – إلا من نفس صافية، وقلب سليم، وكم يستشهد برقائق حكم ابن عطاء، والجنيد وغيرهما، بل له من تعابيره ما يساميهما، لو جُمعت، وليت أحد أخصائه يجمع ذلك في كتيب يسميه الحكم اليوسفية، فمن لها!؟

وهو الذي كتب: العبادة في الإسلام" و"الإيمان والحياة" بما فيهما من رقة، وذوق، وروحانية!

كان أحدهم يجادله ذات مرة، عن الجنة وخلودها، والنار وإمكان فنائها، وارتفع صوته، وغضب على محدثه، وقال: باحب ربي يا أخي؟ أغلب رحمته يا أخي، ما شأنك أنت؟!

وخرجت مني عفو الخاطر: يا بن الإيييبه! هنيئًا لك!

وقد شهد له تلاميذه والمحيطون به بذلك، كما شهد له بذلك أساتذته منذ زمن بعيد!

- الشيخ البهي الخولي يتعجب: قال الشيخ في مذكراته: كنت – على فطرتي وطريقتي – أناقش وأسأل في كل ما لا يقتنع به عقلي، أو يطمئن إليه قلبي: فطرة فطرني الله عليها، وأعتقد أنها نعمة من الله عليّ، بجوار نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وقد ظن الشيخ البهي رحمه الله أن لي موقفًا مضادًّا من التصوف وأهله، ثم فوجئ بكتابيّ: "العبادة في الإسلام" و"الإيمان والحياة" فوجد فيهما نزعة ربانية أصيلة، وقال لي بعد أن أهديتهما له: كيف خبأت عنا هذه الروحانية العميقة بمناقشاتك القديمة، التي جعلتنا نفهمك على غير حقيقتك؟

قلت له: يا فضيلة الأستاذ، المناقشة جزء من كياني، وربما يضيق بها الصوفية الذين يقولون: من قال لشيخه: لِمَ؟ لم يفلح، ويقولون: المريد بين يد الشيخ كالميت بين يد الغاسل!

ولكني تلميذك الأمين فيما قررته في كتابك الفريد "تذكرة الدعاة" عن (الروحانية الاجتماعية)، فأنا مع (الربانية) ولست مع (الرهبانية) كما قال الشيخ أبو الحسن الندوي.

ثم قلت له: هذه الروح يا أستاذ لا شك أنك أحد مصادرها الأساسية؛ فمنك اقتبسنا، وعليك تتلمذنا. ولا أرى تعارضًا بين التوجه الرباني والنقاش العقلاني.

قال: هذا صحيح، إذا وضع كل منهما في موضعه.

- **شفافيته التي تنعكس في شعره ونثره:**

وقال أيضًا في مذكراته: لم أتخلف عن صلاة التراويح منذ ذهبت إلى قطر، إلا ذاك الرمضان الذي قضيته في علاج آلام الظهر بألمانيا، والحق أني حينما أقبل شهر رمضان، وكنت على سرير مرضي، لا أستطيع التحرك منه، شعرت بحنين عجيب، وشوق حار إلى مسجدي بالدوحة، وإلى صلاة التراويح، وتلاوة القرآن، ودرس الترويحة، ودعاء القنوت، وتأمين المصلين، الذي يكاد يهز أركان المسجد، وفاضت دموعي، واضطرب قلبي بين ضلوعي، وانساب ذلك في شعر رقيق، كتبته وأنا على سريري، وبعثت به إلى الإخوة في قطر، في قصيدة نشرت في ديواني (نفحات ولفحات) ومنها:

يا إخوةً في رضا ربي عرفتهمُ	في دوحةِ الخير، يا حياكم الله
هلا بعثتم شعاعًا من مساجدكم	تلوح منه لنا في بون أضواه؟

فلا أذانَ ولا قرآنَ نسمعه	ولا تراويحنا، وَاحرَّ قلباه
إنِّي لأذكركم في كل أمسية	ذكرَ الغريب بعيد الدارِ مأواه
كم التقينا على ذكر وموعظة	وأفضلُ الذكر قرآن تلوناه
في موسم الطهر في رمضان الخير تجمعنا	محبَّةُ الله لا مالٌ ولا جاه
من كل ذي خشية لله ذي ولع	بالخير تعرفُه دَوْمًا بسيماه
جيلٌ على الحبِّ والإيمان مرتبطٌ	قد عبَّرت عنه أرواحٌ وأفواه
إن أنْسَ أوجُهَهُم لم أنس رُوحَهمً	وكلُّهم في نَقاءِ الروحِ أشباه
قد قدروا موسم الخيرات فاستبقوا	والاستباق هنا المحمود عقباه
صاموه قاموه إيمانًا ومحتسَبًا	أحَيوه طَوْعًا، وما في الخير إكراه
والوقت كالناس منه ما يموت وما	يحيا، فطوبى لمن بالذكر أحياه
وكلهم بات بالقرآن مندمجًا	كأنه الدم يسري في خلاياه
فالأذنُ سامعةٌ، والعينُ دامعةُ	والروحُ خاشعةٌ، والقلبُ أوَّاه
أحببتهم وأحبوني بلا غرض	إلا لقاءً على ربي وتقواه
ما كان لله يبقى دائمًا أبدًا	رغم الشدائدِ يلقاها وتلقاه
وما يقوم على دنيا ومنفعةٍ	فسوف ينهارُ ما لم تبقَ دنياه

وهو الذي كتب سنة 1986، وكنت أول من قرأها بعد أن أرسلها الشيخ لمجلة الأمة إبان مرضه:

يا رب ها جسمي يشيخ ويمرضُ	والوهن وافاني سريعًا يوفضُ
ولت سنو عمري كرؤيا نائم	ومضى شبابي مثل برق يومضُ
ودنا الرحيل ولم أهيئ زاده	وخيام أيامي تكاد تقوض
ما لي وقد فرطت في أمري سوى	رب إلى نفحاته أتعرض
ما كان من عذر لتقصيري سوى	نفس تقاد الى الجنان فتعرض
كل النفائس قد تعوض إن تضع	والعمر إن ضيعت ليس يعوض

رباه إن رضاك غاية مطلبي	ما ضرني سخط البرية أم رضوا
يا جابر العثرات كن لي جابرًا	كم عاثرًا إن ترض عنه سينهض
أنا عائد لحماك فاقبلني على	ما بي، وإن تقبل فمن ذا يرفض
آتيتني القرآن فانفعني به	وأقم به لي حجة لا تدحض

تشخيص الواقع:

كل النفائس قد تعوض إن تضع	والعمر إن ضَيعتَ ليس يُعوّض
ما بعد نضج الزرع غير حصاده	هي سنةٌ لله ليست تُنقض
وإذا أتى الأجل المقدر وقته	لم يغن عنك مطببٌ وممرض

اعترافات:

ما لي وقد فرطت في أمري سوى	رب إلى نفحاته أتعرض
ما كان من عذر لتقصيري سوى	نفس تقاد إلى الجنان فتُعرض
كسلَى عن الخيرات جد ثقيلة	وهي الجواد إلى البطالة يَركض
نامت وأهل الجد قُوام! ولم	تنفض غبار النوم فيما يُنْفض

شكر المقر:

يا رب في الأولى سترت نقائصي	فأتمَّ سترك يوم عندك أعرض
ما لي سواك إذا الخطوب تفاقمت	أمري إليك على الداوم مفوض
لو كان لي رب سواك رجوته	فلمن أمد يدي ومن أستقرض؟
رباه إن رضاك غاية مطلبي	ما ضرني سَخِط البرية أم رضوا

أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي:

وارفعِ مكاني رب عندك بالتقى	من ترفعِ اللهم من ذا يخفض!؟
وابسط عليّ عطاء رب باسط	بَرٍّ، فإن تبسط فمن ذا يقبض؟!

آتيتني القرآن فانفعني به	وأقم به لي حجة لا تدحض
بيض به وجهي بيوم قادم	فيه الوجوه مسوَّدٌ ومبيض
يا خير من أعطى وأكرم من عفا	وإذا دعاه مذنب لا يعرض
رب اسمك الغفار فاعف تكرمًا	يدعوك مكسور الجناح مهيّض
أنت الذي أكرمتني منذ الصبا	ورعيتني! والخير منك مُقيّض
وغرستني في الدين منذ حداثتي	ووهبتني فضلًا يطول ويعرض
وغمرتني بالفضل من قرني إلى	قدمي يراه محدِّق أو مغمض
فأتم بالغفران فضلك والرضا	من ذاق حلوك لم يطق ما يحمُض
واحشرنِ في ركب الحبيب المصطفي	ومع الذين لوجه دينك بيضوا
واجعل من العلم الذي علمتني	نورًا يضيء وروح بعث يُنهض
وارزقني الإخلاص حتى لاأُرى	إلا وكلي في رضاك ممحض
وأمنن علي بنفحة علوية	أشفى بها من كل داء يمرض
لأظل لاسمك ذاكرًا ومسبحًا	كي أُرتضى فيمن لديك قد ارتُضُوا
وأعيش يا ربي لدينك داعيًا	ما دام بي نفس! وعرق ينبض

وله أشعارٌ تنضح شفافية وروحانية فلا تفوت قراءتها.

- ظاهره كباطنه، والله أعلم بالسرائر:

كتب الأستاذ أحمد النسناس، من العاملين مع الشيخ: أما الشيخ حفظه الله فهو أريحي غير متصنع، (وما أنا من المتكلفين)، مع الحفاظ على الوقار، يذكر الطرفة في محلها، ويسمع منك أو من غيرك الطرفة فيضحك ضحكة يذكرك صفاؤها وبراءتُها ببراءة ضحك جدي وجدك أهل النفوس الصافية .

إذا حُدث بشيء من مآسي المسلمين – وما أكثرها! – يظهر حديث المتكلم على صفحات وجه

الشيخ، حتى لكأنك تقرأ من قسمات وجهه ما ينطقه المتحدث من لسانه، تأثرًا واضحًا، وحزنًا صادقًا، ودمعة قريبة، يحاول مقاومتها لكنها لا تطاوعه.

أحسبه – والله حسيبه – ظاهره كباطنه، يقول في السر ما يقوله في العلن، فيه براءة الأطفال، وهمة الشباب، وحكمة الشيوخ، إذا رأى صغيرًا ضاحكه ولاعبه ومازحه.

بسهولة تتعرف إلى ما يحبه وما يكرهه، وما يغضبه وما يرضيه، حتى في أموره الشخصية، بلا حرج ولا تكلف، فإذا غضب أو ثار لا يجد الغضب في صدره مستقرًا أمنا، فلا يلبث أن يرحل سريعا، ويعود إليه هدوؤه، وإذا أحس أنه أغضب إنسانًا بادر بالاعتذار تصريحًا لا تلميحًا.

- رجل جذب وحب:

وعلى الموقع، وبعنوان: العلامة القرضاوي: صمام أمان الأمة، قرأت:

رجل جَذْب وحُب؛ فبرغم قوة الشيخ الظاهرة في عدد من المواقف، إلا أنه رجل عواطف، بل ربما عواطف ذات عواصف!

فالشيخ – حفظه الله – إنسان سريع الدمعة، ظاهر الخشية، مشرق الروح، غني الإحساس.

إذا تحدَّث في الوجدانيات أشجى، وإذا استغرق في الروحانيات تولَّه، وإذا ذكر الدعوة ورجالها تألَّق.

فله مع الابتسامة الآسرة، والضحكات الأنيقة، مُلَح وجلسات، يؤنسك بها، ويغريك بإزاحة الهم، وفسح مساحة للأمل.

إنك لتخرج بعد الحديث معه عن هموم الأمة وقضاياها من ضيق إلى سعة، ومن يأس إلى تفاؤل وبشر!

يجذبك بسؤاله، وتودده، وإكرامه، ولطفه، وحنوه، وكأنَّ شيئًا من أثقال اليوم لم يكن.

ما لقيته إلا وسألني عن أعمالي وآخر كتاباتي، وأحوال المشايخ في بلدي.

وإن سألته مبادلًا عن أعماله وكتاباته، شاركك همه وما يرغب بإنجازه، وأمنياته، ورغباته، فلا تشعر في حديثه لا بفارق العمر، ولا بفارق الحب!

في كل مرة تلقاه تجده كما هو، في حبه، وسؤاله، وسلامه، وابتسامه، وحتى مصافحته.

لا يردُّ لكَ طلبًا إن طلبتَ منه أن يُنشدَ، أو أن يتحفكَ بعذب قصيدة، وصوت حب، أليس هو من يقول:

يا حبيبي جُدْ بوصلٍ	دمتَ لي! واجْمَع شتاتي
لا تعذبني كفاني	ما مضى من سنواتِ
بتُّ أشكو الوجْد منها	شاربًا من عبراتي

إنك تعيش مع الشيخ في جلوسك معه حالة الوجد والجذب، ولن تفارقك أبدًا وأنت تقرأ له، حتى ولو كنتَ بعيدًا عنه.

اقرأ ما كتبه ويكتبه كلما فارق صديقًا له، أو حبيبًا، اقرأ ثم اسكب في نفسك مقادير من الحب والسكينة والعطف والتحنان والود.

إنني لا أفارقه إلا وأحبُّ أن يسرع زمن العودة إليه، ولو للجلوس معه، والأنس بوده وحبه وجذبه، فهل على مثليَ لوم؟!

- **التكريمات لن تخدعني عن حقيقة نفسي:** كتب الدكتور عمرو عبد الكريم:

في افتتاح المؤتمر بكيت بكاء مكلومًا تأثرًا بكلمة الشيخ، كنت أبكي على استحياء، مخافة أن يراني أحد، ثم اكتشفت أن أغلب من في القاعة بكوا، حينما تحشرج صوت الشيخ بالبكاء وهو يقول:"أخشى أن تذهب المدائح بثلثي أجري ولا يبقى لي إلا الثلث".

وذلك حينما ذكر الحديث إن الغازية إذا غزت ذهب النصر بثلثي أجرها، ويقول أخشى أن تذهب هذه المدائح بثلثي أجري، والثلث الباقي ليس خالصًا فكيف حالي إذن.

وبتواضع العلماء، يقول: إن التكريمات والمدائح والثناءات التي سمعتها لا تخدعني عن حقيقة نفسي التي أعرفها أكثر من غيري: "أنا أعرف نفسي بضعفها وتفريطها وتقصيرها أكثر من معرفة غيري لها".

والشيخ دائمًا ما يردد حكمة ابن عطاء الله السكندري: الناس يمدحونك بما يظنونه فيك، فكن أنت ذامّا لنفسك لما تعلمه منها! أجهل الناس من يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس.

وأكمل: إن الله ستربي بستره الجميل، ومن فضل الله أنه يستر على عباده ولم يجعل لمعاصيهم رائحة يشمها الناس".

ورفض الشيخ القرضاوي تسميته "بالإمام" كما وصفه معظم المتحدثين وقال: "أنا والله لست قائدًا ولا إمامًا! أنا جندي من جنود الإسلام، وتلميذ! وسأظل تلميذًا أطلب العلم حتى آخر لحظة في عمري".

وأكد الشيخ على نعم الله عليه وقال: "أعيش في نعم لا تعد ولا تحصى منذ ولدتني أمي وحتى اليوم، لو سجدت على الجمر، وصمت الدهر، وقمت الليل والنهار؛ ما وفيت ربي نصف معشار ما هو مطلوب منى في حق الله عز وجل"وعبر الشيخ عن سعادته بمن احتفوا به من تلاميذه وطلب من إخوانه وتلاميذه ومحبيه أن يسامحوه فيما قصر فيه تجاههم أو فيما بدر منه من إساءة نحوهم وقال: "سامحتكم فيما بدر منكم في حقي، فسامحوني فيما بدر مني في حقكم"!

وختم العلامة القرضاوي كلمته راجيًا من تلاميذه وأصحابه الدعاء له بحسن الخاتمة، متمنيًا أن يختم الله له بالشهادة في سبيل الله، وأن يفارق الدنيا شهيدًا!

- وكتب الشيخ عصام تليمة سكرتير الشيخ الأسبق: كما اتصف القرضاوي بصفة الشفافية والروحية، فهو رجل تحس أن له مع الله تعالى علاقة، تحس بذلك في قنوته ودعائه في صلاة الوتر، في صلاة التراويح في ليالي رمضان، وتحس بذلك في خطب الجمعة التي يخطبها:

كنت أسجل مع الشيخ ذكرياته، وعندما أتى الحديث عند وفاة أمه، كنت أرى الدموع تتساقط من عينيه، بل رأيته يحاول أن يتمالك نفسه عند ذكرها!

- **يوسف يبكي من إخوة يوسف:**

وكتب الشيخ أكرم كساب سكرتير الشيخ السابق: القرضاوي رجل داعية، وداعية رباني، شديد التاثر بآيات الله، يشهد له من عاصره بأن الرجل رجل رباني، ذو نفس شفافة، وروحانية عالية، أشهد أني حضرت له يومًا درسًا من دروس التراويح وكان يتحدث عن أنواع الأخوة، وذكر ما حدث من أخوة يوسف، وما وقع من كيدهم له، فلما وصل إلى قوله تعالى: (قالوا: أإنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي، قد منّ الله علينا؛ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ففاضت عيناه من الدمع.

وإن أحدًا لا يستطيع أن ينكر حرارة الدعاء، ولوعة الاستجداء، في قنوت الشيخ في صلاة التراويح في رمضان، لقد سمعت كثيرًا من القراء الذين أعطوا حلاوة في الصوت، وعذوبة في التلاوة، وجمالًا في القراءة، يفوق أقلهم الشيخ عذوبة وحلاوة وجمالًا في الصوت والتلاوة والقراءة، لكن الذي يسمع الشيخ عند تلاوته يسمع شيخًا يتجاوب مع القرآن، ويعيش مع التلاوة، كأنها تتنزل عليه، وحين يرفع يديه بالدعاء ترى دعاءًا حارًّا يخرج من قلبه، فيرج السامع له رجًّا.

ولقد حرك هذه الروحانية وتلك الربانية في نفس الشيخ القرضاوي ثلة من شيوخه الأقدمين والمحدثين، بعضهم بكتبه، وبعضهم بعمله، ولعل كتب الإمام "الغزالي"، وإشراقات الإمامين ابن تيمية وابن القيم من أكثر ما أثر في روحانيته من خلال ما كتبوا، وأشهر من أثر فيه بعمله هو الإمام البنا رحمه الله الذي يقول عنه: وقد كان الإمام البنا رحمه الله رجلًا ربانيًّا، وكذلك شيخه البهي الذي قال عنه: هو رجل ذواقة للمعاني الربانية، عميق الحاسة الروحية.

وكذلك تأثر الشيخ بشيخيه الأودن وعبد الحليم محمود رحمه الله على الجميع.

وقد ظهر ذلك جليًّا في كتابات الشيخ كما في كتابه الرائع "الإيمان والحياة" وشهد له بذلك شيخه البهي قائلًا: إنك تحمل قلب صوفي خدعنا عنه عقل الفقيه.

- **الشيخ الملتاع:**

وقال له أحد متصوفي الجزائر بعد حديث له عن منهج القرآن والسنة في إقامة الحياة الروحية، لقد منحك الله شيئًا، به يتميز كلامك عن غيره.

فقال الشيخ: وما هو؟

قال: اللوعة.

قال الشيخ: وما تعني؟

قال: في كلامك حرقة غير مصطنعة تؤثر في سامعيك وهي هبة ربانية، يخص الله بها من يشاء من عباده.

وقال الدكتور سعيد البوطي بعد هذه المحاضرة: لقد ظهر لنا أن الشيخ القرضاوي صوفي مقنَّع، يريد أن يخفي صوفيته بقناع العقلانية والسلفية.

كما شهد له بذلك الداعية الرباني أبو الحسن الندوي رحمه الله حين زار الشيخ القرضاوي ندوة العلماء ودار العلوم في مدينة " لكنهو " بالهند، وبعد كلمة القرضاوي قال له العلامة الندوي: إن الناس تأثروا بكلامك وإن لم يفهموه، لأن للكلام روحًا.

وقال له مرة – والكلام لا يزال للدكتور أكرم كساب –: إن في كلامك روحًا وحرارة خاصة وهذه قلما تترجم؛ لأن المترجم يترجم المعاني والأفكار ولا يترجم الحرارة والروح إلا مترجم يملك ما تملك.

وشعر الشيخ يفيض أيضًا بهذه الروح الدافئة، والحرارة المشتعلة، فتراه يقول في قصيدته التي بعنوان ابتهال:

يا من له تعنو الوجوه وتخشع	**ولأمره كل الخلائق تخضع**
أعنو إليك بجبهة لم أحنها	**إلا لوجهك ساجدًا أتضرع**
وإليك أبسط كف ذل لم تكن	**يومًا لغير سؤال فضلك ترفع**
أنا من علمت المذنب العاصي	**الذي عظمت خطاياه فجاءك يهرع**

إلى أن يقول:

إن لم يكن مني الذنوب ومنك أن	تعفو فأين اسم العفو المطمع؟
أين الغفور؟ وأين رحمته التي	وسعت جميع الخلق؟ أين الموسع؟!
هذا أوان العفو، فاعف تفضلًا	يا من له تعنو الوجوه وتخشع؟

- **القرضاوي بين الشفافية الإيمانية وإنكار التصوف الغالي:**

ولعل هذا يدفعنا لاستشراف رأي القرضاوي في التصوف، لنخرج بأنه يهتم جدًّا بالروح، فيرفض العلم الجاف الذي لا روحانية فيه ولا شفافية، كما يرفض البلاهة والبدعة والمفاهيم الجانحة المنسوبة للتصوف، وهو كثيرًا ما يستشهد بابن عطاء الله والجنيد، وبروحانيات ابن تيمية وابن القيم، ويدعو إلى تصويف السلفية، وتسليف الصوفية؛ (فالمتصوف يأخذ من انضباط السلفية في عدم الأخذ بالأحاديث الموضوعة، وعدم الأخذ بالشركيات والقبوريات، والسلفي يأخذ من الصوفية الرقة والروحانية وخشوع القلب، ونعمل من هذا المزيج المسلم المطلوب) كما نشرت الشرق الأوسط.

ونعى الشيخ على الصوفية الغبية التي تواطئ الظلمة، وتقر الظلم والجور، فقال في حوار له: (والصوفية المنحرفة هي التي تسكت عن الباطل، وتسكت عن المنكر، وتمشي في ركاب الظلمة. وأنا أصفها بالمنحرفة؛ لأن هناك صوفية ملتزمة ومعتدلة، ومتمسكة بالكتاب والسنة، وهناك صوفية قاوموا الباطل والظلمة، ومنهم إبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن المبارك، وسفيان الثوري. وابن القيم جعل مرتبة لجهاد الظلم والجور على حقوق العباد، خصوصًا حقوق الضعفاء واليتامى والأرامل والمساكين، فظلم هؤلاء أشد ما يكون استجلابًا لغضب الله عز وجل)

وعاب عليهم (أن الشيعة أخذوا من التصوف قنطرة للتشيع، وأنهم اخترقوا مصر في السنوات الأخيرة من هذا الجانب)!

وجاء في إسلام أونلاين: سئل الدكتور يوسف القرضاوي: ما حقيقة الصوفية والتصوف؟ وما موقف الإسلام منه؟ نسمع أن من الصوفيين من خدم الإسلام بالعلم والعمل، ونسمع أن منهم من هدم الإسلام بالبدع والضلالات، فما الفرق بين هؤلاء وأولئك ؟ فأجاب حفظه الله:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. التصوف: اتجاه يوجد في كل الأديان تقريبًا، اتجاه إلى التعمق في الجانب الروحاني، وزيادة الاهتمام به.

يوجد هذا في بعض الأديان أكثر منه في أديان أخرى.

في الهند! هناك فقراء الهنود، يهتمون بالناحية الروحية اهتماما بالغًا، ويجنحون إلى تعذيب الجسد من أجل ترقية الروح وتصفيتها بزعمهم. وكذلك في المسيحية. ولا سيما في نظام الرهبانية. وفي فارس، كان هناك مذهب ماني. وعند اليونان ظهر مذهب الرواقيين.

وفي بلاد أخرى كثيرة، ظهرت النزعات الروحية المتطرفة، على حساب الناحية الجسدية أو المادية.

والإسلام قد جاء بالتوازن بين الحياة الروحية والحياة الجسدية والحياة العقلية؛ فالإنسان – كما يتصوره الإسلام – جسم وعقل وروح. ولا بد للمسلم أن يعطي كل جانب من هذه الجوانب حقه.

وحينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن من أصحابه من يغالي في ناحية من النواحي زجره، كما حدث لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقد كان يصوم ولا يفطر، ويقوم فلا ينام، وترك امرأته وواجباته الزوجية. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الله إن لعينك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لبدنك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه)!

وحينما ذهب فريق من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألون أزواجه عن عبادته، فكأنهم تقالوها، فقال بعضهم لبعض: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد غفر الله له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثاني: وأنا أقوم الليل فلا أنام، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج. فبلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – مقالتهم فجمعهم وخطب فيهم وقال: "أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني".

فمن هنا جاء الإسلام بالتوازن في الحياة، يعطي كل ناحية حقها، ولكن الصوفية ظهروا في وقت غلب على المسلمين فيه الجانب المادي والجانب العقلي.

الجانب المادي نتج عن الترف الذي أغرق بعض الطبقات، بعد اتساع الفتوحات، وكثرة الأموال، وازدهار الحياة الاقتصادية، ما أورث غلوًّا في الجانب المادي، مصحوبًا بغلو آخر في الجانب العقلي، وأصبح الإيمان عبارة عن "فلسفة" و"علم كلام" "وجدل"، لا يشبع للإنسان نهمًا روحيًّا، حتى الفقه أصبح إنما يعني بظاهر الدين لا بباطنه، وبأعمال الجوارح؛ لا بأعمال القلوب، وبمادة العبادات لا بروحها.

ومن هنا ظهر هؤلاء الصوفية ليسدوا ذلك الفراغ، الذي لم يستطع أن يشغله المتكلمون، ولا أن يملأه الفقهاء، وصار لدى كثير من الناس جوع روحي، فلم يشبع هذا الجوع إلا الصوفية الذين عنوا بتطهير الباطن قبل الظاهر، وبعلاج أمراض النفوس، وإعطاء الأولية لأعمال القلوب، وشغلوا أنفسهم بالتربية الروحية والأخلاقية، وصرفوا إليها جل تفكيرهم واهتمامهم ونشاطهم. حتى قال بعضهم: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في التصوف.

وكان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة، وقافين عند حدود الشرع، مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك.

ولقد دخل على أيدي الصوفية المتبعين كثير من الناس في الإسلام، وتاب على أيديهم أعداد لا

تحصى من العصاة وخلفوا، وراءهم ثروة من المعارف والتجارب الروحية لا ينكرها إلا مكابر، أو متعصب عليهم.

غير أن كثيرًا منهم غلوا في هذا الجانب، وانحرفوا عن الطريق السوي، وعرفت عن بعضهم أفكار غير إسلامية، كقولهم بالحقيقة والشريعة، فمن نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم. وكان لهم كلام في أن الأذواق والمواجيد تعتبر مصدرًا من مصادر الحكم؛ أي أن الإنسان يرجع في الحكم إلى ذوقه ووجدانه وقلبه!

وكان بعضهم يعيب على المحدّثين، لأنهم يقولون: حدثنا فلان قال وحدثنا فلان، ويقول الصوفي: حدثني قلبي عن ربي. أو يقول: إنكم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ أي أنه متصل – بزعمه – بالسماء مباشرة.

فهذا النوع من الغلو – ومثله الغلو في الناحية التربوية غلوًّا يضعف شخصية المريد كقولهم: إن المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، ومن قال لشيخه: لم ؟ لا يفلح. ومن اعترض "انطرد" – هذه الاتجاهات قتلت نفسيات كثير من أبناء المسلمين، فسرت فيهم روح جبرية سلبية كاعتقادهم القائل: أقام العباد فيما أراد/ دع الملك للمالك/ واترك الخلق للخالق! يعني بذلك أن يكون موقفه سلبيًا أمام الانحراف والفساد وأمام الظلم والاستبداد، وهذا أيضًا من الغلو والانحرافات التي ظهرت عند الصوفية.

ولكن كثيرًا من أهل السنة والسلف قوّم علوم الصوفية بالكتاب والسنة، كما نبه على ذلك المحققون منهم، ووجدنا رجلًا كابن القيم يزن علوم القوم بهذا الميزان الذي لا يختل ولا يجور، ميزان الكتاب والسنة. فكتب عن التصوف كتابًا قيمًا، هو كتاب: "مدارج السالكين إلى منازل السائرين". ومدارج السالكين هذا عبارة عن شرح لرسالة صوفية صغيرة اسمها "منازل السائرين إلى

مقامات: إياك نعبد وإياك نستعين" لشيخ الإسلام إسماعيل الهروي الحنبلي. هذا الكتاب من ثلاثة مجلدات، يرجع فيه إلى الكتاب والسنة، ونستطيع أن نقرأه ونستفيد منه باطمئنان كبير!

والحقيقة أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك، والحكم هو النص المعصوم من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فنستطيع أن نأخذ من الصوفية الجوانب المشرقة، كجانب الطاعة لله. وجانب محبة الناس بعضهم لبعض، ومعرفة عيوب النفس، ومداخل الشيطان، وعلاجها، واهتمامهم بما يرقق القلوب، ويذكر بالآخرة.

نستطيع أن نعرف عن هذا الكثير عن طريق بعض الصوفية كالإمام الغزالي مع الحذر من شطحاتهم، وانحرافاتهم، وغلوائهم، ووزن ذلك بالكتاب والسنة، وهذا لا يقدر عليه إلا أهل العلم وأهل المعرفة.

ولهذا أنصح الرجل العادي بأن يرجع في معارفه إلى المسلمين العلماء السلفيين المعتدلين الذين يرجعون في كل ما يقولون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

- وقال في كتابه الحياة الربانية عن منهجه في التصوف:

عمدتنا في كلامنا عن التصوف هو القرآن الكريم المصدر الأول للملة، والينبوع الأول للعقيدة والشريعة والتربية والسلوك، ثم السنة المشرفة المبينة للقرآن، مكتفين بالصحاح والحسان من الأحاديث، فهي التي تبين موقف الإسلام من الأحكام ومن السلوك، وما نذكره من حديث نبين من أخرجه ودرجته، وعندنا من الأحاديث المقبولة ما يغنينا عن الأحاديث الواهية، وإذا ذكرنا ـ في أحيان قليلة ـ الضعيف، فذلك للاستئناس به؛ لا للاحتجاج والاستشهاد

وسنضرب صفحًا عن الإسرائيليات؛ إلا ما كان منها مؤيدًا لما ثبت في ديننا من فضائل ومكارم، وكذلك عن غرائب الأقوال والحكايات التي تتسم بالمبالغة والتهويل، ولا يقوم على صحتها دليل.

وسننقل عن كبار شيوخ القوم ما لا بد لنا منه، لشرح المفاهيم، وبيان الحقائق، وتوضيح القيم،

وخصوصًا المعروفين منهم بالاستقامة والالتزام، مثل سيد الطائفة الجنيد، وسهل التستري، وأبي سليمان، والزهاد الأوائل مثل: الحسن البصري، والفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم. وسنقتبس من تراث القوم ما يكشف الغوامض، وينير العقول، ويوقظ القلوب، ويحرك العزائم، مثل كتب الحارث المحاسبي، والقشيري، وأبي طالب المكي، والغزالي، وابن القيم، وابن عطاء الله، وغيرهم! إلى جوار ما نأخذ من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمربين، من القدماء والمحدثين.

وسنبتعد عن المصطلحات والكلمات المثيرة للجدل والخلاف، متوخين السهولة والتيسير والاعتدال، فإن هدفنا أن نبني ولا نهدم، وأن نجمع ولا نفرق، وأن نهدي ولا نؤذي، والعبرة بالمسميات والمضامين لا بالأسماء والعناوين!

هذا هو القرضاوي: السلفي في تصوفه والمتصوف في سلفيته، والفقيه المحدث، الأديب الداعية!

ومن دعاء الشيخ حفظه الله:

- اللهم إني أسألك توبة قبل الموت، وراحة عند الموت، وقبولًا منك بعد الموت.
- اللهم أنت رب عظيم كبير، وأنا عبد صغير فقير، أنا أهل أن أذنب وأعصي، وأنت أهل أن تغفر وتعفو، فاغفر ما أنا أهله، وأمنحني ما أنت أهله، يا عفو يا غفور.
- اللهم منا الدعاء، ومنك الإجابة، منا السؤال، ومنك العطاء، ومنا الذنوب ومنك الغفران، ومنا الإساءة ومنك الإحسان، منا الجهد وعليك التكلان، وإليك المشتكى وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بك يا علي يا عظيم.
- اللهم يا أمان الخائفين، يا جار المستجيرين، يا رجاء السائلين، يا عون المستغيثين، يا قاصم الجبارين، يا مذل المستكبرين.

- يا من يسبح له ما في السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.
- يا من يسجد له ما في السموات وما في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير من الناس.
- يا من خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لنا، يا من سخر لنا الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لنا الأنهار، يا من سخر لنا الشمس والقمر دائبين، وسخر لنا الليل والنهار، وآتانا من كل شيء ما سألناه.
- يا من لا تحصى نعمه، ولا تحصر مننه، ولا تكذب آلاؤه، ولا ينكر إحسانه.
- أسألك يا رب توبة نصوحًا، تطهر بها قلبي، وتغسلني بها من ذنبي، وتصلح بها عيبي، وتنصرني بها على نفسي الأمارة بالسوء، وتدخلني بها في عبادك الصالحين.
- يا من تسبح له السموات بنجومها وأبراجها، والأرض بسهولها وفجاجها، والبحار بأحيائها وأمواجها، والجبال بقممها وأوتادها، والأشجار بفروعها وثمارها، والسباع في فلواتها، والطير في وكناتها، يا من تسبح له الذرات على صغرها، والمجرات على كبرها، يا من تسبح السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.
- يا من خلق الأرض والسموات العلا، يا رحمانا على العرش استوى، يا من له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، يا من يعلم السر وأخفى، يا من له الأسماء الحسنى، يا من مع عباده يسمع ويرى، يا من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، يا من لا يضل ولا ينسى، يا من وعد من اتبع هداه بأن لا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا، ويحشره يوم القيامة أعمى.
- يا من خشعت الأصوات لرحمانيته، وعنت الوجوه لقيوميته، وشهدت الفِطَر بوحدانيته، وأقرت العقول بربوبيته، ودلت الدلائل على ألوهيته، وخضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته،

وسكن كل شيء لهيبته، وقام كل شيء بقدرته، ودانت الجبابرة لسطوته، وأبدع كل شيء بحكمته، ووسع كل شيء برحمته، يا من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، يا من خضعت الكائنات لقهره، ومن قامت السموات والأرض بأمره.

- يا من لا ييأس من روحه إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون، ولا ينقطع عن بابه إلا المحرومون، ولا يعمى عن نوره إلا المحجوبون، ولا يحرم من مغفرته إلا المشركون، ولا يحرم من نصره إلا المخذولون.
- اللهم لا تؤيسنا من روحك، ولا تقنطنا من رحمتك، ولا تقطعنا عن بابك، ولا تحجبنا عن نورك، ولا تحرمنا من فضلك ومغفرتك ونصرك، يا خير الغافرين، ويا خير الراحمين، يا خير الرازقين، ويا خير الناصرين، ويا خير الحاكمين، يا خير الفاتحين، يا خير الماكرين.
- اللهم إني أسألك باسمك الأعظم، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد: أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم.
- اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم: أن تتم علي نعمتك، وتنشر علي رحمتك، وأن تعلي كلمة الإسلام، وترفع راية القرآن، وتعز أمة الإسلام، بالعودة إلى منهج الإسلام، والاهتداء بهدي محمد عليه الصلاة والسلام، يا رحمن يا رحيم.
- اللهم يسر لنا كل عسير، فإن كل عسير عليك يسير.
- يا من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يا من يصور خلقه في الأرحام كيف يشاء.
- يا عالم السر والنجوى، يا كاشف الضر والبلوى.

- يا سميع الدعوات، يا مقيل العثرات، يا قاضي الحاجات، يا كاشف الكربات، يا رفيع الدرجات، ويا غافر الزلات، اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

وفي هذا إشارة تغني عن العبارة.



الشيخ باكيًا

ومقللًا من شأن ما قدم ويقدم

الشيخ باكيًا

رغم روح المقاتل، وهمة المنجز، وشموخ المعتز بعطاء الله تعالى له، فإن القرضاوي رقيق سريع الدمعة، سيالها. رأيته مرات كثيرة وهو (ينهنه) ويسيل دمعه سخينًا على مصر، وعلى الإسلام وأحوال المسلمين، وعلى موت بعض أحبته وأصفيائه، أو رقة وخشية!

- ✓ رأيته يبكي بحرارة – مرات كثيرة – حين مات رفاق عمره: الشيخ عبد اللطيف زايد، والشيخ عبد المعز عبد الستار، والدكتور عبد العظيم الديب (وهذه حكيت لي) والدكتور العسال، وآخرين كثيرين غيرهم!
- ✓ وأذكر تمامًا كأنه أمامي الآن، وكنت معه وحدي في مكتبه، وهو ينتحب على ما ابتليت به مصر من انكسار، وترويع، وما لقيه خيرة شبابها من استئصال مجرم، وسفك دم، واستباحة أرواح، وتنكيل وحرق لأجساد، ثم ما يلقاه أهلها من تجبر وإفقار وإذلال، فأخذ يبكي بصوت عال، وانفعال ظاهر، بنبرة واجفة، ويدٍ راجفة، حتى أحسست والله بالانكسار والأسى!
- ✓ وبكى وهو يذكر بعض ما حصل له في السجن الحربي، وهذا موجود على اليوتيوب!
- ✓ وبكى في الجمعة وانتحب وهو يذكر مواقف من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقره، وعند ذكره حديث الإفك، وهذا موجود على اليوتيوب!
- ✓ وبكى في غزة أثناء خطبة الجمعة بسبب موقف حركة فتح من زيارته قطاع غزة، ودعواهم أنه يعزز الانقسام السياسي بمناصرته (حماس) وبأنه غير جدير بالجواز الفلسطيني، فقد أعطى من لا يملك (إسماعيل هنية) لمن لا يستحق (القرضاوي)! وهذا موجود على اليوتيوب!
- ✓ وبكى في الجمعة وانتحب وهو يذكر إخوانه المشايخ عليوة مصطفى، والشيخ عبد المعز، والعسال وغيرهم، وهذا موجود على اليوتيوب!
- ✓ وبكى وهو يتحدث عن صلاح الدين وحطين والجهاد، وهذا موجود على اليوتيوب!
- ✓ وبكى وهو يذكر ما تفعله العصابات الطائفية الأسدية في الغوطة الشرقية وفي سوريا كلها، وهذا موجود على اليوتيوب!

✓ وبكى وأبكى الحضور في مهرجان شكرًا تركيا؛ وهذا موجود على اليوتيوب!

✓ وبكى غير مرة في حلقاته التي قدمها في تلفزيون الحوار، وهذا موجود على اليوتيوب!

✓ ولا أنسى أبدًا بكاءه، ورأيه في نفسه أمام مئات ممن حضروا الملتقى الأول (التلاميذ والأصحاب) 2007، حين سمع ثناء الحاضرين، من كبار العلماء والمفكرين، ومدحهم إياه، فقال باكيًا:

إن هذه التكريمات والثناءات والمدائح التي سمعتها لا تغرني عن حقيقة نفسي، ولا تخدعني عن حقيقتي التي أعرفها أكثر من غيري: أنا أعرف نفسي – بضعفها وتفريطها وتقصيرها – أكثر من معرفة غيري لها.

وقد قال ابن عطاء الله السكندري: الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تستيقنه منها! العاقل من لا يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس!

وأنا أعلم أن الله تعالى سترني بستره الجميل، ومن فضل الله علينا أنه يستر على عباده، ولم يجعل لمعاصيهم رائحة يشمها الناس! كما قال أبو العتاهية:

أحسن الله بنا	أن الخطايا لا تفوحُ
فإذا المستور منا	بين جنبيه فضوحِ

وأرجو أن يسترنا الله في الآخرة كما سترنا في الدنيا (اللهم آمين)!

واستمر يقول: إن هذه التكريمات والثناءات والجوائز واللقاءات أخشى أن تذهب بأجري أو بمعظمه؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه: (ما من غازية تغزو في سبيل الله، يصيبون من الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، ويبقى لهم الثلث؛ فإذا لم يصيبوا غنيمة، تم لهم الأجر كله)!

وأنا أخشى أن تذهب كلمات الإخوة من أصحابٍ وتلاميذ بثلثي أجري، هذه هي غنيمة العالم: أن يثني الناس عليه ويكرموه، هذه غنيمته، تذهب بثلثي الأحر؛ فإذا كانت هذه التكريمات تذهب بلثي أجري فقد خسرت (وهنا استعبر وانتحب) وإذا كان الثلث الباقي لا يخلو من الخلل والدخل؛ فماذا يبقى للإنسان!؟

وكان مما قال بعد ذلك:

أنا والله لست قائدًا ولا إمامًا! أنا جندي من جنود الإسلام، وتلميذ، وسأظل تلميذًا أطلب العلم حتى آخر لحظة في عمري!

أعيش في نعم لا تعد ولا تحصى منذ ولدتني أمي وحتى اليوم، لو سجدت على الجمر، وصمت الدهر، وقمت الليل والنهار، ما وفيت ربي نصف معشار ما هو مطلوب مني في حق الله عز وجل!

سامحتكم فيما بدر منكم في حقي، فسامحوني فيما بدر منى في حقكم!

وختم حفظه الله تعالى كلمته برجاء من تلاميذه وأصحابه بالدعاء له بحسن العقبى؛ متمنيًا أن يختم الله له بالشهادة في سبيل الله، وأن يفارق الدنيا شهيدًا.

ولا تعليق!

يقول م. أحمد توفيق في: رسالة في حب الإمام يوسف القرضاوي: ورغم قوة كلام الشيخ وحججه، إلا أن للشيخ قلبًا رقيقًا، ودمعة سريعة، تجدها في مكانها، وقد لاحظت دمعات الشيخ في ثلاثة مواضع، كلها تدل على رقة قلبه، وقوة إيمانه:

1. **عند حديثه عن الظلم: وأفضل مثال لذلك، عندما يروي فضيلة الشيخ قصة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، في حادثة الإفك، فعندما يصل الشيخ لحديثه عما قام به المنافقون باتهام أم المؤمنين، تجد أن عينه تدمع ألمًا للظلم الذي نزل بها حتى رفعه الله. ومثاله أيضًا، عند حديث الشيخ عن السجون والتعذيب الذي مرَّ بالمسلمين سواء في مصر أو غيرها.**
2. **وعند تذكره أصحابه: فعندما يتذكر فضيلة الشيخ حفظه الله، أصدقاءه في مسيرته والعمل الدعوي، الذين توفاهم الله، تجد دمعة الشيخ سريعة، وهو يذكرهم ويتذكر الأحداث التي كانت معهم.**
3. **وعند الثناء على الشيخ في لقاءات عامة: فلقد رأيتها مرتين، الأولى عند الاحتفاء بذكرى مولد الشيخ الثمانين، والثانية عند افتتاح أول ملتقى لرابطة تلاميذ الشيخ القرضاوي، فيبدأ الشيخ بالكلام أنه مقصر، وقليل التطوع في الصيام والقيام، وأن الله وحده يعرف ما ذنوبه. وتجد دمعة**

الشيخ هنا سريعة أيضًا. وقتها أقول لنفسي، إذا كان الشيخ بهذه الحال، فماذا يقول من هم على نفس حالي! أسأل الله الستر والمغفرة والعافية.

- وفي مقال للأستاذ محمد ثابت عن إنسانية القرضاوي، وعن مشاركة له في تركيا بعد الانقلاب، قال: أين كل هؤلاء؛ ليروا الشيخ الذي بلغ التسعين، ولم يستطع صعود الدرج الخاص بقاعة احتفال مهرجان شكرًا تركيا خلال افتتاحه، فجلس أسفل السُّلم؛ ليبكي على حال المُسلمين المهاجرين من بيوتهم، وقد تهدمت على المُتنازلين عن حرماتهم، وبلاد ولدوا وتربوا وترعرعوا فيها؛ لمجرد أنهم قالوا كلمة حق في وجه حاكم طاغٍ ظالم؟

- حين بكى لأكرم كساب:

يقول الشيخ أكرم: وأذكر أنني بعد خروجي من المعتقل وقدومي إلى قطر ثانية عام 2014م، ما إن قابلته وجلست أحدثه، حتى أخذت الدموع تنهمر من عينه، وتذكرت لحظتها كلام أحد الإخوة الكرام السعوديين الذين حضروا ملتقى تلاميذ القرضاوي الأخير، والذي تغيبت عنه نظرًا لظروف اعتقالي، إذ قال لي هذا الأخ: كنت أعلم أن الشيخ يحبك لكن ليس لهذه الدرجة، فما ذكرك إلا دعا لك، وأثنى عليك، وما أكثر ما بكى عند الحديث عنك!

فقلت له: ويعلم الله مدى حبي للشيخ.

- وكتب الدكتور خالد حنفي:

- في اليوم التالى للقائنا مع الشيخ في منزله كان هناك لقاء في نقابة الصحفيين، ولقيه أحد الدعاة الطيبين فسلم عليه وقبل يده وقال له: سل الله أن يحشرني معك.

فقال الشيخ له متأثرًا باكيًا: أسأل الله أن يحشرك مع الصالحين. لا شأن لك بي.

- وأضاف: في الملتقى الثاني للتلاميذ والأصحاب في قطر، ذهبنا إلى مقر الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، وكان لقاء مفتوحًا ماتعًا مع الشيخ، وطرح الشيخ ونيس المبروك على الشيخ سؤالًا قال فيه: ما هو أكثر موقف أثر في الشيخ القرضاوي في حياته كلها؟

فقال الشيخ باكيًا متأثرًا، وأبكانا جميعًا غير مرة:

بعد أن أنهيت دراستي الإلزامية كنا نحرث الأرض مع عمي وأولاد عمي في يوم شديد الحر، وخرجنا نشرب الماء، ونستريح في ظل شجرة على (رأس الغيط) وأخذ عمي يتحدث إلي أن أعمل في بقالة أكتب الديون والحساب، أو أشرف على الأمور الحسابية لفلان في مزرعته، فإننى لا أملك مالًا أنفق على تعليمك منه، ثم إن من يتعلم ويدرس لا يوظف؛ فما قيمة التعليم إذن؟!

قال الشيخ: وكان بداخلى مرارة شديدة؛ فكل المهن التي عرضها علي عمي لا أحبها، ولا تصلح لي، ولا أصلح لها، وأنا أحب العلم الشرعي، وأعشق الدعوة؛ فماذا أفعل؟

وجاء شيخ معمم لا نعرفه ولا يعرفنا، فجلس إلينا وقد عطش وتعب من شدة الحر، وسأل: عندكم ماء بارد؟ فجلس وشرب من (القلة) فقال له عمي: امتحن لنا هذا الشيخ الصغير!

فقال لي: أتحفظ القرآن يا ولدي؟ قلت له: سل من أي موضع شئت، فأخذ يسأل وأنا أجيب دون لحن أو خطأ، وأذكر له اسم السورة، وموضع الآية!

فبهر الرجل بما رأى وسمع، وقال لعمي: لا بد أن يكمل تعليمه الشرعي.

فقال له عمي: ولكني فقير لا أملك مالًا، ومن يتعلم لا يوظف.

فقال له الشيخ: لعل الأمور تتغير ويعمل! لا تدري كيف تصير الأمور في المستقبل!

ثم قال لي: هل تستطيع أن تعيش في طنطا بعشرة قروش في الأسبوع (لا أذكر المبلغ بدقة)؟

فقال القرضاوي فرحًا: وبأقل من ذلك أعيش!

وقال عمه: وأنا أعمل ليتعلم الشيخ يوسف!

وتأثر الشيخ لذلك تأثرًا كبيرًا وبكى وأبكانا، ثم استطرد: فتعلمت في المعهد الأحمدي بطنطا، وصرف الله الأقدار على النحو الذي رأيتم، والحمد لله رب العالمين.

- ويقول الأخ الجزائري الشيخ محمد شنق عضو رابطة التلاميذ: إمامنا يوسف سريع الدمعة وكأن أجفانه ما خلقت إلا لتدمع، و كأن الشاعر البحتري قد عناه بقوله:

غروبُ دَمْعٍ مِنَ الأَجْفَانِ تَنْهَمِــــلُ	وحُرْقَةٌ بِغَلِيلِ الحُزْنِ تَشْتَعِــلُ
ولَيسَ يُطْفِئ نارَ الحُزْنِ إذ وَقَـدَتْ	عَلَى الجَوَانحِ إلاَّ الوَاكِفُ الخَضِلُ
إِنْ لَجَّ حُزْنٌ فَلا بِدْعٌ وَلاَ عَجَـبٌ	أَو قَلَّ صَبْرٌ فَلاَ لَوْمٌ ولاَ عَـذَلُ
فَكُلُّ عَيْنٍ لَهَا مِن عَبــــرَةٍ دِرَرٌ	وكلُّ قَلْبٍ لهُ من حَسْرَةٍ شُغُــلُ

في لقائي الأول به، أخبرته أن شباب الجزائر يقرئونه السلام الحار، ففرح لذلك، واغرورقت عيناه دمعًا، وبادلني السلام منه إليهم، لما له من صلة عميقة ورابطة قوية مع الشعب الجزائري.

- وتحت عنوان: حين بكى الشيخ القرضاوي كتب الأستاذ الدكتور عبد الرحمن البر فك الله كربه:

غلبت الشيخَ عيناه، وماجت نفسه بمشاعر الفرح والفتح، فأجهش بالبكاء في تأثر بالغ، وكأنه استحضر جهاد السنين الطوال، وكيف توجَّه الله بهذا الفتح المبين، فكانت دموعُه التي سالتْ، وصوتُه الذي اختنق أبلغ تعبير عن الإحساس بالنعمة والفرح بفضل الله: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا؛ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: 58).

لقد كانت لحظة في غاية التأثير، انطلق الشيخ الجليل بعدها يتحدث عن سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير، والقاضية بانتصار الحق، وزوال الباطل وزهوقه؛ مهما علا زبده: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ؛ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرض كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ) (الرعد: من الآية 17) (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الإسراء) (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِق) (الأنبياء: من الآية 189)!

وأكَّد الشيخُ الجليلُ أنَّ الإخوانَ ظلوا يعملون رغم المكائد والحيل والابتلاءات والاعتقالات؛ ليقينهم بأن كلمة الله هي بطبيعتها العليا، فثبَّتهم الله حتى أزال الطغيان بفضله بهذه الثورة الكريمة التي نأمل أن تتسع دائرتها، وتتعمق في كل بلاد المسلمين، بل في كل بلاد العالمين: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

الآفَاقِ وَفِي أنفسهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: من الآية53)! إلخ.

- **وقال الأخ والصديق الصحفي الكبير محمد صبرة: قلت له في لقاء خاص بيننا: إن أكبر جزاء لنا على جهدنا الصحفي في نقل أخبارك، ومتابعة ندواتك ومحاضراتك وخطبك، أن تدعو الله لنا أن نرافقك في الجنة، فقال: وما يدريكم أني سأدخلها؟! واستشهد بالآية: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:27]، وأضاف قائلًا: وأنا لا أدري، إذا كنت من المتقين أم لا، ولا أدري هل يتقبل الله عملي أو لا؟!**

وقد سمعت نفس الكلام من الشيخ في أكثر من مناسبة، أبرزها عندما أعلن على الملأ في دبي، يوم تكريمه بجائزة شخصية العام الإسلامية، بحضور حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وعلماء ووزراء من داخل الإمارات وخارجها، حيث قال: أنا أعلم الناس بنفسي. وذكر أنه مقصر في حق دينه.

ولو رحت أستقصي لاسترق الأمر شيئًا كثيرًا، ويكفي من القلادة ما أحاط العنق!

يوسف القرضاوي



الشيخ حريصًا على السنة المشرفة:

الشيخ حريصًا على السنة المشرفة:

كثير من المتسرعين والسطحيين يتعامل مع فكر الشيخ على أنه متساهل، لا يبالي بالسنن، ولا يعنى بدراسات السنة، غير مفرقين بين مقام الفتوى، ومقام التطبيق والسلوك!

والحق أن الشيخ – حفظه الله – حريص عميق دقيق في المقامين كليهما!

فهو من علماء السنة وعلومها، والمنقبين في بطون كتبها، والمنظرين فيها، وقد كتب عن السنة المشرفة وكيف نتعامل معها، وهو من أهل التخريج، والعلم بالإسناد، وهو الذي أعد مشروعه الكبير: نحو موسوعة للحديث النبوي: مشروع منهج مقترح، وكتب: كيف نتعامل مع السنة النبوية، والسنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، والمنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، وألف كتبًا أخرى عديدة في الفقه والفكر في موضوعات بعينها مرتكزًا على الكتاب والسنة.

ومن آرائه المهمة التي رجحها، وأخذ بها: عدم الاحتجاج بالضعيف في فضائل الأعمال – على خلاف ما يتوقع كثيرة من المفتئتين على الشيخ – وكان من منهجه في الحكم على الحديث، وكيفية تتبعه – كما كتب الدكتور محمد سليم العوا في: بحثه: جهود الدكتور يوسف القرضاوي في خدمة السنة النبوية – أقوال أئمة الصناعة الحديثة، واستخلاص الحكم الصحيح على الحديث منها. ومن أوفق ما وفّق إليه في ذلك النظر في المتن أيضًا، أي في محتوى الحديث ومضمونه: أيتفق مع أصول الإسلام العامة ومفاهيمه الثابتة، وقيمه المتفق عليها، أم لا؟

ومن هذه المفاهيم ألا يعارض قاطعًا عقليًا، ولا حقيقة علمية، كما لا يعارض قاطعًا شرعيًّا أو حقيقة دينية سواء بسواء، من أجل ذلك ترك بعض الأحاديث التي قد تقبل من ناحية السند، ولكنها تحتوي في متنها ما يوجب التوقف، فلم يدخلها في هذا المنتقي!

ومن منهج الشيخ أيضًا: فهم الأحاديث على ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها، قال حفظه الله: لا بد – لفهم الحديث فهمًا سليمًا دقيقًا – من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص، وجاء بيانًا لها وعلاجا لظروفها، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة، ولا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود. وقال قبل ذلك مباشرة: وهذا يحتاج إلى فقه عميق، ونظر دقيق، ودراسة مستوعبة للنصوص، وإدراك بصير لمقاصد الشريعة، وحقيقة الدين، مع شجاعة أدبية، وقوة نفسية للصدع بالحق وإن خالف ما ألفه الناس وتوارثوه. وليس هذا بالشيء الهين!

والناظر في كتاب: كيف نتعامل مع السنة، يشهد للشيخ القرضاوي – إذا أنصف ولم يتعسف – بالحظ الوافر من ذلك كله، مع الإحاطة النادرة بأقوال العلماء وآرائهم وتأويلاتهم وأسباب اختلافهم، وهو كتاب لا يجوز أن يفوت عالما، ولا طالب علم، أن ينتفع به ويستفيد منه.

وقد قرر الشيخ قاعدة مهمة في فهم الحديث وهي أن: من حق المسلم (العارف بالسنة، ويملك النظر العلمي الصحيح) أن يتوقف في أي حديث يرى معارضته لمحكم القرآن؛ إذا لم يجد له تأويلًا مستساغًا وبيّن أنه هو نفسه متوقف في معني حديث أبي داود (الوائدة والموؤدة في النار) لأن الحكم على الموؤدة بالنار يعارض قوله تعالى: (وإذا الموؤدة سئلت* بأي ذنب قتلت) (التكوير:8–9). وأنه متوقف في الحديث الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أبيه أين هو: (إن أبي وأباك في النار) وقال الدكتور القرضاوي هنا: لكني أوثر في الأحاديث الصحاح التوقف فيها، دون ردها بإطلاق، خشية أن يكون لها معنًى لم يفتح عليّ بعد!

وهذا ورع حسن – ولا يزال الكلام للعوا – وإشفاق من القول بغير علم، يحمد لصاحبه. وهو مع ذلك نقل ردّ شيخنا، حجة الإسلام في عصرنا، الشيخ محمد الغزالي لحديث: "إن أبي وأباك في

النار"، ونقل مناقشة الأِبِّي – شارِح صحيح مسلم – لتسليم الإمام النووي بالحديث على إطلاقه، وبنائه حكمين عامين عليه، وانتهاء الأِبِّي إلى أنه: إما خبر آحاد فلا يعارض المقطوع به شرعًا؛ من عدم استحقاق العذاب، إلا بعد إقامة الحجة على المنكر أو الرافض، وإما أنه – ومثله من الأحاديث الواردة بعذاب بعض أهل الفترة – خاص بهؤلاء لسبب يعلمه الله، وإما أن المستحقين للتعذيب هم الذين أحدثوا أمورًا من الضلال والفساد لا يعذرون بها. وضرب القرضاوي لذلك مثلًا أن يكون قد وأد ابنته أو نحوه، مما هو معلوم القبح لكل العقلاء.

- إجازات:

وللشيخ إجازات تحملّها لبعض كتب السنة. قرأت على موقع رابطة العلماء السوريين (بتصرف يسير) وأظنها بقلم الأخ الشيخ مجد مكي:

الإجازة العلمية نوع من أنواع التواصل العلمي وإذن بالرواية، وممن اعتنى بهذا الفن مؤخرًا فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، وأخرج له الأخ الكريم أكرم الندوي ثبتًا سماه : كفاية الراوي، وقد اقتصر على الرواية عن شيخيه: أحمد بن الصديق الغماري، وعبد الفتاح أبو غدة.

وقد أدرك نخبة من العلماء المحدثين ولم يستجزهم، منهم الشيخ أحمد البنا، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي وغيرهم!

ولما كثر عليه طلب الإجازة من تلامذته ومحبيه أحب أن يروي عن بعض المحدثين المتقنين المحققين فرغب من أستاذنا العلامة المحدث محمد عوامة أن يجيزه، وقد تدبجا في الرواية عند زيارة شيخنا العوامة لقطر، وكنت بصحبته.

ثم رغب شيخنا القرضاوي بأن يكتب له الشيخ محمد عوامة إجازة خطية، وأجاب الشيخ محمد عوامة طلبه بعد تردد واعتذار، وكتب إليه الإجازة!

كما حضر مجالس سماع للاستجازة والرواية، مجلس سماع صحيح مسلم رحمه الله تعالى، بالسند المتصل إلى الإمام مسلم، ومنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد عقد مجلس السماع بمعهد الدعوة، بإشراف إدارة الدعوة والإرشاد الديني، التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالتنسيق مع الشيخ خالد بن محمد آل ثاني: المشرف العام على المجلس. وكان السماع على السادة العلماء المسندين، وهم الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني، والشيخ/ ظهير الدين المباركفوري، والشيخ/ محمد إسرائيل الندوي، والشيخ الدكتور/ عبد الله التويجري، والشيخ الدكتور/ عبد الله العبيد، والشيخ/ مصطفى القديمي، والشيخ/ علي زوبر الأهدل.

وقد حضر فضيلة الشيخ القرضاوي مجلس السماع، مع كوكبة من العلماء، منهم الأستاذ الدكتور علي محيي الدين القره داغي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والدكتور أحمد الريسوني أستاذ أصول الفقه والمقاصد بجامعة محمد الخامس، والشيخ كريم راجح شيخ قراء بلاد الشام، وأجيز من العلماء المسندين برواية صحيح مسلم بأسانيدهم، كما أجازهم فضيلة الشيخ بمروياته الأخرى.

وفي كلمة ألقاها فضيلته أثنى على أهمية هذه المجالس العلمية التي تعقد في دوحة الخير، وقال: بالأمس كنا نحتفي بصدور كوكبة من الكتب الإسلامية في شركة دراسات للنشر، وقبل الأمس احتفلنا بالفائزين في مسابقات حفظ القرآن الكريم، واليوم نحتفل بختم السماع لصحيح مسلم، وهكذا ينبغي للأمة أن تعود إلى جذورها وإلى مصادر عزتها، وإلى مصادر التشريع الخالد: ترتوي من معينه، وتعتصم بحبله، وتستمسك بعروته، وتعض عليه بالنواجذ.

وأما السنن والنوافل، التي أثرت عن سيدي النبي صلى الله على وسلم في ممارساته، سلوكًا، وذكرًا، وفكرًا، ومعتقدًا – وهي موضع كلامي هنا – فهي نمط حياتي دائم، رغم أن كثيرين يقدمونه على

أنه متساهل، غير مهتم كثيرًا بهذه المعاني، فتأمل هذه المواقف!

- **أنت وهابي يا قرضاوي:**

جاء في مذكرات الشيخ متع الله به: وكان يدرسني في السنة الخامسة الفقه الحنفي مدرس كفؤ؛ وإن كان مكفوف البصر، هو الشيخ محمود الدفتار، وهو من أسرة معروفة بالانتساب إلى المذهب الحنفي، فأحدهم يقال له: أبو حنيفة، والثاني: أبو يوسف، والثالث محمد.

كما كان لهم نزعة صوفية ظاهرة تتمثل في الاعتقاد في الأولياء، والمبالغة في إثبات كراماتهم وخوارقهم، وقد كان الشيخ محمود من أحباء السيد البدوي والمدافعين عنه، وقد اجترأت مرة وناقشته في أن الأضرحة التي تقام للأولياء ليست على منهج السنة، وأن النبي نهى عن الصلاة إلى القبور والصلاة عليها، كما نهى عن إضاءتها!

ودخلت مع الشيخ في مناقشة، وقال لي: أيهما أولى: أن تصلي قرب الميضأة أم تصلي بجوار الضريح؟

قلت له: أن أصلي قرب الميضأة! فنهرني بشدة، وقال لي: أنت وهابي تبغض الأولياء.

قلت له: أنا أقول ما درسته في هذا المعهد في (صفوة صحيح البخاري) فأسكتني وأغلق المناقشة.

- **اخرج من الفصل:**

وفي مرة أخرى، كان الشيخ الدفتار يشرح لنا (باب الأضحية) وما لها من فضل أغفله أكثر الناس، أو قلت قدرتهم على القيام به. وهنا تدخلت وقلت له:

يا فضيلة الشيخ: إن كثيرًا من الناس يذبحون للبدعة، ولا يذبحون للسنة. قال لي: كيف يذبحون للبدعة؟ قلت: عندنا في قريتنا وفي غيرها من القرى أناس كثيرون ينذرون خرافهم لتذبح في مولد السيد، وهذه بدعة، ولا يذبحون يوم عيد الأضحى، وهي سنة، ولو أن العلماء قاموا بواجبهم، ونبهوا الناس على ذلك، لأحيينا السنة وأمتنا البدعة.

فغضب الشيخ وقال لي: اخرج من الفصل!

- **انتصاره للأكل باليمين تسننًا:**

ومما كتبه الشيخ في مذكراته: مما أذكره أني وقعت في مشادة مع أستاذنا الدكتور علي عبد الواحد وافي رحمه الله، الذي عرفته منذ أن كنت في وزارة الأوقاف بالقاهرة، وكنت أشرف على معهد تثقيف الأئمة، وكان هو أحد المحاضرين المرموقين فيه، وكان بيني وبينه مودة، ثم انقطعت الصلة المادية بيني وبينه، بسبب سفري إلى قطر، إلى أن التقينا في الرباط. وكان سبب المشادة، هو استخدام اليد اليمنى في الأكل والشرب، وهل هي سنة تتبع أو عادة يفعلها مَن شاء ويتركها مَن شاء؟

وكان رأي الدكتور علي رحمه الله: أن الأكل باليمين والشرب باليمين ليس أكثر من عادة، مثل الأكل باليد أو بالملعقة والشوكة، والأكل على الأرض أو على المائدة.

وهنا قلت له بكل أدب: اسمح لي يا فضيلة الأستاذ أن أخالفك في بعض ما قلت، وأوافقك في بعضه. فأما الذي أوافقك فيه: فهو الأكل باليد أو بالملعقة، والأكل على الأرض أو على المائدة (الطاولة)، فهذه من الأفعال التي ليس فيها أمر ولا نهي من النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا بخلاف ما جاء في شأن الأكل باليمين والشرب باليمين، فقد جاءت فيهما أحاديث صحيحة صريحة، مثل حديث: "لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله"؛ فجعل الأكل بالشمال من عمل الشيطان، وهو يؤذن بحرمة هذا العمل.

ولو كان الوارد هنا مجرد الأمر كقوله: "سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك"، لقلنا: الأمر هنا يفيد الاستحباب، ولكن النهي في الحديث المقترن بالتشبيه بالشيطان، دلَّ على شيء آخر.

ثم قلت: إن الإسلام يريد بمثل هذا الأدب: أن يغرس في الأمة عادات مشتركة تميزها بين الأمم، فإذا كان الأوربيون يأكلون بالشمال، فإن الأمريكيين يأكلون باليمين.

وهنا قال الدكتور وافي: الأمريكيون لا يأكلون باليمين، بل بالشمال.

قلت: يا سيادة الأستاذ، أنا كنت في أمريكا من قريب، وقد زرتها أكثر من مرة، ورأيتهم يأكلون باليمين. قال: أنا أعلم بالغربيين منك.

قلت: هذا صحيح ومُسلَّم، ولا أدعي أني أعلم منك في هذا، ولكن سيادتك عشت في فرنسا، ولم تعش في أمريكا!

وحاول بعض الحاضرين أن يفض اشتباكنا. وكنت حريصًا على ألا أستمر في هذا الجدل، بل أسفت له، ولكني سمعت خطأ، فلم يسعني إلا أن أصوِّبه؛ وليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عليم. برغم أني أعترف أن الدكتور وافي كان من العلماء الموسوعيين، الذي جمع بين الثقافة الشرعية العربية، التي استقاها من الأزهر، والثقافة الغربية، التي استقاها من فرنسا، فكان من كبار أساتذة علم الاجتماع، وأساتذة علم التربية، وأساتذة علم اللغة، وأساتذة الدراسات الإسلامية. ومع ذلك، فلكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، وهذا لا يسقط اعتباره، ولا ينزل من قيمته.

- **وفي هذا المقام كتب الأستاذ الكبير محمد يوسف عدس:**

أذكر أنه جمعتنا مائدة عشاء تكريمًا لضيوف من كبار رجال منظمة اليونسكو حضروا من باريس للاحتفال بافتتاح جامعة قطر الجديدة سنة 1985م، وكنت مسؤولًا عن مرافقة عدد منهم خلال الزيارة. وقد تصادف أن جلست على مائدة الطعام في مواجهة الدكتور القرضاوى على بعد ثلاثة أمتار تقريبًا، ويبدو أنه لاحظ أننى مندمج في الحديث مع جاري الفرنسي، وأنا أستخدم يدي اليسرى في تناول الطعام، وفجأة سمعت صوت الشيخ واضحًا وعاليًا يقول:

يا محمد، الأكل باليد اليمنى. فنظرت إليه مندهشًا، فأضاف وهو يبتسم: لا تنجرف في الحديث مع صاحبك الخواجة وتنسى السنة في تناول الطعام. فعدَّلت أوضاعى بسرعة، ووضعت يدي

اليسرى بعيدًا.

ولاحظ جاري رجل اليونسكو هذا التغيير السريع، فسألني: ما المشكلة؟ فقلت له: لا تهتم الآن، لن تفهم، وسأشرح لك الأمر بعد العشاء.

- وانتصاره لنص دعاء القنوت:

وحكى لي سكرتيره السابق الدكتور أكرم كساب: تأخرنا يومًا عن صلاة الفجر في المسجد النبوي، فصلينا في غرفة الشيخ، وكنت أنا الإمام، قنت في صلاة الفجر، وكان وقتها مصاب ما – وما أكثر مصائب الأمة – فدعوت بالدعاء الوارد (اللهم اهدنا فيمن هديت) وبه بعض تصرف، فقال لي الشيخ: لماذا هذا التصرف، ادع كما ورد، فالسنة أن تأتي بالسنة دون تصرف.

- عنايته بورده اليومي من القرآن الكريم:

ويقول الشيخ عبد الله السكرمي، حين صاحبه ذات سفر: بعد أن صعدنا الطائرة: تخفف الشيخ من (الزي الأزهري) ثم أخذ يقرأ بعض الجرائد لهذا اليوم، ثم رأيته ترك كل شيء وأقبل على قراءة القرآن، وظل يقرأ فترة طويلة من حفظه! وفي أثناء قراءته يغفو، ثم يستيقظ ليكمل قراءته، وظل هكذا حوالي ساعتين!

وسألته مرة خلال فترة الإقامة بالأردن عن ورده اليومي، فقال: ليس لي عدد أجزاء معينة، فأحيانًا أجد الوقت لأقرأ ستة أجزاء، أو خمسة وأحيانًا لا أجد وقتًا أقرأ جزءًا واحدًا! لكن لا أترك القرآن يوميًّا! وأرجو أن يغفر لي شغلي بالعلم والتعليم.

- إصراره على السلام والصلاة في الروضة الشريفة:

وقال: كنت في زيارة مع فضيلة الشيخ للملكة العربية السعودية، وكانت الزيارة للمدينة المنورة، وطال الوقت بالشيخ في مؤتمره، وكان من المفترض أن نغادر المدينة فجرًا، ولم يكن الشيخ قد زار

الروضة الشريفة، ولا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فعزّ عليه أن يغادر المدينة دون سلام، ولما كان الوقت متأخرًا، والزيارة ممنوعة في ذلك الوقت، ظللنا في تواصل مع المسؤولين حتى فتحوا للشيخ الروضة فصلى وسلم، ثم حمد الله على نعمائه وانصرفنا!

- **الفتح على الإمام ولو لم يسمع:**

وأتعجب دائمًا من استحضار الشيخ يوسف لآيات القرآن الكريم، وأتعجب من حفظه للقرآن – حفظه الله تعالى – وقد كنت أصلي معه في الحرم المكي ذات مرة، فأخطأ الإمام أكثر من مرة، والشيخ ما شاء الله في كل مرة يرد ولا يسكت، حتى يعيد إمام الحرم الصحيح من القراءة، هذا ونحن في آآآآآآآآآآآخر المسجد.



الشيخ متواضعًا حييًّا

الشيخ متواضعًا حييًّا

رغم الاسم العالمي، وفتوح الله الوهاب على الشيخ، ورغم مقابلاته، للرؤساء، والملوك، والأمراء، والوزراء، والمشاهير، فإنه بقي بنقاء الريفي، وانكسار اليتيم، وتواضع المؤمن، وحياء النقي!

يقول الشيخ في مذكراته: ومن النعم التي أحمد الله عليها: أنه رزقني السلامة من الانتفاخ الكاذب، والغرور بالباطل، ولعل هذا هو فضلي الوحيد: أن مرآتي لم تصدأ ولم تتغير، حتى أرى فيها وجهًا غير وجهي، أو شخصًا غير شخصي؛ ولهذا أرى نفسي على حقيقتها بضعفها وغفلاتها وبمواهبها المحدودة، دون تضخيم أو تزييف.

وقد قال ابن عطاء الله في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تستيقنه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس!

إني أعتقد أن من مصلحة الدعوة التي أنتمي إليها، ومصلحة الإسلام عامة، الذي نذرت نفسي لخدمته: أن أظل مشتغلًا بالعلم وبالبحث، لإتمام مشروعات علمية أراها مهمة ونافعة إن شاء الله.

- قال في مذكراته عن واقعة من الوقائع التي لا تنسى في مجال الدعوة، كان الحياء فيها صاحبه:

في أحد (الرمضانات) كنت في الإجازة الصيفية مقيمًا في القرية، وأرسل إليّ الإخوة في طنطا: أن الإخوان في كفر الشيخ يطلبونك لخطبة الجمعة في أحد البلاد هناك، وسينتظرك أحدهم في موقف الأوتوبيس القادم من المحلة إلى كفر الشيخ، ونهضت مبكرًا لأسافر إلى المحلة، ثم أذهب إلى موقف الأوتوبيسات الذاهب إلى كفر الشيخ، لأستقل واحدًا منها إلى تلك المدينة. وقد كان!

وصلت إلى الموقف، فوجدت أحد الإخوة، وركبنا أتوبيسًا آخر إلى قرية بجوار (سخا) وكان الحر شديدًا، وجسمي يتصبب عرقًا، ولكنا في عصر الشباب لم نكن نبالي بهذه المتاعب الصغيرة، بل لا نكاد نحس بها كما يحس الآخرون.

وقد ألقيت الخطبة في القرية التي احتشدت لذلك، ثم كلمة قصيرة بعد الصلاة. ثم استأذنا في الانصراف، فلا مجال لضيافة، فنحن في رمضان، وقد طلب إليّ أهل القرية أن أبقى عندهم إلى الإفطار، فاعتذرت. وقد نسيت اسم هذه القرية، وهي تابعة لمركز كفر الشيخ.

وبعد ذلك قال لي الأخ المرافق: يمكنك أن تعود إلى كفر الشيخ، وتركب أوتوبيسًا من هناك، إلى المحلة كما جئت، ويمكنك أن تمتطي قطار الدلتا من هنا، من سخا إلى المحلة مباشرة، قلت له: كم ثمن التذكرة من هنا إلى المحلة؟ فقال: نسأل عنها، ثم سأل، وقال لي: ثمنها ستة قروش. قلت: الحمد لله. ذلك أن كل ما كان معي من نقود هو ستة قروش ونصف. فقلت: أسافر إلى المحلة، ويقضي الله ما يشاء، فقد خرجت من البيت بكل ما أملك من النقود في ذلك الوقت.

وكان المفروض أن يرسل لي الإخوة من طنطا نفقات هذه الرحلة، فأنا طالب ولست موظفًا، ويبدو أنهم اتكلوا على الإخوة في كفر الشيخ، والإخوة هناك اتكلوا عليهم، وضعت أنا في الوسط. فالأخ الذي رافقني من كفر الشيخ خالي الذهن تمامًا عن هذا الموضوع.

وركبت قطار الدلتا من محطة (سخا) وهو قطار صغير بطيء، كان الناس يتندرون به، ويقولون: تستطيع أن تشير إليه فيقف لك!

وقد وصل القطار المتهادي إلى مدينة المحلة، قبيل الغروب بقليل، وكنت معتمدًا – بعد الله تعالى – على قريب لي يسكن في المحلة لأفطر عنده، وآخذ منه أجرة سفري إلى صفط قريتي. وقد صحبني إلى بيته مرة واحدة، قبل ذلك، وعلامة البيت أنه قريب من مسجد التوبة.

وذهبت إلى هذا الحي، وعند مسجد التوبة، وذرعت المنطقة يمينًا وشمالًا، لأهتدي إلى البيت، أو أستدل عليه، فلم أوفق. وأذن المغرب، فلم أجد بدًّا من أن أذهب إلى المسجد لأصلي فيها المغرب، وأفطر على الماء.

ثم ذهبت بعد ذلك إلى دار الإخوان بالمحلة، وبعد قليل حضر عدد منهم، فرحبوا بي وطلبوا لي (الكازوزة) لأشرب، وعلام أشرب وبطني فارغ، ومعدتي خاوية؟

كدت أقول لهم: إنني لم أفطر بعد، ولكن منعني الحياء، وهو خلق فطري عندي. وقد وصف الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها؛ فهذا الخلق المحمدي هو الذي حال بيني وبين مصارحة الإخوة بأني خالي البطن بعد يوم حافل بوعثاء السفر، وشدة الحر، ومتاعب الطريق، وهو الذي منعني أن أطلب من مرافقي في كفر الشيخ أن يقطع لي هو تذكرة السفر من سخا إلى المحلة كما تقتضيه الأصول، حتى لا أظهر بمظهر من يتكسب بالدعوة.

وحاولت أن أغالب حيائي وأطلب من الإخوة في شعبة المحلة أجرة السفر إلى صفط – وهي قرشان – فلم أستطع، وكان حيائي أقوى من حاجتي. ولم تكن صلتي بأحدهم وثيقة.

وودعت الإخوان، وخرجت إلى الطريق، عازمًا على أن أقطع مسافة أحد عشر كيلومترا ماشيًا، إن لم أجد من يركبني معه احتسابًا.

وفي منطقة تسمى (الشون) في أطراف المحلة، حاولت أن أجد من أصحاب السيارات من يركبني معه، وبخاصة أن لدي اجتماعًا مهمًّا في القرية بعد انتهاء صلاة التراويح. ولكن عرضت على سيارتين من سيارات النقل، فلم يستجيبا، ولاحظ أحد الرجال ذلك، وأنا ألبس الجبة والعمامة، فسألني: ما لك لم تركب؟ قلت: بصراحة، ليس معي أجرة الركوب، قال: وما هي؟ قلت: قرشان. فقال: هاهما. فقلت له: جزاك الله خيرا، فقد نفّست كربتي.

وعدت إلى القرية، وأنا شديد الجوع، فكان أول ما فعلته أن آكل. ولكني كنت قوي العزم لحضور الاجتماع، فلم يؤثر في تعب النهار، ليحجزني عن عمل الليل. وكان الاجتماع مهمًّا، وذلك للتشاور في تأسيس شعبة للإخوان في صفط تراب!

وكان المفروض أن يكون ميلاد هذه الشعبة في تلك الليلة من شهر رمضان المبارك، ولكنها تأخرت لبعض الظروف، وقامت الشعبة بعد ذلك على كواهل عدد من شباب البلدة المخلصين، على رأسهم الشيخ عبد الستار نوير، ومعه الإخوة إبراهيم حبيب وغازي الزغلول، وأبو اليزيد عسقول، ومحمد الزكي، وبهجت الشناوي، وحمزة العزوني، وآخرون لا أذكر أسماءهم الآن. وقد حوكم بعضهم بعد ذلك في عهد الثورة وحكم عليهم بالسجن سنوات متفاوتة، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين. وكانوا رجالًا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلًا.

- ومن صفاته التي كتب عنها الأخ الدكتور أكرم كساب؛ نقلًا عن مذكرات الشيخ أيضًا: عفة اللسان، وانضباط الكلام عنده، فهو لا يسفه، ولا يُهجر، أو يقبّح.

يقول الدكتور أكرم: يشهد المقربون من الشيخ وغيرهم أن الشيخ عف اللسان حتى مع خصومه، وهو مع المخالفين حريص على هذه الصفة!

وما رأيت الشيخ في كتاباته وخطبه ومحاضراته خرج عن هذه الصفة إلا في القليل النادر، وربما كان للشيخ في ذلك العذر حيث إنه في هذا القليل إنما يقرر واقعًا، ويؤكد شيئًا ملموسًا ظاهرًا ومن ذلك كلامه في وصف حمزة البسيوني[1] أنه: ضابط مأفون، يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان "شرشوح"، لا دين له ولا خلق.[2]

وقال: هو الذي كان يحمل وجه خنزير، وقلب وحش، وأنياب كلب عقور.[3]

وكذلك هو حين رد الشيخ ـ حفظه الله ـ على جماعة الأحباش فجعل عنوان رده "جدال بلا علم، وتطاول بلا أدب".[4]

---

[1] – ضابط مصري برتبة مقدم "بكباش" كان قائد السجن الحربي كان معروفًا بظلمه وجبروته، قال يومًا لأحد المساجين: هاتولي ربكم، وأنا أحطه في زنزانة.

[2] – انظر: نفحات ولفحات / هامش / ص 57.

[3] – انظر: مذكرات الشيخ / ج2 / عدد 13.

[4] – انظر: فتاوى معاصرة / ج3 / ص 685.

والشيخ في هذا يؤكد الواقعية التي عرف بها الإسلام وعاش بها الشيخ وفي هذا يقول الشاعر العربي:

لئن كنت محتاجًا إلى الحلم إنني	إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم	ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإن مقوم	ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنًا وصاحبًا	ولكنني أرضى به حين أحرج

ومن صفات الشيخ حفظه الله: التواضع، والبساطة، وعدم التكلف، وتذكر ماضيه البسيط الفقير، ودوام ثنائه على الله تعالى أمام العامة والخاصة، وذكر يتمه، وأعماله الأولى التي مارسها، ليكون بعد ذلك يوسف القرضاوي شمس الدنيا، وإمام أهل السنة!

- يقول سكرتيره السابق، د. أكرم كساب:

وقد اتخذ الشيخ القرضاوي رسوله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة، وضرب مثلًا رائعًا في التواضع، يقر له بذلك كل من رآه؛ فهو – على الرغم من مكانته التي هو فيها – لا يلحظ من يتعامل معه أي نوع من التعالي أو الكبر.

ومن يزر الشيخ في بيته ير فيه حسن الترتيب والنظام مع التواضع، بل إن من يزوره في مكتبه في جامعة قطر، ير مكتبًا يظنه الداخل أنه خاص بخريج حديث التخرج!

وأذكر أنني زرت الشيخ مرة في مكتبه وكان الفصل شتاءً وأمطرت السماء، فرأيت الماء يتخلل بعض مساحات المكتب.

ومن تواضع الشيخ اعترافه بماضيه وشدته، بل وفقره وحاجته، وهو يعلن ذلك على الملأ، ولا يتنكر من هذا الماضي، ولذلك لما كان في حفل تسليم جائزة العام الإسلامية قال وهو يذكر أصحاب الفضل عليه: وأذكر الشيخ "حامد أبو زويل" معلمي في الكتاب ومحفظي القرآن الذي

كان يعاملني معاملة خاصة، ويسامحني إذا عجزت عن دفع نصف القرش الأسبوعي.[5]

ويقول أيضًا: أذكر إننا ونحن طلاب في المعهد الديني بمدينة طنطا، كثيرًا ما كانت تنفد منا النقود، قبل أوانها المحدد، فنعيش على الخبز والملح أيامًا.

وفي مرة من المرات نفد الخبز نفسه، ولم يبق من "الزوادة" إلا "الفرافيت*" فظللنا نأكل منها أيامًا، وكنا مجموعة نسكن متجاورين، وكلنا عاش على هذه "الفرافيت" وأذكر أنني بعد أن أعرت إلى قطر بعد سنوات، أرسل إلى أحد هؤلاء الإخوة، يريد أن يستعين بي ليتعاقد في الخليج، ويقول لي: أنسيت أيام الفرافيت؟

ويقول أيضًا بتواضعه الجم عن حاله في المعتقل، ويذكر موقفًا مع الأستاذ "عبد الحكيم عابدين" فيقول: رآني الأستاذ "عابدين" يومًا أنتفض من البرد، ولم يكن علي من الألبسة الصوفية ما يتدثر به الموسرون عادة، فأهداني من عنده ما يسمونه "بلوفر" رصاصي اللون، لأتدفأ به، وهذه أول مرة ألبس فيها هذا النوع من الثياب، وقد بقي معي، ودخلت به الحربي في الاعتقال القادم الذي قضيت فيه شتاءين، فأفادني كثيرًا؛ جزى الله الأستاذ عابدين خيرًا عن أخيه الفقير.

ولهذا لما أراد الشيخ أن يكتب مذكراته اختار لها اسمًا يدل على تواضعه فلم يتنكر لقريته، ولم ينس أنه ابن الكتاب، وأراد أن ينسب نفسه إلى القرية والكتاب، وهذا هو نعم النسب.

- وعن ذلك يقول جاره وتلميذه الأخ الشيخ محمد قطب القصاص:

قدر الله عز وجل أن أكون عند الشيخ حفظه الله في مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر، وأدعوه لركوب سيارتي، فلم يستنكف. والله وما تردد الشيخ حفظه الله في ركوب سيارتي المتواضعة، مع سهولة استدعاء سائقه الخاص، وتكرر ذلك مرات. لاحظ أننا نعيش في نعيم، ووسط بعض من يتفاخرون، بل قيمة بعضهم، أو من ينظرون إليه من شكل وموديل سيارته. وقد تكون عدوى ذلك وصلت لبعض الدعاة.

---

[5] – انظر: الشيخ القرضاوي شخصية العام الإسلامية / ص 137. * الزوادة: الطعام المحدود الذي كان يتزود به الطالب الفقير يتقوت منه طول الأسبوع أو طول الشهر، من (العيش الناشف) والجبنة المملحة (الحادقة) وما شابه، والفرافيت هي كِسر الخبز المتبقية من الزوادة، أواخر الشهر!

ومن تواضعه وبساطته أنني لم أسمع أحدًا يتكلم عن مكالمة هاتفية، حدثت له مع الشيخ حفظه الله إلا ويحكي أن الشيخ حفظه الله يقدم نفسه من غير لقب أستاذ أو دكتور أو شيخ! وإنما يقول أنا يوسف، وكذلك قالت ابنتي لما ردت على مكالمة من الشيخ حفظه الله، وكان يريد كهربائيًّا لعطل في البيت، ولم يخطر على بالي أبدًا، أن يكون المتصل هو الشيخ حفظه الله.

وفي المقابل لا يخاطب الشيخ حفظه الله أحدا حاضرًا – كبيرًا أو صغيرًا – ولا يذكر غائبًا إلا بلقبه: أستاذًا أو دكتورًا أو شيخًا.

ما دعوت الشيخ حفظه الله لمناسبة عقيقة أو زواج أو لمقابلة ضيف من أهل العلم والدعوة إلا لبى وأجاب، رغم مشاغله الكثيرة، وظني أن ذلك من تواضعه، وحرصه على تنفيذ سنة نبوية، يسعد بها ويدخل السرور على من دعاه.

وستجد قارئي الكريم قصصًا أخرى في آخر الكتاب (طرائف وظرائف قرضاوية) أشياء أخرى في هذا الباب محزنة مبهجة!





الشيخ متسامحًا غفورًا

أحسبه والله حسيبه، ولا أزكيه على الله تعالى

الشيخ متسامحًا غفورًا

من أكبر وأوضح ملامح الشيخ أنه متسامح غفور، لا يعير اهتمامًا كثيرًا بمن جفا أو أساء، أو سب وأفحش. وإنك لواجد على الشبكة العنكبوتية من الإفحاش والإساءة إليه ما يحير العقل من متدينين مساكين، أو رسامين مغترين، أو إعلاميين ملفقين! وتراه مع ذلك يمضي في طريقه لا يلتفت، فإذا نبهه أحد الغُير من محبيه أشار له أنه لا وقت له للجدال، ولا يسره أن يؤاخذ إخوانه بسببه، لكنه لا يسامح – أبدًا – من أساء لدينه وعقيدته!

سمعت ذلك بأذني، ورأيت بعيني، ووعاه قلبي مرات كثيرة!

- بل إنني في بدايات معرفتي به قلت له: تعرف يا شيخ؟ أنا ما كنتش باحب حضرتك – لسبب شرحته له – فضحك، وسألني: ودلوقتي؟

فرددت سريعًا: لا! الآن الوضع تغير، فقال مبتسمًا: الحمد لله.

لذا فمن اليسير أن أقول إن القرضاوي يمتلك قلبًا نقيًّا، يصدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل أي الناس خير؟ قال: (ذو القلب المخموم واللسان الصادق) قال: قلنا: قد عرفنا اللسان الصادق؛ فما القلب المخموم؟ قال: (التقي النقي، الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد) قال: قلنا: يا رسول الله فمن على أثره؟ قال: (الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة) قلنا: ما نعرف هذا فينا إلا رافعًا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن على إثره؟ قال: (مؤمن في خلق حسن) قلنا: أما هذه ففينا. صحيح الجامع وغيره عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما.

- ثالث الثلاثة:

ويقول الشيخ في مذكراته، متحدثًا عن صديق اختلف معه: كنت أزور الشيخ محمود شلتوت الفقيه المجدد، وكنا تعودنا أن نزوره جماعة أنا والشيخ أحمد العسال، والأخ أحمد حمد، وكنا ثلاثتنا متلازمين في هذه الزيارات للمشايخ الكبار، وقد قال لنا الشيخ شلتوت مرة:

أرجو أن تظلوا مترابطين وأن تظل أخوتكم دائمة، ولا تفرق الأيام بينكم، كما حدث لأخوة قبلكم!

وكنا نستغرب هذا الكلام الذي ليس له أي مقدمات. وكأنما كان الشيخ يقرأ الغيب، فقد فرقت الأيام بيننا بالفعل، فقد انفصل عنا الأخ أحمد حمد*، وشن الغارة على إخوانه واحدًا بعد الآخر، بادئًا بالأخ عبد الودود شلبي، ومثنيًا بالأخ أحمد العسال، الذي هاجمه هجومًا عنيفًا لا مبرر له، ثم مثلثًا بي، مشنعًا علي في كل مجلس؛ مع أني سعيت لاستقدامه إلى قطر، ثم ضمه إلى كلية الشريعة، ولم أفكر والله أن أمسه بأذًى طول مدة عمادتي كلية الشريعة في قطر اثني عشر عامًا؛ مع إيذائه المستمر لي، غير مراعٍ ما كان بيني وبينه؛ بل ما كان بيني وبين إخوانه وأسرته عمومًا من مودة صادقة، وأخوة سابقة!

لا أقول إلا سامحه الله، وسامحني معه، فهو لم يكن سيئ القصد، بل كان سيئ التصور، واستمع إلى بعض الوشاة الكاذبين الذين أوغروا صدره علي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ويقول الشيخ عصام تليمة، السكرتير الأسبق للشيخ:

كثيرًا ما يهاجَم الشيخ، بل ربما يتطاول عليه المتطاولون فلا يوغر صدره ما يتقوله المتقولون، بل لو رحت أحصي للقارئ كمية الرسائل التي تأتي من المعتذرين لعجب من تطاولهم على الشيخ؛ لسوء ظن ظنوه به، وسبب ذلك إما سماعهم من المغرضين، وإما لسطحية ثقافتهم في الدين، ما يجعلهم يرمون الميسر في الفتاوى بالتساهل في الدين، وخفة الورع والتقوى والخشية لله.

وهو الذي قال:

- ولأن منهجي العام: ألا أضيع الوقت في الرد، ورد الرد، ولا سيما في القضايا التي لا ينتهي الخلاف فيها، نظرًا لتعدد زوايا النظر، بين المقاصديين والحَرْفيين، وبين من يأخذون بالأيسر ومن يأخذون بالأحوط، وبين من يعيشون في الماضي ومن يعيشون في الحاضر، والأعمار أقصر وأنفس من أن ننفقها في جدال ليس له ثمرة عملية في النهاية.
- أذكر يومًا أن اتصلت به امرأة سورية الجنسية، وكان طلبها مني أن أطلب الصفح والعفو من

* أ.د. أحمد حمد: أستاذ بجامعتي الأزهر وقطر، له مع الشيخ القرضاوي صداقة وزمالة قديمة، ولكن ساءت العلاقة بينهما كما ذكر الشيخ في مذكراته!

الشيخ القرضاوي لابنها، ولما أخبرتها أن الشيخ له مبدأ في هذه الأمور، وهو: العفو والصفح عن كل من أساء إليه، فألحت المرأة أن آخذ منه الصفح عن ابنها بالاسم، ولما لم أجد مخرجًا ومهربًا من إلحاحها الشديد، وعللت إلحاحها بأن ابنها يتصل بها من سوريا دومًا ليعفو عنه الشيخ، فأخبرت الشيخ بأمر المرأة وابنها!

فما كان منه إلا ابتسم ابتسامة أعهدها فيه عندما يكون الأمر بالنسبة له لا يمثل شيئًا عنده، فقال بكل بساطة: أنا أعفو عن كل مسلم أساء في حقي، فأخبر المرأة إن اتصلت أني مسامح ابنها فيما أخطأ به في حقي.

- وجاءت امرأة جزائرية مكتب الشيخ تبكي بشدة، ولما سألها الشيخ: مم تبكين يا أختي؟ فقد ظننا أن البكاء سببه مشكلة اجتماعية، أو ضائقة مادية، وما أكثر هذه الحالات التي تأتي لمكتب الشيخ! ولكن فوجئنا بأن المرأة تقول: سامحني يا شيخ قرضاوي؛ لقد ذكرتك بالسوء، وذممتك في أكثر من مجلس كلما جاء ذكرك، كنت أظن أن تدينك خفيف؛ بتيسيرك في الفتاوى للناس، وأنك تفعل هذا من باب أرضاء الناس، ولكني اكتشفت خطئي ووقوعي في ذكرك بما ليس فيك، أكثر من مرة، والآن أنا أتيتك لتسامحني!

فما كان من الشيخ إلا أن قال لها: يا أختاه: ألست مسلمة؟ قالت: بلى. قال: أنا متصدق بعرضي على كل مسلم، وأسامح كل مسلم أخطأ في حقي، بل أدعو له بالمغفرة والهداية.

ولقد اكتشفت – والكلام للشيخ عصام – أن معظم الذين يسيئون الظن بالشيخ سمعوا دعاوى من أناس في قلوبهم مرض الطعن والتجريح في العلماء، ولكن سرعان ما يكتشف المخلصون من الناس زيف ما يدعيه هؤلاء.

بل إنه ليعفو عمن يشوش على مسيرته، ويقلل من شأن علمه، فقد ظهرت فئتان في الفترة الأخيرة تريدان التشويش على مسيرة الشيخ، فمنهم من هاجم الشيخ من جهة فقهه وعلمه، وذلك لضيقه بالرأي الآخر، فهو يريد الشيخ نسخة كربونية من آرائه، وأن يكون وفق اتجاهه لا وفق

الدليل الذي يلوح له.

والفئة الأخرى هاجمت الشيخ بضراوة لمواقفه الإسلامية، وما أرادوا بذلك إلا التشويش عليه كرمز إسلامي، وهو من يسمون أنفسهم بالأحباش، ومع ذلك رأيت الشيخ في معرض القاهرة الدولي للكتاب هذا العام (1421هـ–2001م) وكان يتجول في قاعات المعرض، ويقف عند دور النشر التي تتولى نشر كتبه، وقد وقف عند دار القلم دمشق، وقلت له: انظر هؤلاء هم الأحباش الذين يهاجمونك، في مقابل دار القلم دمشق، فما كان منه إلا أن ذهب إليهم وصافحهم، كبقية الدور الأخرى، وذلك بعد أن علم أنهم من جماعة الأحباش.

والغريب أنه وهو يسلم عليهم يعلم أنهم يبيعون كتيب عنوانه: (تحذير المسلمين من ضلالات يوسف القرضاوي)!

بل وقف الشيخ في المحفل المهيب الذي عقد بمناسبة حصوله على جائزة (الشخصية الإسلامية) يقول: "أما الفئة القليلة التي حاولت في المدة الأخيرة أن تقذفني بالحجارة من يمين وشمال، وأن تشوش على مسيرتي، فلا يسعني إلا أن أدعو الله لهم أن يهدينا وإياهم، ويصلح بالنا وبالهم. وقد قالوا قديمًا: رضا الناس غاية لا تدرك. وقال الشاعر:

ومن في الناس يُرْضِي كُلَّ نفسٍ *** *** وبين هوى النفوس مَدًى بعيد؟

وفي الآثار الإسرائيلية: أن موسى سأل ربه فقال: يا رب، كف عني ألسنة الناس! فقال: يا موسى، ذاك شيء لم أختصه لنفسي، فكيف أجعله لك؟!

وفي الحديث القدسي: "كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله: لي ولد! فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا" رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وقد أوذي الإمام أحمد وأدخل السجن، وأصابه ما أصابه في فتنة (خلق القرآن) المعروفة، فلما انكشفت المحنة، وسألوه عمن آذوه، سامح فيما كان من حقه هو، لا ما كان من حق الله عز وجل. وقال كلمته المعبرة: ماذا ينفعك أن يدخل أخوك النار؟

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

عُداتِي لهم فَضلٌ عليَّ ومِنَّةٌ	فلا باعَدَ الرحمن عنّي الأعادَيا
فهم بحثوا عن زَلتِي فاجتنبتُها	وهم نافسوني، فاكتسبتُ المَعَاليَا

وقد نشأت في رحاب دعوة كان مؤسسها حسن البنا عليه رحمة الله يدعو إلى الحب، ويقول: سنقاتل الناس بالحب!

وأريد أن أؤكد هنا أنه ليس في حياتي ولا في قلبي متسع للضغائن والأحقاد على المسلمين، ولا أشغل نفسي بمعاداة مسلم، وإن خالفني في الاتجاه أو في الرأي، فأنا مشغول القلب والفكر والجهد والوقت، بأعداء الدين، وأعداء الأمة، وما أكثرهم.

أما قومي، فهم مني وأنا منهم، وما أنا معهم إلا كما قال الشاعر:

قومي هم قتلوا أميم أخي	فإذا رميتُ يُصِيبني سهمي
فلئن عفوتُ لأعفونْ جللًا	ولئن رميت لأوهننْ عَظْمِي

ولكني أعفو إن شاء الله وأصفح، كما أنزل الله في شأن أبي بكر حين آلى ألا يعطي بعض أقاربه الذين خاضوا في حديث الإفك، ومسوا بألسنة السوء ابنته عائشة أم المؤمنين، فأنزل الله تعالى قوله: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى، والمساكين، والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا، وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم) النور:22!

وأنا متصدق بعرضي على من آذاني من المسلمين، يغفر الله لي ولهم.

وأدعو بدعاء التابعين الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار يقولون: (ربنا اغفر لنا، ولإخوإننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين أمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم) الحشر:10.

إلا ما كان من حق الله تعالى، وحق الإسلام، فليس من شأني أن أسامح فيه، فمن كان يعمل لحساب خصوم الإسلام، فإني أستعدي عليه سهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره[6].

---

[6] نقلا عن الكلمة المكتوبة للحفل.

- ولِمَ أذهب بعيدًا في حكاية ما يحدث للشيخ مع من يخالفونه، بل إن كاتب هذه السطور – عصام تليمة – له مع الشيخ موقف أذكره على عجالة:

لقد أوغر أحد الناس صدري على الشيخ، وشوه صورته أمامي بالباطل، وذلك أول ما قدمت للعمل مع الشيخ في قطر، ما أشعل جمرة الغضب في، فما كان مني – بتسرع الشباب – إلا أن كتبت رسالة للشيخ، وأعترف أنها بلغت حدًّا من القسوة ما كان ينبغي أن تصل إليه، وإن لم أتجاوز فيها الأدب مع الشيخ، وللأسف أعطيتها لسائق الشيخ. وبعد أن عدت إلى صوابي، كان السائق قد مشى، ليذهب بالشيخ إلى التلفاز القطري لتسجيل حلقة من حلقات (هدي الإسلام)، وقد كان وقع الرسالة على الشيخ سيئًا وشديدًا، فلم يكن يتوقع مني هذه الشدة، وأحسست بأنني كنت أحمق عندما سمحت لشيطاني أن يوسوس لي هذه الوسوسة، بل إن شياطين الإنس الذين صوروا لي الرجل بهذه الصورة، يحملون وزر هذه الرسالة.

ومع ذلك لم يقدم الشيخ على أي فعل يوصف بالتسرع، وكان يستطيع بكلمة واحدة أن ينهي ما بيني وبينه من علاقة عمل، ولكنه أدرك أني في قطر وحدي، ولعل الوحدة فعلت فعلها معي، فأثرت هذا التأثير، كما راعى أني شاب، وليس لي سابق تجربة بالسفر، فما كان منه إلا أن أرسل إلي الدكتور حامد الأنصاري يستوضح مني سبب غضبي من الشيخ، ولكن الدكتور حامد الأنصاري لم يجدني في سكني، وعاد إلى بيته، فاتصل به الشيخ في اليوم التالي وكان يوم الجمعة، وأخبره الشيخ أنه لم يهنأ بالنوم ليلًا، لأنه يخشى علي، ولاحظت أن الشيخ في خطبة الجمعة لم يجدني بين المصافحين له، رغم أني صليت خلفه الجمعة، ولم أذهب لمصافحته كالعادة، فقال لي بعدها: قلت في نفسي: يبدو أن الشيخ عصام قاطعنا! ثم جلست مع الشيخ لأبث له ما كان لدي من شكوك، ولكني لم أذكر له من أوغروا صدري عليه، لأني أعلم أنه يرفض أن يذكر أحد في مجلسه بسوء، أو أن يغتاب إنسان أحدًا في مجلسه، وما كان منه إلا أن قال لي كلمات لا يزال صداها يرن في أذني، قال:

أنت في بداية حياتك العلمية والعملية، وأنا آخذ على أبنائنا من أبناء الصحوة الإسلامية شيئين خطيرين: أولهما: التسرع في إصدار الأحكام، والتسرع في رد الفعل، وهذا يضر بالدعوة، ويضرك

في بحوثك العلمية فيما بعد، فلا تكن متسرعًا، ولا تكن عجولًا.

وثانيهما: الغضب، فإن الغضب يخرج الإنسان عن التصرف الحكيم، ويجعله يتصرف تصرفًا غير متزن. ثم قال: إنني أعجب منك من أين أتيت بكل هذه الكمية من الغضب، عهدي بك حييًّا!

ثم قال لي: إنني أعذر من يحقد علي أو يحسدني، لأن الله منحني نعمة لو سجدت لله على الجمر ما وفيت الله حقه، وهي نعمة محبة الناس، تأتيني الرسائل من أنحاء العالم الإسلامي، بل ويسألني الناس في التلفاز، أو في الندوات، وأول كلمة يلقونها على مسامعي:

نحبك في الله، هذه الكلمة هي كنزي من الحياة الدنيا. وكأنها عوض من الله لي عن فقد أمي وأبي، فقد يتمت مبكرًا، وعوضني الله بحب من حولي لي؛ فلم أحس باليتم.

- ومما يروى في هذا السياق ما رواه الدكتور خالد حنفي قال:

ذكر أحد الإخوة في هذا اللقاء أن الشيخ أبا إسحق الحويني قال ذات خطبة جمعة: القرضاوي صنم كبير يجب أن نعمل على تحطيمه، وذلك تعليقًا على فتوى للشيخ في برنامج الشريعة والحياة، جوز فيها للزوج أن يصور اللقاء الخاص مع زوجته بالفيديو.

وحينها سأل الشيخ؛ مستفهمًا لا متجاهلًا: من هو الحويني؟ فقال الشيخ عصام تليمة، وكان يومها السكرتير العلمي للشيخ: إنه عالم سلفي كبير، متخصص في الحديث، وله في وسطهم كلمة وأثر.

قال الشيخ: ولكني لم أقل هذا، قلت عندما ألح أحمد منصور بالسؤال: لا يوجد ما يمنع شرعًا من التصوير؛ لأنها زوجته وما يصوره يراه. لكن الخوف أن يقع هذا المصور في يد أحد غير الزوج، أو يلتقط بطريقة معينة أثناء التصوير، فيقع المحرم بذلك. وكأنه انتهى بذلك إلى المنع سدًّا للذريعة.

فاقترح بعض الإخوة أن يكتب بيانًا حول هذا الموضوع، فرفض الشيخ قائلًا: الموقف واضح، وليس هناك ما يدعو لتضخيمه ببيان.

- وقال د. وصفي أبو زيد:

سألته عن موجات الهجوم عليه والتجريح فيه من أبناء مدرسة (الظاهرية الجدد) كما أسماها هو، فقال: إنني لا أهتم كثيرًا بالردود على من يهاجمونني؛ إلا إذا وجدت مسوغًا علميًّا لذلك؛ وهذا لأن العمر أقصر من أن أضيعه في الردود على من يهاجمونني ويجرّحون شخصي، وقضايا الأمة وواجبات الوقت أعظم وأكبر من أن أنشغل بغيرها.



الشيخ سخيًّا

أحسبه والله حسيبه ولا أزكيه على الله تعالى

الشيخ سخيًّا

ربما لا يسوغ لي أن أتكلم عن عطاء الشيخ وبذله، ولا أملك شيئًا كثيرًا في هذا الباب؛ لكون أعمال السخاء في غالبها خفية؛ لكن هذا من تمام الشهادة، وكل ما أسجله شهدته، أو سمعته ممن أثق بهم، أو قرأته عنهم.

- لكم فتح الشيخ بابه، مقيمًا موائد عامرة، يدعو إليها عددًا قد يبلغ مائة وخمسين شخصًا، كما رأيت في دعواته المتكررة للمشاركين في رابطة التلاميذ، أو لأمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورموزه، أو على شرف ضيف كبير من ضيوفه وأحبابه!
- وهو حريص على العناية بضيوفه، يقرب كبارهم، وصغارهم، ويؤانسهم، ويمازحهم، ويرحب بطريقته الخاصة بالجميع، وربما استجاش بعض الموجودين لينشد، وكثيرًا ما يشارك بنفسه في الإنشاد؛ إسعادًا للضيوف، وترحيبًا بهم!
- وكم أصر – إذا كان مرورنا عابرًا – على أن يسقينا عصير الجزر أو البرتقال، وأن نتناول من (تمر الفرنجة) المشتهر بيننا بالشوكولاتة، أو يجمع بين النوعين: التمر الطبيعي، وتمر الفرنجة!
- وكم تحرك بنفسه حاملًا شيئًا لتلاميذه العاملين في مكتبه!
- وقد رأيته قبل سنين بعيدة، وقد أتاه وفد من! يطمئنون عليه، ويسلمون، ويعرضون أمرًا، وقبل انصرافهم أخرج الشيخ دفتر شيكاته، وكتب لهم شيئًا، وسلمهم إياه، وأنا أتغافل أتظاهر أني لا أرى، حتى لا أحرج الناس!
- وحكى لك الأخ د. أكرم عبد الستار أن قناة الجزيرة اتفقت مع الشيخ على برنامج مكافأة لكل حلقة من حلقات (الشريعة والحياة) والذي شرّق وغرّب، ودام سنين كثيرة!

ولكن الشيخ لم يُدخل لجيبه فلسًا واحدًا، وإنما جعل هذا المبلغ لموقع سلام أون لاين! وبالمناسبة

هذا المبلغ لم يكن بعشرات الآلاف ولا بمئات الآلاف، وإنما كان في مجموعه عدة ملايين.

- وكنا في المدينة المنورة – يقول الشيخ أكرم – وجاء أحد الدعاة المصريين اسمه على ما أذكر الشيخ فتحي (أبو عبد الله) علمت من الشيخ لاحقًا أنه أحد الدعاة الذين يقومون بأعمال البر والدعوة، ويرعى الكثير من طلبة العلم والمحتاجين، وكان الجهة الداعية للمؤتمر قد أعطت الشيخ مبلغًا، فأخذ الشيخ الظرف بما فيه وربما لا يعرف ما فيه، فأعطاه للشيخ فتحي!
- وقال الأخ د. محمد الصغير: في بداية التحاقي بالأزهر الشريف، وكنا نسكن في المدينة الجامعية بالقاهرة، وعامة الطلاب يومئذٍ ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ولكن لفت نظري مجموعة من زملائي – على غير المعروف ولا المألوف – تظهر عليهم شبهة غنى أو أثارة من ثراء! سألت عنهم فكانت الإجابة: هؤلاء أبناء القرضاوي.

قلت: كيف يكونون أبناءه وهم كثر؟ فقالوا: هؤلاء من راسلوا الشيخ، وعلم بحاجتهم، فكفلهم. وقال لي أحدهم: إن مولانا الإمام يرسل له مئتي جنيه شهريًّا. وكانت نفقات الإقامة والإعاشة كاملة بالمدينة الجامعية وقتئذ، أقل من أربعين جنيهًا.

من سخائه وتبرعه في صفط تراب مسقط رأسه ما كتبه الأستاذ محمد حمزة العزوني: فقيه الثورة وإمام الثوار:

أدركت صفط تراب هذه اللحظة أن هناك سدًّا منيعًا يقف حائلًا بين القرضاوي وبين صفط تراب، وأن هذا السد يتمثل في أمن الدولة، وما أدراك ما أمن الدولة!؟

حين قامت ثورة يناير المجيدة، وجاء أول رئيس مصري منتخب في التاريخ المصري كله، واعتقد الناس أن أمن الدولة قد ذهب إلى غير رجعة، تجددت الآمال في القرضاوي، وفي الخير الذي يمكن أن يحمله إلى صفط تراب. كان الشيخ عند حسن ظن أهله به، فسرعان ما أعلن عن إقامة مؤسسة الإمام القرضاوي في الشهور الأولى من سنة 2013 م.

وذات صباح جميل أقبلت عربة من القاهرة، بها شاب جميل من أعلام ثورة يناير وقادتها، كان هذا الشاب هو الشاعر عبد الرحمن يوسف، وكنت في استقباله على محطة صفط تراب.

ما إن شقت العربة طرقات القرية حتى خيل إلي أن أرض صفط تراب تهتز من تحتنا، وتكاد ترقص فرحًا، وخيل إلي أنها تقول:

– إني لأجد ريح يوسف.

تضاحكت الطيور والأزهار، وتمايل النهر فرحًا، وقال الجميع لأرض صفط تراب:

– هذا ليس ابنه الشيخ، إنه ابنه الشاعر.

قالت أرض صفط تراب: هذا الفتى الجميل إنما جاء إلي بقميص يوسف، هذا الفتى جاء يحمل الخير إلى صفط تراب.

كان هذا هو الاجتماع الأول لمجلس إدارة المؤسسة، التي كان رئيسها أخي عبد الرحمن يوسف، وكنت أشرف بمنصب نائب الرئيس.

في هذا الاجتماع ناقشنا كل مشاكل القرية من جميع النواحي، واستقر الرأي على أن أهم مشكلة تواجه القرية هي المشكلة التي تواجه مصر كلها، وهي مشكلة القمامة! تعددت الآراء في حل هذه المشكلة، وكان رأيي الذي اقترحته هو أن الحل الحاسم والنهائي لمشكلة القمامة أن تعمل المؤسسة على إقامة مصنع لتدوير النفايات؛ فهذا هو الحل الوحيد لمشكلة القمامة، ليس في قريتنا وحدها، وإنما في محافظة الغربية كلها.

وإننا يجب أن نبدأ بإقامة هذا المصنع أولا قبل أي شيء، لأنه لن يساهم فقط في القضاء على مشكل القمامة، وإنما سيكون بمثابة الوقف الذي نستطيع من ريعه أن ننفق على كل الجوانب الاجتماعية والخدمية والثقافية الأخرى؛ خاصة أنه مؤسسة تحمل اسم الإمام القرضاوي، لا بد وأن يكون لها صداها وتأثيرها في العالم العربي والإسلامي، ولا بد أن تعمل على توضيح الصورة الوسطية الصحيحة للإسلام، وهذا سوف يتطلب نفقات كثيرة لن تتوفر إلا بوجود مصدر دائم للدخل

كهذا المصنع! واتفق الجميع على هذا المقترح، كما وافق الشيخ عليه مرحبًا بالفكرة؛ رغم أن إقامة هذا المصنع كان يتطلب نفقات باهظة.

تم الاتفاق على أن الشيخ سيأتي أول أغسطس ٢٠١٢ لافتتاح المؤسسة، والبدء في إقامة هذا المصنع. وكان العمل يجرى على قدم وساق حتى يتم تجهيز مبنى المؤسسه الكبير؛ استعدادًا لهذه اللحظة! وباتت صفط تحلم بهذا الغيث الطيب الذي سيهطل على أرضها الطيبة لتهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج.

لكن سرعان ما تبدل الحال وتغيرت الامور، وبدلًا من أن يأتي صفط تراب وابل أو طل جاءها إعصار فيه نار فاحترقت المؤسسة، واحترقت صفط تراب، واحترقت مصر كلها ولا تزال.

جاءت أحداث ٢٠ يونيو، و٢ يوليو التي انتصرت فيها الثورة المضادة، وعادت الدولة القديمة، وعاد أمن الدولة القديم! عاد كل هذا كما كان بل أشد قوة وضراوة مما كان.

كانت هذه المؤسسة الوليدة هي أولى ضحايا الثورة المضادة، فبعد فترة قليلة أرسلت الشؤون الاجتماعية تطلب من أعضاء مجلس الإدارة أن يبادروا بتقديم استقالاتهم من المؤسسة، فحذرت أصدقائي قائلًا لهم: إذا أرادت الشؤون الاجتماعية أو أمن الدولة أن يحلوا المؤسسة فليحلوها، أما أن يجبرونا على تقديم استقالاتنا، فهذا لا ينبغى أن يكون أبدًا!

لكن الذي حدث هو أن كل الأعضاء تقدموا باستقالاتهم، ولم يبق إلا اثنان فقط: أنا وأخي عبد الرحمن يوسف. وكان ما كان، وألغيت المؤسسة قبل أن ترى الدنيا، وتخرج الى الوجود!

وأذكر أن الشيخ اتصل بي في تلك الفترة، منزعجًا مما حدث، متعجبًا من تقديم الأعضاء لاستقالاتهم، وأذكر أنني قلت له: هم معذورون يا مولانا، هذه هى مصر، وهذا هو حكم العسكر، ومن حق هؤلاء أن يخافوا على أنفسهم. وكان الشيخ يعرف هذا أكثر مما أعرف، فقد ذاق السجن والتعذيب، ولعل آثار سياط الطغاة لا تزال أوسمة على جسده الكريم.

وكم كان حل هذه المؤسسة قاسيًا على صفط تراب وأهل صفط تراب!

كانت صفط تنتظر بلهفة ذاك المصنع الذي يعيد تدوير النفايات، ويجعل من القرية جنة فيحاء بعد أن أصبحت مستنقعًا مليئًا بالقاذورات والروائح الكريهة.

لكن صفط فوجئت – بل إن مصر كلها فوجئت – بأكبر عملية! في التاريخ لإعادة تدوير النفايات البشرية، وتقديمها في قالب جديد.

كانت أغلب هذه النفايات المنتنة هي نفايات الحزب الوطني التي طالما أعيد تدويرها، بدءًا من هيئة التحرير، مرورًا بالاتحاد القومي، والاتحاد الاشتراكي، وحزب مصر، وحين وصلت إلى الحزب الوطني كانت قد أنتنت، وانطلقت رائحتها الكريهة تسد الأنوف! انضم لتلك النفايات المنتنة نفايات أخرى من الدولة العميقة، ونفايات الأحزاب الورقية التي لا وجود لها في الشارع، ونفايات الإعلاميين الذين يتغوطون علنًا على رؤوس المشاهدين في بالوعات الصرف الصحي ،التي يسمونها – زورًا وبهتانًا – بالقنوات الفضائية! ضرب هذا الخليط النتن من العفن الطازج والمعلب في خلاطة كبرى أسموها حركة تمرد؛ غير منتبهين من فرط غفلتهم وجهلهم إلى الطابع العسكري الذي يحمله هذا الاسم، والذي يدل على المنشأ الذي نشأت فيه الحركة، والمحرك الذي تحركت بأوامره.

- وهناك كثير مما يخفى من هذا الباب، لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، لكنه ليس باب تبرعاته الوحيد، فله أعمال كبيرة علنية، منها ما نشرته أخبار اليوم المصرية (2012/5/10) عن تبرعه بمليوني ريال قطري لوقفية (نهضة الأمة) بعد أن أعلن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الأربعاء 9 مايو عن اعتزامه تأسيس وقفية تحت هذا الاسم، تهدف لتحقيق الاكتفاء الذاتي للاتحاد وتوفير الموارد المالية لأنشطته المتنوعة ومشروعاته على مستوى الأمة.



- وحين أنعم الله عليه بجائزة شخصية العام الإسلامية (مليون درهم إماراتي) تبرع بها لإنشاء مؤسسة لرعاية المتفوقين من أبناء المسلمين حول العالم، كما نشرت وكالات الأنباء، ومنها كونا

يوم: 21/11/ 2000.

- **ومن أشكال سخائه الاجتماعي ما رواه جاره وتلميذه الأخ الشيخ محمد قطب القصاص:**

استحسن أهل المسجد أن يقيموا في العيدين عشاء، يجتمعون فيه. وكان ذلك غالبًا ثالث أيام العيد بعد أن ينتهي الجميع من زياراتهم البعيدة لأرحامهم وغيرهم، يتبادلون التهنئة بالمناسبة، ويجتمعون على طعام واحد، بحضور أولادهم وأصحابهم والعاملين والسائقين في بيوتهم. وقد حرص الشيخ حفظه الله على حضور هذا العشاء، وكان يتحفنا فيه بما لذ وطاب، من توجيهات وإرشادات، تتعلق بالود والحب والأخوة الإيمانية.

وكان رواد مسجدنا معظمهم من القطريين، وقلة من الجنسيات الأخرى – ومعظمهم من العاملين في البيوت أو مواقع البناء الجديدة – فتوافقوا على إقامة إفطار للصائمين؛ قيامًا بحقهم، وأداء للواجب تجاههم، وشارك الشيخ فيه الجميع دعمًا وتنفيذًا وإشرافًا كاملًا، دون حاجة للجمعيات الخيرية، بل كان ما يتبقى من دعم مالي يذهب لموائد مؤسسة الشيخ عيد الخيرية. ولم يفوت الشيخ حفظه الله الفرصة في أن يشارك مع أهل المسجد لإفطار ما يقارب من 275 صائم يوميًّا، فكان يرسل مع إبراهيم سائقه حينها ما تيسر من مساهمة مادية، نسأل الله القبول.

ولعل في هذه الإشارة غنية عن التفصيل.





الشيخ متفائلًا

الشيخ متفائلًا

من طبيعة الشيخ القرضاوي أنه دائمًا يبشر ولا ينفر، ويزرع الأمل أنى سار وحيثما كان.

وكثيرًا ما يؤكد على تفاؤله واستبشاره بقسم من قلبٍ موقن؛ كما أقسم على سقوط مبارك والقذافي وغيرهما؛ ثقة بموعود الله تعالى، وتأكيدًا للأمل الذي يملأ جوانحه.

وهو الذي كتب (المبشرات بانتصار الإسلام) والذي حاضر، وخطب، وكتب، غرسًا لهذه المسلمة عنده في نفوس متابعيه!

وهو الذي قال: الأمل: قوة دافعة، تشرح الصدر للعمل، وتخلق دوافع الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة على جده والزيادة فيه! وتدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه!

إن الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق: أمله في الحصاد، والذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر: أمله في الربح، والذي يبعث الطالب إلى الجد والمثابرة: أمله في النجاح، والذي يحفز الجندي إلى الاستبسال: أمله في النصر، والذي يحبب إلى المريض الدواء المر: أمله في العافية، والذي يدفع المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه: أمله في رضوانه وجنته!

من مصادر الأمن والسكينة لدى المؤمن: ما يغمر جوانحه من أمل؛ ذلك الشعاع الذي يلوح للإنسان في دياجير الحياة، فيضيء له الظلمات، وينير له المعالم، ويهديه السبيل!

ذلك هو الأمل الذي تنمو به شجرة الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السعادة، ويحس ببهجة الحياة!

وهو الذي يقول: فالمؤمن الذي يعتصم بالله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود، ذي العرش

المجيد، الفعال لما يريد، فإنه يعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، إنه دائمًا متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغر باسم؛ لا بوجه عبوس قمطرير.

وهو الذي يقول في نونيته:

صبرًا أخي في محنتي وعقيدتي	لا بد بعد الصبر من تمكيـن
ولنا بيوسف أسوة في صبـره	وقد ارتمى في السجن بضع سنين
هون عليك الأمر لا تعبأ بـه	إن الصعاب تهون بالتهويـن
أمس مضى واليوم يسهل بالرضا	وغد ببطن الغيب شبه جنيـن
لا تيأسن من الزمان وأهلـه	وتقل مقالة قانـط وحزيـن
شاة أسمنهـا لذئب غـادر	يا ضيعة الإعـداد والتسميـن
فعليك بذر الحب لا قطف الجنى	والله للساعين خير معيـن
سنعود للدنيا نطب جراحهـا	سنعود للتكبير والتأذيـن
ستسير فلك الحق تحمل جنـده	وستنتهي للشاطئ المأمـون
بالله مجراها ومرساها فهـل	تخشى الردى والله خير ضمين!؟

- وفي هذا المعنى كتب الشيخ عصام تليمة: مما امتاز به القرضاوي كداعية: تفاؤله واستبشاره؛ حتى وإن يئس الناس من حوله، تراه يؤمل في الله، وينشر الأمل فيمن حوله، ولعل القارئ يدرك ذلك جيدًا بمجرد أن نذكر رسالته القيمة: (المبشرات بانتصار الإسلام) والتي بث فيها الأمل في نفوس الدعاة، لما رآه منهم من يأس بسبب ما يحدث للإسلام من اعتداء من أعدائه في الخارج، ومن عملائه في الداخل.

والشيخ في أشد ظروفه شدة وضيقًا تراه يستبشر، وهذه النظرة المؤملة ليست وليدة الكبر

والشيخوخة، أعني أنها ليست من حكمة الشيوخ، فهي في نفس الشيخ من الصغر، حتى في عنفوان الشباب، وليس أدل على ذلك من قصيدته الرائعة (الملحمة النونية) تلك القصيدة التي صور فيها الشيخ ما تعرض له الدعاة في عهد (عبد الناصر) من تعذيب بشع، وقد قص الشيخ بعض ما حدث له، حتى تركت هذه المحنة في جسد الشيخ بعض آثارها، فأثرها لا يزال على ركبته إذا اصطدمت بشيء يشعر بألم شديد.

صور الشيخ في قصيده ما جرى له ولغيره من تعذيب فقال:

قل للعواذل إن رميتم مصرنا	بتخلف التصنيع والتعدين
مصر الحديثة قد علت وتقدمت	في صنعة التعذيب والتقرين
وتفننت كي لا يمل معذب	في العرض والإخراج والتلوين
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه	حتى يرى في هيئة البالون
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه	بالطوق حتى ينتهي لجنون
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه	نارًا! وقد صبغوه بالفزلين

إلى آخر ما ذكر من صنوف العذاب!

ومع ذلك تراه لا ييأس؛ بل يؤمل في انفراج الأزمة، لأنه يعلم أن اليأس حرام، فلا يجوز للمسلم أن ييأس، كما أنه من صفات الكافرين، ومن شيم الضالين، فالله عز وجل يقول: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف:87، (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الحجر:56.

وحين كان في غزة قال – كما سمعت بنفسي، وكتبت الرسالة نت – إن الأمة العربية والإسلامية ستنتصر بأهل غزة"، مشيدًا بصمودهم في وجه الاحتلال الإسرائيلي "الذي يمتلك أسلحة قاتلة" وقال: الاحتلال قصف المقرات الحكومية هنا، والبيوت وكل شيء آمن، لكن شعب غزة بقي صامدًا يحمل الراية، وسيظل يحملها بإذن الله حتى تحرير فلسطين وما بعدها!

أنا موقن أن النصر حليفنا في كل قضايانا! فإما أن ننتصر أو نموت!

- وقد كتب الأستاذ بسيوني الحلواني (في الجمهورية أونلاين) أول أيام الثورة:

فقد عرفناه عالمًا أزهريًّا متميزًا، يجسد قيم التسامح الإسلامي في كل خطبه المنبرية وكتاباته واجتهاداته الفقهية. وينشر روح الأمل والتفاؤل في نفوس المسلمين!

الأزهر هو بيت القرضاوي الذي تعلم فيه كيف يكون الداعية مبشرًا لا منفرًا، وكيف يكون الفقيه ميسرًا لا معسرًا، وكيف يكون المصلح جامعًا للناس لا مفرقًا لهم!

ولذلك سيكون الرجل بعلمه وفكره وخبراته إضافة قوية للجامع الأزهر! سيكون معلمًا وموجهًا للدعاة والجماهير معًا. وعلى هؤلاء، ونحن معهم أن ندعو له بالتوفيق والحماية من وصايا وأكاذيب المنافقين؛ هؤلاء الذين ركبهم الغرور، وسيطر عليهم الوهم، وسلموا أنفسهم للمؤامرات والدسائس، ولا يبحثون إلا عن مصالحهم الشخصية.

ثقتنا في الشيخ، الذي يجسد رسالة الداعية المبشر، والفقيه الميسر، أن يرفض ألاعيب السياسة والسياسيين، وكذبهم علي شعوبهم. وأن يرفض كل الأساليب غير الأخلاقية في التعامل مع الخصوم. فقد عاني الشعب المصري كثيرا من كذب السياسيين وفقد الثقة في الجميع! إلخ!

- وكم بشر الأمل في خطبة الجمعة على منبر جامع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، مسترشدًا في أمله وتفاؤله بموعود القرآن والسنة:

وقد كتبت العرب عن خطبته الجمعة (2009/1/3) أقسم الشيخ القرضاوي قائلا: والله الذي لا إله إلا هو إني لأؤمن بالنصر آتيًا، لا ريب فيه، مبشرًا بنصر المسلمين!

وتابع قائلًا: لا يمكن أن ينتصر اليهود المتحللون من كل فضيلة، والسائرون في الظلم والباطل والبطش، على أمة مؤمنة، متمسكة بربها ودينها وقيمها، مستشهدًا بقول الله عز وجل: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ أمنوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ، وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ومستدلًّا بشواهد من التاريخ تؤكد أن الظلم مهما طال لا يمكن أن ينتصر على العدل. والباطل مهما علا لا يمكن أن ينتصر على الحق!

وأضاف أن اليهود الصهاينة سيهزمون كما هُزم الصليبيون والتتار: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)!

ودعا للإيمان بالله، والثقة بنصره، وبمزيد من الولاء والتمسك بعروة الإسلام (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لهَا) وأن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق!

- وفي خطبة الجمعة (2011/3/26) ذكر موقع علامات: وبشر القرضاوي الثورات العربية في ليبيا اليمن وسوريا بالنصر، قائلا: سنن الله هي المنتصرة ووعد الله لا بد أن يتحقق، سينتصر الحق على الباطل، سينتصر العدل على الظلم، هذه سنة الله وهذا وعد الله!
- وهو الذي أعلن في الجزيرة في لقاء له مع أحمد منصور، في الشريعة والحياة: 1999/1/24:

نحن مأمورون بالتبشير، النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا" نحن مأمورون بالتيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.

وحينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصية الجامعة الموجزة قال: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا) فنحن نتبع النهج النبوي، والهدي النبوي في التبشير.
وإن ما تقوله – أ. أحمد منصور – هو أدعى إلى التبشير؛ حينما يكون الواقع واقعًا مؤلمًا وتحيط به الظلمات من كل جانب، معناها أن هذا يجعل عوامل اليأس تغلب على الناس، نحن في حاجة إلى أن نغالب عوامل اليأس ببواعث الأمل!

فمن أجل هذا نوحي إلى الناس بهذه المبشرات؛ حتى لا يستيئسوا، ولا يستسلموا للقنوط؛ فالقنوط من مظاهر الضلال، واليأس من لوازم الكفر، الله تعالى يقول: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) فليس هذا هربًا من الواقع، بل هو علاج لهذا الواقع، نعالج الواقع بهذه البشائر، في هذه الظلمات نشيع هذا الفجر من النور، وأن بعد الظلمات دائمًا يأتي الفجر، وأحلك ساعات الليل سوادًا هي السويعات التي تسبق الفجر عادة.

عندنا من سنن الله ومن المبشرات ما ينبئنا أن هذا الواقع غير مستمر. ويحتم علينا هذا أكثر أن بعض الناس يفهمون أفهامًا خاطئة من الأحاديث التي جاءت في أشراط الساعة، وفي الملاحم، وفي الفتن، وكذا فهموا أننا في آخر الزمان، وأن الحالة ستزداد سوءًا، من حسن إلى سيئ، ومن سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشد سوءًا، وأن الإسلام في إدبار، والكفر في إقبال، فهذه الحقيقة فكرة سيئة، ومعناها أنه لا أمل في إصلاح، ولا رجاء في تغيير.

عندنا: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره؛ ولو كره الكافرون) وعندنا قوله تعالى: (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئًا) عندنا الآيات التي تتحدث عن المستقبل: (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) (سنريهم آياتنا) والسين للاستقبال، عندنا: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم؛ حتى يتبين لهم أنه الحق).

بل القصص القرآني نفسه، قصص الله سبحانه وتعالى يذكر لنا حال الأنبياء مع أقوامهم وكون النتيجة انتصار الرسول والمؤمنين، وهلاك الكفار والمكذبين، لماذا تذكر هذه القصص؟ لتدلنا على أن الإيمان لا بد أن ينتصر في النهاية، وأن أهل الإيمان لا بد أن ينتصروا، فهذه كلها مبشرات قرآنية.

ومن قرأ القرآن وجد فيه هذا بوضوح، قد تأتي في الطريق محن وفتن: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون؟)!





الشيخ واضحًا غير مجامل

الشيخ واضحًا غير مجامل

رغم كون الشيخ – متع الله به – ذا علاقات واسعة، وجالس ملوكًا ورؤساء ووزراء وسفراء ومفكرين كبارًا، ورغم أنه كُرم وجومل، واحتفي به، وأكرم ما لم يكرم مثله – وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء – فإنه بقي حر الرأي، لا يجامل، ولا يماري، ولا يداري، بل يجهر بالحق غير مبالٍ، تاركًا الأمر لربه تبارك وتعالى؛ وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيرًا!

يقول الأستاذ وضاح خنفر:

وأستحضر هنا كثيرًا من الاحتجاجات والامتعاضات التي كان بعض السفراء والمسؤولين في حكومات عربية وأجنبية يوصلونها إلى الجزيرة، بسبب تصريحات الشيخ ومقولاته، التي تتناقض مع توجهاتهم. وكان رد الشيخ دومًا:

أنا أنتمي إلى صف العلماء، ولا يمكنني إلا أن أصدح بما أعتقده حقًّا، هذه مسؤوليتي أمام الله والناس، رضي مَن رضي، وغضب مَن غضب.

- ويقول أخي وصديقي الصحفي الأستاذ محمد صبرة: من أبرز مواقف الشيخ، التي عايشتها عن قرب خلال مصاحبتي له في زيارة إندونيسيا، موقفان أسجلهما للتاريخ:

الأول: خلال لقاء الشيخ بالرئيس الإندونيسي سوسيلو بامبانغ، حيث حرص فضيلته على أن يحمل إندونيسيا مسؤوليتها كاملة في ضرورة نصرة أشقائها المسلمين في العراق وفلسطين، وطالب رئيس أكبر دولة إسلامية بأن تقوم بلاده بدور هام في حل المشكلتين العراقية والفلسطينية، بحكم علاقاتها الجيدة بأطراف المشكلتين.

ولفت نظر الرئيس الإندونيسي لخطورة انتشار المذهب الشيعي في بلد أكثر أهله من السُّنة (الشوافع)، ولفت نظره إلى خطورة المنح الدراسية التي تقدمها بعض الدول لطلبة إندونيسيين، للدراسة في جامعاتها، بهدف ملء عقولهم بأفكار ومذاهب لا تتفق مع مذهب بلدهم.

الموقف الثاني: كان خلال لقاء الشيخ مع محمد يوسف كلا، نائب الرئيس الإندونيسي، حيث انتهز جو اللقاء الودي بينهما، وأظهر استنكاره، لتقديم بعض الفنادق الإندونيسية الكبرى الخمور علنا لروادها، دون أن يطلبوها.

وسبب الواقعة، إننا ذهبنا مع الشيخ، لتناول الغداء في فندق (موليا جاكرتا)، الذي كان يقيم فيه خلال الزيارة، وهو فندق شهير من فئة (5) نجوم، ويخصص دائمًا لإقامة الشخصيات والوفود رفيعة المستوى، التي تستضيفها الحكومة الإندونيسية. وقد فوجئنا خلال دخولنا مطعم الفندق، بأن كل طاولة عليها زجاجة خمر، وكأنها جزء من مكونات المائدة، مثل الملاعق والشوك والشراشف.

وقد أزعجني منظر زجاجات الخمر على مائدة سنجلس عليها بصحبة أحد أكبر علماء المسلمين، وطلبت من موظف الفندق المختص أن يبعد زجاجات الخمر عن المائدة التي سيجلس عليها الشيخ وضيوفه. وقد فعل الموظف ما أمرته به، ولاحظ الشيخ ما حدث وكتمه في نفسه، واشتكى منه لنائب الرئيس الإندونيسي، وطالب بإخفاء الخمور من مطاعم الفنادق الإندونيسية، وقال: إنه لا يليق بدولة إسلامية كبرى في حجم إندونيسيا أن تظهر الحرام علنًا في فنادقها.

في موقفَي الشيخ مع الرئيس الإندونيسي ونائبه، تعلمنا كيف يكون أدب النصيحة للحاكم، وكيف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مؤذ ولا جارح، ولا يترتب عليه منكر أكبر منه.

ويواصل أبو صبرة السكرة:

كنت الصحفي العربي الوحيد الذي رافق الشيخ القرضاوي خلال زيارته لماليزيا في ديسمبر 2009م، بمناسبة تكريمه بجائزة الهجرة النبوية لعام 1431هـ.

استمرت زيارتنا أسبوعًا، وحللنا ضيوفًا على الحكومة الماليزية، وخلال الأسبوع لمست في الشيخ صفات جديدة أُضيفت لما أعرفه عنه من قبل طوال ثلاثة عشرة عامًا، عشتها في قطر.

رغم سعادة الشيخ بتكريمه بجائزة رفيعة، تمنحها ماليزيا لكبار العلماء، إلا أنها لم تؤثر في مواقفه الثابتة التي اعتاد عليها.

ومن عادة أكثر الناس أن يلينوا ويضعفوا ويتنازلوا عن بعض مواقفهم في مناسبات استضافة آخرين

لهم، ويزيد ضعفهم عندما تتم استضافتهم وتكريمهم ومنحهم جوائز مالية. لكن القرضاوي ليس واحدًا من هؤلاء الناس؛ فهو لا يغير مواقفه ومبادئه مهما كانت المناسبة! هذا ما لمسته فيه بنفسي خلال زيارتنا لماليزيا.

لقد أحاطه الماليزيون بكرم، وحفاوة، وحسن ضيافة، واستقبال لم يحظ بها علماء غيره، وبلغت ذروة الحفاوة بتكريم نائب الملك له في احتفال مشهود في مطلع العام الهجري 1431هـ، وسلمه الجائزة بنفسه، وأجلسه بالقرب منه في حفل غداء ملكي.

ورافقه وزير الشؤون الإسلامية ونائبته وكوكبة من علماء ماليزيا طوال الزيارة، واستقبله رئيس الوزراء الماليزي محمد نجيب عبد الرزاق بمكتبه، واعتذر له عن عدم حضور حفل التكريم، بسبب سفره في مهمة خارجية – في بلجيكا – في يوم التكريم، ودعاه للحضور الى ماليزيا مرة قادمة، على ضيافته الخاصة؛ ليحاضر في منزله.

وأقام الشيخ القرضاوي طوال الزيارة، في جناح خاص بفندق (ماريوت بوتراجيا) في غرفة تحمل رقم (866)، وسخر الفندق كل وسائل الراحة للشيخ، وتم حجز ثلاث غرف لائقة ومريحة لمرافقي الشيخ، (ابنه د. محمد، وسكرتيره مختار الأحمر، وكاتب هذه السطور).

وخصصت له الجهة المستضيفة ثلاث سيارات فاخرة، كانت تقله إحداها ويترك لنا الأخريين، وكان يتقدم موكب الشيخ خلال تنقلاته، طاقم شرطة ماليزي، في سيارة خاصة، وفوق دراجة بخارية، لتسهيل تحركاته في الشوارع.

وتم منحه جائزة مالية قيمتها (100) ألف رنجت ماليزي، تزيد على (33) ألف دولار.

رغم ذلك كله، أصر الشيخ على أن يخرج على البرنامج الرسمي الموضوع له خلال الزيارة، وطلب إلغاء بعض الندوات والمحاضرات، واقترح إضافة زيارات لبعض أصدقائه وإخوانه من رموز الحركة الإسلامية في ماليزيا، المعارضين للحكومة.

وأصر على تلبية دعوة أنور إبراهيم، نائب رئيس الوزراء الماليزي السابق، بإلقاء محاضرة في أكبر مساجد ولاية سالانجور، معقل أنصار أنور إبراهيم. كما أصر على زيارة مقر الحزب الإسلامي

الماليزي، في العاصمة كوالالمبور، والتحدث مع قياداته وأعضائه في البرلمان. وكان إصرار الشيخ على لقاء رموز المعارضة محرجًا لمستضيفيه، الذين خافوا من غضب الحكومة.

لكن الشيخ تمسك بموقفه وقال: لا يمكن أن أزور ماليزيا ولا ألتقي بأصدقائي وإخواني الذين تربطني بهم علاقة حميمة منذ عشرات السنين، ولا يمكن أن تشتريني حكومة ماليزيا بجائزة لأبيع إخواني!

وأكد أنه لا ينحاز للحكومة ولا للمعارضة، ويحرص على أن يكون على علاقة جيدة مع الطرفين، وأن منهجه أن يجمع ولا يفرق.

وعندما قال الشيخ: (إخواني) كان يقصد أنور إبراهيم بالذات! فقد لمست خلال الزيارة حبَّ القرضاوي لأنور إبراهيم، حبًّا يصل لدرجة حب الأخ لأخيه، أو الأب لابنه.

وقد حكى لنا الشيخ في جلساتنا الخاصة خلال الزيارة، أنه تعرف على أنور إبراهيم عندما كان شابًّا متحمسًا، وعندما كان أستاذًا بالجامعة، وعندما كان نائبًا لرئيس الوزراء، وثاني أشهر شخصية سياسية في ماليزيا بعد مهاتير محمد.

وكان الشيخ مقتنعًا بأن اتهام أنور إبراهيم بالفساد واللواط مع بعض الشباب، وعزله من منصبه، والحكم عليه بالسجن، مكيدة من خصومه، للحد من تصاعد مكانته وشعبيته عند الماليزيين.

وذكر لي أنه رفض دعوات متتالية لزيارة ماليزيا، طوال (15) عامًا احتجاجًا على سجن أنور إبراهيم، ولبى دعوة تكريمه هذه المرة بعد الإفراج عن إبراهيم.

وحظي الشيخ القرضاوي من أنور إبراهيم وأتباعه باستقبال حار، خلال إلقاء محاضرة بجامع (السلطان)، أحد أكبر وأفخم وأجمل مساجد ولاية سالانجور. وأحاط به مستقبلوه منذ خروجه من السيارة، وحتى دخول المسجد، والتفوا حوله مصافحين ومقبلين ومعانقين، حتى أصيب الشيخ بالإجهاد من كثرة المصافحة.

وأفرد الشيخ ساعات من وقته المليء باللقاءات والفعاليات لصديقه أنور إبراهيم، حضرت جانبًا منها، واستأذننا إبراهيم للجلوس مع الشيخ القرضاوي منفردًا، ليبث إلي صاحب الصدر الكبير والحنون آلامه وآماله، يستأنس برأيه، ويستمع لنصائحه وتوجيهاته.

وحرص أنور إبراهيم على أن يصحب زوجته وأولاده وأقرب أقربائه لزيارة الشيخ في الفندق قبل سفره بساعات، وكان الشيخ في قمة السعادة وهو يستقبل أنور إبراهيم وأسرته. كانت السعادة تبدو على قسمات وجهه، تعكسها البشاشة والسرور، وتجسدها كلماته التي كررها عدة مرات طوال الزيارة: (أنا ماليزي الهوى، لست غريبًا على ماليزيا، وأهلها إخواني).

- وكتب الدكتور خالد حنفي في هذا المعنى:

فى هذا اللقاء حضر معنا الدكتور شعيب الغباشي وكان من كتاب جريدة (آفاق عربية) وقتها! وكانت الجريدة تنشر مذكرات الشيخ القرضاوي على حلقات، وكان أحد الأسباب المباشرة في ارتفاع معدلات توزيعها، فقد كان الناس ينتظرون العدد الجديد لمتابعة ذكريات القرضاوي بقلمه الأدبي الجميل.

وسأل أحد الإخوة سؤالًا – وكان مدرسًا في كلية الدعوة –: يا مولانا نحن نشتري جريدة آفاق عربية لنطالع مذكراتكم؛ فهل يليق بها أن تنشر إعلانًا عن حجاب يباع للمرأة، وبها صورة امرأة تنتف الحاجبين وتضع المساحيق على الخدين؟!

فقال الشيخ مازحًا: وما أدراك يا أخي أنها تضع المساحيق، لعلها حمرة طبيعية في خديها؛ لكن اهتمامك بالموضوع جعلك تراه هكذا. ثم انتقل مباشرة إلى ما هو أهم فقال: كان عندي الأستاذ فهمي هويدي قبل قليل: وقال لى: يبدو أن الإخوة في آفاق عربية ليس لهم في الصحافة ولا أصولها، وذكر لي بعض الملاحظات الموضوعية!

وقال القرضاوي: رغم أن الجريدة تنشر مذكراتي إلا أنه لم يصلني عدد واحد منها!

فغضب د شعيب الغباشي لنقد هويدي، فقال الشيخ: اجلس معه وتعرف على ما عنده أفضل.

ثم قابلت بعد ذلك أحد الإخوة الصحفيين المتميزين بجريدة الأهرام فسألته عن رأيه في كلام هويدي. فقال: لقد قال الأستاذ عبد المنعم سليم جبارة رحمه الله للإخوان كلامًا أشد من هذا في نقد الصحيفة وطريقة تحريرها، وطلب مني أن أتفرغ لها، وأعددنا مشروعًا ضخمًا لتطويرها، ويبدو أنه لم

ير النور.

- وكتب الدكتور أكرم كساب: في بعض الأوقات يؤثر الإنسان سلامة نفسه، حرصًا على البقاء، أو خوفًا على الرزق؛ وإن استساغ الناس هذا الأمر، فإن للدعاة موقفًا مغايرًا، ورأيًا مخالفًا.

والشيخ القرضاوي يعرف بالوضوح كل الوضوح وخصوصًا في المواقف الحاسمة التي تحتاج إلى بيان، وتنتظر الأمة فيها أن تسمع كلمة العلماء.

إنه لا يحب في المواقف الحاسمة اللف ولا الدوران، ولا يلجأ إلى التميع ولا الإرجاء، ولكنه يعلنها صريحة، وإن كلفه الأمر ما كلفه مرددًا قول أمير الشعراء:

قف دون رأيك في الحياة مجاهدًا *** *** إن الحياة عقيدة وجهاد

وعلى نحو ما قال الشاعر:

فإما حياة تسر الصديق *** *** وإما ممات يغيظ العدا

إن الشيخ القرضاوي لا يسعه السكوت إذا احتاج الموقف إلى الكلام، ولا يسعه الصمت إذا احتاج الموقف إلى حديث، ولا يسعه التنحي إذا احتاج الموقف إلى مواجهة، وكثيرًا ما ينتظر الناس كلمة الشيخ في هذه المواقف الحاسمة.

وقد نشأ الشيخ القرضاوي من صغره على الشجاعة وقول الحق وقد حفظ الدعاة من شعره:

تالله ما الطغيان يهزم دعوة	يومًا! وفي التاريخ بر يميني
ضع في يدي القيد ألهب أصبعي	بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة	أو نزع إيماني! ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي	ربي! وربي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي	وأموت مبتسمًا ليحيا ديني

- وكتب الأستاذ محمد عادل عقل (ذكرياتي مع نعيمان والشيخ القرضاوي):

ومن ذكرياتي المشتركة مع صديقي نعيمان: أننا ضربنا موعدًا مع العلامة الدكتور يوسف القرضاوي

لإجراء مقابلة معه؛ بمناسبة مشاركته في المؤتمر السنوي لمؤسسة آل البيت الأردنية. ذهبت وأخي نعيمان إلى فندق الأوركيدا وسط العاصمة الأردنية، مستغربًا أن يستضاف عالم بمنزلة القرضاوي فيه، إلا أن حيرتي زالت عندما عرفت أن هذا الفندق من الفنادق القلائل في الأردن التي لا تقدم الخمور لنزلائها.

استقبلنا الدكتور القرضاوي في غرفته بالفندق؛ لكن كانت تبدو عليه علامات الانزعاج. ولم يمض وقت طويل حتى عبر لنا الشيخ عن استيائه منا؛ لأننا لا نحمل بين أيدينا أوراقًا فيها أسئلة! كيف ستقابلوني وليست هناك أسئلة معدة مسبقًا!؟

وهنا تجلت حكمة النعيمان، الذي امتص غضب الدكتور عندما أجابه: نحن جئنا لك في موضوع واحد ومحدد، وأسئلته محفورة في الذاكرة، ولن نتشعب كثيرًا، لأن وقتك لا يسمح بالاستفاضة!

هدأت إجابة النعيمان من روع شيخنا، وعاد إلى سجيته الأولى، وأخذنا بطرح الأسئلة التي أراحت الشيخ كثيرًا، واطمأن إلى أن من يقابله هم من أهل الخبرة في التعامل مع الكبار الأجلاء!

ولما اطمأنت نفس شيخنا إلى مرادنا بدأ بسرد قصص لنا، لا يحكيها الشيخ إلا لخاصة الخاصة من أهله ومعارفه.

وقال لنا القرضاوي – متعه الله بالصحة والعافية – إنه في أحد الأعياد، وبينما كان الشيخ يهم بمصافحة الأمير للمعايدة قال له الأمير: وهل مطلوب مني أن أغسل يدي سبعًا إحداها بالتراب يا شيخ يوسف؟ تعليقًا على خطبة للقرضاوي، بعدما صافحت زعامات عربية يد اليهودي الصهيوني شمعون بيريز رئيس إسرائيل، والتي أفتى فيها بأن على كل من صافح بيريز أن يغسلها سبعًا إحداها بالتراب.

- **وقال الدكتور جاسر عودة:**

فلطالما أفتى بما وصلت إليه قناعته الصادقة؛ بصرف النظر عن اعتراض المعترضين، سواء من المشايخ التقليديين الذين لا يعجبهم فقه الشيخ الميسر، وإعطاؤه لنفسه حرية الاختيار بين الآراء

وزوايا النظر حسبما يرى من تحقيق المصالح العامة والمآلات الحميدة، أو سواء من الذين يتنصلون من الدين كله أو بعضه، ولا يعجبهم ثبات الشيخ على منهج وسطي يحافظ على الثوابت ويدور مع المتغيرات. ووقوع آراء الشيخ بين طرفين نقيضين – كلاهما ناقد وناقم – هو عندي علامة على وسطيته واعتداله وصحة منهجه، وكل يؤخذ من كلامه ويترك على أي حال.

- وكتب الأستاذ عبد الرحمن يوسف في: (القرضاوي ودولة العسكر):

سأروي قصة ذات مدلول حدثت مع سماحة الشيخ القرضاوي، لم يروها هو، ولا يعرفها أحد، لكي يعرف القارئ حقيقة المشكلة بين الشيخ، وبين دولة العساكر المصرية التي لا توقر كبيرًا، بل هي تتفنن في إهانة كل كبير.

كان سماحة الوالد الشيخ يوسف القرضاوي يأتي إلى مصر عدة مرات سنويًّا؛ خلال حكم مبارك، وفي إحدى زياراته التي كانت بدعوة من شيخ الأزهر (في ذلك الوقت) لحضور مؤتمر الأزهر، الذي دعي إليه عدد كبير من المشايخ. واستقبل الشيخ الوالد في المطار، وكان له حضوره الواضح والفاعل والمشرف.

في أحد أيام المؤتمر أبلغ أحد ضباط الأزهر والدي بأن رئيس المباحث – مباحث أمن الدولة – يرغب في لقائه. كان الدكتور أحمد الطيب في ذلك الوقت مفتيًا للجمهورية، وكان يقترب من سماحة الوالد كثيرًا، ويقول له: إن كتبك الثلاثة أو الأجزاء الثلاثة من فتاواك المعاصرة، هي أول ما اصطحبته حين عينت مفتيًا، تعرف إننا رجال العقيدة، حصيلتنا الفقهية ضعيفة، نقتصر على ما درسناه في المرحلة الثانوية من المعهد، وهذا لا يكفي. (الشيخ أحمد الطيب الذي يطرد الشيخ القرضاوي من الهيئات العلمية المختلفة بمنتهى البجاحة الآن، وأود أن أشكره على ذلك، فأنا لا يشرفني أن أرى الشيخ إلى جواركم)!

وقد رأى الشيخ الطيب الوالد متضايقًا، فسأله ما الذي يضايقك؟ فقال له: بصراحة هذا الضابط

الذي يرافقنا في مجيئنا وذهابنا أبلغني بكذا وكذا، صحيح أنه لم يحدد لي وقتًا، وقال: اختر أنت الوقت الذي تريده! ولكني غضبت في نفسي لهذا الأمر، ولا أحب أن ألقى هؤلاء القوم، وإن كنت أعلم أنهم سيرحبون بي.

قال الطيب: ولكنك ضيف الأزهر، وكان ينبغي أن يكلموا شيخ الأزهر الذي دعاك، قبل أن يكلموك، وأنا سأبلغ الشيخ بذلك.

وكلمهم الشيخ الطيب، وكلم شيخ الأزهر الوالد، وقال: لا تنزعج، إن كلماتك التي قلتها في المؤتمر يتغني الجميع بها، فكيف تلام من أحد؟ وعلى كل حال، أنا سأكلمهم وأطلب منهم أن يأتوا هم لمكتبي ليكلموك فيه.

فقال له سماحة الوالد: هذا أمر طيب. وعلى كل حال أنا مسافر غدًا، ولن نستطيع ذلك في هذه المرة. قال: تسافر بالسلامة، وسنرتب الأمر بعد ذلك.

وحين جاء الوالد في الصيف، اتصل به شيخ الأزهر، وقال: القوم يطلبون لقاءك، ويؤكدون أنه لقاء تعارف، وليس فيه أدنى شيء. قال الوالد: وهل يكون في مكتبك؟

قال: أنا عرضت عليهم ذلك، ولكنهم فضلوا أن يكون اللقاء في مكتبهم، وسأكون معك ضيفًا عليهم، فقال الوالد له: لا بأس بذلك. وحدد اليوم، وساعة اللقاء: الساعة العاشرة والنصف صباحًا.

وقال الشيخ: يمكنني أن أمر عليك، وآخذك معي. فقال الوالد له: جزاك الله خيرًا، أنا سأمر عليك بسيارتي، ونذهب معا في سيارتك إلى مكتبهم في لاظوغلي.

وفعلا وصل الوالد إلى الشيخ في المكتب، ووجدهم مستعدين، شربوا القهوة، ومضوا، ودخلوا،

ومعهم أحد موظفي أمن الدولة، من الذين يعملون مع الشيخ في الأزهر.

ظن الوالد أن أحدًا سيكون في انتظارهم في الدور الأرضي، ويصحبهم إلى مكتب القائد، إن لم يكن القائد نفسه، لكن ذلك لم يحدث، وصعدوا إلى مكتب الرئيس: رئيس مباحث أمن الدولة.

حاول الوالد أن يدفع الشيخ بقوة ليدخل قبله، ولكن كان من أدب الشيخ معه دائمًا ألا يتقدم عليه، فدخل أبي قبله على مكتب الرئيس، وهو يقول لهم مضاحكا: إن فضيلة شيخ الأزهر، يأبى إلا أن يقدم صاحب السن الأكبر، وأنا أكبر منه بأربع سنوات. فقال: بل بسنتين فقط.

في الجلسة سألوا سماحة الوالد بعض الأسئلة عن السنة والشيعة، فذكر ما بيننا وبينهم من وفاق وخلاف، وجاء ذكر المسيحيين والمسلمين. فذكر الروابط الأساسية التي تجمع بين الأقباط والمسلمين.

خلال الحوار حدث استطراد، وذكر اسم الداعية (فلان الفلاني)، فما كان من السيد رئيس مباحث أمن الدولة إلا أن قال بصفاقة أمن الدولة المعهودة (احنا مسجلين عليه حاجات مشينة جدًّا)! وظن أن ذلك سيحرج الشيخ، فقال له الشيخ (لكن ذلك لا يجوز، وتجسسكم على الناس حرام شرعًا، وممنوع قانونًا! ولو كانت هناك دولة لحاسبتكم على هذا الأمر، إنها جريمة)، فسكت الرجل، ثم حاول تبرير الموضوع بخزعبلات الأمن القومي المعتادة، فما كان من الشيخ إلا أن أعطاه (على دماغه)، مصمما على الكلام نفسه، وعلى حرمات الناس، وعلى أن ذلك تجاوز قانوني، (كل ذلك وشيخ الأزهر ساكت).

ومن ضمن ما قيل في هذه الجلسة، أن السيد رئيس مباحث أمن الدولة تفاخر بمسألة (مراجعات الجماعة الإسلامية)، فقال له سماحة الشيخ: (هذا إنجازي، وليس إنجاز أمن الدولة)!

فتعجب الرجل، فقال له الشيخ: (لقد اقتبستم من كتبي عشرات الصفحات، وأخذتم منها فصولًا

كاملة، ولولا ذلك لما استطعتم أن تتموا هذه المراجعات، هذه المراجعات لا يمكن أن تتم إلا بالاستعانة بأهل العلم، ولا يمكن أن يكتبها ضابط).

ثم أضاف: ويجب أن تعلموا أن محاصرة الإسلام الوسطي هو أول وأهم أسباب انتشار التطرف، وتأكدوا أنكم مهما فعلتم فلن تستطيعوا أن تحاصروا الإرهاب والتطرف؛ إلا بكتبنا نحن دعاة الإسلام الوسطي، خصوصًا في ظل التراجع الكبير لدور الأزهر. كل ذلك وشيخ الأزهر ساكت!

وتناول اللقاء عددًا من القضايا، وكان القوم يسجلون كل ما يقوله الوالد، ولو كان مزحًا. وقالوا: نراك شيخًا للشعب كله، ونحن نستفيد منك، ولا تظن إننا طلبناك لأي شيء آخر، وودعوه وانصرف.

وحين حكي لي سماحة الشيخ الوالد عما دار، قلت له: (ولكنك حزين لسبب آخر؛ ما الذي جرى بالضبط يا أبي؟)

فقال لي: أنا حزين لأنني رأيت الأزهر يهان أمام عيني! فسألته (كيف ذلك؟)

فأجاب (لقد زرت غالبية دول العالم، ولم أزر مسؤولًا إلا ووجدته يقف بنفسه أمام باب وزارته، بعضهم كان يفتح لي باب السيارة بنفسه! أتعرف يا عبد الرحمن أين استقبل رئيس مباحث أمن الدولة شيخ الأزهر؟)

سألته (أين؟) فأجاب بحسرة: على مكتبه! لقد ظننت أن دخول شيخ الأزهر لمبنى أمن الدولة سيقلب المبنى، ظننت أنني سأرى "تشريفة" لاستقبال شيخ الأزهر، ظننت أن رئيس مباحث أمن الدولة سيفتح باب السيارة بنفسه للشيخ، ويستقبله استقبالًا رسميًّا، ففوجئت بمعاملة مهينة، لم أكن أتخيل أن تحدث منهم، ولم أكن أتخيل أن يقبل أي شيخ للأزهر هذه المعاملة. هكذا تعامل أكبر العمائم في دولة الاستبداد!

- **وقال الدكتور عبد الرحمن سعودي: وقد عرف الشيخ القرضاوي – حفظه الله – بالشجاعة الأدبية في إبداء آرائه ومواقفه في القضايا والفتاوى، غير مبالٍ بمن رضي أو سخط، ما دام يعتقد أنه الحق. وقد جلبت له مواقفه وآراؤه خصومات من أفراد وحكومات، فمنع من دخول بعض البلدان، وأصدرت في حقه أحكام قاسية، فلم تلن له قناة وظل ثابتًا كالرواسي.**

- **وفي مقاله: عندما يستقيل العلماء! كتب الدكتور المبارك أحمد بن راشد بن سعيّد:**

شكلت استقالة الشيخ يوسف القرضاوي من هيئة كبار العلماء في الأزهر نكسة جديدة للانقلاب العسكري في مصر، ووجهت لطمة قاسية لشيخ الأزهر، أحمد الطيب، الذي أضفى شرعية دينية على الجريمة الكبرى؛ جريمة الانقلاب، وما تلاها من جرائم خطيرة وانتهاكات فادحة.

وتوفر الاستقالة أيضًا زخمًا قويًا للثورة الشعبية على طغمة العسكر التي تتصاعد وتكاد تنتظم كل أرجاء مصر. إنها حدث كبير، وعلامة فاصلة، في مسيرة الشيخ وجهاده الطويل ضد الاستبداد. وهي أيضًا تضرب مثلًا لعلماء آخرين كثيرين ما فتئوا يتأولون الصمت على منكرات فاجعة ومروّعة للحكام، بذرائع شتى: الحكمة، الخوف من الفتنة، طاعة ولي الأمر، سد الذرائع، وارتكاب أخف الضررين، حتى ضاعت الحقوق، واستبيحت الدماء والأعراض، واحتل الأعداء البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وما يزال كثير من هؤلاء العلماء يبررون العجز عن مقاومة الطغيان، ويلمزون من يقاومه، وينحازون إلى موقف السياسي، مستشهدين بنصوص شرعية يختارونها، ويتناسون غيرها، أو يفسرون نصوصًا بحسب ما يمليه موقف السياسي وهواه.

جاءت استقالة العلّامة القرضاوي لتوجه صفعة لهؤلاء المنتفخين بألقابهم الفخمة، المتقلبين بين أعطيات الوالي وامتيازاته. وكان من أبرز ما تناوله القرضاوي في بيان الاستقالة تذكيره الجماهير بتاريخ الأزهر الذي كان – منذ تولاه صلاح الدين الأيوبي – قائد الأمة في دينها وثقافتها وإصلاحها، وكان كبار شيوخه إذا تحدثوا اهتزت القلوب، ودانت الجوارح، ومضت جموع الشعب خلف زعمائها، رافعة راية الإسلام.

كما كان الأزهر يستقبل في أروقته أبناء العالم الإسلامي، من مذاهب أهل السنة؛ حنفية، ومالكية، وشافعية، وحنابلة، ويخرّجهم علماء عاملين، يدعون إلى الله على بصيرة، ويفقهون الناس عن بينة، ويقولون للأمراء والحكام: اتقوا الله واحفظوا دينه.

ويضيف الشيخ أن الأزهر ظل قائمًا بهذه الرسالة (محافظًا على عهده، ناصحًا لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، في عهد المماليك والأتراك، والخديوية، والملوك، وقاد الثورة ضد الفرنسيين، وضد الإنجليز، وظل صامدًا في قيادة الشعب، إلى أن جاءت الثورة، لتغير ما به)!

كان لا بد أن يستعرض الشيخ تاريخ هذه المؤسسة الدينية العريقة، ثم يقارنه بما آل إليه حالها، ليبرر استقالته منها، وليقدم بذلك درسًا لغيره من العلماء. قال: (لما ابتلينا بأزهر غير الأزهر؛ يسير في الركاب، ويمسح الأعتاب، لكل فاجر كذاب، كان لا بد للعلماء الأحرار أن يكون لهم موقف، لا ينبع إلا من القرآن والسنة)!

السبب إذن جلي كالصبح! إنه تحول الأزهر إلى مطية للاستبداد! الأزهر ليس مجرد محطة تلفزيون تضخ الدعاية للنظام القائم، ولا مطبوعة صحافية تعيد إنتاج أكاذيبه؛ إنه أكبر مؤسسة دينية في مصر والعالم الإسلامي، وقيامه بإضفاء الشرعية على الظلم والقهر والقتل الجماعي يتجاوز في خطورته أقنية الدعاية الرسمية والصحافة السائدة. لذا كان موقف القرضاوي حتميًا ومباشرًا وصادمًا:

(لذا أتقدَّم أنا يوسف عبد الله القرضاوي باستقالتي من هيئة كبار العلماء، إلى الشعب المصري العظيم، فهو صاحب الأزهر، وليس لشيخ الأزهر، حيث إني أعدُّ منصب شيخ الأزهر والمناصب القريبة منه الآن، مغتصبة بقوة السلاح، لحساب الانقلاب العسكري المغتصِب المشؤوم، كمنصب الرئيس المصري سواء بسواء. ويوم تعود للشعب حريته، ويُردُّ الأمر إلى أهله، فإن على علمائه أن يختاروا شيخهم، وهيئة كبار علمائهم، بإرادتهم الحرة المستقلة؛ ليعبر وليعبروا عنهم، وليس ليعبر عن

نفسه دونهم)!

يؤكد القرضاوي أنه في غنًى عن عضوية هيئة كبار العلماء، فقد بلغ من العمر 88 عامًا، وليس في حاجة إلى أيّ منصب، وما له من مبتغًى غير استعادة الأمة مكانتها: (وعلى الأزهر الحر أن يكون أحد أعمدتها الرئيسة)!

ويذكر الشيخ أنه بادر إلى مد يد التعاون إلى أحمد الطيب، شيخ الأزهر، منذ تعيينه في منصبه، متناسيًا ما كان منه حين كان مديرًا لجامعة الأزهر، واتهم طلبته بما هم بريئون منه؛ ارضاءً لمبارك، ومتناسيًا أنه كان عضوًا في الحزب الوطني الديموقراطي (الرسمي)، بل في لجنة السياسات في الحزب، ولكن الطيب أصر على (الارتماء في أحضان الاتجاه الانقلابي، الذي قوّض ثورة 25 يناير، وكل ما قدمته للبلاد من الحرية والكرامة، والديمقراطية والشورى، والدستور والنظام المدني الجديد، ودولة المؤسسات، التي هدمها الانقلاب كلها. وليس هذا ما أسس له الأزهر، وما أنشئت له هيئة كبار العلماء)!

ولا ريب أن القرضاوي شعر – كما شعر ملايين العرب والمسلمين – بالفجيعة، وهم يرون شيخ الأزهر يخلع رئيسًا مسلمًا حافظًا للقرآن، مُنتَخبًا من الشعب، وبجانبه بابا الأقباط وعسكري خائن، قرّبه الرئيس المغدور وأكرمه، فانقلب عليه بليل. يقول الشيخ: (فجعنا، وفُجع الشعب المصري بمشاركة شيخ الأزهر في مشهد الانقلاب، وإلقائه بيانه المخزي الذي أعلن أنه ارتكب فيه أخف الضررين، وأي ضرر أكبر وأثقل من إلغاء الديمقراطية المنتخبة، وتحكيم العسكر في الشعب؟)!

ويمضي القرضاوي في بيان الحق الذي أخذ الله على العلماء بيانه وعدم كتمانه، فيقول: انتظرت وأنا في مصر قبل إعلان رأيي منفردًا أيامًا، لعل شيخ الأزهر يدعو إلى اجتماع لهيئة كبار العلماء، لترى رأيها في الأحداث الجسام التي تمر بها مصر، فلم يدع له؛ فما كان مني إلا أن أصدرت فتوى مستقلة، أعلنت فيها رأيي، ونصرت الحق الذي أعتقده، وكذلك فعل الدكتور حسن الشافعي ممثل

شيخ الأزهر، ورئيس المجمع اللغوي، والدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي الحر، وهما معنا: عضوا هيئة كبار العلماء. وكان على شيخ الأزهر بعد أن ظهرت عدة آراء من أعضاء هيئة كبار العلماء، أن يجمع الهيئة لترى رأيها، وتصدر عن قول واحد بالإجماع أو الأغلبية، وتعلنه للشعب المصري، تحق فيه الحق، وتبطل الباطل، ولو كره المجرمون. لكن شيخ الأزهر أصر على تجاهل مسؤولياته، منفردًا برأيه في نازلة نزلت بالأمة.

يتساءل القرضاوي محقًا: متى تجتمع هيئة كبار العلماء إن لم تجتمع عقب المذابح التي روّعت الشعب المصري في الحرس الجمهوري، والمنصة، وفي رابعة والنهضة، التي سُفكت فيها دماء آلاف المسلمين؟ متى تجتمع إن لم تجتمع، والبلاد تتعرض لما يشبه الاحتلال، حيث يُساق الشرفاء والشريفات إلى السجون، وتُستباح المساجد، وتُقتحم الجامعات، ويُفصل أكثر من 700 من طلاب الأزهر، ويُحكم على بعضهم بالسجن 17 سنة، وعلى فتيات في الإسكندرية بـ 11 سنة، وهو ما لم يحدث قط في تاريخ مصر، ويُعتقل العلماء، وتُغلق القنوات الدينية، ويُضرب الناس بالرصاص وقنابل الدموع؟

يؤكد القرضاوي أنه نصح الطيب مرارًا أن يعود إلى الحق، ويبرأ من طغمة العسكر، ووسّط وسطاء بينهما، فلم يستجب! كيف استساغ شيخ الأزهر الانحياز إلى انقلاب دموي ارتكب المجازر، وصنع؛ بحسب القرضاوي: (ما لم يصنعه عبد الناصر والسادات ومبارك في ستين عامًا)!

يدعو الشيخ كل الأحرار إلى إعلان رفضهم ما يجري في مصر بكل شجاعة، كما يدعو كبار العلماء إلى الاستقالة من هيئة ماتت وأمست جثة هامدة، مؤكدًا الحاجة إلى هيئة علمائية حرة، يختارها أبناؤه، لا يختارها شيخه، فتكون له المنة عليهم!

ويذكّر الشيخ بأن الله تعالى يُبقي الدول بإقامة العدل، وإن كانت كافرة، ويُزيل الدول بالظلم، وإن كانت مسلمة! مشيرًا إلى أن عرب الخليج الذين دعموا الطغمة لن يستمروا في دعمها، وسينفضون

أيديهم من قوم كذبوا عليهم، وقالوا لهم: إنما هي أسابيع معدودة! وسيزول الإخوان والإسلاميون وأتباعهم، وأبى الله إلا أن يكذّبهم! وفي ختام بيانه، توقع القرضاوي أن تُشن عليه حملات مأجورة مسعورة، ويستبقها بقول الله: (الذين يبلّغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحدًا إلا الله، وكفى بالله حسيبًا) الأحزاب:39!

- وكتب د. أكرم كساب: وللشيخ القرضاوي مواقف خالدة أبدى فيها جرأته وأظهر فيها وجه الحق، ولا أدل على ذلك من معارضة الشيخ الظاهرة والمعلنة في أجهزة التلفاز وعلى مرأى ومسمع من الناس لمؤتمر السكان الذي أقيم في القاهرة! وكذلك مؤتمر الدوحة الاقتصادي!

وفي برنامجه الأسبوعي في قناة الجزيرة القطرية "الشريعة والحياة" وجه إليه أحد المشاهدين سؤالًا عن رأيه في مؤتمر الدوحة الاقتصادي ومؤتمر السكان السابق بالقاهرة، فأعلن الشيخ صراحة بأنه يعارض هذه المؤتمرات، بل أعلن الشيخ ذلك من فوق مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة وهي خطبة تذاع على الهواء مباشرة في التلفزيون القطري.

- بل إن للشيخ موقفًا يكتب بحروف من ذهب في سجل التاريخ، وذلك حين زار شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الدوحة، فعارض الشيخ هذه الزيارة من على منبر مسجده، بل قالها صريحة: إنه على الذين صافحوا بيريز ووضعوا أيديهم في يده أن يغسلوا هذه الأيدي سبع مرات إحداهن بالتراب، وقد كان من بين المصافحين له أمير دولة قطر. [7]
- وجرأة الشيخ ظاهرة في كتبه، واضحة في فتاويه، بينة في كلماته، جلية في خطبه، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، ولهذا كان للشيخ كما كان لغيره من الدعاة المخلصين موقفًا حازمًا في أزمة الخليج، فقد أعلن الشيخ رفضه الحازم لاحتلال العراق للكويت، لكنه في المقابل أعلن رفضه التام للاستعانة بالجيوش الكافرة في حرب العراق.
- والشيخ لا يفتأ أن يتحدث عن موقف الحكام الضعيف المتخاذل، تجاه مصالح الأمة، والانصياع الكامل من حكام الأمة للغطرسة الأمريكية!

---

[7] – انظر: لقاءات ومحاورات / ج2 / ص 81.

- وفي اجتماع المؤتمر الإسلامي في الدوحة عام 2001م أعلن الشيخ أن حكام العرب والمسلمين يلعنون أمريكا بقلوبهم؛ لكنهم لا يقدرون أن يعلنوا ذلك بأفواههم، خوفًا على عروشهم، وحرصًا على كراسيهم.

- وفي مذكراته أيضًا عن وضوحه، وصدعه بالحق مع الحكام قال:

في إحدى الزيارات تحدث سمو الشيخ حاكم قطر عن الربا، وتشدد بعض العلماء فيه!

واضطررت أن أرد عليه، وأبين له أن تحريم الربا أمر قطعي، وأن الفوائد هي الربا، وأن الله تعالى لا يحرم على الناس إلا ما يضرهم، وأن الواجب على المسلمين: أن يحرموا ما حرم الله ورسله! إلخ ما قيل في هذه الجلسة.

وكان حديثي واضحًا حاسمًا، لا مجاملة فيه ولا تهاون، وكان بعض الحضور ينظر إليَّ وأنا أتكلم، كأنما هو مشفق عليَّ: أن أعارض حاكم البلاد بهذه الصراحة، وهذه القوة.

وذاع حديث هذه الجلسة وهذه المناقشة بين الناس، وخشي بعضهم عليَّ من عواقبها، وقال بعضهم: كان عليه أن يراعي المقام، كما راعاه آخرون من الحضور!

ولكني عرفت بعد ذلك من الشيخ عبد البديع: أن الحاكم أعجب بحديثي، وزاد احترامه لي، وقال: هذا رجل يقول ما يراه حقًّا، ولا يخاف في الله لومة لائم، فمثله يجب أن يقدر، ويحرص عليه، ولا يفرَّط فيه.

وعرفت من هذا أن قول الحق لا يحرم الإنسان من رزق قد كُتب له، ولا ينقص من قدره حتى عند من يجبههم بكلمة الحق، كما لا يقدم أجله أو ينقص من عمره لحظة، (وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) المنافقون:11.

- ومع الملك الحسن الثاني:

وكانت الدروس الحسنية عادة تنطلق من آية كريمة، أو من حديث شريف، وقد سألوني عن منطلق الدرس، وهل هو مكتوب أو مرتجل، فأخبرتهم أنه مرتجل، وأنه ينطلق من الحديث النبوي الذي رواه

أبو داود والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة: مَن يجدد لها دينها".

والذي رجَّح اختياري لهذا الحديث: أننا في أوائل القرن الخامس عشر الهجري، فلم يمض منه إلا سنتان وبعض الثالثة.

وفي الليلة المعهودة، ذهبت إلى قصر الملك، وحييته، وسلمت عليه من وقوف، ولم أضطر إلى أن أنحني، أو أخرج عن طبيعيتي قيد أنملة، كما قد قيل لي من قبل. بل كان الرجل ودودًا بشوشًا مُرحبًا بي أكثر من غيري، ممن ألقوا دروسًا قبلي.

وقد استمعت إلى بعضهم، فوجدت منهم مَن يسرف في الثناء والإطراء نثرًا وشعرًا، ولكن لم يلزمهم أحد بذلك، وإنما هم الذين التزموا به طوعًا.

جلست كما جلس الجميع – ومنهم الملك نفسه – على الأرض، وقد حضر ولي العهد – وهو الآن الملك محمد السادس – وحضر الوزير الأول، والوزراء، وكبار رجال الدولة، وقادة الجيش، وسفراء الدول الإسلامية، وكبار العلماء، ووجهاء البلد.

وابتدأت درسي بقولي: مولانا الملك المُعظم! ثم استرسلت في درسي. وجدت الخطاب بهذا الوصف هو أكثر ما يكون ملاءمة لموقفي، وهو تعبير صادق عن الواقع، وليس فيه ما يؤخذ عليَّ:

فأما كلمة (مولانا) فكل المسلمين موالي بعضهم لبعض، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ) التوبة:71، وأما كلمة (الملك) فهذه حقيقة، فهو ملك مبايع من شعبه، وأما كلمة (المُعظم) فهي حقيقة كذلك، بل هو معظم جدًّا، ولا سيما من ناحية نسبه الشريف، إذ هو يفخر بأنه ينتمي إلى الحسن السبط أحد سيدي شباب أهل الجنة. فلم أكذب ولم أنافق فيما قلت.

وفي آخر الدرس، أو قل: بعد أن ختمته، سألني الملك سؤالًا مهمًّا على عادته في مناقشة العلماء،

وذلك حين قال: إن الذي نحفظه في رواية هذا الحديث: أنه بلفظ: "يجدد لها أمر دينها". قلت: هذا هو المشهور على الألسنة، ولكن الذي رواه أبو داود في كتاب الملاحم من سننه، ورواه الحاكم في مستدركه، ورواه البيهقي في معرفة السنن والآثار، كلهم متفقون على هذه الصيغة: "يجدد لها دينها"، والتجديد بالمعنى الذي شرحته لا حرج فيه.

وقد كان هذا السؤال من الملك والرد عليه مني بصراحة، موضع حديث المغرب كله: أني رددت على الملك، ولم أُسلِّم له، كما يفعل الكثيرون، ولا أرى في ذلك بطولة ولا فضلًا؛ فقد سأل الملك سؤالًا، وبيَّنت له الإجابة حسب علمي. ولن أحرّف العلم من أجل الملك، ولا أحسبه هو يرضى ذلك مني، ويبدو أن الذي تعوده الناس من العلماء: ألا يعقبوا على ما يقوله الملك.

ولانشغالي بالدرس أكثر من انشغالي بالملك، لم أفكر في الدعاء له في ختام حديثي. فقد تركت نفسي على سجيتها، وكأنما أنا في درس في أحد جوامع الدوحة.

- **وفي الجزائر أيضًا:**

قال الأخ الجزائري الذي جاءني مرحبًا: ألم تُدع يوما إلى (ملتقى الفكر الإسلامي) الذي يعقد سنويًّا بالجزائر، ويشارك فيه العلماء والمفكرون من أنحاء العالم العربي؟

قلت: أحسب أنه وصلتني دعوة منذ مدة، واعتذرت عن عدم الاستجابة إليها.

قال: ولماذا؟

قلت: سمعت أن هذا الملتقى إنما أنشئ لخدمة أهداف الدولة الاشتراكية ذات النظام الشمولي، التي تحكم الشعب بالحديد والنار، عن طريق الحزب الواحد، ولا يسمح لأحد بنقد ولا معارضة، ومن اجترأ على ذلك فمصيره معروف.

كما قيل لي: إن رئيس المؤتمر – وهو وزير الشؤون الدينية – لا يحترم ضيوفه، ويعقب عليهم

تعقيبات خشنة، ولا يستطيع أحد أن يرد عليه!

قال: على كل حال، لقد تولى الوزارة وزير جديد، من تلاميذ ابن باديس، ومن جمعية علماء الجزائر، وهو الشيخ عبد الرحمن شيبان، وأعتقد أنه يرحب بوجودك. كما أن الرئيس الحالي له توجهات انفتاحية طيبة، وهو: الشاذلي بن جديد.

قلت: إذا كان الأمر كذلك، فأنا أرحب بقبول الدعوة إذا جاءتني.

قال: سأسعى بعد رجوعي لتصلك الدعوة المنشودة، ويسعد بك شعب الجزائر ضيفًا على أرضه، بل كما قال الشاعر:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * *** نحن الضيوف وأنت رب المنزل!**

وانصرف الأخ الكريم من عندي، ولم تمر إلا أيام قلائل، حتى وصلتني دعوة من وزير الشؤون الدينية الجزائري، يدعوني فيها إلى المشاركة، في الملتقى الذي يعقد بمدينة تلمسان في الصيف القادم، ويدور موضوعه حول (السنة المطهرة)، وألحّ الوزير الداعي عليّ ألا أتخلف، قائلا: إن من حق الجزائر عليك أن تزورها وتلتقي بشيوخها وشبابها، وتشارك في بناء نهضتها.

وفعلا أرسلت إليهم في الحال بقبولي للدعوة، وعزمي على الحضور في الوقت المطلوب.

ومما لا أنساه في ذلك الملتقى: تلك الزيارة لي في محل إقامتي بالفندق الذي أقيم فيه، والتي فاجأني بها عدد من شباب الجزائر الملتزمين المتحمسين؛ فبعد أن استقبلتهم وحييتهم ورحبت بهم، قالوا لي بصراحة: ما كنا نود لمثلك أن يشارك في هذا الملتقى، لقد فوجئنا بحضورك واستغربناه، كيف تشارك في ملتقى كهذا، إنما أقيم أول ما أقيم، لتأييد الاتجاه الثوري اليساري الذي تتبناه حكومة هواري بو مدين؟ حكومة الحزب الواحد الذي لا يسمح بوجود تيار آخر، وبخاصة التيار الإسلامي؟! ولقد شارك في هذا الملتقى كثيرون ممن يسيرون في ركاب الحكومات، ولكنا نعتقد أنك لست من هؤلاء.

قلت لهم مازحًا: أهذه تحية الاستقبال لضيفكم: أن تقولوا له: لا مرحبا بك في بلدنا!

قالوا: لا والله، بل نحن نحملك على رؤوسنا، ونفتح لك دورنا وصدورنا، ولكنا لا نرضى لمثلك أن تشارك في هذه المهزلة.

قلت لهم: ولماذا تعتبرون مشاركتي موالاة أو مداهنة للحكومات البغيضة إليكم؟

قالوا: هذا ملتقى تقيمه الحكومة، وتدعو إليه، وتشرف عليه إشرافًا كاملًا، وهو يدور حول أهدافها التي تسعى إليها.

قلت: ولكني أرى الملتقيات وخصوصًا هذه السنوات، تدور حول موضوعات إسلامية خالصة، مثل ملتقى القرآن الكريم السابق، وملتقى السنة اليوم.

وهل تظنون أن رجلًا مثل الشيخ الغزالي يبيع نفسه لحكومة من الحكومات؟

قالوا: اعتقادنا أن الشيخ الغزالي لا يفعل ذلك، ولكنهم يخدعونه، حتى يستجيب لهم.

قلت: أصدقكم القول: أني دعيت من قبل للمشاركة في هذا الملتقى، فاعتذرت، ولما قيل لي: إن الوزير الجديد من تلاميذ ابن باديس، استجبت لدعوته.

ومن أهم ما برر لي الاستجابة: أنهم قالوا لي: إن الجزائر فيها مدّ وصحوة إسلامية مبشرة بين شبابها، فحفزني هذا أن آتي لألقاهم، وأشدّ من عزائمهم؛ فالحقيقة أني جئت من أجلكم، وليس لي أي مصلحة أو هدف من زيارتي للجزائر، ومشاركتي في هذا الملتقى، فإن رأيتم أن وجودي لا يخدم الدعوة الإسلامية، والصحوة الإسلامية، فأنا مستعد أن أغادر الجزائر بأي عذر من اليوم.

قالوا: لا، ما دمت قد حضرت، فالخير فيما اختاره الله، ويكون القرار بعد ذلك على ضوء الواقع والنتائج.

- **وفي ماليزيا:**

ومما أذكره في هذه الزيارة لماليزيا: المحاضرة التي ألقيتها في جامعة الملايو، وقد وجه إليّ عقبها سؤال محرج، والذي وجهه هو رئيس الجامعة (إنْكو عزيز) وخلاصة السؤال: إن الشيوعيين يفحمون المسلمين بسؤال لا يجدون له جوابًا حول الزكاة. يقولون: إن الإسلام ألقى عبء الزكاة على الفقراء، وأعفى منها الأغنياء، وذلك أن المجلس الملي أو الشرعي في الولاية يأخذ الزكاة (العشر) من زراع الأرز أو القمح أو الشعير مثلًا، وربما كان الزارع مستأجرًا للأرض، وليس مالكًا لها، ولكن المجلس لا يأخذ شيئا ممن يملك حدائق جوز الهند أو التفاح، أو مزارع الشاي أو المطاط أو غيرها مما يجلب على صاحبه الملايين، ومع هذا لا يطالب من الزكاة بقليل ولا كثير، حيث يقول الفقهاء: هذه الفواكه وأمثالها، وكذلك الشاي والمطاط لا يجب فيها شيء من الزكاة!

قلت لهم: إن المجالس التي تجمع الزكاة عندكم ملتزمون بمذهب الشافعي، الذي لا يوجب فيما أخرجت الأرض زكاة، إلا فيما يكال وييبس ويدخر، وما عدا ذلك لا زكاة فيه، ولكن الذي رجحته بالأدلة في كتابي (فقه الزكاة): أن الزكاة واجبة في كل ما خرج من الأرض، مأكولًا كان أم غير مأكول، حتى القطن والكتان والمطاط ونحوها. وهو مذهب عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة وأصحابه، وداود الظاهري، وهو الذي تسنده الأدلة من القرآن والسنة.

حتى إن إمام المالكية في عصره، القاضي أبا بكر بن العربي: رجح مذهب أبي حنيفة في كتابه (أحكام القرآن) عند تفسير آية: (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) الأنعام:141 من سورة الأنعام وعند شرحه لحديث: "فيما سقت السماء العشر" في شرحه لجامع الترمذي، وضعَّف مذهبه ـ وهو مذهب مالك ـ في هذه المسألة، قائلًا في الأحكام: أما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق، فأوجبها في كل ما أخرجت الأرض، وكذا قال في (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) مستندًا إلى عموم الآية (ما أخرجنا لكم من الأرض) وعموم الحديث: "ما سقت السماء" مؤيدًا بأن هذا القول، أليقها بشكر

النعمة، وأحوطها للمساكين.

وأحسب أن الإمام الشافعي لو كان حيًّا اليوم، ورأى هذه المفارقات، لغير رأيه، كما غيره في كثير من المسائل، والتي يقال فيها: قال الشافعي في (القديم)، وقال الشافعي في (الجديد) وقديمه ما كان يراه قبل مجيئه إلى مصر، وجديده ما غيره بعد إقامته في مصر، حيث رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن سمع، كما أنه قد ازداد نضجا وعمقا، واتسع علمه، فلا غرو أن يتغير اجتهاده في بعض المسائل.

واستراح دكتور عزيز لجوابي، وقال: ليت المشايخ عندنا يفقهون مثل هذا الكلام، ويأخذون الزكاة من كل ذي مال نام. وبهذا يسوون بين المكلفين جميعا، كما هو الأصل الشرعي أن الناس سواء أمام التكاليف.

- ومع الشيخ النمر رحمه الله:

! وكان من المدعوين للملتقى في تلمسان/ الجزائر فضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر العالم المصري المعروف، والذي رأس تحرير مجلة (الوعي الإسلامي) بالكويت لعدة سنوات ونهض بها، والذي أصبح وكيلًا للأزهر بعد ذلك، وكان له رأي في بعض القضايا أيدته فيه، نسيت في أي شيء كان، ولكن فوجئت بأن بعض إخوإننا من العلماء المشاركين من بلاد الشام، يقول لي: إن كان ابن بلدك تؤيده وتسانده!

فقلت له: سامحك الله يا دكتور، إن بلدي هو الإسلام، فحيثما ارتفعت المآذن تعلن أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، كان هناك بلدي. ولكني أؤيد ما أرى أنه الصواب أو الأصوب، ولو كان من بلاد واق الواق!

وكان للشيخ النمر اجتهادات في أمور أخرى حول السنّة، وحول الفوائد الربوية، وغيرها، عارضته

فيها بقوة وصراحة، ورددت عليه بما لم يستطع الآخرون أن يردوا عليه. فجاء أخونا، وقال:

اسمح لي يا فلان، أنا آسف على الكلمة التي قلتها من قبل. فوالله لقد رأيتك تقول الحق دون اعتبار لبلد أو نسب. وكان هذا من إنصافه ورجوعه إلى الحق، واعترافه بالخطأ، وهي شجاعة أدبية يحمد عليها. ولعل في هذا القدر غنية، والحمد لله رب العالمين.





الشيخ غضبان منفعلًا

الشيخ غضبان منفعلًا

مر أن الشيخ أكرمه الله – بطبيعته – هادئ، صبور، مسالم. ليس من السهل أن يثور، فإذا استغضب ردها جذعة؛ غير متردد ولا محجم.

لكن غضبته دائمًا للدين، ولانتهاك عرض الأمة، والاستئساد الفاجر على المستضعفين!

وهو يترجم غضبته القرضاوية عندئذٍ بشكل عملي، فتراه يدعو لهبة شعبية، أو مسيرة حاشدة غاضبة، أو مقاطعة دولة، أو يندد علنًا على المنبر أو في وسائل الإعلام.

هذه طريقته الإيجابية في غضبه وانفعاله، وليت غضبنا كله بهذه الإيجابية والتأثير!

فحين اقتحم قطعان المستوطنين ساحات الأقصى، غضب القرضاوي، ودعا الأمة الإسلامية إلى الجهاد دفاعًا عن الأقصى ومحاربة الصهاينة الذين يقتحمون ساحات المسجد الأقصى يوميًّا لتنفيذ مخططهم الشيطاني الاكبر لتقسيم الأقصي.

وفقًا لما أوردته وكالة "وكالة القدس للأنباء وغيرها" قال الشيخ د. يوسف القرضاوي إن ما يحدث اليوم في ساحات المسجد الأقصى وباحاته وعلى أبوابه من اقتحام قطعان المستوطنين – وعلى رأسهم وزير الزراعة الصهيوني – ومحاولتهم إشعال الحرائق في أبوابه، ومنع المرابطين والمرابطات من الرباط فيه، والاعتداء عليهم، يؤكد أن الصهاينة ماضون في مخططهم لتقسيم الأقصى مكانيًّا أو زمانيًّا، أو كليهما.

وتساءل القرضاوي غاضبًا: لا أدري: أين الأمة؟ وقادة الأمة وعلماء الأمة؟ وجيوش الأمة وشباب الأمة؟ متى يفيق قادة العرب؟ ومتى يتحرك قادة العالم الإسلامي؟ متى تصحو الجامعة العربية من

رقدتها؟ ومتى تستيقظ منظمة التعاون الإسلامي من غفلتها؟

واعتبر القرضاوي أن الدفاع عن الأقصى فريضة، والرباط في الأقصى فريضة، ومنع الصهاينة من تدنيسه فريضة، وتقديم الدعم المادي لأهلنا الصامدين حول المسجد الأقصى فريضة، مذكّرًا بقوله تعالى، ومستصرخًا الأمة: (انفروا خفافًا وثقالًا) وفقا لـ(رأي اليوم.)

وتابع القرضاوي في دعوته الغاضبة: على البرلمانيين أن يقوموا بواجبهم، وعلى السياسيين أن يؤدوا دورهم، وعلى الإعلاميين أن يبذلوا جهدهم، وعلى الصحفيين والخطباء، أن يقوم كل بدوره. على كل فرد من أفراد الأمة أن يؤدي ما عليه. فلاعذر لنا أمام الله تعالى إن لم نقدم شيئًا!

من استطاع أن يواجه الصهاينة بنفسه فليفعل، ومن استطاع أن يعين أهل الرباط بماله فليفعل، ومن لم يستطع فليخلص الدعاء لهم. والله لوددت لو أستطيع الوصول إلى إخوإننا المرابطين وأخواتنا المرابطات، فأضع يدي في أيديهم، وكتفي بأكتافهم، فداء للأقصى، ودفاعا عن الأقصى!

وتابع القرضاوي:"لن يكون لنا عذر أمام الله: شعوبًا، وحكومات، ومؤسسات: إذا استطاع اليهود تنفيذ مخططاتهم تجاه الأقصى، وفينا عين تطرف، أو قلب ينبض."

وخاطب القرضاوي المقدسيين والمرابطين في المسجد الأقصى قائلا: أنتم في رباط وجهاد، فاثبتوا في أماكنكم، لا تخافوا ولا تفزعوا، فأنتم الأعلون:(وَلَا تَهِنُوا، وَلَا تَحْزَنُوا، وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ؛ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (يَأَيُّهَا الَّذِينَ أمنوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)!

ووجه القرضاوي كلمة لحكام المسلمين قال فيها: اتقوا الله في شعوبكم، واتقوا الله في أمتكم، واتقوا الله في مقدساتكم: عودوا بالأمة إلى الإسلام، فهذا هو طريق تحرير المسجد الأقصى!

لا تعزلوا الإسلام عن زمام القيادة، وتنحوه عن التوجيه والتأثير؛ إن الصهاينة يحاربوننا باسم الدين، فعلينا أن نحاربهم باسم الدين الأقوى، حاربونا باسم اليهودية، فلنحاربهم باسم الإسلام، حاربونا باسم موسى، فلنحاربهم باسم محمد وموسى، حاربونا باسم التوراة فلنحاربهم باسم القرآن!

وتابع القرضاوي: "وأقول للأمة: إن حماية الأقصى والعمل على استرداده هو واجب المسلمين جميعًا، ليس واجب الفلسطينيين وحدهم، ولا واجب العرب وحدهم، بل هو واجب الأمة الإسلامية في المشارق والمغارب! أمة المليار وسبعمائة مليون مسلم، عار عليها أن تفرط في دينها، وأن تسلم مسجدها لبني إسرائيل.

البعض يتساءل مع هذا الضعف، وهذا التخاذل، وهذا الانبطاح: هل ماتت أمتنا؟ أجيبهم: أمة الإسلام لم تمت، ولن تموت".

واختتم القرضاوي بيانه قائلًا:" إن آيات القرآن في صدورنا لتأبى علينا أن نموت أو نستكين، وإن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تبشرنا بنصر الله المبين إن قول الله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم) يلامس شغاف قلوبنا، وإن قوله: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) يثبت أفئدتنا، وقوله: (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ينزل السكينة في نفوسنا.

وإن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: (ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس) ليؤكد لنا حقيقة المعركة.

وحين فُضت تجمعات رابعة بالطريقة المجرمة المستبيحة التي رآها العالم كله، ثارت ثائرة القرضاوي، ونادى بجمعة غضب، ولم يجد عذرًا لمن يبقون في البيوت!

فقد بثت وكالات الأنباء تنديده بوقوع ضحايا في فض اعتصامي ميدان رابعة والنهضة التي سقط فيه عشرات القتلى والمصابين، داعيًا كل أطياف الشعب المصري للخروج ردًّا على العنف، قائلًا إنه فرض على كل مصري أن يخرج لرفض هذه المجازر!

وأكد القرضاوي أن الببلاوي، والفريق السيسي، والرئيس عدلي منصور، ونائبه المستقيل محمد البرادعي مشتركون في الجريمة التي حدثت يوم الأربعاء 14/ 2013/8 في فض اعتصامي النهضة ورابعة، مضيفًا أنه فرض عين على كل قادر يؤمن بالله ورسالاته أن يخرج ليروا الناس أنهم غير راضين عما يجري، وإزهاق الأرواح والدماء كأن الناس صراصير، لافتا أنّهم ارتكبوا مجازر لن يغفرها الله لهم، ولن يغفرها المصريون لهم، ولن يغفرها التاريخ لهم.

وتابع القرضاوي قائلًا: على كل المصريين أن يخرجوا بأولادهم وزوجاتهم على الجميع أن يخرجوا! لن يموت أحد قبل أجله! انزلوا في الشوارع أروا هؤلاء العسكريين أنكم مع إخوانكم! لا يجوز لأحد أن يتردد.

وحين افتُضح الوجه الرافضي الطائفي المجرم، وجه بيانًا غاضبًا، يحذر فيه من غزو شيعي للمجتمعات السنية ويطالب بالتصدي له، كما نشرت صوت الوطن في 2016/9/10 وقد قال لصحيفة المصري اليوم القاهرية عن منتقديه بأنهم تجاوزوا كل حد، وأسفوا إسفافًا لا يليق. وأصر على التحذير مما أسماه بالغزو الشيعي للمجتمعات السنية، مطالبًا بالتصدي له، معتبرًا السكوت عنه خيانة للأمانة، وتفريطًا في حق الأمة على العلماء.

وردّ القرضاوي، في بيان مطول (حصلت العرب القطرية على نسخة منه) على ما وجهته إليه وكالة الأنباء الإيرانية (مهر) وما قاله عنه المرجع الشيعي اللبناني الشيخ محمد حسين فضل الله، ومحمد

علي التسخيري أحد علماء إيران المشهورين. وحمل د.القرضاوي على وكالة الأنباء الإيرانية التي اتهمته بالنفاق؛ مؤكدًا أنه يقول الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولو كان يبيع في سوق النفاق لنافق إيران التي تشتري ولاء الكثيرين بمالها.

وردًّا على كلام المرجع الشيعي الشيخ محمد حسين فضل الله بأن القرضاوي لا يعارض التبشير المسيحي مثلما يعارض التبشير الشيعي، أكد رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أنه يقود حملة مكثفة للوقوف في وجه حملات التبشير المسيحي في الدول الإسلامية – منذ عقود – تجسدت في إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت؛ بهدف المقاومة العملية للموجة التنصيرية المسعورة الطامعة في تنصير الأمة الإسلامية.

وحين ربط بنديكتوس السادس عشر بين الإسلام والإرهاب، ثارت ثائرة القرضاوي، ودعا ليوم غضب إسلامي، احتجاجًا على تصريحات رأس الكنيسة – كما نشرت وكالات الأنباء – ودعا المسلمين إلى جعل يوم الجمعة التالي يوم غضب عاقل احتجاجًا علي تصريحات البابا بنديكتوس السادس عشر التي قال إنه لم يعتذر عنها. وقال القرضاوي الذي كان يتحدث باسم الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين عبر قناة الجزيرة القطرية: نحن ندعو المسلمين في يوم الجمعة القادم، آخر جمعة من شهر شعبان، أن يجعلوه يوم غضب عاقل! نريد غضبًا سلميًّا! غير متهور. وحذر المسلمين من أن يعتدوا على كنيسة من الكنائس، أو معبد من المعابد، أو ممتلك من الممتلكات!

وحين أقيم مؤتمر الضرار في جروزني لإتمام خنق الإسلام والربيع العربي، بتوقيع نخالة من شيوخ السلاطين غضب القرضاوي على شيخ الأزهر العميل، وسأله: هل سنسمع لكم صوتًا ضد الشيعة، والنصيرية في سورية والعراق واليمن؟ إن أمتنا ليس لديها وقت لإعادة الخلافات التاريخية عن مكونات أهل السنة؛ في حين تئنّ مقدساتها وتُستباح حرماتها

وقال القرضاوي (رأي اليوم/ محمود القيعي): في عدة تغريدات بحسابيه على تويتر والفيسبوك لم نسمع ممن نصّبوا أنفسهم ممثلين لأهل السنة والجماعة كلمة اعتراض على ما تقوم به إيران وأذنابها، ولا كلمة إنكار لما تقوم به روسيا ومن في فلكها.

واتهم القرضاوي – تعريضًا – شيخ الأزهر بمحاولة إثارة خلافات فرعية، وتأجيجها من جديد، وشغل الأمة بماضيها عن حاضرها، وبأمسها عن يومها ومستقبلها.

وقال إن أمتنا التي تمددت جراحاتها، ليس لديها وقت لإعادة الخلافات التاريخية بين مكونات أهل السنة والجماعة، في حين تئن مقدساتها، وتستباح حرماتها.

وتابع القرضاوي: كأنه قد كتب على أمتنا أن تظل في هذه الدائرة التي لا تنتهي، ينفي بعضنا بعضًا، في الوقت الذي يتعاون فيها أعداؤنا، ليوقعوا ببلادنا بلدا تلو أخرى.

أعجب لمؤتمر إسلامي انعقد برعاية رئيس الشيشان التابع لروسيا في الوقت الذي تقتل فيه الطائرات والصواريخ الروسية إخوإننا السوريين، وتزهق أرواحهم!

ونشرت مفكرة الإسلام أن الموقع الرسمي للشيخ يوسف القرضاوي بثَّ مقطع فيديو يؤكد فيه أن هناك حربًا شعواء تشنُّ ضده من قبل أمريكا والصهيونية العالمية!

وأوضح رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أن "أمريكا والصهيونية العالمية جندت جنودها في الإعلام، وسخرت الأقلام المأجورة والقنوات المنكورة، لشن حرب إعلامية شعواء عليه، على مساحة واسعة من العالم في الشرق والغرب!

كما نشرت الشرق الأوسط أن الشيخ يوسف القرضاوي ذات زيارة لبريطانيا حاليا كان غاضبًا جدًّا من الحملة ضده ومن إساءة تفسير تصريحاته، بعد أن شددت الشرطة البريطانية إجراءاتها الأمنية

عند مركز مؤتمرات ويمبلي، الذي ألقى فيه الشيخ القرضاوي محاضرته الثانية في بريطانيا؛ وكان القرضاوي قد استقبل بشكل حار في قاعة بلدية كينزنغتون، قبل محاضرته الأولى التي خصصها للقراءات المتعددة للإسلام؛ غير أنه انتقد بشدة التعالي الغربي إزاء الإسلام، وقال إن آراء الغربيين حيال الإسلام موروثة من حقبة الحروب الصليبية. وقالت مصادر حضرت محاضرة القرضاوي إنه كان غاضبًا جدًّا من الحملة التي شنت عليه، ونقل عنه قوله إن من يهاجمونه لم يتجشموا حتى عناء قراءة كتبه أو الاستماع إلى محاضراته، أو لقاءاته التلفزيونية.

وكانت جماعات يهودية بريطانية قد طالبت بطرد القرضاوي، مؤكدة أن وجوده يهدد العلاقات بين أصحاب الديانات المختلفة في بريطانيا. وقدم مجلس نواب اليهود البريطانيين لائحة اتهامات بحق الشيخ القرضاوي، غير أن سلطات الادعاء البريطانية قالت إن لائحة الاتهامات خلت من أية أدلة تسمح بمقاضاة الشيخ القرضاوي. وقالت سلطات الادعاء في بيانها تسلمنا لائحة اتهامات من شرطة المتروبوليتان، وخلصنا إلى أنه ليس هناك أدلة مقنعة يمكن بموجبها توجيه اتهامات إليه.

حين غضب مني:

ولم أشهد القرضاوي غاضبًا إلا مرات يسيرة أشرت لبعضها في كلامي عن (القرضاوي معتذرًا) لكنني أغضبته مرتين – حفظه الله تعالى – مرة ذات ندوة في جامعة قطر أيام عمادته لها، والندوات في الجامعة غالبًا ما تكون مغلقة على الأساتذة أو بعضهم، وصادف أن حضرت، فوجدت كلامًا لم يرقني عن التطرف بين الشباب، وبواعثه، وكنت مليء الصدر بما يحدث للشباب من تنكيل وأذى، فطلبت التعليق، وقلت:

إنكم تنعون على الشباب، ولا تعرفون معاناتهم، وأنتم أبعد ما تكونون عنهم، لا تخالطونهم، ولا تعرفون أحوالهم، وتكتفون باللوم والتثريب، وهم في العادة لا يجدون من يفتيهم، ولا من يأخذ بأيديهم، فيفتون أنفسهم، فيتورطون ويورطون.

ثم عددت في القاعة اثنين وخمسين أستاذًا، وقلت للشيخ: أنا لا أكاد أعرفهم أسماءهم، ولا وجوههم، ولا أراهم في جمعة، ولا جماعة، ولا ندوة، ولا محاضرة، فهم في أبراج عاجية، ينظرون عما لا يعرفون ويكتبون ما أسميته (فقه الخمس نجوم)!

وإذا كنت لا أعرفهم، وأنا إعلامي – كان لي حضور كبير آنذاك في التلفزيون والصحافة – فأجزم أن جمهور الناس لا يعرفونهم!

وغلت ثائرة الشيخ، وقال: لا يا أخ عبد السلام: أنا في وسط الشباب، أخالطهم، وأعاملهم، وأحضر الندوات والمعسكرات و! و!

فضحكت وقلت: كيف يتبادر إلى ذهن فضيلتكم أنني أقصدكم، وأنتم من أنتم؟ إنما قصدت مدمني التنظير من هؤلاء الذين لا يكادون يُعرفون!

وغضب مني ثانية لما عقدت رابطة تلاميذ القرضاوي ندوة لمناقشة كتابه: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة.

وكان علي أن أعلق على الكتاب، فقلت إن الكتاب قد كتب ليكون استراتيجية للعمل الإسلامي في الفترة المقبلة، وهو مكتوب من خمس وثلاثين سنة!

وهذا يعني أنه قديم كثيرًا، فسنينه المقبلة قد انصرمت، وإن قراءة المرحلة الحالية – مع الثورات، وإجهاض الثورات، وما يجري في المنطقة – تحتاج آفاقًا جديدة، وقراءات مختلفة، ولا تكفيها هذه القراءة!

فانزعج الشيخ حفظه الله وانفعل، وبعد نهاية اللقاء سلمت وانصرفت، بعد أن وقر في قلبي أنه – بارك الله حياته – قد وجد علي، فابتعدت قليلًا، فإذا به يسأل، ويتصل بنفسه، لأعود وأقبل رأسه!



الشيخ مازحًا

الشيخ مازحًا

نجح الإعلام نجاحًا بارعًا في تقديم العلماء المسلمين على أنهم قوم ثقيلو الدم، منفرون، كما نجح في أن يضفي على رجال الكنيسة سمات السماحة والبشاشة، حتى سماهم مبشرين!

فتخيل: هؤلاء مبشرون، وأولئك مكشِّرون! يا لطيف يا رب!

وأزعم – بل أجزم – أن سادتي علماء الشرع الحقيقيين، من أظرف الناس مجلسًا، وأحضرهم بديهة، وأخفهم دمًا!

إذا رأيتهم على سجيتهم، لم تصدق أنهم يمتلكون هذا المقدار من العفرتة، والشقاوة. واسألوا من عرف الشيخ البشري، والشيخ أبو زهرة، والشيخ الشعراوي، ومن لقي الشيخ أحمد بن حجر أو الشيخ حسن عيسى أو عبد التواب هيكل أو حسان حتحوت أو أبو إسماعيل أو الأميري أو المعايرجي وغيرهم، وقد كتبت في هذا كتابًا عنوانه: مشايخ لكن ظرفاء، جمعت فيه من طرائفهم ما يضحك الحجر.

ولا يختلف مجلس القرضاوي في دفئه وحميميته، وانبساط وجه صاحبه، وانجذاب القلوب له عن مجالس الظرفاء؛ لولا أنه الظرف الوقور، الذي يمس ولا يفحش، ويرسم البسمة، ولا يؤذي.

ويبقى شيخنا القرضاوي شخصًا سمحًا، لينًا، غير متكلف، ولا منشِّي، ولا (مِلَزّق) مثل بعض المستكبرين الذين يتصنعون الأهمية، ويستجدون العظمة، ويضفون على أنفسهم هالة من النفخة الكذابة، فإذا اضطررت أن تقابل أحدهم، قابلك بعد مواعيد، وبروتوكولات، وبدلة رسمية، وقعدة رِجل على رجل، وكلام من أطراف (المناخير)، يظن سيادته بذلك أنه يزداد أهمية، ولا يدري (الأهبل) أنه يدعو للرثاء، وأن شكله مضحك، وأنه بذلك التكلف والانتفاش الكاذب يشين نفسها ولا يزينها!

وكم من كبير في علمه ومنصبه وماله وحاله أسعدني الله بمقابلته في بيته أو مكتبه؛ فلم أجد غير البساطة والتلقائية والتواضع والابتسامة، بل والنكتة والطرفة التي تمسح عن الوجه الحرج، وتزيل الحواجز، كرمًا ولطفًا وإيناسًا.

وهو يسوق طرائفه دعاباتٍ لطيفة، وعباراتٍ ظريفة، وأبياتًا شفيفة، لا بد أن يطرب لها الذوق النقي، وقد لازمه هذا من أول حياته حتى يومنا هذا!

- وسأسوق جملة من مواقفه اللطيفة مع تلاميذه، ثم أثني بأطراف من مذكراته المضحكة:

قبل قريب من ثلاثين سنة تواضع فضيلته، وهاتفني – لأول مرة – لأمر لا أذكره، فلم أميز صوته الذي بدا رفيقًا ودودًا، فقلت مُرحبًّا: أهلًا يا دكتور مزروعة، أقصد الدكتور محمود مزروعة الذي كان أستاذًا في كلية الشريعة آنذاك، فأبى الشيخ إلا أن يداعبني وقال مازحًا:

– مين اللي قال إنني مزروعة؟

– إذا مش مزروعة، تبقى حضرتك مين؟

– أنا زارِع مش مزروع! مش مزروعة!

– مش مزروعة؛ يعني تبقى مين؟ من حضرتك؟

– قول انت!

– مش عارف والله؛ غلب غُلابي يا أستاذي زي ما بنقول في زفتا! مين حضرتك؟

قال وابتسامته التي أراها من سماعة الهاتف تفضح عجزي عن التعرف عليه: أنا يوسف القرضاوي!

فوثبت مباشرة، كأني أومباشا أو عسكري في الجيش فاجأه القائد الأعلى للقوات المسلحة، وضربت تعظيم سلام للتليفون، وأنا أهتف:

مين حضرتك؟ آآآآآس! آسف جدًّا يا أستاذي! آآآآآآآآسف والله! أنا آسسس.

وكان موقفي حرجًا، وانسال عرقي ليغطيني من الحياء، والإحساس بالورطة!

- ومما رواه لي الشيخ عصام تليمة أن الشيخ قال مازحًا مع طلاب العلم الذين ينتظمون في دورة علماء المستقبل (على موقعه الشخصي، وسمعتها بنفسي غير مرة) حين سئل عن معتقده:

أنا سلفي على صوفي على أشعري! وروى أن أحدهم كان يقول لي: ما مذهبك؟ فقلت له أنا دخلت الأزهر حنفيًّا، إنما إلى الآن أنا حنفشعي/ حنفي شافعي.

وقال: عندما كنت أقدم للالتحاق بالأزهر كان يكتب لي الانتساب عالم من علماء بلدنا صفط

تراب، اسمه الشيخ عبد المطلب البتة رحمه الله، وبينما كان يكتب الانتساب جاءت خانة اسمها المذهب، فكنت سأقول له اكتبني شافعيًّا، لكنه سبقني وقال لي: ما رأيك يا شيخ يوسف أن تكون حنفيًّا مثلي؟

فقلت له خلاص خليني حنفي زيك، وتابع ضاحكًا: طلعت حنفي بالصدفة.

وقال الدكتور خالد حنفي أيضًا: حدثني الشيخ سالم الشيخي حفظه الله تعالى عضو المجلس أنهم في جلسة من جلسات المجلس وكان يديرها الشيخ! الفقيه المعروف، وأخذ يعد الأصوات، فقال: واحد اثنان ثلاثة! ستة سبعة، وثامنهم: وأشار إلى نفسه!

فقال الشيخ القرضاوي مداعبًا: وثامنهم إيه يا شيخ علي! فضحك مدير الجلسة والحضور.

ويروي الأخ الدكتور وصفي عاشور أبو زيد: حينما سألته عن الكتب التي تكتب في نقده وتجريحه، وبين لي فلسفته في التعامل مع من ينتقدونه، ذكرت له كتابًا بعنوان: "القرضاوي في الميزان" لمؤلف يسمى محمد خراشي، قال لي: إنه كتب كتابًا عن د. محمد عمارة بنفس العنوان: "محمد عمارة في الميزان"، وكان تعليق محمد عمارة أن هذا الكاتب أولى به أن يُبقيَ على الاسم الثاني من اسمه ويحذف منه حرف: ش!

- وقال الدكتور وصفي أبو زيد والدكتور خالد حنفي: ذات مرة ونحن معه على الغداء رغب أن يتعرف إلى من يجلس معنا، فبدأ الجلوسُ في التعريف بأنفسهم، فقال أحدهم:

أخوكم فلان الفلاني أعمل كذا، ومتزوج ولي ذكران! يقصد ولدين!

فقال الشيخ على البديهة: (ويخلق ما لا تعلمون)!

فضحك الجميع حتى نزلت دموعهم!

ثم تعرف آخر، وقال: (متزوج ولي ذكر واحد)!

فقال الشيخ: (أصبت الفطرة). فضحك الجميع هنا كما ضحكوا هناك.

- **وفي إحدى زياراتنا لبيته في الدوحة – والكلام للدكتور وصفي – وكان معنا الشيخ سلمان العودة، وشيخنا الدكتور عصام البشير، والشيخ علي القره داغي وآخرون، تحدث الشيخ سلمان، وتحدث الشيخ القرضاوي، ثم قال بعض الإخوة الحاضرين بعدما سمع الشيخ سلمان بحديثه المشرق المعتدل:**

إن الشيخ سلمان تأخْون يا جماعة" يعني أصبح من الإخوان المسلمين!

فقال الشيخ سلمان: "بل الشيخ هو الذي تسلَّف بحمد الله".

- **وفي أحد الملتقيات العلمية الأخيرة – وكلها كان يقام في الدوحة حيث يقيم الشيخ – وإكرامًا للشيخ ولتلاميذه رأى أحد أعيان قطر أن يدعو الشيخ وتلاميذه للغداء في مزرعته، والمزارع هذه تستغرق وقتًا في الذهاب إليها والعودة منها، ونحن نقيم في مكان يتوفر فيه الطعام والشراب، فطلبت الكلمة، وقلت لشيخنا:**

نحن نقيم في مكان فيه الطعام والشراب، وقد جئنا هنا من أجل العلم، وتعلم العلم، ومدارسة العلم، إضافة إلى إننا نأتي من بلاد بعيدة، وفي كل عام أو عامين، والمدة التي نقضيها أسبوعان فقط أو عشرة أيام، فلماذا ننفق أوقاتنا في الذهاب إلى المزارع، والإياب منها؟.

فالتقط الشيخ "الميكروفون"، وقال بلهجة عامية مصرية:

يعني يرموا الأكل اللي طبخوه يعني؟! ماذا نقول لهم وقد دعونا وأرادوا إكرامنا؟ نرفض دعوتهم، ونقول لهم لن نأتي؟!

ثم كان مساء هذا اليوم أن دعانا الشيخ على العشاء في بيته المبارك المضياف، وطعمنا من طعامه، وشربنا من شرابه، ثم جلسنا نتسامر معه بعد العشاء: هذا ينشد نشيدًا، وهذا يحكي موقفًا، وذاك يقول ابتهالًا، ثم طلبت الكلمة!

وقلت لن أستغرق دقيقتين، وأخذت "الميكروفون" وبدأت أقلد شيخنا الإمام.

قلت: كثير من النساء أيها الإخوة يحسبون أني أفسر الأحلام، وقد قلت لهم أكثر من مرة: (أنا لست يوسف الصديق، وإنما أنا يوسف القرضاوي).

وهنا ضحك الناس من مطابقة النبرات للنبرات!

ثم قلت مقلدًا أيضًا: بعض الإخوة ينطقون اسمي خطأ، يقولون يوسف القرْضاوي، بتسكين الراء، وهذا خطأ، فاسمي هو يوسف القرضاوي بفتح الراء لا بتسكينها، ينبغي أن نقول لمن يسكن الراء "لا" – فخِّمها واملأ بها الفم كما يفعل هو! – لا لمن يسكنون الراء!

وضحك الحضور، وضحك الشيخ نفسه ضحكًا متواصلًا، ثم عقب على هذا المشهد كله بكلمة جامعة، وبعد أن تمادى في الحديث قال: أين الشيخ وصفي؟ فأشاروا له عليَّ، فقال:

كده أحسن واللا نقعد في قاعات الدرس بالليل والنهار يا شيخ وصفي؟

نريد أن نعيش الإسلام كله أيها الإخوة، بجده ومزاحه، والنفس تمل من الجد الدائم أو المزاح الدائم، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتخول الصحابة – وهم الصحابة – بالموعظة؛ مخافة السآمة عليهم!

- ومما سجله له سكرتيره الأسبق الشيخ عصام تليمة من طرف:

في يوم من الأيام أبلغته أن الدكتور عصام العريان قد خرج من سجنه، وقد حملت أمانة تبليغه السلام، فلما أبلغت الشيخ سلام الدكتور عصام، اتصل به من الدوحة، وقال له الشيخ: أهلًا بالصوت الحبيب الذي غاب عنا طويلًا، ثم سأله الدكتور عصام عن أولاده وأحفاده، فقال الشيخ: عندي أحد عشر حفيدًا، كلهم من البنات، أنا الذي يسميه الفقهاء: الجد الفاسد!

وفي عقيقة حفيدة من أحفاده، قال الشيخ للحاضرين مازحًا:
أتدرون ماذا أكون لهذه البنت؟ أنا جد فاسد لهذه البنت.

- وزاره الشيخ وجدي غنيم، وأخذ يحكي لنا نوادر المعتقلات والسجون، وسألنا الشيخ يوسف عن أي نوع من الطعام لا يأكله، فقال: الفاصوليا، فقلنا لم؟ قال: أنا مانعها من بيتي، لأني ظللت نحو ثمانية أشهر سنة 1949م في المعتقل، ونحو سنتين من سنة 1954م إلى 1956م، ولا طعام لنا ليلًا ونهارًا إلا الفاصوليا، فلما تزوجت قلت لزوجتي في أول يوم من زواجنا:

أنا عندي مخزون من الفاصوليا يكفيني إلى نصف قرن قادم، فلا أحب أن تطبخ في بيتي، وفعلًا لم تدخل بيتي مطلقًا.

- وقد حكى الدكتور الحبر نور الدايم يوسف طرفة للشيخ حدثت في بيت الدكتور عصام الدين البشير وزير الأوقاف السوداني الأسبق، عندما دعاهم الدكتور عصام في بيته لوليمة، فلما دخل الشيخ ووجد المائدة قد امتلأت بما لذ وطاب من الطعام قال مازحًا: يبدو إن الأخ عصام فاهم لدعوته جيدًا.

- وروى الأخ الشيخ محمد القصاص:

دعاني فضيلة الشيخ حفظه الله لحضور الملتقى الأول للتلاميذ والأصحاب، وفهمت أنه يدور حول مناقشة فكر الشيخ حفظه الله فطلبت منه الكلمة فوافق، وكان مضمونها ملاحظات على فكر ومنهج الشيخ حفظه الله، وهذا واجب المحب حقًّا: أن يقول رأيه بصدق وأدب ورفق وموضوعية. وكانت النتيجة بعد إلقاء كلمتي، شعوري بتغير من حولي في الملتقى، وكأنهم لا يعرفونني حتى في السلام عند التلاقي، إلا الشيخ حفظه الله الذي ما تغير، حتى إنني راجعته في عدم دعوتي للملتقى الثاني، وقلت له يبدو أن هناك من زحلقني!

فقال الشيخ حفظه الله لا يستطيع أحد أن يزحلقك، ولو كانت اللام المزحلقة.

- ومما رواه لي الأخ الصديق الدكتور أكرم كساب السكرتير السابق للشيخ، أنه كان ذات مرة يسعل (يكح) والشيخ منه قريب، فقال له:

إيه يا شيخ أكرم؟ انت هاتكح معايا؟ أنا ما حدش يكحّ معايا!

- وأثناء مرض أستاذنا العلامة الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله تعالى اتصل به الشيخ مطمئنًا، وحين سمعه بادره ممازحًا: ما شاء الله، إيه الحلاوة دي؟ صوتك ولا صوت أم كلثوم.

- وفي مؤتمر صحفي في البحرين سأله أحدهم: يا أستاذنا: بعض الصحفيون يقول! فقال الشيخ: سيبويه كدا هايزعل منك! قل: بعض الصحفيين.

- ومن التعليقات الطريفة أيضًا تعليق سمعته غير مرة من الشيخ على أنه لا كهنوت في الإسلام، وليس عندنا رجال دين، بل علماء دين، فكان يقول: احنا لا عندنا "بابا" عندنا ولا "ماما".
- ومما رواه الدكتور أكرم أيضًا: أذكر أنني شاركت مع عدد من الشباب في نقل مكتبة الشيخ من بيته القديم إلى بيته الجديد، ولما حضر وقت الطعام دخل علينا الشيخ بابتسامة تعلو وجهه وهو يقول: هيا إلى الطعام، إذا حضر الهرس بطل الدرس!

- كنا في حفل في إسلام أون لاين، وقال الشيخ: ماذا هناك من الحلو؟

قلت له: كذا وكذا وأم علي.

قال: هات أم علي، بس اوعى الشيخ علي القره داغي يزعل مننا!

- كتبت أول كتابي عن الشيخ وأهديته نسخة – والكلام لا يزال للشيخ أكرم – وظننت أنه سيحدثني في الكتاب، ومرّ على ذلك أشهر!

وكان أن طلب مني يومًا أن أحضر له بعض الكتب؛ لأنه سيكتب بحثًا عن النقل والعقل والعلاقة بينهما، فقلت له: شيخنا! لك كتابات كثيرة عن هذا، وأنا اعتبرت هذه إحدى خصائص منهجك الدعوي في كتابي (المنهج الدعوي عند القرضاوي) فقال: اجمع لي هذا وذاك!

وحدث أن سافر الشيخ ثم عاد فاتصل بي ذات مساء، وقال لي: أنا أقرأ في كتابك منذ فترة، وهو بين يدي الآن، ثم قال وهو يضحك: لكن واضح إنك عاوز تخالفني وخلاص!

فقلت له: كيف؟ قال: مثلًا في موضوع نقدي للجماعات الإسلامية، وخصوصًا التيار السلفي!

فقلت له: شيخنا أنت عممت، وقد تعلمنا منكم عدم التعميم، والتيار السلفي ليس كله حرفيًّا في العقيدة ظاهريًّا في الفقه!

ثم قال لي: لكن الكتاب جيد، وجزاك الله عني خيرًا!

فقلت له: جزاك الله أنت كل الخير، وسأنام الليلة مبسوطًا!

فقال: زادك الله بسطة وجاتوهًا!

فقلت: أما الجاتوه فأعرفه؛ فما البسطة؟

قال: هذا نوع من أنواع الحلوى، مثل (الجلاش).

- وأذكر كذلك أن المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قطر، دعا الشيخ إلى المشاركة في (مائدة مستديرة) لمناقشة موضوع (دية المرأة في الشريعة الإسلامية)، فقال مدير الدائرة: نبدأ بفضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي!

فقال الشيخ: لا! الصح أن نبدأ بالترتيب الأبجدي، واسمي يبدأ بحرف الياء، فأنا آخر واحد يتكلم إن شاء الله.

- وروى الشيخ عبد الله السكرمي قال:

كنت على سفر مع الشيخ، فقلت له في بداية الرحلة: شيخنا هذه أول مرة أسافر معك، وأرجو أن تنبهني إذا فعلتُ شيئا يؤذيك أو لا يُرضيك؛ فإنك كثيرًا ما تدعو: اللهم عليك بمن آذانا!

قال: يا أخ عبد الله أنت لست ممن يؤذيني إن شاء الله! وهاعرفك، وإن شئت أضربك! يقولها ضاحكًا!

- وطلب أحد تلاميذ الشيخ أن يزورهم الشيخ في بيتهم على عشاء، فوافق الشيخ. ولا أدري لماذا ظن الشيخ أن يكون العشاء (منسفًا) فأخذ في الطريق يكلمني عن المنسف حتى جرت معدتي؛ أريد أن أرى هذا المنسف الذي يعجب الشيخ.

فلما وصلنا قال لي الشيخ: ساعدني لأنزع الزي الأزهري حتى نأكل بأريحية. ولما حضر الطعام إذ به (صينية أرز مع اللحم) فأسرَّ الشيخ إلي بقوله ضاحكًا: ضحكوا علينا يا شيخ عبد الله!

- وحين دخلنا مطار الدوحة جلس الشيخ في غرفة مجهزة لكبار الزوار حتى ينتهي الموظفون من إجراءات السفر، وتأتي السيارة الخاصة التي توصله للطائرة، وجدت طبقا من الفاكهة يحتوي على أنواع من الفاكهة لا أعرفها، فأردت أن أُكرم الشيخ بما أعرف منها، فأشار الشيخ إلى نوع من الفاكهة لا أعرفه، وقال: كل من هذا. فقلت: لا أعرفه!

قال: افتح الثمرة وستجد فيها كذا وكذا! وبالفعل فعلت ما أمرني به وأعطيتها له. قال: كلها. فأكلتها فأعجبني طعمها!

فأخذت الثانية وفتحتها، وأعطيتها له فأكلها!

فأخذت أنظر إلى الثالثة، وقلت: أفتحها لك؟

قال: نعم.

ففتحتها وأعطيتها له، فأخذها من يدي ووضعها في فمي وقال: (هَمّ يا جمل)! فضحكت خجلًا!

- وروى الدكتور صلاح الراشد أن شابًّا عربيًّا كان يسكر في حانة من حانات الخمر في إحدى الدول الأوربية، وكانت المرأة التي تسقي الخمر نصرانية، فكان الشاب يسألها وهو في قمة السكر: هل أنت مسلمة؟ فتقول: لا!

فيقول لها: يبقى هاتروحي جهنم! وينفجر ضحكًا!

وكان كل يوم يقول لها هذا! فشدّها هذا التساؤل المتكرر، وبدأت تبحث عن الإسلام، وتقرأ فيه،

حتى عرفت الحق فاقتنعت فأسلمت، يقول الدكتور صلاح:

عندما رويت القصة كان معنا الشيخ القرضاوي، الذي ضحك الشيخ وقال: حتى سكارى أمة محمد دعاااااااة!

- ومما تكرر من الشيخ أمامي أنه – كلما دخلنا مكتبه، الذي لا يخلو دومًا من أفخر أنواع الشيكولاتة والحلويات، أن (نضيف) أنفسنا ومن معنا مما أمامنا: خذ لك شيئًا من تمر الفرنجة (يقصد بها الشيكولاتة).
- وسئل الشيخ يومًا عن مكان صلاة العيد فقال في نادي السد، فقيل له: غيرت المكان وتركت نادي قطر؟ فقال: اللي سبأ أكل النبأ (النبق) وهو مثل مصري.
- وكتب عنه الأستاذ أحمد النسناس: له عناية خاصة بالعمامة الأزهرية إذا لبسها، وقد رأيته وكان قد دعي لمناسبة من المناسبات، فآثر أن يذهب إليها بالزي الأزهري، ولما لم تعجبه العِمَّة (هيئة الاعتمام) طلب كل الإخوة الأزاهرة في المكتب ليلف له العمامة، بل طلب من بعض الشباب الأزهريين ممن أتى لزيارته والسلام عليه أن يلفها له، ولم تعجبه أيا من هذه العِمَّات، واضطر في النهاية أن يلفها بنفسه.
- قال له الشيخ عبد الله السكرمي بعد أن لفها له في هيئة لم تعجب الشيخ: هذه تشبه عمة الشيخ فلان والشيخ فلان (من كبار علماء الأزهر). فرد الشيخ: (هما دول بيعرفوا يلبسوا عمم!). وهذا التأنق في العمة يختفي تماما في الأوراق التي يكتبها الشيخ بخط يده، فهي شبيهة بمخطوطة ناسخها كثير الإلحاق بطرتها وبين أسطرها، وهي مخطوطة عليها عدة سماعات وتملكات لعدد من كبار العلماء، كل أعمل قلمه ليثبت عرضه وسماعه، أو لشرح أو أيضًاح، أو مطابقة النسخة بنسخة أخرى!

وكنت معه ذات مرة في مجلسه الكريم في بيته بالدفنة، ودار شيء اقتضى أن أستشهد بقصيدة لأستاذ العامية اللاذعة أحمد فؤاد نجم:

الحمد لله خبّطْنا! تحت بَاطاطنا

يا ما احلى رجعةْ ظُبّاطْنا من خط النار

يا أهل مصر المحمية! بالحرامية

الفول كتيرْ والطعمية! والبَرّ عَمَار

والحالة معدنْ واهِي ماشيةْ آخر أشيا

ما دام جنابُه والحاشية بكروشْ وِكْتار!

فقال الشيخ: الله! جميلة جدًّا، من اللي قال الكلام الحلو دا؟!

فرفعت حاجبي دهشة، وقلت: من كلام الشاعر الشعبي المبدع أحمد فؤاد نجم، ادعي له يا شيخ!

فدعا له الشيخ بخير، لكن شيطاني استفزني، فقلت فيما يشبه العتاب:

الله يسامحك يا شيخنا؟ لماذا لمتني إذن حين استخدمتُ قليلًا من الألفاظ العامية في كتابي: تجفيف منابع الأنوثة الذي قدمتم له؟ فقال: لأنك رجل لغوي، وأسلوبك رفيع راقٍ، فرأيت ألا تهدره في العامية، فسألته:

إذن ممكن حضرتك تسمع الشعر العامي، وتأنس له؟!

فقال: بالعكس، أنا أحبه، وأحفظ منه الكثير، وكنا نقوله أيام اعتقالنا، وأخذ يسرد علي أشعارًا مما كان يقوله المساجين أيام اعتقاله في مطالع شبابه، ويسمعني مقطوعات زجلية من هنا وهناك، ومنها ليه وليه، التي قيلت آنذاك؛ احتجاجًا على الظلم، والاستبداد، والقهر السياسي:

ليه وليه؟ عملنا إيه؟

يا حكومة يا ظالمة جرى لك إيه؟

أنا كنت قاعد جُوّا البيت

دخل عليّ كم عفريت

وفتشوني وقالوا: جنّيت!

يا متهم، قلت لهم: إيه؟!

ليه وليه؟ عملنا إيه؟

يا حكومة يا ظالمة جرى لك إيه؟

قالوا لي: إنت من الإخوان

وضبطْنا فِي بيتك قرآن

ومأثورات! وسبحة كمان

ومْربّي ذقنك! جاوب: ليه؟

ليه وليه؟ عملنا إيه؟

يا حكومة يا ظالمة جرى لك إيه؟

بتصلي من غير إذن بوليس

وتصوم الاثنين من غير ترخيص

وعلى صلاة الفجر حريص

والمصطفى بتصلي عليه

ليه وليه؟ عملنا إيه؟

يا حكومة يا ظالمة جرى لك إيه؟

وتصف الأبيات حالهم في الليمان:

في الصبح نفطر عدس وفول

أما الفاصوليا دي على طول

يا اخوانّا محنة وبكرة تزول

وكل ظالم ورده عليه

ليه وليه؟ عملنا إيه؟

يا حكومة يا ظالمة جرى لك إيه؟

وأشار الشيخ – كما ورد بمذكراته – إلى أنهم في أيام السجن كانوا على ثلاثة أنحاء:

- **فمنهم شعراء** كانوا ينشئون القصائد التي تضج بالشكوى، مثل قصيدته النونية.
- **ومنهم زجالون** كانوا يؤلفون الأزجال، مثل زجل أحدهم في وصف سوء المعاملة في الحربي: اللي ما شافش السجن الحربي! مهما اتربّى ما تربّاش.
- **والفريق الثالث** هم الذين كانوا يقلبون الأغنيات المشهورة بكلمات جديدة، لتصبح ملائمة لوصف الحال، ويتغنون بها، مثل ذلك الذي كان يقلد أغنية أم كلثوم الشهيرة: يا ظالمني. وكان يغير عباراتها، وينشدها بصوته العذب، فيقول:

وتضربني! وتِئذيني! وتنفخني وتكويني

وتزعل لما أقول لك يوم: يا ظالمني!

وقد ترجم الدكتور القرضاوي بشكل ساخر ظريف – رغم شناعة ما هم فيه – محنته وإخوانه في السجن – التي أشار إليها الزجل السابق – في قصيدته الشهيرة النونية التي كتبها قبل نحو ستة عقود، واستخدم فيها لغة وسيطة بسيطة وواضحة، لم تخل من سخرية من السجن والسجانين والتعذيب، ومنها:

وفطورُنا عدسٌ تزيّن بالحَصَى	إن الحَصَى فرضٌ على (التعيين)
قد عِفْتُه! حتى اسمَهُ وحروفه	من عينِه، أو دالِه، والسينِ
وغداؤنا فاصوليةٌ ضاقت بها	نفسي، فرؤية صَحْنها تؤذيني
وعشاؤنا شيءٌ يُحيّرك اسمه	وكأنما صنعوه من غِسْلين
لا طعمَ فيه ولا غذاء! وإنما	يحلو لنا من قلة التموين
طبقٌ يُكال لسبعة أو نصفُه	وعليَّ أن أرضى! وقد ظلموني

وأتعجب كثيرًا من قوله: (وكأنما صنعوه من غسلين) إذ لم ير أحد الغسلين، أو يذقه – أعاذني الله وإياك من النار وما فيها قارئي الكريم – تمامًا كما لم ير أحد أنياب الأغوال، التي شبّه بها امرؤ القيس سنّ حربته:

أيقتلني والمشرفي مُضاجعي *** *** ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوالِ!

وانظر ظرفه في الألفاظ التي استخدمها في الأبيات مثل (تزيّن بالحصى/ التعيين/ رؤية صحنها/ قلة التموين!).

ومذكراته خير شاهد على دعواي – خصوصًا جزأيها الأول والثاني – كما أن هذه القصيدة الغرامية الساخنة، التي كتبها قبل نصف قرن برهان حي على شيخ لطيف المعشر، يحسن أن يرسم الضحكة، ويثير الفكرة، ويعابث من أمامه معابثة لطيفة خفيفة:

والقصيدة عن حبيبته وآسرة قلبه، وكانت أنثى قناوية أو قنائية كما يتفذلكون، تعلق قلبه بها فكتب فيها قصيدة لطيفة طريفة يعبر فيها عن هيامه، فاقرأ معي واستمتع:

أنثى تروق أخا الهيام	حسناء فارعة القوام
جسمٌ رشيقٌ زانه	عنقٌ حكى عنق النعام
جذابةٌ تغريك طلعتُ	ـها فتدنو في اهتمام
وتحس أن لقاءها	يشفي الصدور من الأُوام
وإذا حُرمت القربَ منـ	ـها فالجوانح في ضرام
عُرفت بطهر القلب لم	يعلق به خبثُ اللئام
ينبيك ظاهرُها بما	في قلبها! وبلا كلام
بنت الصعيد كريمة	من طينة القوم الكرام
قنوية، لكنها	بيضاءُ كالبدر التمام
قنويةٌ خلعت عبا	ءتَها وألقت الاحتشام
وكأنها بنت الزمالك	في السفور والاقتحام
ثارت على قعر البيو	ت فلا تحب بها المقام
إلا إذا هجم الشتا	بالبرد يصحبه الغمام
حتى إذا ولد الربيع	مع الزهور والابتسام
ودنا هجوم الصيف أعـ	ـجبها الخروج على الدوام

فبدت من الشرفات ضا	حكةً تجاذبك الغرام
لا تستحي من وافدٍ	يرنو إليها باهتمام
فإذا دنا منها دنت فو	رًا! وأسلمت الزمام
ليست ترد يدًا تلا	مسها! ولو كفي غلام
تلقاك في وضح النهار	وإن أردت ففي الظلام
فإذا اقتربت تريدها	وتروم منها ما يرام
أفضت إليك بصدرها	دون امتناع أو خصام
وحَبَتك فاها العذبَ تل	ثِمُه ولا تخشى الملام
وتحوط كفُّك خصرَها	وهي المطيعة في سلام
والناس حولك ينظر	ون يهنئونك باحترام
ومن العجائب أنها	لتُحَب من كل الأنام
حتى التقيِّ المستقيـ	ـمِ بها تعلّق واستهام
ما كفَّه عنها تقاه	ولا نهاه أن استقام
لا لا تسيئوا الظن فهي	طهورة طهر الغمام
كلا ولا عَرفت خنا	أو نالها يوما أثام
قنوية لكنها	رقت كأقداح المدام
هي لا تحب سوى العشيـ	ـر أخي التلطف والوئام
إن لم تعاملها برفق	قد يفاجئها السقام
ولربما منيت بجرح	لا يكون له التئام
والكسر فيها ليس يجـ	ـبره نطاسيُّ العظام
ولَرُبَّ عنفٍ قد يعر	ضها لأن تلقى الحمام
ماذا دها بنت الكرام؟	ومن رماها بالسهام؟

كل قيس مستهام	كانت فتاة الحي ليلى
لك (مُدْمَزيلٌ) أو (مدام)	ليست تنافسها هنا
زعها بنات العم سام	واليوم قد أضحت تُنا
ـس لكائن فيها دوام	هذي هي الدنيا فلي
ـك قد فهمت من المقام	أعرفت من أعني؟ لعل
أم يا ترى بنت الحرام؟	قل لي: " أبنت قنا " ترى

عرفت طبعًا قارئي الكريم تلك الأنثى التي هام بها القرضاوي ولا يزال!

ما عرفت؟ ألم تفهم شيئًا من حديثه عن العنق، والطينة، وعن بروزها في الصيف، والكسر الذي لا يجبر، وعن بنات الحرام بنات العم سام؟!

فأما بنات العم سام فهن الثلاجات، وأما القناوية التي سقط القرضاوي في غرامها فهي القلة الفخارية المصنوعة في قنا بصعيد مصر، والتي يعرفها كل من عرف مصر،

ومن باب الاستطراد اللطيف لعلك قارئي الكريم تعرف أن الشاعر الكبير أحمد رامي أحب من عشقها القرضاوي، وهو في مطلع شبابه! ويروي في ذلك حادثة ظريفة:

قال رامي: كنت في صدر الشباب أغادر داري بعد الغروب، وأعود إليها قبل الشروق. وكنت ألاحظ كلما هممت بالانعطاف من الحارة التي أسكن أحد منازلها أن رأسًا صغيرًا يطل وهو يلتف بغلالة بيضاء ناصعة من وراء مشربية من مشربيات بيوتنا القديمة. وظننت – والشباب كثير الظنون والخيلاء – أنها تنتظرني لتراني، والليل ستّار يلف العشاق بحجب، ويحميهم من أنظار دخيلة. وقد أكبرت في هذه العاشقة دأبها على انتظاري في نفس موعد خروجي، وعند عودتي لتطمئن عليّ في رجوعي!

ولم تكن نفسي ولا التقاليد تسمحان لي حتى برفع النظر إلى أبعد مما يحميني من مزالق الطريق، ولا

ينبغي لي – وهي من أهل حيي – أن أرجوها حتى في منامي. وكأني كنت أقول مع من قال:

وإني لأستحييك حتى كأنما *** *** عليّ بظهر الغيب منك رقيبُ!

ورحت أنظم فيها شعرًا يحوي ويضم المعاني التي تثيرها مشقة النوى وحنين الوجد وإكبار الوفاء، وأنطوي على وجدي وسهدي!

وذات يوم خرجت من داري قبل الغروب، وإذ بعيني تفلت مني، وترمق حبيبة خيالي، ومهوى حنيني العفّ، وحناني المشفق، لأكتشف أنها (قُلة/ جرّة) تلتف في شاش أبيض رقيق مبتل، ليتبرد الماء بهذه الوسيلة! وفقدت ليلاي، وأفقت من حلم جميل!

وكالة أبشروا!

ولن تخطئ عينك قارئي الحبيب وأنت تتجول في سيرة حياة القرضاوي ومسيرته أن تجد خفة الدم، ومتعة المحاورة، وسلاسة التعبير، عبر مواقف ضاحكة باكية، جادة ومازحة، فاصلة وعابرة، يرويها ليرسم في النهاية على شفتيك ابتسامة خفيفة، أو يجعلك تقهقه، تمامًا كما يفعل حين يشافهك، ويسرد عليك من أخباره وأفكاره ولطائفه؛ فخذ هذه الابتسامة:

حكى لنا الشيخ أبو الروس – والكلام لمولانا القرضاوي، من مذكراته –: أنه تزوج مبكرًا، وكان له أبناء يدْرسون، وكان هو طالبًا آنذاك يدرس أيضًا، فكلهم طلبة – الأب والأبناء – يقول الشيخ: فقد تكون النتيجة في بعض الأحيان أن أرسب أنا وينجح الأولاد، وأحيانًا يعرف زملاؤهم ذلك، فيقولون معيّرين لهم: يا أولاد الساقط!

وشيخي القرضاوي – كما قرأته وعرفته، والله حسيبه – رجل مستنير، متفائل، مبشر، يرى في الناس دائمًا الجانب الإيجابي، والإنساني، ويحاول أن يركز دائمًا على البشريات، وأن يغرس الأمل، وهذا واضح في منهجه في الفتوى والحركة والكتابة والخطابة والإعلام والشعر، ويبدو أن هذا المنهج قد انغرس فيه منذ مقتبل أيامه، حتى في الأيام الشديدة التي مرت به في مطالع شبابه، وهو في

السجن مع أصحابه، حتى إنهم كونوا ما أسموه (وكالة أبشروا) حين كانوا يتأولون كل شيء، وكل إشارة – مهما بدت مزعجة – على أنها باب نصر، ومشكاة أمل، وانفراجة على النور والحرية، يقول في مذكراته، بتصرف مني واختصار:

من المعروف أن السجون من قديم مظنة لكثرة الرؤى والأحلام من نزلاء السجن، كما أنهم يهتمون بالحديث عنها، وبتعبيرها، ومعرفة ما تؤول إليه من خير أو شر، ولهذا لا نعجب إذا وجدنا من نزلاء السجن الحربي فئة مشغولة أبدًا بالأحلام والرؤى!

وفي كل صباح عند النزول إلى دورات المياه، يسأل بعضهم بعضًا عما رأوا في تلك الليلة، وقد سماهم الأستاذ عبد العزيز كامل – الوزير الأسبق، وكان مسجونًا معهم – جماعة القِسْم الليلي، لأن كل عملهم في الليل. ومن المعلوم شرعًا أن بعض ما يراه الإنسان في نومه هو حديث نفس، كما قيل: (الجَعان بيحلم إنه في سوق العيش) وبعضها رؤى صادقة، وبعضها من الشيطان.

المهم أن هؤلاء كانوا يرصدون في كل صباح الرؤى التي يراها بعضهم، ويؤولونها على ما يحبون دائمًا، تأويلًا يبشر بالنصر، ويؤذن بالفرج القريب، وبهلاك الظالمين، وذهاب سلطانهم:

- ✓ فإذا رأى أحدهم في المنام شمسًا تبزغ وتشرق، كان تأويلها أن شمس الإسلام قادمة، وستملأ الدنيا نورًا وخيرًا وحرية!
- ✓ وإذا رأى أحدهم في منامه شمسًا تغرب، قالوا: هذه شمس الأعداء، يوشك أن تغرب وتغيب.
- ✓ وإذا رأوا أرضا خضراء نضرة قالوا: أبشروا، هذه أرضنا!
- ✓ وإذا رأوا أرضا أصبح نباتها هشيمًا تذروه الرياح، قالوا: أبشروا هذه أرض الظالم وجماعته.

ولهذا أطلق الإخوان على هؤلاء: وكالة (أبشروا) فإذا كانت وكالات الأنباء تذيع الأخبار، فهذه الوكالة تذيع الأحلام المبشرات.

لجنة الفرفشة: وإذا كانت مهمة جماعة (أبشروا) نشر الأمل عن طريق الرؤى والمنامات، فقد وجدت جماعةٌ بين الإخوان تشيع الرضا وسكينة النفس، عن طريق نشر النكت، والفكاهات، والمداعبات، حتى لا يغلب جو الكآبة على السجن. وقد دارت بينهم آنذاك نكات وطرائف

عديدة، سجلها الشيخ في مذكراته، منها:

أن شرطيًّا ضبط شخصًا يقول: الله يخرب بيتك يا عبد الجبار، فقبض عليه، ولما قدمه إلى الضابط سأله: إيه تهمته يا عسكري؟ قال: يا سيادة الضابط، دا غلط في اسم رئيس الجمهورية!

ومنها أن شرطيًّا ضبط شخصًا يدعو من قلبه على الحكومة الظالمة، وصرخ فيه: انت بتشتم الحكومة يا مجرم؟! فقال الرجل: أنا قصدي حكومة المجر يا بيه!

فرد العسكري: إنت مفكر إنك ها تضحك علينا؟ هُوّا فيه حكومة ظالمة إلا حكومتنا؟!

ومنها أن الحكومة – لسبب ما – كانت تقبض على الجِمال، فوجد الناس حمارًا يعدو ويشتد، ليختبئ من رجال الأمن الذين يبحثون عن الجِمال، فسألهم أحدهم: لماذا تختبئ، وإنما تأخذ الحكومة صنف الجمال، خايف من إيه وانت البعيد حمار مش جمل؟

فقال: حِلّني، علشان أثبت لهم أني حمار مش جمل، هايكون ضاع نصف عمري!

يقول شيخنا القرضاوي – الله يحفظه – كانت إشاعة هذه النكات وأمثالها من عمل مجموعة من معتقلي الإخوان كنت منهم، سميناها: "جماعة الفرفشة".

وكان قد ظهرت شائعة بين المعتقلين، وهي أن ما نزل بالإخوان من أهوال ومحن شداد، قد أثرت على فحولتهم، وأفقدتهم القدرة على الإنجاب، وأنهم لن يقدروا على متطلبات الزواج إذا عادوا إلى زوجاتهم، وأن عُزّابهم إذا تزوجوا فلن يقدروا على إنجاب الأولاد، فاتخذت جماعة الفرفشة شعارات لها هي: تشجيع العزاب على الزواج، والمتزوجين على كثرة الإنتاج، والفرفشة حتى الإفراج!

الشيخ القرضاوي والبسابس! والمراد بالبسابس هنا: العصافير، أو الدبابيس، أو الخوازيق، أو الوِدان، أو العسس، أو المخبرون! يقول الشيخ متع الله به:

(كان هناك أفراد قليلون لم يصبروا على المعتقل، ولم يرضوا به، ولم يكيفوا أنفسهم وفقًا للحياة الجديدة، والناس تتفاوت طاقاتهم في الاحتمال؛ فمنهم من يقارع الأهوال ولا يبالي، ويواجه الأحداث كالطود الأشم، ومنهم المتوسط الاحتمال، ومنهم من لا يحتمل أي مكروه يصيبه.

وكان من الذين قلّ احتمالهم، وعز عليهم فراق أهليهم، أخونا وصديقنا الداعية الطنطاوي الأستاذ

حسني الزمزمي، الذي وصل معنا إلى معتقل الطور، ولكنه لم يُخف تبرمه، وضجره منه، وانضم إليه نفر قليل على شاكلته، سماهم الإخوان (لجنة العكننة) ورئيسها الأستاذ الزمزمي.

والحق أن (لجنة العكننة) كانت مصدر ترويح وفرفشة للمعتقلين؛ فقد كان الأستاذ الزمزمي رجلًا فَكِهًا خفيف الروح – بطبيعته وبطريقته – وكان إذا ناداه أحد: يا أستاذ زمزمي، يرد عليه: إن شاء الله خرَّاب يتعِمي، و(خرّاب) هذا لقب عبد الرحمن عمار، وكيل وزارة الداخلية المصرية آنذاك، الذي كتب المذكرة المسمومة لحل الإخوان، فسماه الزمزمي (خرّابًا) بدلًا من عمّار.

وكان له أرجوزة نظمها في الضابط سعد الدين السنباطي الذي اعتقله في طنطا، ومطلعها:

يا رب أخزِ الظالمَ السنباطي	واجعلْهُ في كلِّ الأمور واطي
يا رب واجعل كيدَه في نحرِهِ	ورد سُمَّ سهمِهِ لصدرِهِ

وكان الإخوة – ولا سيما أهل العلم والأدب منهم – كلما سمعوا أرجوزته، أضاف إليها كل منهم بيتًا من عنده.

إلا أن العكننة الحقيقية كانت تتمثل في وجود عدد من العملاء والجواسيس، زرعتهم الحكومة وجهات الأمن زرعًا في أوساط الإخوان، فسميناهم البسابس (جمع بِسبِس) مهمتهم أن يتجسسوا، وينقلوا أخبار المساجين أولًا بأول إلى الحكومة!

ولم يطق هؤلاء البسابس الحياة الروحية للإخوان، واستيقاظهم لصلاة الفجر، وحرصهم على الصلوات، ولهذا سُرعان ما انكشفوا؛ فالإخوان ينهضون للصلاة وهم نائمون!

وفي يوم كان الإخوان يصلون، وهم (البسابس) يهتفون: عاش جلالة الملك؛ وهو ما أثار حفيظة الأخ الشهم إبراهيم كروم فتوة القاهرة المعروف، الذي جمع عددًا من الشباب الأقوياء، وانهالوا على هؤلاء (البسابس) ضربًا حتى أصابوهم بجراح، وعملت قضية للحاج كروم، وعلمت أنه حُكم عليه فيها بعد خروجه من المعتقل بستة أشهر.

ومن طرائف الشيخ في مذكراته أيضًا، وكلها فكاهات لا تخرج عن المعقول: لما قتل النقراشي رئيس

وزراء مصر في عام 1948م فرح الشباب بمقتله، وكان القرضاوي الشاب وقتها قد قرض قصيدة من الشعر جاء فيها:

عبد المجيد تحية وسلام	أبشر فإنك للشباب إمام
سممت كلبًا! جاء كلب بعده	ولكل كلب عندنا "سمام"

ومن أروع ما تجلى فيه ظرف القرضاوي أرجوزته عن الأصوليين، وهي ملأى بالسخرية المرة، وتكشف عن عقيدة وطبيعة من يدعون برجال الأمن، وهم أهل الحيف وتفزيع والظلم؛ وسأنتقي منها مختارات؛ لطولها:

أبلغ رجال الأمن حتى يزحفوا! فها هنــا جماعة تطرّفوا

من الأصوليين أعداء الوطن! أخطر من جميع عباد الوثن

قـد نأمن الهندوس واليهودا! وقــد نقيم معهم العهودا

إلا أولاء، فأذاهـم يُحْذرُ! فهم علينا من يهودَ أخطـرُ

عرفتهـم باللحن والسمات! ومجمـل الأعمال والصفات

إذا ما دعى الداعي إلى الصلاة! هبّوا لهــا في خفة القطاة

حتى صلاة الفجر في المساجد! والناس بين راقـد وراكـد

غايتهـم بها رئاءُ النـاس! فمن يطيق ذا السلوك القاسي؟

أعفَوْا لحاهم زعموها سنةْ ! يدنيهــم اتباعها للجنــة

ومنهم الحليق كي لا يعرفا! للأمن فهو خصمهم مهما صفا

لكنهم مهما اختَفَوْا وضللوا! عليهمو ألف دليـل يوصل

حياتهم أساسهـا التزمتُ! وفكرهم قوامـه التعنتُ

تشدَّدوا في الدين وهو يسرُ! وكل فرد في السلوك حرُّ

إذا دُعوا لحفل لهوٍ راقص! أبَوْا، بلا ذوق، إباء ناكص

فما لهم في الفن من خَلاق! إذ حُرموا الحلوَ من المذاق

والرقص عندهم حرامٌ منكرُ! كذا قضى الجمودُ والتحجرُ

وأنكروا فوائــد البنوك! كإننا في الزمن المملوكي

ناسين ما حتمـه التغَيُّر! والديــن، مثل غيره، يُطوَّر

وخالفوا مفتينـا الطنطاوي*! مجدد الزمـان في الفتاوي

الشرع في يديه كالعجينــة! لا كالألي عقولهم سجينــة

لم يلتفت للشكل بل للجوهر! ولم يضيق مثل شيخ الأزهر**

وكلما رد عليــه العلما! زادوه شهرة كنجـم السينما

وشدَّدوا على ذوي المزاجِ ! ورفقة الأنس بليلٍ داجِ

وقاوموا نفوذ أهل الكيْفِ! فحق أن يؤدَّبوا بالسيف

حتى الدخان عندهم ممنوعُ! فمــا لهم بطيبٍ ولوعُ

بيوتهم تحفل بالدلائـل! على انتمائهم بدون حائـل

ستجد السواك والمصاحفا! والكتب فيها تالدًا وطارفا

وكم لديهـم كتب مُضلة! والاعتراف سيد الأدلــة

أشد في الفتك من البارود! رسائل البنَّاء والمودودي

وكتب القطبين كالظلال! والقرضاوي بعد والغزالي

نساؤهم يزهيـن بالحجاب! والبعض يصررن على النقاب

*كان الشيخ سيد طنطاوي مفتيًا للجمهورية في ذلك الحين

**الشيخ جاد الحق رحمه الله الذي أنكر على الطنطاوي فتوى تحليل فوائد البنوك

أشكالهن ترعب الصغارا! وتقلق اليهــود والنصارى

فكيف يخفون على المباحث! وكل شيءٍ ظاهر للباحـــث

تاريخهـم أسود كالقطران! حسبهم الجهـاد في الأفغان

كم قاتلوا السوفييت في الجبال! ليظهروا في مظهر الأبطال

وقبلهم إخوانُ سوء جاهدوا! فوق فلسطينَ وفيها استشهدوا

وهيـؤوا الشباب للقتـال! وحفَّظُوهم سورة الأنفـــال

وشاركوا بالدم في القنـاةِ! تغطيـــة منهم لفصل آتِ

واليـوم للبوسنة قد تحمسوا! كأنهم للمسلميـــن حرسُ

وذاك شأنهــم على الإطلاق! إن شِيــك مسلم بواق الواق

أما فلسطين فهم رجالهـــا! وإن تنادى بالسلام آلُهـــا

قد أيدوا الفتيـــة من حماس! دون مبـــالاة ولا احتراس

وأحرجوا الوفود في المفاوضة! ووقفوا في جهة المعارضة

واتهمـــوا مسيرة السلام! بأنـها ليست سوى استسلام

وأعلنـوا الجهاد والكفاحا! وما اقتنوا غير الحصى سلاحا

وسحروا بالكلــم الشبابا! يُخَيِّلونـها لهم حرابـــا

وخدروهم بصلاح الديـــن! وأنهم غدًا إلى حطيـــــن

وهيجوهم بالفتاوى الصاعقة! بطرد إسرائيل تلك السارقة

لا بد من تحرير كل الأرض! فرضٌ علينا يا له من فرض

فتش تراهم خلف كل حادثة! تحدث في الأرض وكل كارثة

وكـــل ما يقلق أهل الغرب! فهم وراءه بغير رَيْـــب

وإن يكن في جزر الهاوائي! أو خللًا في مركب الفضـاء

والله لـولا خشية العزال! لقلتُ هـم محركو الزلزال

قد أثروا في الشيب والشباب! وفتنـوا الشيوخ كالطلاب

أراهمُ يستخدمون الجنَّـا! والسحر أيضًا أتقنوه فنًّـا

وكم تظاهروا بفعل الخيـر! ومدِ أيديهم لنفع الغيـــر

وأنشؤوا المسجد والمستوصفا! ونشروا مع الكتاب المصحفا

وأسسوا مدارسًا للجيـــل! لكي يقودوه من العقـــول

وأشربوه الدين والأخلاقـا! وجنَّبوه الكفر والنفاقـــا

لا تعجبوا أن تجدوا من وُلْدِنا! فيها، نربيهم بغير جهدنـــا

قد سرقوا أبناءنا من وكرنـا! ليجعلوا منهم خصوم فكرنـا

وفي النقابات لهـــم نشاطُ ! وكـــم مهمات بهم تُناطُ

قــد سيطروا على المثقفينا! مثل الأطبـا والمهندسينا

حتى المحامون لهم قد صوتوا! وما لهم سوى الكلام قوةُ

لا تحسبِ انتخابهم دليـــلا! بأنهم في الشعب أهدى قيلا

فهم خصوم الشعب كل الشعب! وإن أحيطوا بالرضا والحب

قد خدعوا النخبة والجموعا! حتى مضَوْا من خلفهم قطيعا

تستروا بالدين كيما يكسبوا! به جنى الدنيا، وبئس المكسبُ

قد تَخِذوه للهوى مطيـةْ ! ونحن أدرى منهمو بالنيـةْ

نحن الذين نعرف السرائرا! ونسبر النيـات والضمائرا

يسعون للحكـم وللكرسيِّ! وذاك شأن الأحمق الغبـــيِّ

فنحن أهل الحكـم والصدارةْ ! ومن سوانا ما لـه جدارة

لا تحلموا أن تظفروا بالسلطةْ ! وأذنوا إن شئتمُ في "مَلْطة"

الحكــم لا يخرِج من أيدينا! لو كان لابن العاص أو لمينـا

تصوروا منطــق هؤلاء! يدعــون للعودة إلى الوراء

يدعون للسنة والكتـــابِ! وتلك دعوى ثلة الإرهـــابِ

وأن نسير في خطا محمــدِ! لنقتدي بهديــــه فنهتدي

فهم خصوم قادة التنويـــر! وحَرَسُ الدين من التطويـــر

كيف يقيمُ عصرُنــا الحدودا! ويَجْلدُ السكّيِر والعربيـــدا؟

ويقطع الأيدي من اللصوص! إذن هلكنــا نحن بالخصوص

إذا منعنا الخمر والملاهــي! فكيف نغــري سائحًا؟ بالله

وما مصير اللاهيات في الهرم! هل يرتجين العون من أهل الكرم؟

وللفنون عندنـــا أسواقُ! فهل مصيرهـــا هو الإغلاقُ

قد عارضوا الدستور جهرًا علنا! إذ نادَوْا: القرآنُ دستور لنا

ودَعَوْا المرأة للحجـــاب! فما ترون يا أولي الألبـــاب

وأين يذهب "الميني" و"الميكرو"! إن صح ما قالوا وعم السترُ

يبغون ربــط حكمنا بالدين! كما نرى عند بني صهيــون

أنجعـــل القرآن كالتوراة! ليغدو الدستور للحياة

وكل يوم يكسبون أرضــا! تمتد طولًا بيننا وعرضــا

حتى غزَوْا ساحة أهل الفنِّ! وأفسدوا المخرج والمغنّيِ

ومن غريب ما نرى ونسمعُ! توبة أهل الفن، هذا المفجعُ

ممثلاتٌ يرتدين الحجابـا! أليس ذلك العجبَ العجابـا؟

وراقصاتٌ يعتزلن الرقصا! كأن هذا الرقص كان نقصا

من ذا يعيب الهز للبطـون! وذاك من روائع الفنـون؟

أليس من ميراثنا الثقافـي! رياضة الخصور والأردافِ؟

فيـا مثقفون أسرعوا الخطا! فدولـة الفن دنت أن تسقطا

ماذا وراء ذلك التحجبِ! إلا تـآمر أثيـم أجنبـي

يدعو نجوم الفـن أن يتوبوا! كأنما كانت لهـم ذنوبُ

أليس يـدري هؤلاء السادةْ! أنَّ الفنـون ذروة العبادةْ؟

قد غيروا الأعراف والأفكارا! حتى غدا المألوف قبلُ عارا

أنظر لما نراه في المصايفِ! من احتشام زائدٍ بل زائـفِ

الغيدُ بالخمار والجلبـاب! وكم نزلن البحـر بالحجاب

يا حسرتا على زمان انقضى! يبدو به الشاطئ لحمًا أبيضا

هذا هو الدين لدى الأصولي! منْ يجْفه يُحرمْ من الوصول

قد عسروا في شرحه ونفروا! والديـن قال يسروا وبشروا

ما الدين في الإحراج للحكام! أن يطلبوا الحل من الإسلام

ما الدين بالصوم ولا بالصلاة! الديـن خذ في خفة وهات

الديـن أن تبدو ظريفًا مرنا! وإن عبدت عنزة أو وثنـا

فطهِّر القلب مـن التعصب! وإنْ جحدت بالكتاب والنبي

الديـن ما يراه حاكم البلدْ! وقولـُه المفتىَ به والمعتمدْ

دع عنـك ما يقوله الشيوخ! فما لهـم في علمهم رسوخ

الصحفيون هم الثقـاتُ! وثلة الحكم هـم الأثباتُ

قد يُطلعون الشمس نصف الليل! والويـلُ للمنكر كل الويل

الحق ما رأوا وإنْ لم يَحْقُق! والصدق ما قالوا وإنْ لم يصدق

أعذب مطرب هو الحمــار! وشر مزعج هـــو الهزار
وأشجع الشجعان ذاك الأرنبُ! والليث رمز الجبن لا تعجبوا
دنيــا النفاق تقلب الحقائقا! وتظهر العلقم حلوًا رائقــا

كم طلبوا الإذن بحزب مسلم! يدعو لحكم غير ما تقدمي
يطبق الشرعَ وكل قيمــةْ ! كإننا في الأعصر القديمـة ْ
كيف يُزج الدين في السياسةْ ! وتطمح اللحى إلى الرئاسة ْ
وتدخل العمائـــم الوزارةْ! يا لجلال الهول والجسارةْ
ولم يكـن لها سوى الأوقاف! فهل تحيدون عن الأعراف
أنحن في إيران أم في القاهرة! إذ أعين الغرب علينا ساهرة
لا بـــد من حل ومن علاجِ! من غير تطويـــــل ولا لجاج
والحل أن يحاربوا مثل الجربْ! إن شئت سل بدرًا وسل شيخ العربْ*
كلاهما أعلن في صراحـــة! وفي صراحة الوزير راحـــة
ليس لهـــم عندي من خلاص! إلا الكلام من فـــم الرصاص
لا رفــقَ لا سماحَ لا هوادةْ! فحقهم منا هـــــو الإبادةْ
أما انتظار منطق القضــــاء! فشأنُ أهل العجز لا المضــاء

نحن هنــا القانونُ في القانون! فتوى الإمام حمزة البسيونــي**

وليقل القضـــــاء ما يشاء! فما قضيناه هو القضـــــاء
لكن إذا ما جد فينا الجــدُّ! ولم يكن من القضاء بُـــد
فحصننا الفذ القضاء العسكري! قضاؤنا المعروف غير المنكر

* عبد الحليم أبو موسى وزير الداخلية الأسبق ** قائد السجن الحربي سيئ الذكر

فكم لدينا فيـــه من عباقرةْ! إن كان في بغدادَ أو في القاهرةْ

محاكمـي عودة والهضيبي! وقطبٍ المفكر الأديـــــب

من ذا الذي ينسى جمال سالمْ! قاضي القضاة العبقريُّ العالمْ

مــن أقرأ القرآن بالمقلوب! وكشف النيــات في القلوب

وكم لدينا بعده من نابغــةْ ! فنعم الله علينا سابغــــة

من يعلم الجاني بلا مكالمــةْ ! ويعرف الحكم بلا محاكمـة

أحكامه لديــه قبل بيّنـــةْ ! وما لـــه من حاجة لبيّنـة

شعاره السخاء فـــي الأحكام! لا سيما مــا كان بالإعدام

يقـــدم السبعة للعشماوي! في وجبة فاق بهــا المهداوي

وهكذا يستروح النظــام! بما قضى ضباطه العظـــام

أما الذي يدعى القضاء المدني! فليس صالحـًا لهذا الزمن

فهـــو موسوس وحنبلي! والأمر ثَـــمَّ واضح جلي

يناقش الشهود والأدلــةْ ! وينشد اليقين يروي الغلـــة

ويفسح المجــال للدفاع! لكثـــرة الكلام دون داع

حتى غدا يحكــم بالبراءةْ! ويشجب التعذيب في جراءةْ

بذا حمــى جماعة الإرهاب! وحرم الشعب مــن الكباب*

واحذر من التمييز والتصنيف!ما بين داعي الرفق والعنيف

فكل هؤلاء في الهوى سوا! من لم يمارس عنفه فقد نوى

____

* إشارة لفيلم: الإرهاب والكباب

لكن أهل الاعتدال علينا أخطر! لأنهم على الطريق أصبر

هم يربحون جولة فجولـة! وبعد ذاك يبلعون الدولـة

فقل على داركم العفــاءُ! إن لم تدارك أرضهـا السماءُ

ولعل في هذا القدر كفاية.



الباب الثاني

باب المناقب القيمية



الشيخ وفيًّا

الشيخ وفيًّا

للشيخ وفاء عجيب لعلماء الأمة، وشيوخه في الدراسة، وأصحابه، وتلاميذه، يذكر حسناتهم، ويتتبع أخبارهم، ويقدم لهم، ويكتب عنهم، ويذكرهم بالخير، ويدعو لهم، ويهش لرؤيتهم، ويترحم على من مات منهم! ترى ذلك في مذكراته، وفي مجالسه، ومحاضراته، وبرامجه ومؤلفاته:

وقد كتب مقدمات لكتب علمية؛ برًّا ودعمًا لتلاميذه ومحبيه، وتقديمًا واستحسانًا، جمعها تلاميذه في مكتبه، في كتاب ضخم من نحو ستمائة صفحة.

وكتب كتبًا مستقلة عن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وأبي حامد الغزالي، والجويني، والندوي، والمودودي، والغزالي، وعمارة، وكثيرين غيرهم؛ إنصافًا، وإطراء، ودفعًا لمظالم!

وكتب مقالات ومراثي عن الإمام البنا، والعظيم سيد قطب، والشعراوي، والترابي، وابن باز، وسيد سابق، وأنور الجندي، وأبو إسماعيل، والزحيلي، وحارث الضاري، وعبد السلام الهراس، وغيرهم كثير!

- وذكر لي د. أكرم كساب، أنه كان للإمام البنا رحمه الله حفيدة تعيش في قطر مع زوجها منذ سنوات، وحدث أن جاءت وزوجها لزيارة ابنتها وزوج ابنتها، وصادف الوقت موسم الحج، فرغبوا في القيام برحلة الحج، ولكن صعب عليهم استخراج التأشيرة، فتواصلوا معي ليتوسط الشيخ، وقد كان!
- بل سمعت الشيخ يتصل بالسفير السعودي ويخبره بأن هذه ابنة الإمام البنا، ومثله لا يرد لرحمه طلب! فأخبره السفير بأن الوقت قد ضاق، والحجيج توجهوا إلى بيت الله الحرام، و(النظام) أغلق من المملكة، فألح الشيخ على السفير أن يجد مخرجًا؛ إكرامًا لشيخه البنا، ولم يهدأ الشيخ حتى تم الأمر، فحمد الله وأثنى عليه.

- وكان للشيخ البهي رحمه الله حفيدة في قطر، توفي زوجها منذ سنوات طويلة، وترك لها أولادًا صغارًا، فرأيت الشيخ حريصًا على متابعة أمرها، وقضاء مصالحها، والسؤال عنها إذا غابت، ولا يطمئن له بال حتى تقضى مصالحها.
- يقول سكرتيره السابق الشيخ عصام تليمة: يتصف الشيخ القرضاوي بالوفاء لكل ذي فضل عليه، مهما صغر أو كبر الجميل المصنوع معه، تجد ذلك في وفائه لأهله، ووفائه لشيوخه وأساتذته، ووفائه لتلامذته، بل الوفاء للناس كل الناس. مع وفائه للمكان الذي ولد فيه، والمكان الذي يعيش ويحيا فيه.

فمن مواقف وفائه لأهله، ما قاله في حفل تكريمه في (دبي) بمناسبة اختياره (شخصية العام الإسلامية) وأخذ يذكر كل ذي فضل عليه، فكان مما قال:

واسمحوا لي أيها السادة أن أذكر في هذا المقام كل من كان له فضل علي في مسيرتي الطويلة حتى وصلت إلى هذا اليوم المشهود.

أذكر أول ما أذكر والدتي – رحمها الله – التي كانت أول من دفعني وصحبني إلى الكُتَّاب، وأنا في الخامسة من عمري.

أذكر عمي أحمد، الذي كفلني بعد موت أبي، وأنا رضيع في الثانية من عمري، فكان لي خيرًا من كثير من الآباء لأبنائهم، وكان يعاملني كما يعامل أولاده، بل أفضل، وكنت أناديه دائمًا: يا أبي.

أذكر أبناء عمي الذين كانوا لي أفضل من كثير من الإخوة لإخوانهم، وكانوا لا يدخرون وسعًا لمساعدتي حتى أكمل مشواري في الأزهر.

أذكر خالي عبد الحميد الذي كان يعتز بي، ويملأ نفسي بالأمل والطموح.

أذكر جدتي، وخالاتي اللاتي كن أمهات لي بعد أمي التي لقيت ربها، وأنا في الخامسة عشرة من عمري.

أذكر أقاربي جميعًا الذين أعطوني من حبهم ما نسيت به يتمي المبكر"[8].

[8] من نص الكلمة التي ألقاها في حفل تكريمه في جائزة دبي.

ومن وفائه لشيوخه وفاؤه للشيخ الغزالي، فقد كتب كتابًا كاملًا عنه، وقد كان الكتاب مقالًا فطال، والشيخ الغزالي يستحق أن تكتب عنه الكتب المطولات[9]!

- وقد حكى لي الشيخ القرضاوي – والكلام لا يزال للشيخ عصام – موقفًا حدث له مع مجموعة من الشباب، التقوا به في السعودية، وكان قد ذهب للقاء في مؤسسة (دلة البركة) وبعد أن أدى صلاة الظهر، أوقفه هؤلاء الشباب وقالوا له: أنت الشيخ القرضاوي؟ قال: نعم.

قالوا: نريد أن نسألك سؤالًا، فقال: ولكن عندنا اجتماع الآن، وأنا مشغول.

فقالوا: سؤال واحد ولن نطيل عليك فيه، فقال: تفضلوا اسألوا.

قالوا: ما رأيك في الغزالي؟

قال لي الشيخ: فادعيت أني فهمت أنه يسألون عن الغزالي القديم، وأنا أعلم أنهم يسألون عن المعاصر، فقلت لهم: هو حجة الإسلام، ذلك الرجل الذي جدد الدين في عصره لما رأى انحرافًا في السلوك وبعدًا عن الروحانية، فكتب موسوعته (إحياء علوم الدين).

فقاطعني أحدهم وقال: نحن لا نقصد أبا حامد الغزالي، إنما نقصد الشيخ محمد الغزالي المعاصر صاحب (السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث)!

فقال الشيخ: الغزالي لسان الصدق، الرجل الذي كافح الاستبداد، وحارب الظلم، ودافع عن الإسلام ضد العلمانيين والملحدين.

فقالوا له: لكنه كافر.

فقال الشيخ: إذا كان الغزالي كافرًا، إذن لا يوجد على ظهر الأرض موحد واحد!

- ومن وفائه لأقرانه من العلماء معرفته بقدر الشيخ حسن عيسى عبد الظاهر، وقد كنا قد دعينا للغداء عند الطبيب الفلسطيني الدكتور عبد الله شحاته، وقد كادت السيارة التي نركبها أن

---

[9] ظهرت بعد ذلك رسائل ماجستير عن الشيخ الغزالي عنه داعية، ومفسرًا، ومربيًا.

تصطدم بسيارة الشيخ حسن عيسى، بخطأ ارتكبه سائق الشيخ، فقال لي الشيخ: هذا الشيخ حسن عيسى عبد الظاهر، فقلت – ولم أكن أعرفه حينذاك – لا أعرفه، فقال:

إنه عالم جليل من العلماء الأثبات المتعمقين في العلوم الإسلامية، وينبغي أن تتعرف عليه، ثم أثنى ثناء حسنًا على شيخنا الشيخ حسن عيسى عبد الظاهر!

وقد وجدت بالفعل أن ما قاله الشيخ القرضاوي في الدكتور حسن عيسى، لم يكن مبالغة في المدح، إنما وفى الرجل حقه.

- بل نرى وفاء الشيخ للمكان نفسه، فتجده وفيًّا للمكان الذي ولد فيه (صفط تراب)، فقد تبرع لبناء مسجد ومعهد أزهري، وقد أطلق الشيخ على كل مشاريعه الخيرية في قريته اسم (الصحوة) فأراد بذلك أن ينسبها إلى الأصل، لا أن تنسب إلى اسمه، فالصحوة أشمل وأعم من القرضاوي.
- ووجدته وفيًّا لبلده ووطنه (مصر) مهما فعل معه أمنها، من مضايقات الحاضر من نكران، وفي الماضي من سجنه واعتقاله، بل تعذيبه والتضييق عليه في عمله، بل منعه من أي عمل به احتكاك بالجماهير، حتى ضاق به الحال، إلى أن اضطر إلى أن يظل تسع سنوات لا ينزل مصر، مخافة الاعتقال والسجن، الذي كان آنذاك مؤكدًا بالنسبة له! ومع هذا نرى حديثه عن مصر حديث الابن الذي انتزع من أمه انتزاعًا، ولا يستطيع أن تنتهي السنة الدراسية حتى يحمل حقيبته إلى مصر، رغم ما ذكرنا من مضايقات الأمن المصري له في مطار القاهرة، فهم يوقفون الشيخ من ساعة إلى ثلاث ساعات، ليس لذنب إلا أنه رمز من رموز الدعوة إلى الله، فبمجرد أن يأتي الصيف ترى الشيخ يهرع إلى القاهرة ليقضي معظم أجازته بها، يلتقي إخوانه من العلماء والمفكرين، بل من تلامذته كذلك.
- بل إن أحد الكتاب المصريين المرموقين، وهو: الأستاذ/ أسامة أنور عكاشة تساءل بعد أن مدح الشيخ، وقال عنه: هذا الشيخ لا يصرخ، أي إنه يدعو بالتي هي أحسن!

ثم ختم مقاله قائلا: ولكن سؤالًا يعن لي: هل تخلى الشيخ القرضاوي عن مصريته؟ وذلك لأن الشيخ يحمل جوازًا قطريًّا، ويقدم في المحافل الدولية بجنسيته القطرية لا المصرية. فكان رد الشيخ

عليه: "وأحب أن أجيب عن السؤال الذي حيرك، أني لم أتخل يومًا – ولن أتخلى – عن بلدي ولا عن أهلي. وكل ما فعلته أني أحمل جنسية بلد عربي آخر عشت فيه أربعين سنة من عمري، فكرمني أهله، واعتبروني واحدًا منهم، ومنحوني جنسيتهم، وأعطوني جوازًا خاصًّا – بل سياسيًّا – وكان ذلك في الوقت الذي رفض أهلي أن يجددوا جوازي، وتركوني في العراء!

ومع هذا لم أنقطع عن وطني ولا عن قومي، فهم مني، وأنا منهم. وأقضي إجازاتي الصيفية دائمًا في مصر، ولكن مصر هي التي تكشر في وجهي كلما ابتسمت لها، وتعض يدي كلما مددتها لأصافحها، وأنا أقصد بمصر: الدولة لا الشعب، فأنا – بحمد الله تعالى – أتمتع بحب أبناء وطني كغيرهم من المسلمين، كما أحس بذلك وألمسه في كل مكان أذهب إليه من أرض الإسلام. وهذه نعمة لا أقدر على الوفاء بشكرها.

بل أقول لك بصراحة: إن كثيرًا من إخوإننا المسيحيين في مصر وفي أنحاء الوطن العربي يشاهدونني ويبادلونني المودة، وتأتيني منهم رسائل تحية وتشجيع.

إن مشكلة أجهزة الأمن في بلدنا أنها لا تتطور، والملفات القديمة ثابتة لا تتغير، فهي تعامل يوسف القرضاوي ابن السبعين، كما تعامل يوسف القرضاوي ابن العشرين! كأن كر الغداة ومر العشي لا يعلم الإنسان!

ماذا أقول لك يا أخي أسامة، والكبد مقروحة من معاملة قومي لي؟

إني أقابل بالترحاب والتكريم في كل بلد أزوره على أعلى المستويات، إلا في بلدي، أحجز في المطار حتى يعرض جوازي على جهات الأمن، سواء دخلت بجوازي المصري أم بجوازي القطري. وأنا عضو في مجامع علمية عربية وإسلامية وعالمية، ولكن بلدي وحده هو الذي لا يعترف بي.

حصلت على جوائز عالمية عدة، لا داعي لذكرها، ينوه بها كل الناس إلا قومي؛ حتى إن آخر جائزة حصلت عليها منذ أسابيع (شخصية العام الإسلامية) تحدثت عنها أجهزة الإعلام العربية والإسلامية في بلاد شتى إلا بلدي، عتَّمت عليها تعتيمًا شديدًا، ولا أدري لماذا يعتبرني أهلي خصمًا لهم، وليس إضافة إليهم؟!

ولقد كتب بعض الصحفيين من إخوانك يشكو من أنه كلما فتح قناة من قنوات الخليج الفضائية، رآني فيها، وكنت أحسب أن هذا يسره ولا يسوؤه، ويعتز به، ولا يضايقه!

إذا كانت القضية قضية التجنس بجنسية أخرى، فقد رأيتهم يحتفون احتفاء بالغًا بالدكتور أحمد زويل، وهو يحمل الجنسية الأمريكية، على حين أحمل جنسية عربية!

إن الحكومة المصرية تعلم أني أعارض العنف، وأقاوم التطرف، وأدعو إلى التسامح، وأرحب بالحوار، وأنادي بالتجديد للدين، والنهوض بالدنيا، وأتبنى تيار الوسطية الذي يقوم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، والموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر. وقد خطبت خطبة شهيرة نددت فيها بمذبحة الأقصر، وأيدت قانون الخلع! وغيره وغيره، ولكن أخالف السياسة المصرية في بعض النقاط، مثل: الدعوة إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، وأني لا أعتبر السلام خيارًا استراتيجيًّا وحيدًا! الخ. فلماذا التركيز على نقاط الخلاف، وإهمال نقاط الالتقاء، وهي كثيرة؟ ولماذا لا نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه؟

يا أخي أسامة، لقد نكأت جرحًا غائرًا في صدري، وذكرتني بقول طرفة في معلقته:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة *** *** على المرء من وقع الحسام المهند

ومع هذا سأظل أصل قومي وإن قطعوا، وأبذل لهم وإن منعوا، وأسامحهم وإن ظلموا، وأحسن إليهم وإن أساؤوا إلي، متمثلا بقول الشاعر العربي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ	وليس كبير القوم من يحمل الحقدا!

أخي أسامة، إن في الجعبة الكثير، ولكن العرب قالوا: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ولا أملك إلا أن أقول: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ".

أرجو أن تتقبل جزيل شكري، وعميق تقديري، وعاطر تحياتي، وخالص دعائي لك بدوام التوفيق!

[1] نص رسالة أرسلها الشيخ القرضاوي ردا على سؤاله.

وفاء الشيخ لقطر وأهلها

- وليس وفاء الشيخ لمصر بأقل من وفائه لقطر، فقد جاء على موقع الشيخ: أنا جزء من قطر، وقطر جزء مني؛ فقد نشرت الشرق القطرية (2014/4/2) وغيرها:

أكد العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أنه لن يترك قطر كما أن قطر لن تتركه. وأضاف على هامش مشاركته في مؤتمر الوحدة والوطنية والتعايش: أنا قطري وقد صار لي فيها 54 عامًا، حيث جئتها وعمري 35 عامًا وعمري الآن 88 عامًا أي إن معظم عمري قضيته فيها، كما أن جميع أبنائها رجالًا ونساء، كبارًا وصغارا يحبونني وأنا أحبهم.

وتساءل! من قال إننى سوف أترك قطر؟ أنا جزء من قطر، وقطر جزء مني، لكن البعض قد لا يفهمون هذا.

وقال: أنا لا أكره أحدًا، بل أريد الناس جميعًا أن يكونوا أخوة، وأن يتعاملوا بمحبة ويسمع بعضهم بعضا ويفهم بعضهم بعضًا، بدلًا من أن يعملوا ضد بعضهم البعض. وفي هذا القدر كفاية.

لقد عشت في بلاد الخليج، وعشت في قطر واحدًا من أهلها، وعضوًا في جسدها، أحبهم ويحبونني، أنا منهم وهم مني، لم ينظروا إليّ أني غريب فيهم، أو مهاجر إليهم!

وأنا لا أؤمن بالإقليميات – مقتصرًا علي إحداها متعصبًا لها دون سواها – أنا أؤمن بدار الإسلام الواحدة، أنا انتقلت من جزء من دار الإسلام إلى جزء من دار الإسلام، ومن إخوة لي وأهل في مصر إلى إخوة لي وأهل في قطر، لا أشعر بأني غريب أو أجنبي، لم تراودني هذه الفكرة قط!

عشت في قطر منتصب القامة، مرفوع الهامة، محفوظ الكرامة، لا يستطيع أحد أن يتهمني بأني نافقت يومًا في حياتي! لو كنت أحب أن أنافق، أو أحب أن أسير في ركاب السلطان، لبقيت في موطني الأصلي، وبقليل من التنازلات كنت وصلت إلى أعلى المناصب التى وصل إليها من هو دوني بكثير، ولكني آثرت أن أحتفظ بديني، وأحتفظ بمبدئي، وأثبت على موقفي، وأقول للطغاة، أقول

لكل ظالم جبار متحديًا:

ضع في يديَّ القيد ألهب أضلعي	بالسوط ضع عنقي على السكّين
لن تستطيع حصار فكري ساعةً	أو نزع إيمانـــي ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يديْ	ربّي! وربّي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي	وأموت مبتسمًا ليحيــا ديني

هكذا قلت للطغاة، ولا زلت على موقفي! أنا لا أداهن في ديني، لا أبيع ديني بدنياي، فضلًا عن أبيعه بدنيا غيري! والحمد لله عشت في قطر، لم يحجر عليّ أحد في قول أعلنه، أو في موقف أتخذه، رغم ما يتعرضون له من ضغوط هائلة أعرفها، ولكن لم يقل لي أحد كلمة تمس من حريتي!

أنا أعرض دعوتي على الناس كما أراها، أُعلِّم الإسلام للناس كما أعلمه، أقول الحق لا أخشى في الله لومة لائم!





الشيخ محبوبًا مرتضًى

الشيخ محبوبًا مرتضًى

قالت العرب: لن تعدم الحسناء ذامًّا! وربما وجدتَ من البشر من لا يحفل بالوردة الفواحة؛ لكن جمهرة الأسوياء تتنسم عطرها، وتحب جمالها، وتسلم به، وتهفو له، وتميل نفوسهم إليه!

كذلك شيخي حفظه الله، لن يعدم الشانئَ الذام، بل والغالي المتطرف في ذمه! لكن جمهرة المسلمين الواعين المبصرين – فيما أزعم – تحب الرجل، وتسلم باعتداله ووسطيته، وعلمه وإمامته، وتدعو له بطول العمر، ودوام العطاء!

وهو يظن أن ذلك من دعاء أمه رحمها الله تعالى له في طفولته، إذا طالما قالت له: رح يا يوسف يا بن بطني: يحبب فيك الرب ف عرشو والجندي في فرشو. يجعل في قلبك جوهرة وفي بؤك (فمك) سكرة!

وكم رأيت من يقول للشيخ أحبك في الله، فتغرورق بالدمع عيناه، ويضطرم بالامتنان صدره، ويشكر على النعمة ربه.

وكم مدينة في الشرق والغرب زرت لأحاضر، فإذا فطن الحاضرون أنني أعرف الشيخ حملوني أمانات السلام عليه، والتعبير عن التقدير والحب والعرفان. بشر لا أعرف وجوههم، ولا أسماءهم، لكن أعرف من وجوههم الشغف بالشيخ، وشدة الشوق لرؤيته والسلام عليه، والجلوس إليه!

وقرأت في مذكراته كيف استقبل استقبال العلماء والرؤساء في رحلاته، عن تقاطر الناس على خطبه ودروسه ومحاضراته، أنى حل، وحيث سار! ومذكراته حافلة بخطب جمع ومحاضرات حضرها الألوف، وأحيانًا عشرات الألوف!

ورأيت وقرأت كيف هو الإقبال على كتبه، وخطبه، وبرامجه!

وإني لأرجو والله أن يكون ممن يصدق عليهم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، في مسلم، عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه: (إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا،

فأحبه! قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض).

- يقول د. أكرم كساب: كنت ممن أكرمهم الله بالمشاركة في سفينة مرمرة (أسطول الحرية)، وأقول بصدق كان الشيخ هو الحاضر الغائب، أو الغائب الحاضر، فما علم أحد بأنني أعمل مع الشيخ إلا وأخبرني بحب الشيخ، وحملني رسائل إليه، ربما أقلها أن أقبل رأسه أو يده!

أما الأخ الشهيد (علي حيدر) فأخبرني أنه ممن يترجم كتب الشيخ، وقد منّ الله عليه فترجم نصف كتاب (جيل النصر المنشود) وأنه بعد عودته سيكمل الباقي، لكن القدر لم يمهله؛ إذ أكرمه الله بالشهادة، ولعله ترجم النصف الأول عمليًّا، وبشهادته يكون قد ترجم النصف الثاني!

- ومن حب البسطاء له، ما رواه الشيخ محمد القصاص:

بعد أن أنهى السائق إبراهيم خدمته مع الشيخ حفظه الله تزوج ورزق بتوأمين وسماهما إسماعيل وأحمد؛ تأويلًا لرؤيا منامية رآها بعد زواجه. وسمى ابنه الثالث يوسف، وأخبرني أن سبب التسمية حبه للشيخ حفظه الله، ولما فيه من صفات طيبة!

سبحان الله! ما أحلى أن يأتي الثناء عليك من أكثر الناس احتكاكًا، والتصاقًا بك، وتعاملًا معك!





الشيخ صاحب مواقف

الشيخ صاحب مواقف

القادة تحديات، والرجال مواقف، يدفعون ثمنها غاليًا: حياتهم أحيانًا، وطنهم أحيانًا، أموالهم أحيانًا، أهليهم، عرضهم، أعمالهم، استقرارهم؛ بل وهذا كله أحيانًا!

والقرضاوي رجل مواقف ولا شك، ودفع أثمانًا باهظة من بداياته لليوم، من السجن، والمطاردة، والمصادرة، والتجريم، وأحكام الإعدام، وتشويه السمعة، كما أشرت من قبل!

وأظن أن لا أحد يمكنه أن ينكر دوره في الثورات، وفي مواجهة الطواغيت والفراعين، وفي حركات مواجهة الغلو والغلاة المتشددين!

موقفه الصلب من الصهاينة، ونصرة فلسطين/ موقفه من إيران/ موقفه من الأمريكان والغرب/ موقفه في اجتهاداته/ موقفه ممن يسبونه ويستبيحون تكفيره بسبب اجتهاداته، موقفه من أصحابه ومن حوله كما مر في أثناء هذا الكتاب، وغير ذلك كثير!

مواقفه من أشخاص يحتاجون دعمه ومناصرته!

وهو يعبر عن مواقفه علنًا: في التلفزيون، أو الصحافة، أو من خلال بياناته من مكتبه، أو على المنبر، أو من خلال مظاهرة، أو امتناع عن الاستجابة لدعوة أو تكريم!

- **أتذكرون موقفه حين قال إن الذي صافح بيريز عليه أن يغسل يديه سبع مرات إحداهن بالتراب؟/ أتذكرون موقفه حين تحدى الدنيا، ودخل غزة مع اثنين وخمسين داعية؟/ أتذكرون حين دخل القاهرة، وخطب في ميدان عابدين، وحرك الدنيا كلها هناك؟/ حين حكم بالإعدام على القذافي؟/ حين منع من دخول أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها؟/ حين طلبه الإنتربول؟/ حين يرفض دعوة نظامٍ؛ نصرةً لسجين مغضوب عليه؟**

وهل أنسى ذات سفرٍ برفقته إلى السودان بدعوة من الحكومة، واستخرج تلاميذه في مكتبه التأشيرات للوفد! وفي آخر لحظة ألغى السفر؛ لأنه طلب من الحكومة إخراج الدكتور الترابي، فلم تفعل، فألغى الرحلة إثباتًا لموقفه من الحريات، واحترام العلماء والمفكرين، ورفضه للنظم الدكتاتورية الغبية!

- يقول الدكتور علي بن حمزة العمري فك الله أسره:

إن الإمام العلامة (يوسف القرضاوي) ممن سخرهم الله تعالى؛ ليكونوا (صمام أمان الأمة):

- ✓ صمام أمان! فهو الذي أعاد للعلماء مكانتهم وهيبتهم في قول الحق، دون أن يخشى في الله لومة لائم، ودون أن يتلون حسب الأحوال وتقلبات الخريف بعد الربيع!
- ✓ وصمام أمان! يوم وسَّع على المسلمين أمور دينهم، وما جعلهم في حرج أمام شريعتهم، ولا العيش الطيب في عصرهم.
- ✓ وصمام أمان! يوم جاهر وواجه خطاب العنف، وفكَّك أفكاره، وأنار أمام العقول المغلقة، بشعلة البرهان والبيان الطريق للحائرين.
- ✓ وصمام أمان! بصوته، وفكره، وقلمه، ومؤسساته، وعالميته، حتى غدت الأمة في الملمات تنتظر صوته، ورأيه، المثبِّت للحق وأهله.

- ويقول الأستاذ محمد نزال – عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) – عن مواقف للشيخ مميَّزة لا تنسى:

! أود التوقّف عند أربعة مواقف مميّزة لا تنسى للشيخ القرضاوي، وهي تعبِّر عن أصالة معدنه ووفائه في بعضها، وعن بصيرته، وسَعة أفقه في بعضها الآخر.

الموقف الأول: عندما اجتاح الجيش العراقي دولة الكويت يوم الخميس 2 آب/ أغسطس 1990م، خطب الشيخ القرضاوي خطبة الجمعة في اليوم التالي، في مسجد عمر بن الخطاب، في العاصمة القطرية الدوحة، دان فيها بوضوح وقوة احتلال الكويت، معدِّدًا مآثر الكويت في دعم

قضايا الأمة، وتميُّزها في العمل الدعوي والخيري.

ولعلَّ ما ميَّز موقف الشيخ أنه كان من أوائل من أصدر موقفا واضحًا، تقدَّم فيه على كثير من العلماء، الذين إما أنهم تأخَّروا في إعلان موقفهم، أو أن موقفهم كان ملتبسا ومترددًّا!

الموقف الثاني: إذا كان الشيخ القرضاوي عرف باعتداله السياسي والفقهي في كثير من المواقف، فإن موقفه من القضية الفلسطينية كان لا يزال (حاسمًا) و(حازمًا)، وواضحًا وضوح الشمس في رابعة النهار. ولئن (هرول) بعض العلماء نحو (التطبيع) مع الكيان الصهيوني، وأصدروا الفتاوى التي تجيز وتسوّغ للسياسيين والمفكِّرين والمثقفين؛ التطبيع بأعذار وحيثيات مختلفة، فإن الشيخ القرضاوي عارض ذلك معارضة شديدة، حتى إنه رفض حضور (مؤتمر حوار الأديان) الذي يعقد سنويًّا في العاصمة القطرية (الدوحة) منذ اثني عشر عامًا!

وأعلن عن ذلك بوضوح؛ معلِّلًا موقفه بأنه: لا يريد الجلوس على منصة واحدة مع حاخامات اليهود، ما دام فلسطين والمسجد الأقصى تحت الاحتلال، وقضية فلسطين معلَّقة ولم تحل!

الموقف الثالث: عقد في الخرطوم في 6 آذار/مارس 2010م، المؤتمر الثامن لمؤسسة القدس الدولية، وباعتبار أن الشيخ القرضاوي هو رئيس مجلس أمناء المؤسسة، فقد كان من الطبيعي أن يحضر المؤتمر، ولكن الشيخ اعتذر عن الحضور، تعبيرًا عن رفضه لاعتقال الشيخ الدكتور حسن عبد الله الترابي رحمه الله، واشترط لحضوره الإفراج عن الشيخ الترابي، وهو الأمر الذي لم يحدث، فأصرَّ الشيخ على موقفه ولم يحضر! (وهي المرة الأولى تلتها ثانية؛ حين ألغى سفر الوفد كله معه)!

الموقف الرابع: وجِّهت دعوات عديدة للشيخ القرضاوي لزيارة ماليزيا في عهود رؤوساء الوزراء الذين تعاقبوا على الحكم فيها، خلال العقود الثلاثة الماضية: د. مهاتير محمد، عبد الله أحمد بدوي، محمد نجيب عبد الرزاق، ولكنه اعتذر عن الزيارة في ظلِّ بقاء المعارض السياسي الشهير د. أنور إبراهيم في السجن. (كما حكاها تفصيلًا الصديق الصحفي محمد صبرة رفيق الشيخ آنذاك في رحلته).



الشيخ مراعيًا من حوله

الشيخ مراعيًا من حوله

يعرف كل من يقترب من الشيخ كم هو ودود، يهتم بتلاميذه، ومن يعملون حوله: يتفقدهم، ويتابعهم، ويمازحهم، ويشاركهم مناسباتهم من أفراح وأتراح، بكثير من الأبوة والحرص، وبلمسات قرضاوية لا تخطئها العين:

- ماتت أم سهيل زوجي عليها رحمات الله ورضوانه فواساني بطريقته الخاصة: جاء إلى المقابر فصلى على قبرها صلاة الجنازة، ثم أكرمني وزارني في بيتي مواسيًا، ثم في اليوم الثاني صلى عليها الجنازة بعد صلاة الجمعة، ووراءه الألوف في جامع عمر بن الخطاب!
- وكم من مرة يسأل عني، ويسألني عن كتبي ومشروعاتي – حتى التي أتكاسل في إنجازها – وكم قربني، وطلب أن أجلس بجانبه، كما دعاني للسفر معه – في أسفاره الدعوية – غير مرة، واتصل بي، بل إنه بحث عني يوم مات أبي وشيخي العلامة عبد العظيم الديب – وكنت وقتها في إسبانيا – فاتصل بي هناك لأعرف منه بالأمر! وكان آخر اتصال منه – متع الله به – ليلة أول رمضان الفائت، ليهنئني بالشهر الكريم!
- ومن عنايته بأصحابه ما حدثني به فضيلة الشيخ إسماعيل الكيلاني الكاتب والباحث والداعية المعروف أنه حين أغلقت مجلة الأمة سنة 1986، تم إنهاء عقود كل العاملين بها، وكان عليهم المغادرة خلال شهر واحد.

ولمعرفته بقيمة مدير التحرير الأستاذ عمر عبيد حسنة، والمحرر الأول الشيخ إسماعيل، دعاهما، وبادرهما مطمئنًا، ووعدهما أن يرتب لهما أمر البقاء والعمل، قائلًا: لا تحملا همًّا؛ فستبقيان في قطر، ولن تخرجا، فشكراه، وقالا إن مشكلتهما قد حلت، وإنهما باقيان – بعد أن سعى في ذلك آخرون – ثم قال له الأستاذ عمر: ولكن نريد منك أمرًا آخر؛ فإن الدكتور عدنان زرزور قد أُنهي عقده مع جامعة العين بالإمارات؛ ولا مخرج له، فلعلك تستدعيه للعمل بجامعة قطر، فطلب مباشرة وكيل الكلية الدكتور محمد عبد الستار نصار، وطلب منه القيام بذلك!

ولم يمض وقت طويل حتى كان الدكتور عدنان أستاذًا في رحاب جامعة قطر!

- **وقال الأخ د. محمد الصغير: في بداية التحاقي بالأزهر الشريف، وكنا نسكن في المدينة الجامعية بالقاهرة، وعامة الطلاب يومئذٍ ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ولكن لفت نظري مجموعة من زملائي – على غير المعروف ولا المألوف – تظهر عليهم شبهة غنى أو أثارة من ثراء! سألت عنهم فكانت الإجابة: هؤلاء أبناء القرضاوي.**

قلت: كيف يكونون أبناءه وهم كثر؟ فقالوا: هؤلاء من راسلوا الشيخ، وعلم بحاجتهم، فكفلهم. وقال لي أحدهم: إن مولانا الإمام يرسل له مئتي جنيه شهريًّا. وكانت نفقات الإقامة والإعاشة كاملة بالمدينة الجامعية وقتئذ، أقل من أربعين جنيهًا.

- **وكتب الأستاذ إسماعيل إبراهيم – أحد تلاميذ الشيخ والعاملين بمكتبه – جملة مواقف من هذا الباب: أما إذا اتصل بك الشيخ لحاجة، فإنه لا يذكرها حتى يسلم عليك، ويطمئن على أهلك وعيالك، قبل أن يبادر بحاجاته.**

**** وإذا مرض أحد العاملين في مكتبه، أو أحد تلاميذه، اتصل به وسأل عنه، وتابع حالته حتى يشفى، فإن دخل المريض المستشفى ذهب إليه وعاده، وقد حدث هذا مع أحد زملائنا في المكتب، ويحدث مع كثير من معارف الشيخ وتلاميذه.**

**** ويشارك الشيخ من حوله أفراحهم: دعاه الشيخ محمد مرسي، وهو من زملائنا في المكتب، لعقد قران ابنته، ولانشغال الشيخ محمد والد العروس بتجهيزات العرس، لم يستطع أن يبلغ الشيخ بنفسه، وأبلغه عن طريق مدير المكتب، فاستجاب الشيخ حفظه الله، وذهب إلى العرس، وعقد عقد الزواج بنفسه، وجلس معهم جلسة شائقة.**

**** وإذا قدر لك أن تصحب الشيخ في أحد أسفاره، فستشعر كأن الشيخ مكلف بالاهتمام بك، وليس العكس، فهو لا يأكل حتى تأكل، وإذا فرغ قبلك انتظرك، ويشير عليك بأن تأخذ من كذا وتأخذ من كذا، وإن غبت عن نظره نادى عليك، فينادي عليك كل من حوله، ويغبطك الناس**

على القرب منه. وكلما سافرت معه من بلد إلى بلد، قال وهو يودعني بعد الوصول: سامحني إن كنت أغضبتك، أو أسأت لك. ووالله ما فعل.

** وكنت معه مرة في المدينة المنورة، وفي الروضة الشريفة طلب مني أن أدعو له، وكان هو يدعو لي ولكل من يعرفه، من أهل وأصدقاء وتلاميذ وجيران، وخدم وسائقين، مَن مات ومنهم ومن هو حي!

** وسافرت معه مرة إلى ندوة البركة، وذهبنا إلى العمرة، وفي الفندق بعد أن أدينا مناسك العمرة، قال لي: انزل وطف بالبيت. فقلت: سوف أبقى معك وسأطوف فيما بعد. فقال: انزل وطف، أنت ما تزال شابًّا، استمتع بالطواف والنظر إلى البيت.

** وطلبت مني زوجتي أن تسلم على الشيخ، فأخبرته بذلك طالبًا موعدًا، فأجاب مرحبًا ومستبشرًا: في أي وقت. ولما أتيتُه، دخلنا المكتب، فأصر ألا يستقبلنا إلا في المجلس، إكراما لي ولزوجتي. ولمعرفتي بكثرة مشاغله، كلما أردت أن أستأذن، رفض وقال: اجلس. وقال لزوجتي: إذا حدث لك أي شيء كلميني مباشرة، فأنا في منزلة والدك. وفرحت زوجتي بذلك بالطبع أيما فرح.

وعن متابعته من حوله كتب لي الأخ الدكتور أكرم كساب: انسكب على وجه ابنتي الصغرى ذات مرة كوب شاي ساخن، وعلم الشيخ بذلك من أحد الإخوة، فتواصل وسأل، وقال لي: لماذا لم تخبرني؟ لماذا لم تتصل بي؟

فقلت كان الوقت متأخرًا، ولم أشأ أن أزعجك!

قال: بل أزعج ولا شيء في ذلك، وظل متواصلًا وسائلًا حتى أتم الله شفاءها!

** وكنت في زيارة للدكتور محمد عبد المقصود ذات مرة، فقال لي: أود زيارة الشيخ القرضاوي، فحدثت الشيخ وحدد موعدًا، فلما كانت الزيارة رأيت الشيخ محمد عبد المقصود يحاول تقبيل يد الشيخ، والشيخ يمتنع، وفضيلة الشيخ محمد عبد المقصود لا يناديه إلا بفضيلة الإمام، ويكثر منها! فلما هممنا بالخروج خرج الشيخ مع الشيخ عبد المقصود إلى باب المكتب الخارجي، وهذا لا يفعله إلا مع الكبار!

وحدثت الدكتور محمد عبد المقصود بذلك فقال: لي بل قبلت يد الشيخ، ثم أتبعها بقوله: الشيخ القرضاوي إمام من أئمة أهل السنة في عصرنا هذا.

- ولما جاء الشيخ الحويني إلى قطر، ودخل المستشفى، وعلم الشيخ بذلك فقام مشكورًا بزيارة الشيخ الحويني، وقد كان للشيخ الحويني بعدُ نقد لاذع للشيخ يوسف في مسائل فرعية، الخلاف جائز فيها، فلم يمنع هذا الشيخ يوسف أن يزور الشيخ الحويني!

  فقلت في نفسي: يبقى الكبير كبيرًا بعلمه وخلقه!

- وكنت مع الشيخ مرة في أدائه للعمرة، وطلب مني إحضار كرسيين يطوف وزوجته (أم محمد) رحمها الله رحمة واسعة، فأتيت بواحد يدفع كرسي الحاجة (أم محمد) في الطواف، فقال الشيخ: وأين من يرافقني؟

قلت: أنا، لأستفيد أثناء الطواف! وقد كان والحمد لله، لكن العجيب أنني طلبت منه أن يدعو لي فقال: يا شيخ أكرم، أنا لا أنسى أحدًا عمل معي مطلقًا في طوافي، فأنا دعوت للأخ فلان والأخ فلان، والأخت فلانة، وذكر لي من كانوا يعملون من سنوات معه، وبعضهم قد ترك العمل.

- وقد عمل مع الشيخ العديد من السائقين، والجامع لهم جميعًا أن الشيخ لا يحضر دعوة إلا وهو يسأل: هل أكل السائق أم لا! ولا يطمئن الشيخ حتى يتأكد أن طعامًا قدم له، ولا أحسب أن أحدًا يصنع في هذا الباب مثل ما يصنع الشيخ!
- وكان للشيخ درس للتفسير في مسجد الشيوخ، وفي إحدى المرات جاء شاب مصري يحمل ظرفًا به أوراق أبيه وأمه اللذين جاءا يزورانه، ويريد لهما تأشيرة الحج!

ويبدو من مظهر الشاب أنه ليس في وظيفة مرموقة، ولم يكن لي به سابق معرفة، فأخذت الورق وقلت: لعل الله يجعل له فرجًا، وحدثت الشيخ بالأمر، فقال لي هل تعرفه؟ قلت له: لا، قال: لا

بأس، فكتب كتابًا للسفير السعودي، وأخذ هذا الأخ التأشيرة، واتصل بي شاكرًا الشيخ، فأخبرت الشيخ فحمد الله وقال: أخبره أن يطلب من أبيه وأمه أن يدعوا لي!

- **وذات مرة أنهت وزارة الأوقاف القطرية عقود عدد من الدعاة، وكان منهم أحد الإخوة الكرام، فطلب أخونا وساطة الشيخ، فلما خبرته قال: اطلب لي الوزير، فلما هاتفه، شفع لأخينا محمد القصاص، وكان مما قال:**

إن هذا الإمام أعرفه منذ سنوات طويلة، وهو طالب علم، سلفي التوجه، وداعية موفق، حريص على دعوته، دمث الخلق، فلا يجوز أن نكافئه على نشاطه ودعوته بمثل هذا!

وقد وافق الوزير على عودة الأخ الكريم. ولما أخبرته بحدث الشيخ عنه قال: هذا عهدنا بالشيخ؛ فهو لا يفرق بين الدعاة بسبب توجههم أو انتمائهم.

- **ويقول أ.د. جاسر عودة: والشيخ يسهم في رفع همتي كلما سألني كعادته: "كيف حالك يا دكتور وكيف حال الهمة؟"، وهو سؤال يلمس وترًا عندي خاصة منذ أن طلب مني الشيخ مؤخرًا أن أكون مستعدًا لحمل الراية – على حد تعبيره.**

فمن باب الهمة التي أوصانا الشيخ بمراعاتها وتنميتها، ومن باب اتساع الأفق وإعمال العقل الذي أوصانا الشيخ به حين طلب مرارًا وتكرارًا ألا نقلده في التفاصيل ولكن نتبعه في المنهج، وأن نملك القدرة والشجاعة الأدبية على نقده هو إذا رأينا ما يستدعيه – من هذا الباب سمحت لنفسي في بعض ما كتبت عن الشيخ ببعض الملاحظات النقدية، ذلك أن حكمة الله عز وجل، وطبيعة هذا الدين المتين، ومكانة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم –كل هذا يقتضى أن يؤخذ من كلام كل أحد ويردّ، إلا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. وعليه، فكل إمام كان له من الآراء ما لم يقبله تلامذته، رغم أنهم قد أخذوا العلم عنه، وتفتحت عيونهم على الحقائق الكبرى من كلامه، وشبّوا عن الطوق في حلقاته.

- وكتب الأستاذ أحمد النسناس؛ من مكتب الشيخ: أذكر أنه اتصل بي ثاني أيام إجازة عيد الفطر الأستاذ بلال وهب المسؤول عن موقع الشيخ الإلكتروني، لأنه يريد أن يأخذ تسجيلات درس التراويح للشيخ، فواعدته أن نذهب بعد صلاة الظهر مباشرة، وذهبنا إلى المكتب، فاندهشت أن وجدت الشيخ كعادته أمامه بعض الكتب المفتوحة التي يطالعها، ممسكًا ببعض الأوراق يكتب فيها، فدخلنا وسلمنا على الشيخ، وأخبرناه بالغرض الذي جئنا من أجله، ثم انتقلت أنا وبلال إلى مكتبي لأنقل له التسجيلات التي يريدها، وما هي إلا دقائق إلا وجدنا الشيخ ينادي، وإذا به على باب حجرة مكتبي قد جاءنا بنفسه بكوبين من البرتقال المثلج!
- وروى الأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة الرسالة:

وقد حصل يومًا بيني وبين فضيلته خلاف عارض، فما كان منه إلا أن أرسل إليَّ يقول: (إن العلاقة التي بيننا عمرها ثلاثون عامًا، ولا أستبدل بها مال قارون. وإن الكتب التي تطبع ليست كتب أخيك، وإنما هي كتبك، فاطبعها كيف تشاء؛ ولو بدون حقوق). هذا ما جاء في رسالته، أدوِّنه من الفكر، إذ ليس أمامي ما أنقل منه؛ لأن أوراقي بعيدة عني.

ولكن مثل هذه الكلمات من عالم كالشيخ القرضاوي لا تنسى، بل تحفر في القلب، وإن كتبت فتكتب بماء الذهب؛ فهي شهادة أمام الله لقائلها وللمقولة له، تنفعه يوم القيامة – بإذن الله – لما لها من معان سامية، جاءت عفوية من أخٍ كريم.

- وقد كنت أشترك في نشر بعض مؤلفاته مع ناشر آخر – وهو أخ فاضل – فكنت إذا اشتكيت في بعض الأحيان إلى فضيلته من أثر المزاحمة في التوزيع، يقول يا أبا مروان: اترك الباب مشرعًا للبركة، ففيها الخير كله. وقد كان هذا مما اعتدت عليه من جميل خلقه، ولطيف شمائله.
- ومن مكتب الشيخ أيضًا، كتب الدكتور فتحي أبو الورد أطرافًا من عنايته تلك:
- حين أزوره في بيته يقابلني بالبشر والابتسامة، كعادته مع كل ضيفانه، ويصر أن أتناول شيئًا من التحية المعدة سلفًا للضيفان، والتي لا يخلو منها مجلسه، قبل الحديث في أي شيء، ويذكرني صنيعه ذاك بصنيع الإمام الشافعي مع أحد ضيفانه وهو يقوم على خدمته، ويقول لضيفه مؤنسًا

وملاطفًا ومخففًا عنه: لا يروعنك ما ترى مني؛ فإنما خدمة الضيف واجبة.

- في إحدى زياراته للقاهرة، زارنا محاضرًا للدارسين بمشروع علماء المستقبل عن موضوع الفتاوى الشاذة، بإحدى قاعات جمعية رابعة العدوية؛ حيث مقر المحاضرات.

وأذكر إننا قدمنا لفضيلته يومها مشروبًا من عصير المانجو، وحين هم أن يشرب سأل عن مرافقه الذي كان يقود له السيارة لكي يطمئن عليه، ولم يشرب حتى اطمأن أنه يشرب مما يشرب، وقليل هم من يلتفتون إلى مثل هذه الأمور البسيطة في ظاهرها، العميقة في جوهرها، ذات دلالة نفسية عظيمة في نفوس من يعرفون ذلك، وهي بلا ريب مشاهد تفصح عن إنسانية الشيخ الذي يهتم بمرافقه ويعتني به، ويظهر ذلك عمليًّا من خلال تصرفاته.

- وحضرت مع فضيلته في بيته بمصر حين زاره رئيس وأعضاء مجلس إدارة صحيفة الأهرام وهيئة تحريرها للاعتذار عن مقال الأستاذ عبد الناصر سلامة رئيس التحرير، الذي أساء فيه إلى الشيخ القرضاوي والدكتور البرادعي، وقبل الشيخ القرضاوي اعتذارهم، ولكنه مشترطًا الاعتذار للدكتور محمد البرادعي، وإن اختلف معه في الرأي والفكر، معللًا ذلك بأن الأخلاق لا تتجزأ.

- وكانت عندي محاضرة بإحدى الكليات في وقت متأخر، ونظرًا لبعد مكان إقامتي نسبيًّا عن مكان العمل، فقد فضلت أن أبقى في المكتب بعد انتهاء وقت الدوام، حتى يقترب الموعد وأنزل مباشرة إلى حيث قاعة المحاضرة، وصليت المغرب مع فضيلته جماعة في المصلى في الطابق العلوي بمنزله، وعلم أنني سأمكث قليلًا حتى يحين موعد المحاضرة، ثم سلمت عليه، وطلبت له المصعد لكي ينزل إلى مكتبه في الطابق الأرضي، واستكملت أنا مراجعة محاضرتي، ولكني فوجئت بصعود الشيخ مرة أخرى، وبيده علبة من التمر، متجها إلى حيث أجلس، فهرعت إليه حتى يتوقف، وهو يقول: كل من هذا التمر حتى تستطيع أن تلقي محاضرتك، إلى أن تعود إلى البيت.

- وإذا علم بمرض أحد العاملين معه، أو أحد من أهل بيته سواء كان ابنًا أو زوجة أو أمًّا، يطمئن عليه ويسأل عنه، ويدعو للمريض، وإذا مات أحد أقارب أبنائه العاملين معه يصلي عليه

صلاة الغائب، بل كان يصلي صلاة الغائب على موتى المسلمين جميعًا من آن إلى آخر.

- وكتب الأستاذ محمد ثابت متحدثًا عن إنسانية القرضاوي:

أما عن معرفتي الشخصية بالشيخ فقليلة، وإن كانت دالة، روى لي صديقي الدكتور نبيل فولي، الأستاذ بالجامعة الإسلامية بباكستان، أنه التقى الشيخ للمرة الأولى، فسأل كل الأساتذة عن أسمائهم وأسماء أبنائهم بمن فيهم هو، وأخبرهم أن السبب أنه يسير على خطا الراحل الإمام حسن البنا – رحمه الله – في حفظ أسماء الناس الذين يلتقي بهم!

وفي الزيارة التالية، بعد عامين، سأل كل واحد منهم عن اسمه واسم أهله، كأنه ألتقى بهم منذ ثوانٍ، لا منذ عامين!

- وكتب الدكتور فريد شكري (الشيخ القرضاوي: علم وقلم):

ذات ليلة من ليالي رمضان، وأنا أتابع الدروس الرمضانية التي تلقى أمام الملك الراحل الحسن الثاني، إذا بي أفاجأ برؤية شيخ أزهري يشبه الشيخ القرضاوي. قلت: يشبهه؛ لأنني استبعدت وجود الشيخ في ذلك المقام الرسمي، وقلت صائحًا مستغربًا، بل مستنكرًا: أخشى أن يكون القرضاوي؛ نظرًا لرصيده العلمي والدعوي، الذي لا يجعل له مكانًا هناك!

ولما تحققت من الأمر قمت باكرًا في الصباح الموالي أبحث عنه في الفنادق الفخمة بالرباط، أسأل عن العلماء ضيوف الملك. ووجدت الفندق، وبعد معرفتي برقم الغرفة هاتفته من البهو، فإذا بصوت جهوري يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فاستأذنته في اللقاء به، ولو لخمس دقائق.

فأجاب معتذرًا باللهجة المصرية: أنا مشغول، (طب) اطلع. وطلبت من قريب لي كان يرافقني: أن ينتظرني لخمس دقائق. طال اللقاء مع الشيخ، وطاب ساعتين، وكأنهما دقيقتان.

فلمَّا نزلت لم أجد قريبي، ولكني وجدت نفسي!

فتح لي الشيخ باب الغرفة وهو بدون عمامته وجبته الأزهرية، فلم أعرفه بادئ الأمر، فظننت أنني

أخطأت الغرفة. ثم جلست إليه مرحبًا، ومعبِّرًا له عن فرحتنا بقدومه، ومثنيًا على كتاباته ومؤلفاته التي تمثِّل لنا مصدر تأطير وتأثير وتغيير!

وصادف قدومَه فتوى لأحد الدعاة المغاربة بضرورة توحيد الصيام، ما أثار لغطًا وتشويشًا في صفوفنا نحن أبناء الصحوة الإسلامية، فعرضت الأمر على شيخي، فأصَّل وفصَّل وَفق فقه الواقع وواقع الفقه: شرعية الصيام المحلي وواقعيته.

وجرَّنا الكلام إلى قضايا فكرية وفقهية متشعبة، وقبل أن أقوم لأنصرف، أخبرني برغبته في إهداء كتبه ومؤلفاته للملك، لما سمع عن ذكائه وثقافته. وأبدى أسفه على عدم تمكنه من تحقيق ذلك؛ لأنه لم يحضرها معه. فأشرت عليه أن يأخذها من مكتبة الأستاذ بنكيران، الذي كان معه على موعد للتسوق والتجول في الرباط، فاستحسن الرأي، وكذلك فعل.

وفي اليوم الذي سيُلقي فيه الدرس ليلًا زرته عصرًا، فأخبرني بأنه مشغول بتهيىء الدرس، ورغم ذلك جلس معي حوالي ساعة.

وانتظرت الدرس بكل ترقب كما انتظره المغاربة كلهم: أعضاء الصحوة وأعداؤها، نظرًا لطبيعة المخاطِب وطبيعة المخاطَب. وكان الدرس قنبلة وصل صداها إلى الخارج، نظرًا لجرأة الشيخ ومراجعته للملك! ومرة أخرى – يكمل د. فريد شكري – وكم كانت مفاجأتي كبيرة حين نزلت من المحطة باكرًا لأقرأ لافتة في الشارع الرئيسي للمدينة، تعلن عن محاضرة يلقيها الشيخ يوسف القرضاوي في ذلك الملتقى. كان ذلك في 1988م، بعد أربع سنوات من اللقاء الأول، وقد حصلت على الإجازة من شعبة الدراسات الإسلامية، وكنت الأول على دفعتي؛ اقتداءً بشيخي.

عندما زارنا الشيخ في الملتقى استقبل بحفاوة كبيرة جدًّا، ووجدت صعوبة في اقتحام الزحام للسلام عليه، إلا أنه فاجأني بأن نادى عليَّ بالاسم، طالبًا أن يُفسح لي الطريق، وكم فرحت بهذا النداء؛ لأنه لم ينسَ اسمي؛ رغم مئات الأسماء التي يلتقي بها في عشرات البلدان التي يزورها.

وأرسلت مرة رسالة إلى شيخي ليرسل لي كتبه، ففوجئت بعد مدة قليلة بعلبة كبيرة من كتبه بإهدائه، مع رسالة رقيقة منه عليها طابع جامعة قطر. وبعد ذلك توالى إرساله لكتبه – دون طلب مني – مع كل مَن يلقاه ممن يعرفني من المغاربة أو غيرهم هدية وتحية. وكان كل ذلك يزيدني افتخارًا واعتزازًا.

- وكتب الدكتور منذر قحف: نعود إلى العام 1976م حيث استقر في مخيلتي منظر فضيلة الشيخ وهو يؤمنا في صلاة الجنازة على ولدي بلال الذي افتقدناه بعمر ست سنوات في الأول من شهر حزيران/يونيو، تمامًا في اليوم التالي لنهاية مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين الذي حاضر فيه فضيلة الشيخ، وحاضرت فيه أيضًا المرحومة زينب الغزالي! بعد الصلاة التفت ليدعو لي ولزوجتي ولأولادنا الآخرين، ويطمئننا أن سيكون بإذن الله فرطًا لنا ينادينا بصوت بلال المؤذن على حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة. وكان ممن شارك في تلك الصلاة المرحوم الشيخ عمر التلمساني، والمرحوم الشيخ صالح أبو رقيّق.

ثم جمعنا الزمن في منزل أحد الكرام في جدة في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وسأله أحد المحاضرين عن مسألة في الزكاة. فقال: لم لا تسأل الدكتور منذر، فقد صار أعلم مني في الزكاة بعد أن درس الكتاب وترجمه؟

ومن أين للتلميذ أن يتجرأ على الفتوى، أو أن يقدر عليها مع وجود أستاذه. فهل يفتى ومالك في المدينة؟ وهل يفتى في الزكاة والشيخ يوسف في المجلس؟

- وكتب الدكتور خالد حنفي:

في صيف عام 1997م تقريبًا كان لقائي الأول المباشر مع شيخنا العلامة القرضاوي حفظه الله تعالى وسلمه، وكنت وقتها معيدًا بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة – جامعة الأزهر، وكنا مجموعة من هيئة التدريس بالجامعة الأزهرية ذهبنا فرحين متهللين بلقاء الشيخ في منزله، نحمل همًّا وسؤالًا واضحًا هو: من يخلف القرضاوي؟ وكيف السبيل لإيجاد فقهاء وعلماء في وزن القرضاوي؟

استقبلنا الشيخ بنفسه، ورحب بنا ترحيبًا حارًّا، وحرص على تقديم واجب الضيافة بنفسه، وتعرف

علينا وهو يسأل ويحاور، وكلما انضم إلينا زائر جديد طلب منه أن يعرف بنفسه، واطمأن إلى أن واجب الضيافة قد وصله.

وقد حضر ثلاثة من المدرسين في كلية الدعوة جامعة الأزهر، وعندما ذكر أحدهم أنه مدرس بكلية الدعوة، قال الشيخ: أنا لدى تحفظ على وجود كلية الدعوة، إنها تعطيك منهج دراسة السيرة ثم لا تعلمك ما هي السيرة، وكذلك بقية المواد الشرعية، وأخذ يشرح وجهة نظره النقدية المعارضة لكلية الدعوة، وانحرافها عن القصد الذي أسست لأجله.

ثم دار الحديث حول ضعف الأزهر، وهبوط مستوى أساتذته وطلابه، فقال: إن الأزهر جزء من التعليم في مصر، وإذا ضعف التعليم العام فلا بد أن ينتقل هذا الضعف إلى الأزهر، ثم قال: أنا لا أؤمن بمبالغة الناس في مسألة المؤامرة، وتفسير كل حدث في ضوئها، لكني سأقص عليكم واقعة حدثت معي:

اتصل بي سمو أمير قطر ليلة الجمعة وقال لي: هناك ضيف عزيز من مصر يزورنا غدًا، وفضيلتك مدعو على الغداء معه، فقلت له: أنا مرتبط بخطبة الجمعة ولا أعتذر عنها – إلا لسفر أو مرض – لأن التلفاز ينقلها، والناس تقصدها.

فقال الأمير: إن اللقاء فيه خير للناس، ثم إنك لم تسأل عن الضيف من هو؟

واستمر الحوار حتى قال سمو الأمير: الضيف هو الدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس المصري حسني مبارك، واللقاء فيه خير. فوافقت على اللقاء.

استقبلني أسامة الباز بحفاوة وقال لي: إن جدي كان من شيوخ الأزهر.

ثم قال القرضاوي: نعم! لكن قد ضعف الأزهر منذ أن تدخلت الدولة في ميزانيته وشؤونه، وصادرت أوقافه. وإضعاف الأزهر يسيء لسمعة مصر العالمية، فما رأيكم لو أعدتم لنا أوقاف الأزهر، وتركتم العلماء يصححون عقيدة الناس وأخلاقهم، ويعيدون للأزهر مكانته ومتانته، وسنكف عن التدخل فيما يتصل بشؤوون الدولة بصورة مباشرة!؟

ودار نقاش طويل حول الفكرة! وقال الباز: فكرة مقبولة، وأعدك بطرحها على القيادة السياسية، ومع أول نزول لك إلى مصر سنلتقي، وأخبرك بما تم.

ودارت الأيام والشهور حتى قابل القرضاوي الباز في مطار القاهرة، فداعبه قائلًا: أنا أتابعك في الجزيرة يا مولانا، ومصر كلها تتابعك، ونتمنى نشوفك في التلفزيون المصري!

فضحك القرضاوي قائلًا: لما انت تقول كده، ماذا أقول أنا؟ وهل طلبني التلفزيون المصري؟! ثم إنه كان بيننا حديث قديم يبدو أنك نسيته.

قال الباز: كلا والله، لقد تحدثت فيه مع القيادة السياسية كما اتفقنا؛ لكن يا مولانا: الأمر أكبر مني، وأكبر ممن هو أكبر مني.

ثم قال الشيخ: عليكم أن تعتمدوا على أنفسكم في البناء الشرعي والتكوين العلمي، وليس شرطًا أن يكون الواحد فيكم كالقرضاوي؛ ليكن نصفه أو ربعه، والآخر يكمل، افعل ما تستطيع واترك القدر يفعل ما لا تستطيع، أنا القدر يسر لي الجزيرة وقطر، غيري لم يتيسر له هذا.

لا بد لنجاح الداعية من الفطرة الموهوبة والدربة المكسوبة: أن تكون موهوبًا من الأصل ثم تنمى الموهبة بالدربة والتعليم.

ثم حثنا الشيخ على طلب العلم بهمة عالية والتحرك في الدعوة إلى الله بصدق وتجرد، وعمل دائب ودائم، فقال:

حدثنا إخوة من السودان قالوا: بعد خروج الاستعمار من السودان ذهبنا بسيارة إلى قرية من القرى الفقيرة جدًّا؛ حتى إنهم ما رأوا سيارة في حياتهم، وعندما شاهدونا خافونا، وأغلقوا أبواب بيوتهم عليهم. فذهبنا إليهم وشرحنا لهم أننا ما جئنا إلا لمصلحتهم، وسألناهم عن مشاكلهم حتى سمعنا جرسًا! فقلنا: ما هذا؟ جرس مدرسة أم كنيسة أم إذاعة؟ قالوا: لا شيء؛ إنه جرس الخواجة!

قلنا: من الخواجة؟

قالوا: هذا رجل طيب يأتينا كل أسبوع، في ساعة محددة بواسطة موتوسيكل (دراجة بخارية قديمة) ومعه حقيبتان: الأولى فيها أدوية بسيطة نحتاجها دائمًا، كحبوب الصداع، ومرهم العين، والحقيبة الأخرى فيها حلويات يفرح بها الاطفال، يوزع الأدوية والحلويات على الناس، ثم يحدثنا بحديث لا نفهم منه شيئًا، وينصرف! ونحن ننتظره من أسبوع لأسبوع؛ بشغف ولهف!

قلنا: انطلقوا بنا إليه، فإذا به مبشر مسيحي جاء من بروكسل! فسألوه: متى آخر مرة زرت فيها بلدك؟

قال: منذ 17 سنة!

- ومتى تعود إليها؟
- لن أعود؛ إن وطنى هنا، وحياتي هنا، وقبري هنا!

وانطلق لقرية أخرى وقال إنني أقوم بزيارة 40 قرية في الأسبوع.

ثم علق الشيخ بقوله: ابن حزم يقول: تالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلًا يسع هذا الجنون!

ورغم ذلك فإن هذا المنصر يترك الحضارة في بروكسل، ويأتي إلى الفقر والجهل ليبشر بالمسيحية، ويبتكر الأسلوب المناسب لهم، ويمر على 40 قرية في الأسبوع!

فماذا قدمنا نحن أصحاب الرسالة الخاتمة؟!

- وكتب الأخ الدكتور وصفي عاشور أبو زيد:

كان الشيخ – ولا يزال حتى كتابة هذه السطور – دائمًا يتفقدنا، فإذا اتصلنا به أو اتصل بنا يسأل عن الأحوال، وعن الأهل والأولاد، وعن ظروف المعيشة!

وإن أفضل ما يمكن أن تسمعه من الشيخ عبر الهاتف هو دعاؤه الصادق الخاشع الذي نستبشر به، ويكون زادًا لنا وتعزية وسلوى.

إذا تلقاك من بعيد شعرت بشوقه إليك وإقباله عليك، وحين سافرت إلى تركيا نهايات عام 2013م، وقابلته هناك أقبل عليَّ؛ متلهفًا لهفة الوالد على ولده، وفتح ذراعيه، واحتضنني بمشاعر

الأبوة الفياضة، وسأل عن كل شيء يتعلق بي، وهي مشاعر تزيد من الانتماء للشيخ بما هو إنسان والد، وتشعرك بالوفاء، وهو ما يفتقده عالم الإنسان اليوم إلا من رحم الله.

ظللت أقرأ كتب شيخنا وأبحث عنها وأقتنيها؛ حتى جاء صيف عام 1999م؛ حيث كنت في بداية مرحلة الماجستير، وقررت أن أزوره مهما كانت الطريقة؛ رغم أنه ليس معي أي طريقة تواصل: لا هاتف، ولا عنوان منزل، ولا أي شيء.

فاهتديت إلى الاتصال بدليل الهاتف في القاهرة لأسأل عن رقم هاتف ليوسف عبد الله القرضاوي، وبالفعل حصلت على رقم من الدليل! ثم اتصلت بالرقم، فرد علي رجل وقال "النمرة غلط"، فقلت له: "طيب هل تعرف الدكتور يوسف القرضاوي؟" فقال: "نعم"، فقلت: "هل معك تليفونه"، فقال: "نعم"، فأعطانيه، وفرحت به أيما فرح، فقلت له: هل تعرف عنوان منزله، فقال نعم! وأعطاني إياه كذلك، ثم اتصلت بالرقم فإذا هو "مرفوع من الخدمة"، فقلت ليس هناك حل سوى الذهاب إلى بيته، وذهبت حسب العنوان الذي أخذته قبلًا إلى بيت الشيخ وقت الظهيرة في شهر أغسطس 1999م، وهو قلب فصل الصيف، ثم دخلت بوابة البيت الواقع في حي مدينة نصر بالقاهرة، وسألت عن الشيخ، فقيل لي إنه نائم، ثم قابلت ساعيَ بريدٍ على باب البيت، ولمحتْ عيناي رقم هاتف على ظرف من الأظرف التي كانت مع ساعي البريد، فوقع في نفسي أنه رقم هاتف البيت، وفي لمح البصر حفظت ذاكرتي الرقم، وانتحيت جانبًا وكتبته، ثم انصرفت.

اتصلت في وقت لاحق ففوجئت بأن الشيخ نفسه هو الذي يرد، فعرَّفتُه بنفسي، وأبديت له رغبتي في زيارته لأعرض عليه موضوع رسالتي للماجستير، والواقع أنني كنت أريد أن أشبع رغبة قديمة وملحة هي رؤية الشيخ، والجلوس بين يديه، والحديث معه، فتذرَّعت بموضوع الماجستير!

فقال اتصل بي في وقت ما، لا أتذكره الآن، فاتصلت به فوجدته نائمًا، فذهبت إلى البيت مرة أخرى فلم أجده، وقيل لي إنه خرج للقاء الفنانين المهتدين يثبتهم ويذكِّرهم؛ علمًا بأن بين إقامتي وبين بيت الشيخ ما يستغرق ثلاث ساعات بين المواصلات والحافلات المختلفة، وكنت أقطع على قدمي مسافات طويلة؛ نظرًا لقلة وجود مال يبلغني!

ثم ذهبت إليه في مرة لاحقة في وقت الظهر أيضًا، وصممت أن ألقاه هذه المرة، فوجدت الحارس، وقلت له أريد أن ألقى الشيخ، فقال: هل هناك موعد؟ فقلت: لا، ولكنني لن أبرح مكاني حتى ألقاه، فذهب الحارس ورجع وقال: تفضل!

وصعدت إلى حيث يقيم الشيخ، وطرقت الباب فإذا الذي يفتح لي هو الشيخ نفسه!

خفق قلبي بشدة، وسلمت عليه سلامًا حارًّا، وقبَّلت رأسه، وأدخلني إلى حيث يجلس الضيوف، وجلست معه ما يقرب من ساعة، وكان يقدم الضيافة بنفسه؛ ما سبب لي حرجًا كبيرًا – علمت لاحقًا أنها عادته مع ضيوفه – وسألته عن بعض القضايا الأصولية والفقهية والدعوية.

سألته عن قول الصحابي مثلًا الذي رأى أنه ليس بحجة عند تحرير محل النزاع، وسألته عن القضايا الشرعية التي يجب أن يصرف الباحثون همتهم لبحثها والاشتغال بها، فذكر لي: الوصل بين الفقه والحديث، والموازنة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، والاهتمام بأنواع من الفقه، مثل: فقه السنن، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه المقاصد، وفقه المآلات، وغيرها من أنواع الفقه الحضاري.

وكان من الأسئلة التي وجهتها له في موضوع رسالتي للماجستير (نظرية الجبر في الفقه الإسلامي)، ففاجأني بجوابه حين قال: "لن أستطيع أن أجيبك قبل أن أبحث؛ لأنه سؤال يحتاج إلى بحث وتأمل"، وساعتها قلت في نفسي: إذا كان الشيخ – وهو من هو – لا يتسرع في الجواب على سؤال ما قبل أن يبحث ويتأمل، فماذا يفعل مثلي؟!

بعد أن سألته عما أريد التقطت معه صورًا تذكارية، وطلبت إليه في نهاية اللقاء أن ينصحني، فقال لي داعيًا، وكأنني أسمعها تتردد في أذني حتى الآن: "أسأل الله أن يشرح صدرك، وأن ينير بصيرتك، وأن ييسر لك الطريق".

كان قلبي يقفز من الخفقان والفرحة ساعتها، ووقع في نفسي أنه دعاء مستجاب، واستشعرت أن أبواب السماء مفتوحة لدعائه ورجائه، وخرجت من عنده طائر الفرح، وقلت في نفسي:

"لأجتهدن في فعل الصالحات إن شاء الله بما يحقق فيّ هذا الدعاء"! ثم زرته بعد ذلك مرات في بيته؛ منفردًا ومع آخرين([10]).

- وعن التلمذة في فكر القرضاوي كتب د. مسعود صبري:

والشيخ متابع جيد لما يكتبه تلامذته، يطلع على ما يكتبون وينشرون، ويقرأ عقول طلابه دون أن يخبرهم عن شيء من ذلك، ولا يظن كثير منهم أنه يتابع إنتاجهم العلمي، حتى لو لم يرسلوا إليه ذلك الإنتاج. والناظر لتلامذة الشيخ يجدهم يملؤون الدنيا، فمنهم رؤساء جامعات، وعمداء كليات، فهم في المعاهد الدينية، والكليات الشرعية، والمؤسسات العلمية والإعلامية، والمراكز البحثية، بل أضحى للشيخ تلاميذ في غالب التخصصات بما في ذلك السياسة والاقتصاد والإعلام وغير ذلك مما قد لا يظن أن لعالم شرعي تلاميذ فيه.

لقد أدرك الشيخ القرضاوي أن أكبر ما يمكن أن يقدمه العالم لمجتمعه تلاميذ يحملون المنهج والعلم في آنٍ واحد، وهو ما غاب عن كثير من العلماء في عصره، ولم يقف القرضاوي عند حد تلقين العلوم، فهو يلقنهم الأدب والسلوك قبل العلم، ويرون فيه الخشية القلبية، والحجة الشرعية، وكثيرا ما يكرر القرضاوي على طلابه ربط العلم بالعمل، وتزكية النفس، والتحرك في المجتمعات بالدعوة إلى الله تعالى، وأن تكون قصودهم خالصة لله تعالى دون النظر إلى متاع الدنيا .

ومن أجمل ما في القرضاوي مع تلامذته أنه يكره أن يذوب أحدهم في شخصيته، فهو حريص على استقلال كل منهم بشخصيته، فهو يكره التقليد، وليست التلمذة عنه أن يكون أحدهم إمعة له كما هو الحال في بعض الشيوخ في كل عصر، وهو مع كل هذا أب عطوف، متواضع مع تلامذته، فلا يعرِّف أحدا من طلابه نطقًا أو كتابة إلا بأنه أخ له في الله، فيقول حتى عن أصغر تلاميذه

([10]) حينما نشرت بعضا من هذه المحاولة في زيارة الشيخ على صفحتي على الفيسبوك يوم 20 نوفمبر، 2013م، أخبرني ثلاثة ممن قرؤوها أنهم بكوا عند قراءتها؛ لما رأوا هم فيها من "صدق" و"إخلاص" في طلب العلم و"تضحية" من أجله.. ووالله لم يكن في عقلي أو يدُرْ في خَلَدي إخلاص ولا صدق ولا تضحية، لكنني كتبت ما حدث وما جرى.. وهذا يشير إلى أن الإنسان يجب أن يكتب الكلمة النافعة: "ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة...". الآية، وسوف يتولاها الله ويفعل بها ما شاء من محو ومن إثبات: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب".

(أخونا فلان)، وعن طالباته وإن كانت في سن حفيداته (أختنا فلانة)، فهو مثال للمربي الجليل، والعالم الفقيه.

- **ويقول الدكتور محمد علي بلاعو:**

لعل الموقف الأبرز والأول الذي جمعني بالشيخ يوسف في أول لقاء بيننا في دورة المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث المنعقدة في تركيا، بعد اليوم الثاني أقبلت مسرعًا وسلمت على الشيخ، وعرف وقتها أني أكتب رسالة الماجستير في المقاصد بعنوان: الترجيح بالمقاصد وأثره في الفقه عند المالكية، فاهتم لأمر البحث، وأخذ يسألني عن أبوابه وفصوله، ثم قال لي بتواضعه وتحفيزه: إذا أكملت الكتابة فأفدنا بنسخة من البحث! فكانت تلكم الكلمات هي المحفز لي على الاستمرار فيه.

والعجيب أني التقيت بالشيخ، بعدها بأقل من سنة، فسألني عن البحث وأخبرني أنه ينتظر نسخته!

- **ويقول الدكتور صهيب عبد الغفار حسن:**

كنا في إحدى جلسات المجلس في فرنسا، وتأخر قدوم الشيخ، وكان من المتوقع أن يحضر في أي لحظة من اللحظات، والأعضاء جلوس على المقاعد، وأمامهم الطاولات حسب العادة المطَّردة في مثل هذه الاجتماعات. وكان بيدي بحث من البحوث كنت أقرؤه بكل اهتمام، وكأنني غرقت في المطالعة حتى لم أكد أشعر بما دار حولي من مداولات.

وإذا بالشيخ يدخل القاعة، فيقوم جميع الأعضاء مهللين مستبشرين، وأنا لم أشعر تمامًا بمدخله، وكان على الشيخ أن يمر من خلف المقاعد التي كنت أحد مرتاديها، فمرَّ من خلفي ووضع يديه على كتفي، فإذا بي أفيق من سهاد، وأقوم كعمود، ولا أجدُ عندي كلمات لأعتذر بها، والشيخ قد جاوز المقاعد، ووصل إلى مقعد الرئيس المعدِّ له في ناصيّةِ القاعة، وهذه شيمة العلماء الصارمين، رقة ولطافة وأدب واحترام متبادل. وأين من ذاك، غطرسة الرؤساء وكِبرهم واستعلاءهم؟

ويقول أ. محمد شنق – الجزائري – عن حفاوة الشيخ بتلاميذه؛ خصوصًا القادمين من الخارج:

أبى الشيخ إلا أن يستقبلنا فردًا فردًا؛ رغم صحة الشيخ و كبر سنه، وكثرة الوافدين إليه من الطلبة: منا من عانقه، ومنا من صافحه، ومنا من قبل رأسه، ومنا من قبل يده، ومنا من قبل كتفه، تجاوب مع جميع العادات والأعراف بالرضا، لا كعادة بعض من يلزمك بعرفه الخاص في التحية.

وذات مرة اقترحت علينا لجنة التنظيم صلاة التطوع الجماعي لمن أراد، فبادر الشيخ وطلب من اللجنة أن تعفينا من ذلك فنحن في سفر، ولا بد لنا من راحة تامة، كيف لا وهو من نظر لفقه الواقع، ودعا إليه، ورغب فيه.

وكان الشيخ دائم النصح لنا؛ ينصحنا بتقوى الله في السر والعلن، وطلب العلم والزيادة منه من المهد إلى اللحد، وألا نيأس ولا نمل، وأن نعيش هموم الأمة الإسلامية، نعيش آلامها وآمالها، وأن نرحم كبيرها ونوقر صغيرها، ونعرف لعالمها قدره، وأن نسير على منهج الوسطية والاعتدال، وأن نتواصل فيما بيننا كطلبة، فالعلم رحم بين أهله.

لطالما نبهنا الإمام يوسف القرضاوي وذكرنا أن هذه اللقاءات والملتقيات التي تعقدها رابطة تلاميذ القرضاوي، ليست لشخص القرضاوي، بل هي للمنهج الذي يحمله القرضاوي، كيف لا وهو من وصف الرابطة عند الإعلان عنها بأنها: رابطة إسلامية لا ترتبط بشخص القرضاوي؛ فالإسلام لا يقدس الأشخاص، فبهذا وغيره تجده غرس في نفوس طلابه ومريديه التعلق بالمنهج لا التعلق بالأشخاص، والابتعاد عن الوثنيات الشخصية، والصنميات الفردية التي طالما ضيعت الجماعات، وشتتت الكيانات.

لقد انتقل بنا الإمام يوسف من جو الفردية الضيق الخانق، الذي لا يدع فسحة للرأي، ولا حرية للتفكير، ولا نية للاعتراض إلى رحاب الجماعية الواسعة، والعمل المؤسساتي المنظم؛ فانبثق عن هذا مؤسسة علمية منهجية دعوية، اسمها رابطة تلاميذ القرضاوي، وأصبح لها أعضاء، ومجلس أمناء،

وأمين عام، ومن قبل مؤسسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومن قبل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وغيرها من المؤسسات.

- وقال فضيلة الشيخ فايز عبد الله النوبي سباق، عن اهتمام فضيلته بالجميع، وحنوه على الصغير والكبير:

أذكر وقتها ونحن جلوس كان أحد الإخوة – وهو الأخ غالب همت – كان معه ولده يوسف، وكان صغيرًا في السادسة أو السابعة من عمره، وإذا بفضيلة الشيخ يداعبه، ويمزح معه، ويطلب منه أن ينشد نشيدًا إسلاميًّا، والشيخ ينشد معه!

وذكر لنا فضيلة الشيخ المحلاوي، وقال ذلك في خطبة له في مسجد القائد إبراهيم، بعد عودته من زيارة لقطر، وكيف رأى فضيلة العلامة الكبير الدكتور يوسف القرضاوي مهتمًّا بأطفال في مكتبه يقرئهم القرآن الكريم، ويعلمهم، ويوجههم ويهتم بهم؛ رغم مشاغله الكثيرة في الإدارة والدعوة والتدريس والتأليف. ولا عجب فإن الاهتمام بالنشء و تربيتهم على تعاليم الإسلام ومبادئه من ألزم الواجبات.

ويقول فضيلة الشيخ فايز النوبي أيضًا: في إحدى محاضراته مدينة ميلانو – وكنت برفقته – التقى ببعض الإخوة القائمين على المراكز والمهتمين بالدعوة، وكان اللقاء بعد صلاة العشاء، فتحدث معنا حديثًا أبويًّا، دعانا فيه إلى الوحدة والتعاون، والعمل الجماعي، وبين أن الإنسان ضعيف بفرده أو بشخصه، قوي بجماعته، وبين أن في العمل الجماعي يتنازل الإنسان عن جزء من فرديته، وأن رأي الجماعة ينبغي أن يسود. فالجماعة عون على الطاعة، وقوة ضد المعصية.

ذكر فضيلته بعض الجمل والكلمات المأثورة منها: (طوبى لمن صحت له خطوة واحدة يستعين بها لإرادة وجه الله) وذكر بالإخلاص، وحذر من الرياء والسمعة قائلًا: (لا يقبل الله العمل المشترك والقلب المشترك) وقال: (إن الذين يجتمعون على الدنيا تفرقهم الدنيا، إذا تعارضت المصالح) ودعا إلى الصبر والثبات عند المحن. وقال:إنه من السهل أن تتحول المحنة إلى منحة، وأن القرآن الكريم

يوضح ذلك في مثل قوله تعالى: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا) وطلب فضيلته من الإخوة أن يتناصحوا فيما بينهم، وكان من ضمن ما قال: (مرحبًا بالأخ الناصح أبد الدهر! مرحبا بالناصح غدوًّا وعشيًّا) وذكر أن الإنسان الواعي يخشى على نفسه من النقص، ويحرص على الكمال، وإن شر الأدواء الغفلة، وطالب الإخوة بالتثبت والحذر عند التعامل مع بعض الناس؛ مذكرًا بقول الشاعر:

احذر عدوك مرة	واحذر صديقك ألف مرة
فربما انقلب الصديـ	ـق فكان أعلم بالمضرة

وقال أيضًا: (من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون) فاللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، واجعل خير أيأمنا يوم نلقاك؛ اللهم آمين!

- وعن عنايته بمن حوله كتب الدكتور أكرم كساب:

حين جئت إلى قطر بعد خروجي من الاعتقال، ترددت على الشيخ مرتين تقريبًا، ثم انقطعت، لما وجدت من كثرة الزيارات، وإرهاق الشيخ بالطلبات، حتى إنني اعتذرت عن الإفطار الذي يعده الشيخ في رمضان، وفوجئت به يتصل بي يوم الإفطار بعد الظهر، وسألني: متى ستحضر؟

فأخبرته أنني اعتذرت للإخوة، فقال لي: ولماذا يا دكتووووور؟

فقلت: إنني مرتبط بموعد آخر!

فقال: حاول أن تعتذر، فقلت: قد يصعب عليّ!

فقال منفعلًا: يا أخ أكرم المفروض أنا من يدعو الناس، اعتذر لهذا الأخ وقل له: إنك معزوم عند يوسف القرضاوي!

فقلت له: حاضر فضيلة الشيخ!

ولما ذهبت إليه وكان أذان المغرب قد ارتفع، والناس تتناول الماء والتمر، ويتجهزون للصلاة فسلمت عليه، وفوجئت به يقول لي والبعض يسمع:

أنت زعلان ليه؟ فيه حاجة؟ زعلان ليه؟ ممكن أقوم بإيه؟ قل لي!

فأكبرت الشيخ أكبر مما هو في قلبي، ونفسي، وقلت: شيخنا لا شيء، لكنني مشغول!

- وقال الشيخ عبد الله الجديع: أتذكر في إحدى جلسات (المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث) عندما احتدم النقاش حول مسألة (طلاق الهَزْل) بين العَلَمين العلاَّمتين الشيخ: عبد الله بن بيه، والشيخ علي القرة داغي، وشردتْ بعض التعليقات هنا وهناك!

فلمَّا حان وقت نهاية النقاش تحدَّث الشيخ القرضاوي عن رأيه في المسألة، وعرضه القديم لها في كتابه (فتاوى معاصرة) قبل عشرين عامًا من عُمْر الجلسة، ثم داعب الشيخ (بن بيه) قائلًا:

أنت يا شيخ عبد الله أحيانًا تأخذ برخص ابن عباس، وأحيانًا تأخذ بشدائد ابن عمر.

ثم أثنى على الشيخين، وختم بدعاء جامع، ذرفت له العيون، ورقَّت له القلوب، فأقبل الجميع يقبل رأس الشيخ القرضاوي على صنيعه، وحسن تأتيه في الموقف، كما أقبل الشيخان (بن بيه) و(القرة داغي) يقبل كل منهما رأس الآخر، ويقر بفضله، وسابق علمه.

- ومن لطائف تواضعه، وإنصافه، وعنايته بمن حوله، ما حكاه لي الدكتور أكرم كساب:

كان فضيلة الشيخ يكتب بحثًا عن دية المرأة، وبعد إتمام البحث تم مناقشته في دائرة مستديرة، نظمها المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بقطر، وكتبت الصحف عما دار في هذه الدائرة المستديرة، وكان رأي الشيخ: هو مساواة المرأة للرجل في دية الخطأ!

وظهرت الردود في الجرائد القطرية، وكان من هذه الردود رد اتسم بالدقة والعلمية والنزاهة والإنصاف، وكان باسم: الدكتور سعيد البديوي، ولما قرأ الشيخ هذه المقالة، أعجب بها وبما فيها من تأصيل علمي، وأخذ الشيخ يسأل عن كاتب هذه المقالة، حتى أخبر عنه، وبرقم هاتفه، وأخبر أنه يعمل قاضيًا في المحاكم الشرعية، فكلمه الشيخ وقال له: أين أنت؟ ولماذا لا نسمع عنك؟ وأين دورك في الدعوة؟

ورد القاضي: يا شيخنا أنا من تلاميذك، ومن قراء كتبك.

فقال له الشيخ: نود أن نراك، ونسمع صوتك، ونرى لك دورًا في الدعوة.

- وللأخ الشيخ محمد قطب القصاص عدد من المواقف يرويها:

* لا أنسى شفاعته لي في أمر عرفه من غيري، ونفى الشيخ حفظه الله لمن عنده حاجتي أن أكون من الإخوان، وإنما هو يشهد لي بما علمه عني، بحكم الجوار، وأنشطة المسجد التي تجمعنا، فشكرت للشيخ حفظه الله تدخله وشفاعته وشهادته، فقال: ما شهدنا إلا بما علمنا خلال 18 عامًا من الجوار. فسبحان الله!

* ورغم المشاغل والأعمال، وكثرة الواجبات عند الشيخ حفظه الله إلا أنني لم أزره مرة إلا وسألني عن الأولاد وعن عبد الرحمن بالاسم!

* ومن المعلوم للجميع أن الشيخ حفظه الله كان مشغولًا بالسفريات والمؤتمرات والمؤلفات والمشاركات وكثير من الواجبات. ومع ذلك فلم يمتنع حفظه الله عن حضور لقاء أسبوعي بالمنطقة إلا أن يكون مسافرًا، حيث اقترح أبو خالد أحد رواد مسجدنا بالدفنة أن المجالس في البيوت خاوية لا يدخلها أحد، وعرض فكرة زيارة تنتقل من بيت لبيت، وكانوا يسألون والشيخ حفظه الله يجيب، وكنت ربما أعددت أسئلة من النوع الاجتماعي المفيدة لأعرضها، وأشغل بها الجلسة، بدلًا من ترك (السواليف) تأخذ حريتها في غير فائدة؛ ما جعل للقاء طعمًا ومذاقًا وقيمة.

وكم حرص الشيخ حفظه الله على التواصل الاجتماعي بمشاركة الآخرين في أفراحهم وأحزانهم، ولا يكاد يغيب حفظه الله عن واجب من هذا النوع؛ حتى ولو كان الوصول للمكان يحتاج بحثًا ومشقة وسؤالًا، وقصص ذلك كثيرة، فكثيرًا ما جاءني اتصال من سائقه يستفسر عن مكان يريد توصيل

الشيخ حفظه الله إليه لتأدية واجب من الواجبات.

وإنني ما غبت عن الشيخ حفظه الله فترة، إلا ورأيت في عينيه عند اللقاء شوقًا ولهفة وودًّا، وإنك لا تجد هذه الملامح والمشاعر إلا عند المحبين الأصفياء، أو إن شئت قلت: لا تراها إلا في عيون الآباء.

* وأشهد أن الشيخ حفظه الله لم يرفض طلبًا لي أبدًا في شفاعة؛ لإبقاء شخص في وظيفته، أو إلحاق طالب بجامعة، أو إعفاء آخر من مصاريف دراسية، أيًّا كان الطلب فهو حفظه الله لا يتردد، ولا يمانع، وهذا كثير. وكان يقول لي: اكتب تزكية، وأزكي أنا من زكيت.

وإن المتابع للشيخ حفظه الله في خطبه أو دروسه أو أي جلسة من جلساته، يجد العطاء لا يتغير، فالشيخ حفظه الله يهتم بالحاضرين، ويتكلم ويتفاعل مع الموضوع، دون أدنى اهتمام بأعداد الحضور.

* وإن الحديث يطول عن السائقين الذين عملوا مع الشيخ حفظه الله. فحرص الشيخ حفظه الله على أكلهم، وشربهم، أمر متواتر:

يحكي إبراهيم سائقه كيف كان يصحب الشيخ حفظه الله في أي مكان يذهب إليه، فإذا جاء وقت الطعام قام أصحاب الضيافة بالبحث عنه حتى يجدوه، ويدخلوه للطعام تلبية لرغبة الشيخ حفظه الله. وكان هذا يحدث، أيًّا كان مكان الضيافة أو المضيف.

ويضيف إبراهيم أن الشيخ حفظه الله كان ينبهه في أيام المناسبات التي لا تخلو من طعام ألا يتناول عشاءه. ويروي كيف أن الشيخ حفظه الله دعاه ذات مرة ليأكل معه على طاولة واحدة في المطبخ وأهل البيت يقدمون لهما الطعام.

* ومن عنايته العجيبة بمن حوله أن طلب مني إبراهيم سائقه أن يؤذن في المسجد فوافقت، ولما سمعه

الشيخ حفظه الله أعلمه بأن هذا الأذان شيء عظيم وله أصول، ولا بد من تعلمها، وقام الشيخ حفظه الله بتعليم إبراهيم الأذان، بنطق كلماته وتجويده – وخاصة مدوده – وصوب له أخطاءه، بطريقة عملية توضيحية، الشيخ يقول وإبراهيم يردد، حتى أداه أداء صحيحًا، ما أدخل على الشيخ حفظه الله الفرح والسرور. لقد كان الشيخ حفظه الله حينها كثير الأسفار والمشاركات في المؤتمرات ولم يمنعه شيء عن آخر، بل يهتم ويدعو، ويصحح ويوجه للأمة، وللآحاد، ولكل محتاج!

* ومن غريب عنايته بمن حوله – والكلام لا يزال للشيخ محمد القصاص – أنني دعوت بعض الدعاة لعشاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد حسين يعقوب، ثم بدا لي أن أعرض الأمر على الشيخ حفظه الله إن كان يناسبه؛ لنستمتع ونستفيد بحضوره، ونظرًا لضيق الوقت وارتباطي بخطبة الجمعة – ولم يكن من سبيل مناسب وقتها إلا مقابلته في صلاة الجمعة – فأرسلت عبد الرحمن ابني ليصلي مع الشيخ حفظه الله الجمعة بجامع عمر بن الخطاب، ثم يحاول أن يدعوه بعد الخطبة، وبالفعل وصل عبد الرحمن للشيخ حفظه الله وحاول أن يكلمه ولكنه فوجئ بالشيخ حفظه الله يغلق نافذة السيارة ولا يكلم أحدًا، وينطلق بالسيارة مع سائقه!

فقلت لعبد الرحمن: لعل الشيخ حفظه الله متعب، أو عنده عذر صحي!

وما مرت ساعة إلا وتلقيت اتصالًا من د. وليد مدير مكتب الشيخ حفظه الله وقتها، يقول: إن الشيخ حفظه الله يسأل هل كان عبد الرحمن يريد شيئًا؟ فقلت له عن العشاء ومن سيحضر، فقال سأبلغ الشيخ حفظه الله وأرد عليك، وجاء الرد باحتمال الحضور، وقد كان.

ثم كانت المفاجأة على لسان الشيخ حفظه الله لما حضر مفسرًا، سرعة الانصراف عقب الجمعة حتى يصل مبكرًا إلى المستشفى ليلاقي ولده البكر د. محمد القرضاوي الذي كان سيخرج من غرفة العمليات ساعتها، ويريد الشيخ حفظه الله أن يكون في انتظاره عند الخروج.

فهذا يوم من أيام الشيخ حفظه الله: خطبة جمعة فيها من هموم الأمة ما فيها، فضلًا عن التحضير والاستعداد اللازم، ثم الذهاب للمستشفى ساعة خروج الابن من غرفة العمليات، ثم الاهتمام والسؤال عن عبد الرحمن وماذا يريد؟ ثم تلبية دعوة على العشاء. ولا تخلو تلك الجلسات من النقاش والفائدة والعلم. هذا كله بعض عمله في يوم واحد!

* ومن عنايته بمن حوله، حرصه على لم الشمل، وإصلاح النفوس، وأذكر أنه نشبت معركة إعلامية على خلاف في فتوى تخص مسألة من مسائل المعاملات المالية البنكية المعاصرة، حول خصم 3% من المبالغ المسحوبة بالفيزا كارد التي يصدرها المصرف؛ حيث اعتبرها د. علي السالوس ربا يحرم التعامل به في مصرف إسلامي، في حين اعتبرها الشيخ وليد هادي لا تدخل في إطار الربا!

واشتعل الخلاف، وبدأ يخرج من الإطار العلمي إلى الإساءة، وصادف ذلك هوى الصحافة التي فتحت للقضية أبوابها، وخصصت لها صفحات. وذهب مجموعة من الدعاة للشيخ السالوس لوقف هذه الفتنة، التي أثرت سلبًا على عموم العلماء؛ بسبب ما حدث من سوء في الطرح، فما كان من الشيخ السالوس إلا أن قال: أنا ملتزم بما يقوله الشيخ حفظه الله في كيفية إنهاء الأزمة الإعلامية!

طرت بهذه الكلمة للشيخ حفظه الله، واقترحت إغلاق النقاش إعلاميًّا، وإبقاء البحث والنقاش في المسألة بعيدًا عن وسائل الإعلام، وبينت له استنكار بعض الإعلاميين طريقة الشيوخ في المعالجة، وأن بعضهم الآخر يتمنى بقاء الخلاف إعلاميًا لميلهم للإثارة.

وفوجئت بعدها بالشيخ حفظه الله يتصل بي، لأحضر لقاء، معللًا بأنني كنت سببًا فيه جمع فيه الشيخ السالوس والشيخ عبد القادر العماري والدكتور علي المحمدي والشيخ وليد هادي، وأعد بيانًا للنقاش تم الاتفاق عليه، وطلب الشيخ حفظه الله من الجميع التوقيع، وقال لي: وقع يا شيخ

محمد؛ ألست من العلماء؟

وجاء في البيان:

فقد اجتمع الأخوان الكريمان فضيلة الأستاذ الدكتور علي السالوس، وفضيلة الأخ الشيخ وليد هادي بمنزل فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي بناء على دعوة منه، وبحضور كل من القاضي الشيخ عبد القادر العماري، والدكتور علي محمد يوسف المحمدي والشيخ محمد قطب القصاص، وذلك بخصوص ما دار من نقاش في الصحف القطرية في الآونة الأخيرة حول مسألة علمية تتعلق بمعاملة تخص البنوك الإسلامية. ولكن النقاش في هذه القضية سخن واحتد، وتفاقم واشتد، إلى حد تطاير شرره، وتطاول خطره، مما أقلق الكثيرين من أهل الرأي والحكمة، فتنادوا بأن لا بد من وضع حد لهذه المعركة التي لا لزوم لها، ولا يستفيد من ورائها إلا أعداء الدين، وأعداء الأمة، الذين يسرهم أن يختلف العلماء فيها بينهم وهم يتفرجون عليهم منفرجي الأسارير.

إن العقلاء لا يقبلون أن يستدرجوا لخوض معارك جزئية صغيرة، تشغلهم عن المعارك الكلية الكبرى للأمة؛ فما بالك برجال العلم والإسلام.

لقد استجاب الشيخ حفظه الله بسرعة، وأخمد نار فتنة، وأغلق الباب على نفوس أججت الخلاف الفقهي، وحولته إلى سباب وتطاول، وأخرجت المسألة من نطاق البحث العلمي إلى شيء آخر.

ومع أن رأي الشيخ حفظه الله في المسألة كان مع أحدهما؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من وأد فتنة حامت حولنا، وإطفاء نار أصابتنا من شررها. وقد أكرمني الشيخ حفظه الله بالحضور والتوقيع في صورة لا تكون إلا من الأوفياء!

* وحينما زار الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الدوحة بدعوة من وزارة الأوقاف، عرضت عليه زيارة

الشيخ حفظه الله فقال إن هناك من أبلغه برفض الشيخ حفظه الله للمقابلة، فقلت له: لا يمكن؛ فالشيخ حفظه الله لا يفعل ذلك أبدًا.

ونظرًا لقصر وقت زيارته، أخذت منه بعض كتبه هدية منه للشيخ حفظه الله، ولما أوصلتها وجدت السرور والانبساط على أسارير وجهه، وسأل عنه واطمأن، ما دفعني للاتصال بالشيخ عبد الرحمن، ودارت مكالمة بين الشيخين ملؤها المحبة والود والتقدير، وعتب الشيخ حفظه الله عليه مجيئه للدوحة وعدم زيارته له، معبرًا عن اشتياقه للقائه.

* وحين ألم بالشيخ أبو اسحق الحويني المرض، وتعرض لبتر ساقه – نسأل الله له العافية والأجر – سأل الشيخ حفظه الله عن رقمه ليكلمه، ولم يكن معي الرقم، ولكننا قمنا بالاتصال بالشيخ محمد حسين يعقوب وسأل واستفسر الشيخ حفظه الله عن صحة الشيخ الحويني، واستجاب لطلبي بتسجيل دعاء خاص للشيخ، وأرسلته للمشرفين على موقع الشيخ الحويني وصفحته الرسمية، ووضعوه على الموقع. وكان له صدى عظيم، وأثر طيب عند المحبين للعلم والعلماء.

- ولعل مما يذكر هنا أيضًا حرصه على العلماء والعلم، ونقاء الصورة، وإزالة الشبهة. ومن ذلك مواقف كثيرة حضرتها بنفسي، لكنني أترك الأخ محمد قطب القصاص؛ ليروي نتفًا منها وأختم بحديثه هذه الفقرة:

* ما تركت شيئا تقريبًا خاصة من المسائل الخلافية إلا وسألت عنه الشيخ حفظه الله، وناقشته بأدب بطريقة السؤال، أو بطريقة البعض يقول كذا فما قولكم؟ وأشهد أنني لم أجد إلا سعة صدر واستماع وإنصات، وإجابة بتقدير واحترام، خالية من أي هجوم أو انتقاص، حتى إنني ذهبت إليه ذات مرة خصيصًا لأسجل عتبي عنده على أحد المقربين من فضيلته، حيث كتب مقالًا يزعم أن الشيخ

حفظه الله أقرب للشيعة منه للسلفيين، فاستنكر الشيخ حفظه الله ذلك وسألني عن مكان نشر المقال ومتى؟

* وأوضح أن علاقاته جيدة مع معظم السلفيين إلا ما كان من البعض وهم أقل من القلة الذين لا يتحاورون، بل يشتمون ويسبون في محاضراتهم وكتبهم، وقد حددهم بالاسم، وانتهزت هذه الفرصة وكنا في أواخر شهر رمضان فأعطيت الشيخ حفظه الله كتابًا للشيخ محمد إسماعيل المقدم بعنوان: "هل تجزئ القيمة في الزكاة؟ "

وقلت لفضيلته: انظر للعرض الموضوعي، وكيف عرض المؤلف للآراء في المسألة؟ وكيف سجل رأي فضيلتكم فيها؟ كل ذلك بطريقة علمية موضوعية بحثية خالية من أي شيء آخر.

* وذات مرة أبلغني حسن السائق بأن الشيخ حفظه الله يدعوني إلى حضور ندوة أسبوعية في بيته، وكانت أسبوعية علمية يحضرها مجموعة منهم الدكتور عبد العظيم الديب والشيخ حسن عيسى عبد الظاهر والشيخ عبد القادر العماري، وأذكر أن أولى الندوات كانت عن مكانة السنة النبوية، وكان أحد الحضور يتكلم أولا بتكليف مسبق من الشيخ حفظه الله، ثم تتوالى الأسئلة والمداخلات، وفي النهاية يأتي تعقيب الشيخ حفظه الله مجيبًا ومستدركًا وخاتمًا. وانتقلت الندوة من بيت الشيخ حفظه الله لبيت الشيخ عبد القادر العماري، ثم بعد ذلك إلى بيت الشيخ مصطفى الصيرفي.

وتوالت الندوات بعد ذلك تحت مسمى مجالس العلماء في نادي الريان ثم نادي قطر حتى وصلت لمكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية التابعة لوزارة الأوقاف إلى معهد الأئمة التابع للوزارة

وكان الشيخ حفظه الله على رأس الحضور، وكنت أحرص على تسجيلها كاملة. وقد شارك في هذه الندوات مجموعة كبيرة من العلماء، منهم: الدكتور زغلول النجار، والدكتور عبد الحميد مدكور،

والدكتور عبد العظيم الديب، والشيخ حسن عيسى عبد الظاهر، والشيخ عبد القادر العماري، والشيخ مصطفى الصيرفي، والشيخ محمد بدير، والدكتور أحمد الحمادي وغيرهم كثير، وكان يحضرها عدد من الأئمة وطلاب العلم. وكان يديرها ويشرف عليها، الشيخ عبد السلام البسيوني.

* وفي إحدى ندوات مجالس العلماء حكى الشيخ حفظه الله عن قصة التصريح لكتاب الحلال والحرام لدخول المملكة العربية السعودية، والمراسلات التي كانت بينه وبين الشيخ عبد العزيز بن باز عن ملاحظاته في الكتاب.

ولفت نظري حب الشيخ حفظه الله للشيخ ابن باز، الذي ظهر من طريقة سرد القصة، وما كان في المراسلات من كلمات، فقد ضمن الشيخ حفظه الله عبارة: "أنت من أحب علماء الأمة إلى قلبي؛ إن لم تكن أحبهم" ما دفعني أن أستأذن الشيخ حفظه الله في نشر هذا الكلام، فأذن بذلك، وفعلًا أرسلت المادة إلى الصحف القطرية الأربع: الشرق/ الراية/ العرب/ الوطن؛ حتى إن أحدهم عنون المادة بـ: رغم اختلاف المدرستين! القرضاوي لابن باز: أنت من أحب علماء الأمة إلى قلبي!

وفي أحد المجالس العلمية سنة 1996 أنكر الشيخ حفظه الله على من يتطاول على الشيخ ابن باز وعلى الشيخ ابن عثيمين، وقال: هؤلاء المتطاولون لا يمكن أن يكونوا من تلاميذي! أنا لا أعلم تلاميذي هذا إطلاقًا. أنا أحب العلماء وأحترمهم مهما كان الخلاف بيني وبينهم. أنا إن اختلفت مع الشيخ ابن باز في قضية فهذا لا ينقص من قيمة الشيخ ابن باز عندي.

وفي هذا المقدار كفاية.



الشيخ معتذرًا

الشيخ معتذرًا

رغم القامة السامقة للشيخ، وسنه، ومنزلته، وعلمه، وجاهه، فإنه قط لم يستنكف أن يستغفر شخصًا أقل منه، وأصغر شأنًا وسنًّا ومنزلة، عشت هذا بنفسي، ورأيته مع غيري؛ بكثيرٍ من الصدق والشفافية والتواضع وسمو الخلق؛ ولا أزكيه على الله تبارك وتعالى:

- أواسط تسعينيات القرن الماضي لحظت فجوة واسعة بين الشباب – خصوصًا أبناء التيار السلفي – وكبار العلماء الموجودين بالدوحة: الشيخ القرضاوي والعلامة عبد العظيم الديب ومولانا الرباني حسن عيسى و(مع الاحتفاظ بالألقاب) الصيرفي والعماري والمعايرجي وهيكل وعبد الحميد مذكور وفايد حماد عاشور وغيرهم، ففكرت أن أجمع بين الشباب والعلماء في ملتقىً علمي كل أسبوعين، في مكتبة الشيخ علي بن عبد الله. ثم لما اتسع العدد، انتقلنا لقاعات بنادي الريان ونادي قطر وإدارة الدعوة، ودام ذلك بضع سنين بفضل الله تعالى.

وكان أحد العلماء – كل لقاء – يجهز موضوعًا يلقيه في ساعة، ثم يداخل العلماء الموجودون، والشباب، ويعقب العلامة القرضاوي، ليختم اللقاء.

وكنت اشترطت على سماحته أن يصبر على بدوات الشباب، واندفاعاتهم أحيانًا، فقبل جزاه الله خيرًا؛ كما اشترطت على الشباب قبل اللقاء أن يتأدبوا في الطرح؛ إذا هم علّقوا أو داخلوا!

وذات لقاء اندفع شاب منهم فأغلظ وأساء، فانفعل مولانا القرضاوي ونهره؛ آمرًا إياه أن يلزم حده، ويعرف قدر نفسه، فملت عليه – وكنت بجواره وقتها – وقلت: ما على هذا اتفقنا يا مولانا!

ووالله ما تردد ولا تأخر، بل قال مباشرة: صح يا أخ عبد السلام!

ثم وقف ونادى الشاب الذي جاءه، فاعتنقه الشيخ وقال: سامحني؛ إذ انفعلت عليك!

وكان لهذا الموقف أثر عظيم جدًّا على الموجودين، إذ عاد الشاب في بداية اللقاء التالي – على جفائه وعناده – فوقف، ورفع يديه واعتذر أمام الحاضرين بأنه أساء وأخطأ.

وكان درسًا عظيمًا في هذا الجمع، وهذا التوقيت.

- وذات لقاء آخر علقت تعليقًا أسخطه جدًّا، فانفعل علي بشكل شديد، وبعدها سافرت وغبت، فافتقدني الشيخ جزاه الله خيرًا، وسأل من حوله؛ فقال له أحد الإخوة الظرفاء: دا زعلان منك يا مولانا!

فقال: لا، ازاي يزعل، هات التليفون، لازم أراضيه!

وفوجئت بفضيلته يتصل بي، سائلًا: انت فين يا شيخ عبد السلام!

فقلت ضاحكًا، وكنت علمت بسؤاله من سكرتيره الأخ الحبيب د. حسن فوزي: دقائق وأكون عندكم يا مولانا!

فلما وصلت اعتنقني، وأهّل وسهّل ورحب، وكانت جلسة حانية لا تنسى!

- وكتب الدكتور أكرم كساب: دخلت على الشيخ ذات مرة أشكو له ضغط العمل، فدعا لي، ثم قال لي: يا أخ أكرم: أسأل الله أن يسخر لك من يخدمك في مثل هذا العمل كما تخدمني!

وحدث أن كان ضغط شغل، وجلست أشكو إليه، وحصل شدّ وجذب في الحديث، فأخذتني العبرة، ففوجئت بالشيخ يقوم من مكانه وجاء إلي، فقلت له: ماذا؟ قال: سأقبل رأسك، حقك عليّ. قلت له لا يكون أبدًا، قال: والله لأقبلن رأسك!

فقلت له والله لا تقبل أبدًا ولا يكون بحال، ومع إصراره كانت معانقة!

ولما حاول غافلته وقبلت أنا رأسه.

- **ومما ذكره الأستاذ إسماعيل إبراهيم، أحد تلاميذ الشيخ والعاملين بمكتبه من هذا الباب:**

احتد الشيخ يومًا على مدير مكتبه السابق: الأخ وليد أبو النجا، ثم صلينا العصر، وبعد أن صلى الشيخ العصر، قام ليعتذر للأخ وليد، ويريد أن يقبل رأسه، ولكن الأخ وليد لم يرض!

فجعل الشيخ يمشي وراءه وهو أمامه ليقبل رأسه، ولكنه أبى، وكان الشيخ مجد مكي حاضرًا، فقال: الامتثال خير من الأدب.

وقال وليد: والله لئن قبلت رأسي لأقبلن قدمك، وما نحن إلا أولادك وتلاميذك.

فانظر إلى تواضع الشيخ، وكيف يراجع نفسه من قريب، ولا يتحرج أن يعتذر عيانًا بيانًا، بل أراد أن يبالغ في الاعتذار. وهذا لا يصدر إلا من رجل سمح، لا يرى لنفسه فضلًا على من حوله.

- **وفي موقف آخر مع سائق سيارته، وقد صاح فيه أن يسرع بعض الشيء ليدرك الخطبة، في جامع عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما عاد الشيخ من الخطبة، ربت على كتف السائق، وقبَّل رأسه واسترضاه، وقال له: لا تغضب مني!**

ولا يقدر على فعل هذا إلا أولو العزم من الرجال.

- **وحكى لي د. أكرم أنه كان على سفر إلى الأردن لحضور مؤتمر تنظمه (مؤسسة آل البيت)، وقبل سفر الشيخ أعطاني بحثًا سيرسل إلى (جمعية العلماء) بالجزائر عن الأستاذ محمد الإبراهيمي، وقال لي: انظر فيه وأرسله، وكان من المفترض أن يذهب الشيخ من الأردن إلى ليبيا، وحدث أمر ما أعاد الشيخ إلى قطر، فسألني عن بحثه عن الأستاذ محمد الإبراهيمي؛ فقلت له: أرسلته، فقال: ائتني بنسخة منه!**

  فلما نظر فيه قال لي مغضبًا: لماذا أرسلته؛ البحث يحتاج إلى مزيد من التعديل.

  فقلت له فضيلة الشيخ أنت أمرتني بهذا!

قال: لا أنت تعجلت، وبدا مغضبًا ومنفعلًا، فقلت:

فضيلة الشيخ: أنت قلت لي هذا!

فازداد غضبه وانفعاله، فاستأذنت وخرجت، وما هي إلا لحظات حتى نادى عليّ، وقال: يا شيخ أكرم، يا أخ أكرم!

فأتيته فقال لي: حقك عليّ تذكرت، نعم؛ الأمر كما قلت أنت، فسامحني!

فقلت: غفر الله لك شيخنا، بل سامحني أنت.

- ومن هذا الباب ما كتبه الدكتور صهيب حسن عبد الغفار رئيس جمعية أهل الحديث بلندن، وعضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث):

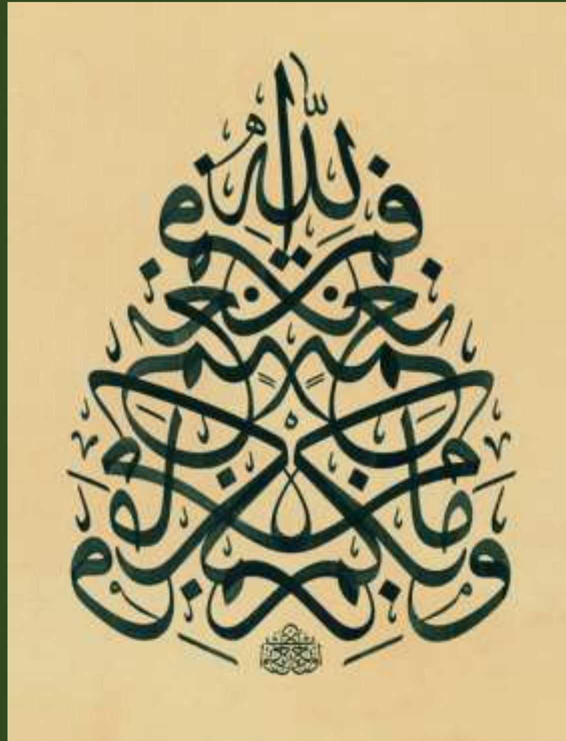
أثيرت في إحدى جلسات المجلس مسألة شراء البيوت بأقساط ربوية، مما يعرف بمصطلح (الموركيج) في بلاد الغرب. وقد اتفق رأي الجماعة وعلى رأسهم الشيخ نفسه، والشيخ راشد الغنوشي أنه لا بأس أن يتعامل المسلم المقيم في هذه البلاد بهذه الطريقة، للحصول على بيت يسكنه هو وأهل بيته؛ لأن البيت من الحاجات الأساسية التي لا غنى عنها لأي إنسان، والحاجة في مثل هذه الظروف تُنزَّل منزلة الضرورة.

وكان لي ولثلاثة من أعضاء المجلس رأي على خلاف هذا الرأي، وكُنَّا نرى أن البيت – وإن كان حاجة أساسية – يمكن الحصول عليه بطريق الإيجار أيضًا، فليس هناك داعٍ إلى الخوض في معاملة ربوية!

وقد يختلف الحال بالنسبة لشخص تعذَّرت عليه جميع الوسائل للحصول على بيت؛ فالإيجار الباهظ مثلًا خارج استطاعته، والحصول على بيت من قِبَل الحكومة بإيجار رخيص غير متوفرٍ، وليس هناك مَن يقرضه قرضًا حسنًا يشتري به البيت، فقد يرخَّص له اقتحام هذه العقبة، على شيء من المضض وعدم الرغبة.

صارت لي عند المناقشة حدَّة في الكلام – وأنا أعترف بقصور علمي، وقلَّة أدبي في ذاك المقام – ولم أرَ الشيخ أكثر حدَّة وأشدّ قسوة في كلامه، ما رأيته في ذاك اليوم، وتأسَّفت أشدَّ التأسف، وما كان مني إلا أن قدمت استقالتي من المجلس، وكذلك كل من زملائي الثلاثة.

وبعد أيام إذا بالشيخ يتصل بي بالهاتف، ويستدعيني إلى التراجع في استقالتي، فأذعنت إليه، على أن يُسجَّل في محاور الجلسة مخالفتي لهذا القرار.





الشيخ متراجعًا

الشيخ متراجعًا

من يعامل الشيخ، يجد فيه الكثير من الثقة بنفسه، والاعتزاز بفقهه؛ لقوة عارضته، وحضور أدلته، وصدوره دائمًا عن بينة وبرهان. لكنه مع هذا لا يتردد أن يرجع عن رأيه؛ إذا بدا له صواب غيره، ولا يستنكف أو يتردد، حتى مع من هم أدنى منه، وأقل علمًا.

- أذكر ذات حوار معه – قبل أكثر من عشرين سنة – عن أكل الذبائح المستوردة من الغرب، وهو حفظه الله يجيز ذلك، ويؤيد بقوة رأي الشيخ ابن محمود رحمه الله تعالى فيه.

وأثناء الكلام ذكرت له أنني قرأت أن 10 % من الذبائح تموت بسبب الصعق أو الضرب، وأشرت إلى كلام العلماء عن اختلاط الميتة بمذكاة! فقال دون تردد: إذن فلا بد أن أراجع فتواي في هذا الشأن!

وأسعدني كثيرًا موقفه الذين لم يشهده غيره، وأشهد به أمام الله ربي سبحانه!

- ومن أشهر تراجعاته حفظه الله، تراجعه بعد وقت طويل من موافقة الشيعة وملاينتهم، ففي يونية 2013 تراجع علنًا في الشريعة والحياة، ونشرت الجزيرة نت:

(هاجم رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ يوسف القرضاوي زعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله، ووصفه بأنه رئيس "حزب الشيطان ونصرٌ للطاغوت".

وقال القرضاوي في كلمة بمهرجان في قطر لنصرة الثورة السورية إنه ناصر حزب الله اللبناني، وخاصم من أجله علماء السعودية، لكن "تبين أن الشيعة خدعوني، وأني كنت أقل نضجًا من علماء السنة الذين كانوا يدركون حقيقة هذا الحزب".

وقال "إن الثورة السورية أجلت الحقيقة، وبينت حقيقة حزب الله وشيعته، الذين استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله"!

ورأى القرضاوي "أن الشيعة يعدون العدة، وينفقون المال من أجل تنفيذ مجازر في سوريا للفتك بأهل

السنة"، مطالبًا الحكومات العربية بالوقوف إلى جانب السوريين.

وأسف القرضاوي لما قال إنه وقت أنفقه على الدعوة للتقارب بين الشيعة والسنة، قائلًا إنه اكتشف أنه "لا أرضية مشتركة بين الجانبين لأن الإيرانيين – وخصوصًا المحافظين منهم – يريدون أكل أهل السنة".

وقال إن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد "ينتمي لطائفة أكفر من النصارى واليهود، كون أتباعها لا يقومون بأي شعيرة من شعائر الإسلام".

- وقال الأستاذ الدكتور جاسر عودة في هذا الباب:

ومن سمات الشيخ في اجتهاداته أنه لا يجد غضاضة في أن يتراجع عن الفتوى إذا تبين له خطؤها، فمثلًا حضر الشيخ ندوة أفتى فيها الدكتور حسن الترابي بجواز بقاء المرأة التي أسلمت دون زوجها معه، فاعترض الشيخ القرضاوي على الدكتور الترابي!

ولكنه بعد الندوة المذكورة ذهب فبحث طويلًا في المسألة حتى وجد رأيًا – بل آراء كثيرة ومتنوعة في نفس المسألة – هنا تراجع الشيخ عن رأيه وأفتى بالجواز، وكان يذكر تراجعه هذا، وفضل الدكتور الترابي فيه كلما سئل عن هذه المسألة.

- وقال الأخ الكريم إسماعيل فيوض؛ من مكتب الشيخ: في عمرة كنت معه، وكنت قد تناقشت معه في مسألة فقهية في العمرة السابقة، فإذا بالشيخ يغير رأيه، ويأخذ بما ذكرته له، فلما رآه الأخ صالح باقلاقل، وهو من تلاميذ الشيخ في جدة، قال: لماذا غيَّرت رأيك يا شيخ؟

فقال: أخذت برأي إسماعيل.

- وفي موقف له مع الشيخ ذكر الأخ الدكتور د. وصفي عاشور أبو زيد:

في كثير من الأحيان حينما يكتب الشيخ أو يتحدث عن الشيخ المجدد حسن البنا يذكر أنه خالفه في بعض المسائل، ومنها: رأيه في المرأة، ورأيه في الأحزاب.

وشيخنا الإمام دائمًا ما يُدِلُّ بهذا، على اعتبار أنه تلميذه، ومع هذا يخالفه، وهذا لا حرج فيه – كما يذكر هو – فلا غرو أن يخالف التلميذ أستاذه.

وفي أحد الملتقيات العلمية لتلاميذ القرضاوي الذي عقد أثناء تنحي حسني مبارك بفعل ثورة يناير 2011م، صرح الشيخ بهذا أيضًا في محاضرة ألقاها في إحدى الجليات، ثم ترك الأمر للنقاش والحوار، فتكلم الحضور من تلاميذ الشيخ، وطلبت الكلمة.

بينت في كلمتي أن شيخنا دائمًا ما يبرز خلافه لشيخه البنا – وبخاصة في المرأة والأحزاب – وهذا حقه، ومن الإنصاف في بيان الرأي وفهمه فهمًا صحيحًا استصحاب السياق الذي قيل فيه أو صاحبه. وسياقات آراء الإمام البنا وبخاصة حول المرأة والأحزاب تبين لنا لماذا قال الإمام البنا بآرائه في المرأة ومنع الأحزاب، ولو عاش الإمام البنا في عصرنا لترك رأيه وقال بما قال به شيخنا القرضاوي، فهي آراء الاختلاف ليس اختلاف دليل وبرهان، وإنما هو اختلاف عصر وزمان؛ كما يقول دائمًا تلامذة أبي حنيفة في بعض خلافهم مع شيخهم.

وانتهى الزملاء من مداخلاتهم، ورجعت الكلمة لشيخنا فترك كل ما قيل، وعقّب على ما قلته، وقال: هذا كلام صحيح تمامًا، أتفق معه، وأقرك عليه، فهو اختلاف نابع من اختلاف البيئة والسياقات السياسية والاجتماعية.

- وقد مر كيف تراجع عن قضية التملك في الغرب من خلال البنوك الربوية من كلام الشيخ الدكتور صهيب حسن عبد الغفار، يقول الأخ عصام تليمة:

وفي مسألة (شراء البيوت للسكنى بالقرض الربوي في الغرب) وكان الشيخ يفتي بحرمتها إلى وقت قريب، وذكر أنه كان منذ ما يزيد على ربع قرن في دول الغرب، وكان معه الشيخ مصطفى الزرقا ـ رحمه الله ـ وكان يفتي بجواز ذلك، وكان الشيخ يخالف الشيخ الزرقا فيما ذهب إليه، ولكن بعد ربع قرن اقتنع الشيخ بفتوى الشيخ الزرقا، وأفتى بجواز شراء البيوت بالقرض الربوي في بلاد الغرب.

بل قد يتراجع الشيخ عن رأي يخالف نفسه، فيكون له رأي فيما كتب قديمًا، ورأي فيما كتب حديثًا، كما في فتواه عن (جوائز السحب الكبرى) فقد أباحها في أول الأمر، ثم اقتنع بعد ذلك بتحريمها.

- وقال الشيخ عبد الله الجديع:

ما عرفت الشيخ إلا خاضعًا للحجة وقافًا عندها مسلِّمًا لها، حريصًا على الصواب، يسمع ويشارك بتواضع جم، لا يستبد برأي، ولا يتعصب إلى ما عنده، دائم الاستعداد إلى أن يغيِّر ما يراه إذا بان له أن الصواب في سواه، شأن ما حدثناه عن رأي له في مسألة القروض المصرفية لشراء المنازل للمسلمين في الغرب، وذلك حين ناقشنا هذه القضية في الدورة (2 – دبلن 1998م)، وكرر معناه في الدورة (4 – دبلن 1999م)، قال:

(أنا كنت لا أجيز ذلك لمدة ربع قرن، في الحقيقة أول ما اتصلت بأوروبا وأمريكا أوائل السبعينيات كنت أمنع ذلك، وظللت مدة طويلة، وبعض الإخوة يناقشونني، بعد رحلاتي في أنحاء العالم، رحت أستراليا سألوني هذا السؤال، رحت أمريكا الجنوبية سألوني هذا السؤال، وكل المسلمين يقولون: يا أخي بعد كم سنة يصبح هذا ملكي، ليه أنا أدفع هذه الفلوس وأظل لا أملك شيئًا؟!

فنظرت في الموضوع، وعدت أقرأ فيه من جديد فغيرت اجتهادي، وأرجو أن يكون اجتهادًا صحيحًا، وإن كان غير صحيح فأسأل الله أن يأجرني أجرًا واحدًا، ويأجر معي مَن وافقني).

- موقف آخر عن توقف الشيخ إذا لم يجزم بالرأي ويقطع فيه ذكره لي الدكتور أكرم كساب:

كنت أحاور الشيخ في برنامج (فقه الحياة) والذي بث منه (60) حلقة على قناتي (اقرأ) و (أنا)، وفي إحدى الحلقات كان الموضوع يدور عن الإسلام والمستجدات الطبية، وفي فاصل سألني الشيخ: ماذا تبقى من الأسئلة قلت له: بقي سؤالان، وأخبرته بهما فقال:

السؤال الثاني لم أكون فيه رأيًا بعد، ولا أعرف له إجابة فاحذفه!

فقلت له: وما المانع أنت نقول لا أدري، ونعلم الناس هذا الفقه؟

فقال: ترى هذا؟ قلت: نعم! قال: توكل على الله!

وبدأنا التصوير، وسألته فقال: لا أدري، لم أكون رأيًا بعد!

فقلت: لا تتحرج فضيلة الشيخ أن تقول لا أدري وأنت القرضاااااااااااااااوي؟

فقال: قالها من هو خير مني، وهذا فقه مالك رحمه الله تعالى.

وقال الدكتور منذر قحف:

وفي العام 2010م سألته حول فتوى جواز صرف الزكاة على المساجد والمراكز الاسلامية في أمريكا وكندا؛ لتشابه الأوضاع فيهما. وكانت فتواه الأولى في الجواز ترجع لسنة ١٩٧٧م. وقد نشرناها في اتحاد الطلبة المسلمين، وأفدنا منها كثيرًا في إقامة مساجد كثيرة جدًّا في أمريكا وكندا، حتى فاق عدد المساجد فيهما اليوم العدد في كثير من البلدان ذات الأكثرية المسلمة.

كانت فتواه عندئذٍ في السبعينيات من القرن الماضي بجواز صرف الزكاة لبناء المساجد وسائر نفقاتها؛ لأن المساجد في ذلك الوقت في البيئة الأمريكية كانت هي الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يجمع المسلمين، ويتيح لهم فرصة تعليم أولادهم، والإبقاء على دينهم. وكذلك أيضًا الإبقاء على دين الكبار في بيئة قاسية الضغط، وشديدة البعد عن السلوك والأفكار التي يزرعها الإسلام في القلوب، وكثيرة البعد عن منهج الإسلام في التعامل. فكان بناء المساجد في أمريكا آنذاك من أهم ما يشمله مصرف (في سبيل الله) من مصارف الزكاة، حيث كان المسلمون في أمريكا في منتصف سبعينيات القرن الماضي طلبة قادمين من بلدان بعيدة، كثير منهم يعمل بالإضافة للدراسة حتى يستطيع أن ينفق على نفسه وأسرته، بالإضافة إلى نفقات الدراسة العالية، فهم فقراء لا يستطيعون لا بناء مساجد ولا حتى استئجار مكان يجعلونه مسجدًا يلتقون فيه، ويصلون صلاة جماعة. ومثلهم أيضًا المكون الآخر للمسلمين في أمريكا، وهم أولئك الفقراء الضعفاء من الأمريكيين ذوي الأصول

الإفريقية، وذوي التعليم القليل جدًّا، فهم فقراء وضعفاء في وقت واحد. فلا هم ولا الطلبة يستطيعون أن يبنوا مساجد، أو أن يستأجروا أمكنة يجتمعون فيها ويتذكرون دينهم وربهم.
فكانت الفتوى ابنة وقتها وبيئتها، وكان لها القبول الأكبر في قلوب المسلمين في أمريكا وفي دول الخليج أيضًا، حيث بني كثير من المساجد بتبرعات زكوية من القادر بين المسلمين.

ثم كنا في عام ٢٠١٠م في الدوحة؛ وكان الوضع قد تغير في أمريكا وكندا، فقلت للشيخ حفظه الله: هذه الفتوى صدرت منذ ما يقرب الأربعين سنة، ولكن ظروفنا الآن تغيرت، فما رأيك بها الآن؟

طلب مني بتواضعه أن أبين له ما الذي تغير. فقلت: صدرت الفتوى وكنا في أمريكا إما طلبة أو أمريكان أفارقة عائدين إلى الإسلام، كلانا فقراء وغير قادرين. أما الآن فلدينا أكبر نسبة – مقارنة مع المجموعات الدينية أو العرقية الأخرى في أمريكا – من الأطباء، وهم في العادة قادرون وأغنياء وذوو دخول عالية. وكذلك لدينا أكبر نسبة من أساتذة الجامعات، وهم في العادة أيضًا ذوو دخول جيدة، وبيننا اليوم العديد من أصحاب الملايين، فترى مسجدًا من أجمل مساجد أمريكا قد تكفل به مسلم كريم واحد يبنيه من فضلة أمواله. كما أن بيننا أكبر نسبة – مقارنة مع المجموعات الأخرى – من حملة شهادات الدكتوراه في العلوم والهندسات والفنون المتعددة. فلسنا اليوم – كما كنا – بحاجة أن نحول الزكاة من الفقير المحتاج إلى ضرورة الحفاظ على دين أفرادنا وأخوتنا وأولادنا. فنحن نستطيع اليوم أن نتحمَّل بناء المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية، دون أن نأخذها من الزكاة التي هي حصة الفقراء والمساكين.
فينبغي أن نرجع اليوم إلى الفتوى العامة، وهي أن الأصل: ألا تبني المساجد من أموال الزكاة، بل هي واجب على أغنياء المسلمين، إضافة إلى فريضة الزكاة.
فما كان من فضيلة الشيخ حفظه الله، إلا أن قال: اسألني على الهواء في برنامج الشريعة والحياة، وسنبين للناس تغيُّر الفتوى لتغيُّر ظروفها.
فهذا تواضع الشيخ، وعلمه، وحرصه على الصواب دائمًا، ومحبته لتلاميذه!

الباب الثالث

باب المناقب العقلية





الشيخ متميزًا

حجتي أمام الله تعالى: شهادات أساتذته له

الشيخ متميزًا

تفاديًا للغلو، والانبهار الذي يعمي ويصم، أدَّرِع بآراء العلماء والأساتذة الذي شهدوا لفضيلة العلامة بما هو أهله، ثم يكون رأيي مجرد تحشية أو تذييل لآرائهم، ولا أزكي على الله تعالى أحدًا.

ويحسن أن أبدأ هنا بتوطئة كتبها العالم البليغ الأستاذ الدكتور عصام البشير عن الشيخ، وعذرًا على الإطالة في النقل:

(وقد كان من فضل الله تعالى على شيخنا أن بسط له في ميادين الحياة رحابًا متسعة، وفتّح له في ساحة العلم أبوابًا مشرعة، فصار بذلك صاحب العقل المفتوح، والصدر المشروح، والروح الوقَّاد، فلا يكاد يوجد في عصرنا هذا ألمع في سماء العلم من نجمه، ولا أرفع في ميدان الدعوة من علمه، ولا أسمع عند المسلمين من صوته، ولا أجمع في حقول هم الأمة من سعيه.

وتكفي الإشارة إليه بأنه رائد الوسطية، ومسطِّر أهم معالمها في العلماء المعاصرين، حيث صار بلا خلاف، الأنموذج العلمي لإمام مجتهد، جعل من هذه الوسطية نهج حياة وأسلوب عيش، واستطاع أن يزاوج بين الفقه والفكر، والرواية والدراية، والدعوة إلى الإسلام في صفائه ونقائه، وسُمُوِّه وشموخه، وسَعته وشموله، ومرحليته وتدرُّجه، وتوازنه وأولوياته. وقد أَفضتْ به هذه الوسطية إلى مذهبٍ ميسِّر: بلا تشدُّدٍ غالٍ، ولا ترخُّصٍ جافٍ. جامعًا – جمعًا مستبصرًا – بين ظاهر النصوص ومقاصدها ومآلاتها، مركِّزًا على ما ينبني عليه الحكم والعمل، ناجيًا من التنظير العقيم المفضي – غالبًا – إلى المراء المذموم، أو الجدل المرذول، واستطاع أن يوائم بين العلم والعمل والفكر والممارسة.

ولو أن غير الشيخ الإمام نال بعض ما وُفِّق إليه، من ذيوع الصِّيْت، وحُسْن الأحدوثة، وعمق

التأثير، وامتداد الأثر؛ لانتفش منه ريش، ولانتفخت منه أوداج، ولاستطالت منه قامة، ولذهبت منه نفسُه في التِّيْه كلَّ مذهب! ولكنَّ الله تعالى يحفظ عبادَه الصالحين من التي هي أقبح: العُجْبِ والكِبْر، الهوى والعصبية. فقد نبغ أيما نبوغ في مذاهب الأئمة، حتى بلغ في تحقيقها المرتبة العلياء من التآليف، والتخاريج البعيدة عن طرفي الغرابة والتعقيد، اللذين يُبعدان القارئ عن التمكن من فهم المعنى، ويحرضانه على الإشاحة والإدبار. وهو النبوغ الذي بلغ به أقصى ما يمكن من الاستيعاب والإتقان في الفقه، والمرويات، وعِبَر الحوادث، ضميمة إلى التمكن في علوم الآلة من نحو وصرف وآداب؛ ما دفع الخاصة من العلماء، والعامة من طلبة العلم إلى الإحاطة به إحاطة الهالة بالقمر، وهو لايزال غزير الانتاج، واسع العطاء، يحسن فيه قول القائل:

عمري بروحي لا بعدِّ سنيني		فلأهزأن غدًا من السبعين
عمري إلى التسعين يجري مسرعًا		والروح باقية على العشرين

وللشيخ القرضاوي فهم للفقه، يجعل منه فهمًا للحياة في جميع جوانبها، ويجزم أن لكل مسألة في الشريعة جوابًا، ولكل نازل في الدين حلاًّ، وأن كل تلك الحلول والأجوبة فقه للشريعة والحياة. والناظر إلى فقه العلاَّمة القرضاوي يدرك ما آتاه الله تعالى من الفَهم المستنير، والوعي الدقيق للنصوص، وما ينبني عليها من الأحكام وتعليلاتها. فلو أمعنَّا مدارسة ما اجتمع للعلامة القرضاوي من نصيب وافر وحظ عظيم في علوم الشريعة وعلوم الحياة، لانفتحت أذهاننا على كنز من المعرفة ثمين، وبحر من العلوم لا يدرك له ساحل.

لقد نظر شيخنا الجليل إلى ما يسود ساحة الفكر والعمل الإسلاميين من تياراتٍ فاعلة ومؤثرة – بأنصبة متباينة، وأقدار متفاوتة – فأنكر أربعةً، وأقرَ واحدًا، أنكر: تيار الخرافة المغيِّبة للعقل، المضيعة الدنيا والدين، وتيار الحرفية الجامدة الخشنة، وتيار التمييع الانهزامي الخائر، وتيار العنف

الغالي المدمر، وأقرَّ الوسطية المباركة التي تنقل أمتنا – إن استمسكت به حقَّ الاستمساك – من الضعف إلى القوة، ومن الفقر إلى الغِنى، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الاستبداد إلى الشورى، ومن الفُرقة إلى الاجتماع، ومن الهزل إلى الجد، ومن الهدم إلى البناء، ومن التفكك إلى التعاون، ومن التخاذل إلى التناصر.

لقد استطاع الشيخ– من خلال المزاوجة بين الثنائيات والتقابلات – أن يرسخ المبادئ التي تنبني عليها مفاهيم العقيدة والثقافة والحضارة في بني الإسلام، وما ينبغي للخطاب الإسلامي المعاصر أن يكون عليه من العمق والثبات وصحة التوجه. وأشير من تلك المبادئ التي أبان عنها، هذه الملامح التي استنبطها منهجه المتراحب تأصيلا وتفصيلًا ، إلى أهم معالمها على سبيل المثال لا الحصر! إلخ).

الورتلاني يبشره بخلافة حسن البنا

يقول الشيخ في مذكراته: وفي تلك الفترة زرت الداعية المجاهد الشيخ الفضيل الورتلاني، أحد رجالات الجزائر ومجاهدي علمائها المرموقين، وقد كنت لقيته من قبل في بيروت في رحلتي الشامية السابقة، وكانت هذه الزيارة بناء على طلبه.

وقد عاد من بيروت معززًا مكرمًا من رجال ثورة يوليو، باعتباره أحد رموز الجهاد الوطني والعربي، وقد رجا أن يراني في القاهرة حين يعود إليها، وقد أرسل إليّ لأزوره حيث يقيم، فاصطحبت أخي محمد الدمرداش، وذهبت لزيارته، وحدثنا عن بعض تجاربه في حياته الحافلة، وهي مثيرة وخصبة، وسألته أن يحدثنا عن شيخه الشيخ عبد الحميد بن باديس مؤسس (جمعية علماء الجزائر) التي قامت بدور معروف غير منكور في نهضة الجزائر، وإعادتها إلى هويتها العربية الإسلامية، بعد استماتة فرنسا في القضاء على هذه الهوية بالفرنسة التي تريد أن تلغي – أول ما تلغي – الإسلام والعروبة من

الجزائر، وقام الشيخ ابن باديس، وإخوانه البشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، وغيرهم بمقاومة الفرنسة، بحركتهم التعليمية التربوية التثقيفية في كل ربوع الجزائر، وأنشأ الشيخ ابن باديس نشيده الذي كان يحفظه الجزائريون ويرددونه:

شعب الجزائر مسلمٌ	وإلى العروبة ينتسب
من قال: حاد عن اصله	أو قال: مات، فقد كذب

وأسَّس ابن باديس مجلة (الشهاب) التي كان يكتب فيها هو وإخوانه لتعميق فكرتهم، وتوصيلها إلى الشعب الجزائري.

وتحدث الشيخ الفضيل طويلًا عن شيخه بإعجاب وحب، وأنه كان يحوِّل دروسه كلها بقدرة فائقة إلى دروس تربوية ودعوية.

ومما ذكره لنا: أن ابن باديس كان يشرح لهم (الألفية) في النحو، ووقف عند البيت الأول فيها، وهو الذي يقول:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم *** *** واسم وفعل ثم حرف الكلم

فبعد أن شرح الشيخ البيت من الناحية النحوية، عرج على الناحية التربوية فقال: انظروا إلى براعة الاستهلال في هذا البيت، فهو يقول: كلامنا لفظ مفيد، إنه يتكلم عن الجماعة المسلمة؛ ليعلن أنها لا تَهْرِفُ بما لا تعرف، ولا تلقي الكلام جزافًا، ولا تقول ما يضرها في دينها أو دنياها، إن كلامها (لفظ مفيد) ليس عبثًا ولا ضارًّا.

ثم اختار التمثيل بكلمة (استقم)، وهي التي أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ" (هود: 112)، وأوصى بها رسوله من سأله من أصحابه عن وصية جامعة، فقال: "قل: آمنت بالله ثم استقم" رواه مسلم.

وذكر لنا أشياء من هذه المواقف، تُعَدُّ غاية في الروعة.

وفي هذا اللقاء حاول الشيخ الورتلاني أن يملأني ثقة بنفسي، فقال: أرى فيك مشابهة بالأستاذ حسن البنا، وهذا يلقي عليك تبعات!

فقلت له: يا أستاذ وأين يوسف القرضاوي من الأستاذ حسن البنا؟ وأين الثرى من الثُّريا؟

فثار عليَّ وقال: لا تحقر نفسك، إن حسن البنا عنده قدرات ليست عندك، وأنت عندك قدرات ليست عنده، ومجموعِ مواهبك يؤهلك لتقوم بدور، فلا تنسحب منه، ولا تبخس نفسك حقها.

قلت: أسأل الله أن يجعلني أهلًا لثقتك وحسن ظنك.

قال: ستثبت لك الأيام حسن ظني!

قلت: أرجو الله. وقد قرأت في حِكَم ابن عطاء الله السكندري: إن الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تستيقنه منها، أجهل الناس من ترك يقين نفسه لظن ما عند الناس.

قال: وهذا يزيدني ثقة بك.

العالم المرجو لغد هذه الأمة

قال شيخي العلامة القرضاوي: كان من أفضل ما صنعناه في قطر: استضافة الأستاذ الدكتور محمد البهي، المدير العام للثقافة الإسلامية، وان يعاملني معاملة غير عادية، وقد كنا كلنا في خدمته، ورتبنا – ومعي زميلي العسال – للاستفادة منه، بكل الطرق والأحوال.

وقد كان من دأب الدكتور البهي – وعرفناه ذلك من سيرته – أنه لا يأخذ أجرًا على مقالة يكتبها، أو محاضرة يلقيها، أو حديث يذيعه، طريقة اتخذها لنفسه، وأصرّ عليها إلى أن لقي ربه، رحمة الله

عليه ورضوانه.

وحينما رأى نشاطي المتنوع في قطر، سرّ به سرورًا بالغًا، وقال لي يومًا: كان ظني بك في محله، وأنك العالم المرجو لغد هذه الأمة.

قلت: إنما أنا تلميذ لكم، مستفيد من فكركم.

وكان يقول للأزهريين الذين يزورونه: إن القرضاوي لم يأخذ حقه؛ إن مكانه الصحيح هو مشيخة الأزهر! إن الأزهر في حاجة إلى قيادة تجمع بين الفكر والدعوة، وبين الأصالة والتجديد، وإن علينا – نحن علماء الأزهر – أن نرشح القرضاوي ليقود سفينة الأزهر التي تميل بها الرياح.

وكان هذا من حسن ظنه بي غفر الله لي وله. وكان الزملاء ينقلون إليّ قوله.

وقد صارحني بذلك في إحدى زياراتي له في الفندق، وقلت له: يا فضيلة الأستاذ شكر الله لك حسن ظنك بي. ولكن هل ترى مثلي يصلح لهذا المنصب في هذه الظروف التي تعرفها؟ وهل يقبلون مثلي لهذا الأمر؟!

قال: هم لا يقبلون، ولكن علينا نحن أن نقنعهم!

فقلت: وهبهم اقتنعوا، هل يطلقون يدي لأنفذ ما أريد؟

فقيه العصر

كان من حضور المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي الذي عقد بمكة المكرمة أستاذنا البهي الخولي الذي شارك في المؤتمر بالمناقشة، وبكلمة شفوية ألقاها في إحدى الجلسات، وقد حضر هو وزوجته، واقتضت ظروفه الصحية أن يسافر قبل انتهاء المؤتمر، وعند موعد سفره زرته في حجرته لأودعه، وأبيت إلا أن أحمل حقيبته التي فيها حاجياتهما، وهو يأبى عليَّ، وأنا مُصِر، وهنا تطلع إلى زوجته

وقال لها: يا أم مجيد، أتعرفين من يحمل حقيبتك؟ إن من يحملها هو فقيه العصر!

قلت: يا مولانا إنما نحن تلاميذك، ومن غرس يدك.

أصبحت شلتوتية

كنا نراجع الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى، في بعض الفقرات التي تكون لنا عليها ملاحظة، فيقرنا عليها، وأحيانًا يوكلني بإتمام ما أراه ناقصًا.

وأذكر أنّا عرضنا عليه أن بعض الآيات في سورة الأنفال لم تأخذ حقها من الشرح رغم أهميتها، فقال لي: سُدّ هذه الفجوة بما تراه. ذلك تفويض مطلق.

وكان الأخ العسال كلما مر على هذه الفقرة ونحوها يقول: هذه قرضاوية.

فأقول له: قد أصبحت – بإقرار الشيخ – شلتوتية!

والحقيقة أن ثقة الشيخ بي كانت غير محدودة، فكثيرًا ما أحال إلي بعض الأشياء المعضلة لألخصها له، مثل رأي ابن القيم في "فناء النار" وقد لخصته له من كتابيه: "شفاء العليل في القدر والحكمة والتعليل" و"حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح."

وأحيانًا يحيل علي بعض الاستفتاءات لأرد عليها بقلمي؛ مثل فتوى إفطار الجنود في الصوم عند قتال العدو، وقد كتبتها وسلمتها للشيخ ونشرت باسمه.

كما كان علينا أن نشرف على الطباعة والتصحيح، حتى يخرج الكتاب للناس في صورة مقبولة.

وكنت أرى أن من القربات أن نعمل على إخراج علم الشيخ شلتوت إلى النور، لتنتفع به الأمة، وأن أي جهد نبذله فهو – إن شاء الله – في ميزاننا، وإن ضاع عند الناس فلن يضيع عند الله.

الدكتور محمد علي السايس: أستاذ ونص

يقول الشيخ عند مناقشته الدكتوراه في جامعة الأزهر: ....وتوكلت على الله، وذهبت إلى قاعة المناقشة في اليوم الموعود، فوجدت قاعة الشيخ محمد عبده شبه ممتلئة، برغم أن اليوم يوم إجازة؛ لأنه يوم عيد الثورة، وكذلك تتم المناقشة في عطلة الصيف، ومع هذا كان الحضور كبيرًا، ولبست الروب الأسود المعتاد في مثل هذه المناسبة، وكان المفروض أن أعد بيانًا مكتوبًا لإلقائه، ولكني اعتمدت على قدرتي في الخطابة والارتجال، فارتجلت بيانًا شفهيًّا أعددته في نفسي، لخصت فيه الرسالة، وما انتهت إليه من نتائج، وقد لاقى البيان استحسان الحاضرين.

وتكلم فضيلة رئيس اللجنة العلّامة الشيخ محمد السايس رحمه الله تعالى، ففاجأ الحاضرين بما ليس معتادًا في هذه المناسبات؛ إذ أثنى ثناءً عاطرًا على مقدم الرسالة، ودوره في خدمة العلم والإسلام، وأن الله تعالى كتب له المحبة والقبول عند الناس، كما قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا) مريم: 96.

وقال الشيخ فيما قاله: إن الأستاذ القرضاوي فعل كذا وكذا!

فقال الشيخ الدكتور عوض الله حجازي مداعبًا: يا مولانا، هو لم يصر أستاذًا بعد!

فقال: بل هو أستاذ ونص!

وكان من حضور المناقشة أستاذنا وشيخنا البهي الخولي، الذي قال لي: إن هذا لم يكن يوم مناقشة، إنه كان عُرْس القرضاوي، إنه كان يوم احتفال بك في الأزهر!

قلت له: هذا بعض ثمار غرسكم يا أستاذ، قال: بل هو ثمرة جدك واجتهادك، ومن زرع حصد.

الشيخ الندوي رحمه الله تعالى: حتى الهندوس

وقال أثناء مؤتمر في الهند:

وتحدث عدد من المدعوين، يقدمهم عريف الحفل، ولكن اثنين منهم حرص الشيخ الندوي على أن يقدمهم للجمهور بنفسه، أحدهما: العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الذي يعرفه علماء الهند بآثاره العلمية، والذي له عناية خاصة بعلماء الهند وآثارهم العلمية، ولا سيما عالم لكهنو المحدّث الشهير الشيخ عبد الحي اللكنوي، الذي نشر الشيخ آثاره مثل: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، وغيرها، وعلق عليها تعليقات ضافية. والثاني، هو: يوسف القرضاوي، الذي ألبسه الشيخ ثوبًا فضفاضًا، وأضفى عليه من الصفات والمحاسن ما يليق بالمقدِّم لا الْمُقدَّم.

ارتجلت في الحفل الكبير الذي لا تكاد ترى آخره؛ كلمة قوية مركزة، أثرت في الحضور، حتى الذين لا يعرفون العربية تأثروا بها، ربما لأنها خرجت من أعماق القلب، فأثرت في القلوب، حتى قال لي الشيخ أبو الحسن: لعلك تعجب إذا علمت أن المسلمين الذين لا يعرفون العربية تأثروا بكلامك؛ لما فيه من حرارة وحيوية، وإن لم يعرفوا معناه!

وأعجب من ذلك أن الهندوس الذين حضروا الحفل تأثروا بكلامك وإن لم يفهموه!

قلت له: إنها نفحات ندوة العلماء وشيوخها هبت علينا، فما كان في كلامنا من خير، فهو منكم وإليكم.

رب يسر ولا تعسر رب تمم بالخير

الشيخ أحمدين: لو كان بيدي

وقد ظل ودّ الشيخ أحمدين لي موصولًا، حتى قدمت إلى الدراسات العليا، وقبلت في شعبة التفسير والحديث أو علوم القرآن والسنة، وفي السنة الثانية كنت الطالب الوحيد الذي نجح في الشعبة!

وأذكر أن فضيلة شيخنا الشيخ صالح شرف، الذي كان في ذلك الوقت السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية، كان يمر بالدراسات العليا وطلابها، ومرَّ بي وأنا مع الشيخ أحمدين فقال له: هذا الشيخ يوسف القرضاوي، لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من الآن.

الشيخ محمد يوسف: الأول رغم المخالفة

تقرر في عهد الشيخ شلتوت بأن يدخل طالبو البعثة "امتحانًا شفهيًّا" تقوم به لجنة من العلماء المرموقين، ويرشح منهم الناجحون الأول فالأول، وبهذا يأخذ كل ذي حق حقه.

وأذكر هنا أن اللجنة التي امتحنتني كان على رأسها أستاذنا الشيخ محمد يوسف الشيخ الأستاذ بكلية أصول الدين، وأستاذ العقيدة وعلم الكلام والمنطق، الذي كانت له شهرته في التدريس في الكلية، وكانت اللجنة تمتحن المتقدم في القرآن الكريم، وفي أسئلة عامة في العلوم الإسلامية.

وكنت بحمد الله حافظًا للقرآن، لا أكاد أخرم منه حرفًا، وكان أستاذنا محمد يوسف الشيخ يسأل أحيانًا في تفسير بعض الآيات. ومما أذكره أنه سألني أن أقرأ من سورة فصلت: قوله تعالى: "قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرض فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ"، وقرأت هذه الآيات إلى أن وصلت إلى قوله عز وجل: "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا؛ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فصلت: 12.

وهنا سألني الأستاذ: ألا ترى يا قرضاوي في قوله تعالى: "وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا": ردًّا

على ذلك الزعم الذي يرى أن بإمكان الإنسان أن يصعد إلى القمر، والله تعالى قد بين لنا أنه حفظ السماء؟

قلت له: اسمح لي يا شيخنا: إني لا أرى كلمة "حفظًا" دالة على عجز الإنسان أن يصل إلى أي كوكب فوقنا. فهذا الحفظ حفظ مخصوص دلت عليه الآيات الأخرى مثل قوله: "وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ* لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأعْلَى، وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ) الصافات: 7، 8. وقال في سورة أخرى: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيم) الحجر: 17، فهو حفظ من استراق السمع.

ولا ينافي هذا الحفظ أن يصل الإنسان الذي علمه الله ما لم يكن يعلم – وفقًا لسنن الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس – إلى بعض كواكب السماء، وقد قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) النحل: 12.

وأعتقد أنه من المجازفة يا مولانا: أن نعلن باسم الدين والقرآن: أن الصعود إلى القمر أمر مستحيل، ثم يتمكن الإنسان بعد سنوات – قد تطول أو تقصر – من تحقيق هذا الأمر، فماذا يكون موقف الذين أنكروا هذا الأمر، واستبعدوه؟

قال الشيخ: وهل تعتقد أن هذا بالإمكان؟

قلت: لا ريب أنه في دائرة الإمكان؛ حسبما وصل إليه الإنسان من إنجازات، كانت تحسب من قبل في عداد المستحيلات، وقد قال تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُون) النحل:8.

ولو لم يكن هذا الأمر في دائرة "الإمكان العادي" فهو قطعيًّا في دائرة "الإمكان العقلي" الذي درستموه لنا في علم الكلام.

وسكت الشيخ العلامة في العلوم العقلية، وإن كنت لاحظت عليه أنه غير مصدّق بقدرة الإنسان على الصعود إلى القمر.

والحمد لله، قد صدّقتني الأيام، فقبل مضي عشر سنوات كان الإنسان قد حقق هذا الإنجاز الخطير، وصعِد أول إنسان إلى القمر، وجلب من فوقه صخورًا وأتربة ليحللها الإنسان هنا على الأرض. ولم تؤثر هذه المناقشة التي خالفت فيها رئيس اللجنة في تقديرها لي! فقد منحتني اللجنة أعلى درجة نالها ممتحن، وكنت أول المتقدمين في هذا الامتحان.

د. محمد مختار بدير: ظلمتك يا قرضاوي

يحكي الشيخ في مذكراته: ومما وقع لي في السنة الأولى في كلية أصول الدين: أني اصطدمت بأستاذي في التفسير، وهو الشيخ محمد مختار بدير!

وكان الشيخ بدير رجلًا قارئًا مطلعًا أديبًا شاعرًا، ولكنه ضاق صدره بنقاشي في قضية علمية عرض لها، خالفته فيها وهي: هل كانت دعوة نوح عليه السلام عالمية أم لا؟

وقد رجَّح الشيخ أنها عالمية، بدليل أن الطوفان عم العالم، فلو لم تكن عالمية ما عوقب العالم كله بالطوفان!

وكنت في مناقشتي معتمدًا على النصوص المسلَّمة، فالقرآن يقول: (إِنَّا أرسلنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه) نوح:1، والحديث المتفق عليه عن جابر في الخصائص المحمدية: وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس كافة!

ولكن في اليوم التالي لقيني الشيخ بدير هاشًّا باشًّا، وقال: لقد ظلمتك يا قرضاوي، وراجعت المسألة، فوجدت الحق معك، وقد سألت عنك، فعرفت أنك من أهل العلم، كما علمت أنك شاعر مثلي.

وانعقدت بيني وبين الشيخ بدير مودة عميقة، استمرت حتى تخرجت، وكان كثيرًا ما يشيد بي، ويثني عليّ عند زملائه من علماء الكلية.

شيخ معهد القاهرة الديني: رب السيف والقلم

وقد زارنا في معسكر تل بسطة كثير من الرجال في هذه المنطقة، أذكر منهم الشيخ عبد الحليم الديب، شيخ معهد القاهرة الديني، وكان أحد شيوخنا بمعهد طنطا، فرآني في صفوف المتدربين بالملابس العسكرية، فحياني وقال: ربُّ السيف والقلم!

فقلت له: يا فضيلة الشيخ، أين نحن من السيف والقلم؟

فثار عليّ، وقال: التواضع مطلوب، ولكن ليس إلى حد أن تهضموا حق أنفسكم، إن غيركم يعمل عُشر ما تعملون، ولكنه يملأ الدنيا صراخًا بما يعمل.

د. قدري: القرضاوي مثال يحتذى

وأذكر ذلك اليوم الذي كان فيه درسي، وكان في إحدى مدارس العباسية بالقاهرة، وكنا أربعة من طلاب التخصص، وبعد أن ألقينا دروسنا اجتمعنا كالعادة، ونقد بعضنا بعضًا، ثم استمعنا إلى نقد الأستاذ الدكتور قدري، وكان نقده في الصميم: هذا كان عابس الوجه، وهذا كان قلق الشخصية، وهذا كان درسه تلقينيًّا، لم يشرك الطلبة معه، ولم يستثرهم بالأسئلة المناسبة، إلى أن جاء عندي فقال: أما القرضاوي فكان درسه مثالًا يُحتذى: في شخصيته، وفي وقفته، وفي ابتسامة وجهه، وفي إقباله على التلاميذ، وفي إشراكهم معه في كل الخطوات، وفي تلخيص درسه في النهاية. ولا يسعني إلا أن أشكر له، وأن أتمنى له دوام التوفيق في مستقبل حياته، وقد أعطاني الدرجة النهائية(50/50)

كما فعل معي ذلك في الفصل الثاني – أو قل في السنة الثانية – الأستاذ الدكتور الريدي، رحم الله الجميع، فقد أعطاني (50/50).

وماذا قال عنه أصدقاؤه وتلاميذه:

لم أكن في مقتبل حياتي – وقبل ثلاث وثلاثين سنة – متعاطفًا مع فقه وفكر العلامة القرضاوي، حتى اقتربت منه، وقرأته، وعرفته، فاختلف الأمر، إنصافًا ورجوعًا للحق، والله تعالى أعلم بالقلب والنية!

وشاء الله تعالى أن أقرأ، وأجالس كبار العلماء، من أنحاء العالم، فرأيت ثناءهم، وحبهم للشيخ حفظه الله تعالى، كشيخنا الغزالي، والعلامة الندوي، والمستشار طارق البشري وغيرهم، كما سمعت من كثيرين – مشافهة – آراءهم فيه: السياسي الكبير د. إسماعيل هنية رئيس وزراء غزة، والدكتور توفيق الواعي الأستاذ بكلية الشريعة، والدكتور جاسر عودة، والدكتور العظيم جمال بدوي، والعالم الشاعر الطبيب د.حسان حتحوت، والعالم الجليل أستاذي د. حسن عبد المجيد المعايرجي، والعالم الرباني أستاذي د. حسن عيسى عبد الظاهر، والعالم الفاضل الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالكويت، وعضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بالكويت، والأستاذ الدكتور عجيل النشمي عضو اللجنة العلمية للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعضو هيئة الفتوى والرقابة، والأستاذ المبارك النبيل خالد مشعل رئيس المكتب السياسي بحماس، والشيخ الجليل المربي العالم صلاح أبو إسماعيل، والعالم الجليل الصديق د.صلاح الصاوي، والفقيه القانوني الكبير المستشار طارق البشري نائب رئيس مجلس الدولة المصري، والمشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس السودان، والدكتور الفقيه عبد الستار أبو غدة، والعالم الفقيه الأصولي الرباني أستاذي وبلديي الدكتور عبد العظيم الديب، والعلامة التونسي الدكتور عبد المجيد النجار، والعالم الجليل الشيخ عبد المعز عبد الستار، والعالم المميز الدكتور الوزير عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي، والدكتور العلامة عز الدين إبراهيم، والعالم الدكتور الوزير عصام البشير، والعالم الاقتصادي الفقيه د. علي أحمد السالوس، والأستاذ المفكر أستاذي عمر عبيد حسنة، والشيخ فيصل مولوي علامة لبنان، والفقيه القانوني الكبير د.

محمد سليم العوا، والدكتور المؤرخ – بلديي – محمد السيد الوكيل رحمه الله، والعلامة المعروف د. محمد عمارة، والأستاذ المتميز منير شفيق، والدكتور الكبير وهبة الزحيلي، ووزراء الأوقاف القطريين، وكبار المسؤولين بالمؤسسات الدينية والرسمية في دولة قطر!

ناهيك عن وزراء، ورجال أعمال، وإعلاميين كبار، ودعاة مشاهير، وغير عرب من مشارب شتى، يعرفونه ويقصدونه قصدًا، مثل الدكتور سلمان العودة، وطارق سويدان، وسالم الشيخي، وأبو زيد المقرئ، وأعداد يعسر على سردها! ولا أدعي حصرها!

وعندما بلغ الشيخ السبعين من عمره المبارك أصدرت جامعة قطر كتابًا في 1070 صفحة يحوي ثناء العلماء وأهل الفكر للقرضاوي، وآراءهم فيه، كما أصدرنا في تكريمه كتيبين أنيقين بعد ذلك عند بلوغه الثمانين، وعند حملة الدفاع عنه – لما أراد بعضهم إسقاطه – حويا بعض آراء العلماء كبار أيضًا فيه! (ثم أصدرنا التسعينية في خمسة مجلدات كتبها نحو مائة وأربعين عالمًا، وتشرفت بالانفراد بالجزء الخامس منها وحدي، وهو هذا الكتاب)!

وممن تكلموا فيه من كبار علماء الأمة ورموزها، على الترتيب الأبجدي:

- **الدكتور أحمد الريسوني فقيه المقاصد، ورئيس جماعة التوحيد والتجديد في المغرب: القرضاوي فقيه المقاصد!**
- **الدكتور توفيق الشاوي أستاذ القانون الدولي والمفكر المعروف/ من مصر: القرضاوي رجل مدافع عن قيم الإسلام ومبادئه!**
- **القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية بباكستان: القرضاوي مدرسة علمية فقهية ودعوية يجب أن تستفيد الأمة من نبعها الإسلامي العذب!**
- **شيخ الأقصى رائد صلاح/ من فلسطين: لا أزال أؤكد أن الشيخ القرضاوي حفظه الله تعالى سيبقى رئيس اتحاد علماء المسلمين في العالم، وسيبقى من المراجع الأساس لكل الأمة المسلمة اليوم، في كل شؤونها الإسلامية، على صعيد علمائها، وعبادها، وعوامها، وكبارها وصغارها، ورجالها ونسائها.**

- الشيخ راشد الغنوشي رئيس حزب النهضة التونسي، ومن قادة الإصلاح السياسي والديني: القرضاوي في كلمة واحدة: إمام مجدّد. وقال: القرضاوي لسان الصدق الذي أماط اللثام عن منافقي تونس!
- العلامة العالمي الدكتور زغلول النجار/ من مصر: القرضاوي: رجل تميّز بالرقّة والأدب، في حزم الفقيه، وقد وهبه الله ذاكرة واعية، وذكاء فطريًّا، وفراسة ربانية، وقدرة على الفتيا؛ باستنارة ووعي، ما جعله داعية العصر وفقيهه بلا منازع!
- الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين رحمه الله تعالى/ من مصر، عندما ألقى طالب الثانوي يوسف القرضاوي قصيدة أمامه في احتفال للإخوان: إنه – أي القرضاوي – لشاعر فَحْل!
- الدكتور طه جابر العلواني مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا، ورئيس المجلس الفقهي بأمريكا منذ عام 1988 ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية (SISS) بهرندن، فيرجينيا/ من أصل عراقي: القرضاوي فقيه الدعاة، وداعية الفقهاء!
- الشيخ عايض القرني: بعد الإساءة التي قام بها الرسامون الدينماركيون خطب الشيخ خطبة رائعة ماتعة، وزاره بعدها في بيته د سلمان العودة، فقال له: علم الشيخ عائض القرني بزيارتي لك، فطلب مني أن أقبل رأسك، وقال بعد أن سمع خطبتك: أشهد أن الشيخ إمام!
- العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز العالم الرباني رحمه الله تعالى/ من السعودية: كتبه لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي!
- الأستاذ عادل حسين الكاتب المعروف رحمه الله تعالى/ من مصر: القرضاوي فقيه الوسطية في عصرنا!
- الشيخ عبد السلام الهرّاس أحد كبار علماء المغرب ودعاتها رحمه الله تعالى: القرضاوي القيادة الحكيمة في مسيرة التأصيل والتجديد والتوحيد، ويعدّ من أعظم ثمار دعوة الإمام الشهيد حسن البنا!

- **القاضي عبد القادر العماري نائب رئيس محكمة الاستئناف بقطر سابقًا: القرضاوي فقيه التيسير!**
- **الشيخ عبد الله بن بَيَّة وزير العدل والتعليم في موريتانيا سابقًا، ونائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة السعودية/ من موريتانيا: القرضاوي إمام من أئمة المسلمين، وضمير الأمة!**
- **العلامة المحقق والمحدث المشهور عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى/ من سوريا: القرضاوي فقيهنا ومرشدنا العلاّمة!**
- **الشيخ عبد الله عقيل العقيل الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقًا، رحمه الله تعالى/ من السعودية: القرضاوي رجل المرحلة، وفقيه العصر!**
- **الدكتور عبد الله عمر نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة سابقًا: القرضاوي قمة في العطاء!**
- **الشيخ عبد المجيد الزنداني الداعية الإسلامي المعروف/ من اليمن: القرضاوي عالم مجاهد!**
- **الأستاذ الدكتور عدنان زرزور أستاذ ورئيس قسم أصول الدين بكلية الشريعة جامعة قطر/ من سوريا: القرضاوي المجدّد الموفَق الموفِق، فقيه العصر ومجتهده الأول. لقد جمع القرضاوي بين دقّة الفقيه، وحماسة الداعية، وجرأة المجدد، وإقدام الإمام. لقد أقام القرضاوي دولة الإسلام في الفقه والاجتهاد!**
- **الشيخ الرباني أبو الحسن علي الحسن النّدوي رئيس ندوة العلماء بالهند رحمه الله تعالى: القرضاوي عالمٌ محقق، وهو من كبار العلماء والمربّين!**
- **الدكتور مانع حماد الجهني الأمين العام للندوة العالمية للشباب المسلم رحمه الله: القرضاوي: العالم الموسوعي والفقيه المعاصر!**
- **الداعية المربي الكبير د. محمد أحمد الراشد، من العراق: هو الرائد حقًّا، مع وفور المنطق المعتدل، ودقة الاستنباط، وشمول النظر، وقد حل المشكلات، وأوضح المعضلات، وميز الخلل،**

وعلل وأسند، فكان "معلم المرونة" حقًّا، وشارح المتغيرات، وتمثل كتابته مذهبًا في فقه الدعوة كاملًا مترابطًا متناسقًا موزونًا بمنطق واحد في بدايته ووسطه ونهايته، وبمنهجية من التيسير الذي تشهد له الأدلة والأصول العريقة، وأنا معه في معظم ما ذهب إليه، وأرى أنه قد وُفق إلى الصواب توفيقًا، ولست أُخالفه إلا في مسائل قليلة.

- العلامة المفكر الإسلامي المعروف محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ورئيس تحرير مجلة الأزهر سابقًا/ من مصر: القرضاوي! باحث دقيق وداعية صبور!
- الدكتور محمد عمر زبير مدير جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية سابقًا، وعميد لكلية الاقتصاد والإدارة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، والخبير في مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي: القرضاوي حامل لواء التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة!
- الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي، وهو الذي يعدُّه القرضاوي من أساتذته الذين تركوا بصمات في حياته: لقد سبق القرضاوي سبقًا بعيدًا!

وحينما سئل عنه قال: أنا مُدرّسه وهو أستاذي، الشيخ يوسف كان تلميذي، أما الآن فأنا تلميذه!

- المفكر الإسلامي المعروف الدكتور محمد فتحي عثمان رحمه الله تعالى الأستاذ في الجامعات العربية، والجامعات الأمريكية ومدير معهد دراسات الإسلام في العالم المعاصر: القرضاوي الفقيه الداعية البصير بالواقع المعيش!
- العلامة الفقيه الدكتور مصطفى الزرقا وزير العدل والأوقاف السوري، والخبير في الموسوعة الفقهية، والأستاذ بكليات الشريعة، والنائب في المجلس النيابي السوري، رحمه الله تعالى: القرضاوي حجّة العصر، وهو من نعم الله على المسلمين!
- الدكتور هيثم الخياط عضو مجامع اللغة العربية بدمشق وبغداد وعمان والقاهرة/ من سوريا: القرضاوي فقيه الحنيفية السمحة!
- أ.ياسر الزعاترة رئيس تحرير مجلة فلسطين المسلمة/ من فلسطين: القرضاوي من أشرف الرجال الذين عملوا لقضية فلسطين!

- **رأي أ.د. حلمي القاعود: من أهم من أحترم رأيهم وأتابعهم من زمن الأستاذ الدكتور الأديب الناقد المفكر حلمي القاعود الذي كتب حول: (القرضاوي وفقه المعاصرة) يعكس طبيعة الشيخ وفقهه ورؤيته الشاملة، فكان مما قال:**

رحت أتتبع ما يكتبه القرضاوي في مجلات عربية، منها مجلة الأمة ومجلة الدوحة القطريتين، وكان لهما في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي شهرة كبيرة بين القراء، وكان ما يكتبه القرضاوي يحظى باهتمام كبير، وخاصة لدى شباب الصحوة الإسلامية، الذين كانوا يتلقون كتاباته بوصفها توجيهات يجب تنفيذها أو مناقشتها لمعرفة أتباعه، أو تطويرها.

فالواقع العربي والإسلامي يمتلئ بكثير من القضايا والظواهر التي تحتاج إلى عقل جريء، يناقش ويحلل، ويفكر ويقدر، ويقيس ويستنبط، ويواجه ما يجري بروح الفقيه الأصولي الذى ينطلق من وعي عميق بعلم الأصول، ومواضعات الواقع بما فيه من تطورات تفرض أن تكون هناك إجابة واضحة تبين للناس كيف يتصرفون على ضوء عقيدتهم وإيمانهم.

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية كثيرًا من الأحداث والظواهر والمواقف التي تفرض على المسلمين أن يلتمسوا الصواب في الفتاوى وآراء الفقهاء؛ كي يتأكدوا أنهم يسيرون على طريق الصواب، ويبتعدون عن الخطأ.

كانت هناك ثورة إيران الإسلامية، والاحتلال السوفيتي لأفغانستان، ومصرع الرئيس السادات، واحتلال اليهود الغزاة للبنان الذي كانت تعصف به الصرعات الدموية؛ قتالًا بين الطوائف، ومطاردة للمقاومة الفلسطينية، والحرب العراقية الإيرانية، واحتلال صدام للكويت، وحرب القوات الأجنبية والعربية لتحريرها، ثم انتشار العنف بين بعض الجماعات الإسلامية والسلطات وصلت إلى حد الحرب الأهلية الدامية كما جرى في الجزائر، وتفجيرات نيويورك، والحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، ثم ثورات الربيع العربي التي انطلقت مع نهايات العام 2010 م، وما زالت تهدر حتى كتابة هذه السطور.

كانت هناك ظواهر أخرى عديدة اجتماعية واقتصادية، طفت على سطح الحياة العامة مثلما يسمى بالتطرف أو التشدد، والزواج السرى أو العرفي، وما عرف بزاوج المسيار، وقضايا الحج الصعبة مثل رمي الجمار، وذبح الأضاحي وتكدسها في المشاعر المقدسة وعدم الاستفادة منها جيدًا، وقضايا البنوك والفوائد والاستثمار، وأوضاع المسلمين في الدول غير الإسلامية، وكيفية التعرف على أمور دينهم، والتوافق مع المجتمعات الأجنبية، والظروف المختلفة في بعض بلدان العالم مثل طول النهار وقصر الليل، وعلاقة ذلك بفريضة الصوم! وغير ذلك من أمور نشأت نتيجة لاختلاف الزمان والمكان.

وكان القرضاوي في تلك المعمعة – إذا صح التعبير – فارسًا لا يشق له غبار؛ حيث تصدى للإجابة عن كثير من الأمور المتعلقة بهذه الأحداث والظواهر والأحوال؛ منطلقًا من وعيه بدور العالِم الإسلامي في زمانه، ومن خلال توظيفه لعلمه وثقافته ليدلي بدلوه في فقه المعاصرة قويًّا وراسخًا ومقنعًا، ما جعل لفتاوى الشيخ القرضاوي ومواقفه حضورًا قويًّا في وجدان الشعب المصري، بل الشعوب العربية والإسلامية جميعًا؛ ففقه المعاصرة الذي اتسم بالعلم العميق والشجاعة المسؤولة، وجد مساندة من العلماء الأصلاء، الذين لم يخضعوا لسلطة مستبدة، أو حكومة ظالمة، أو دولة ذليلة، تابعة للغرب الاستعماري وإرادته.

وهكذا يمكن القول إن القرضاوي سطع نجمه في الواقع العربي الإسلامي، وتأهل ليكون قيادة فعالة في صناعة الربيع العربي الذى بدأ بثورة تونس ثم مصر، وامتد إلى أقطار أخرى.

لقد استطاع القرضاوي أن يفيد من دراسته المتخصصة للفقه وأصوله، في خدمة المسلمين من خلال ما أسميه فقه المعاصرة، وهو فقه يتجاوز ما عرفه الفقهاء من السلف الصالح، واقتصر على قضايا العبادات، والمعاملات التي كانت ترتبط بالظروف المغايرة لزمإننا، إلى القضايا المعاصرة؛ بما فيها من مواقف وظروف، مختلفة تمامًا عن المواقف والظروف التي عرفها القدماء؛ ولذا كان جل مؤلفاته وكتاباته وخطبه ومحاضراته وأحاديثه التلفزيونية وغيرها، تصب في الأفق المعاصر بكل أطيافه

المتباينة، ليؤصل الرؤية الإسلامية الدقيقة في التعامل معها والحكم عليها. وكفى بذلك وصفًا ونصفة.

الشيخ حسن عبد الحميد: هل سمعت بجبال هيملايا وفيها قمته التي هي أمل أبطال التسلق هي قمة إيفرست!؟

القرضاوي في العلم والفقه هو هذه القمة!

أنا لا أعرِّف به؛ فكل مركز إسلامي في العالم يعرفه، وكل عالم في دنيا الإسلام يعرفه في الشرق أو الغرب.

أحد أبرز علماء السنة في العصر الحديث، تعرفه رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وأعضاؤها أعلام، وتعرفه منظمة المؤتمر الإسلامي؛ فهو النجم المضيء لدربها.



شهادات للشيخ في شكل جوائز ومسؤوليات:

إن مما سأحتج به أمام ربي سبحانه: الجوائز التي نالها، والمناصب التي تبوأها، والمسؤوليات التي نيطت به. وإني لأثق – ولا أشك لحظة – أن شيخي القرضاوي نال من الجوائز ما لا يذكر عددًا وقيمة، لا يحصرها هو، ولا من حوله، كما كتب أشعارًا كثيرة رائعة، ضاعت، أو نسيت!

لكن من أهم الجوائز ذات الصفة العالمية التي نالها القرضاوي اعترافًا بفضله وتفرده:

- جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام 1411هـ، 1990 م.
- جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك مع سيد سابق في الدراسات الإسلامية عام 1994م 1414 هـ.
- جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام 1996م،
- جائزة السلطان حسن البلقية سلطان بروناي في الفقه الإسلامي عام 1997.
- جائزة سلطان العويس في الإنجاز الثقافي والعلمي لعام 1999م
- جائزة دبي للقرآن الكريم! فرع شخصية العام الإسلامية لعام 1421 هـ.
- جائزة الدولة التقديرية للدراسات الإسلامية من دولة قطر لعام 2008م، وتسلمها من أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني في 8 نوفمبر2009 !
- جائزة الهجرة النبوية لعام 1431 هـ من حكومة ماليزيا وتسلمها من ملك ماليزيا في 18 ديسمبر 2009.
- في سبتمبر 2010 منح الملك الأردني عبد الله الثاني العلامة القرضاوي وسام الاستقلال من الدرجة الأولى!
- في استطلاع دولي أجرته مجلتا فورين بولسي وبروسبكت الأمريكية والبريطانية على التوالي – وفي 24 يونيو 2008 احتل المرتبة الثالثة ضمن أبرز المفكرين فيي قائمة ضمت عشرين

شخصية هي الأكثر تأثيراً.

- في عام 2009 اختير في المرتبة الـ 38 في كتاب أصدره المركز الملكي الأردني للدراسات الإستراتيجية الإسلامية حول أكثر 500 شخصية مسلمة مؤثرة عامذاك!

ومن المواقع العالمية التي تبوأها الشيخ:

- رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.
- عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد.
- عضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر، وعضو هيئة كبار العلماء.
- رئيس جمعية البلاغ القطرية الممولة لشبكة إسلام أونلاين حتى مارس 2010 .
- عضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- عضو مجمع الفقه الإسلامي العالمي المنبثق من منظمة التعاون الإسلامي.
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي، والبنك الدولي الإسلامي.
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين.
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف أبو ظبي الإسلامي.
- نائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في الكويت. وغيرها.



الشيخ في استبانات دولية:

أكثر من استبانة دولية وضعت القرضاوي في مقدمة الشخصيات المؤثرة عالميًّا، فقد اختير في 2008 ليحتل المرتبة الثالثة في قائمة عشرين شخصية فكرية هي الأكثر تأثيرا على مستوى العالم، بناء على استطلاع دولي أجرته مجلتا "فورين بولسي" الأميركية و"بروسبكت" البريطانية. كما نشرت الجزيرة نت في 2015/4/16 م.

وجاء على موقع الشيخ في 21/11/ 2009 بعنوان: القرضاوي بطليعة الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي:

اعتبر كتاب جديد للأكاديمي الأمريكي المعروف "جون أوسبوزيتو" والبروفيسور "إبراهيم كالن" العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في طليعة 500 شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي.

الكتاب الصادر عن المركز الملكي الأردني للبحوث والدراسات الإسلامية، ومركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة "جورج تاون" بالولايات المتحدة وضع القرضاوي في المرتبة التاسعة في معرض رصده وتعريفه الموسع للشخصيات ذات التأثير في المسلمين، بينما حلّ رئيس الوزراء التركي "رجب طيب أردوغان" في المرتبة الخامسة.

وجاء المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر بالمرتبة الـ 12، ثم د. سلمان العودة في المرتبة الـ 19، ود. سعيد رمضان البوطي" في المرتبة 23، وجاء الرئيس التركي "عبد الله جول" في المرتبة 28، فيما حل الشيخ العلامة "عبد الله بن بَيَّه" نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين في المرتبة 30.

وجاء "خالد مشعل" رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في المركز 34. والشيخ "مولانا محمود مدني" سكرتير عام جمعية علماء الهند في المرتبة 36، ثم الداعية الأمريكي "حمزة يوسف" مؤسس

معهد الزيتونة للدراسات بالولايات المتحدة في المركز 38، والشيخ "البروفيسور العلامة مصطفى سيريتش" مفتي البوسنة والهرسك في المرتبة 39، و"داتو حاجي نيك عبد العزيز نيك مات" زعيم الحزب الإسلامي الماليزي في المرتبة 42. فيما حل زعيم الجماعة الإسلامية في بنجلاديش "مطيع الرحمن نظامي" في المرتبة 43، ود. عبد العزيز التويجري رئيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" في المركز الـ50.

يقع الكتاب في 195 صفحة؛ ويتحدث عن كل شخصية وأعمالها وانتماءاتها السياسية والحزبية والدينية؛ كما يتحدث عن جماعة الإخوان المسلمين، والجماعة السلفية (أو التيار الوهابي) في المملكة العربية السعودية.

ويعتبر مركز التفاهم الإسلامي المسيحي من أبرز المراكز البحثية في العالم، وله وزنه فيما يصدره من أبحاث تتعلق بقضايا العالم الإسلامي، وعلاقته بالغرب وسبل والتقارب بينهما.

ونشرت إسلام تايم – وكالات – 30 / 4 / 2008: قائمة أصدرتها مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية حول أهم 100 شخصية عامة مثقفة، تصدر العلامة الدكتور يوسف القرضاوي! ونشرت المجلة التابعة لمركز كارنيجي للسلام الدولي ١٠٠ اسم لمن وصفتهم بالمفكرين الذين يشكلون اتجاه عالمنا اليوم، قائلة إنهم من أهم فلاسفة العالم المتعمقين ورجال الدين المشاغبين.

وقالت عن القرضاوي إنه مصري قطري، وإنه الواعظ الأكثر تأثيرا في الإسلام السني، ولم تحدد المجلة ترتيبًا للشخصيات، في حين فتحت باب التصويت علي موقعها علي الإنترنت لانتخاب أهم ٥ مثقفين، مشيرة إلي أنه سيتم الإعلان عن أهم ٢٠ شخصية عامة مثقفة في عدد المجلة لشهري يوليو وأغسطس المقبلين.



الشيخ ذو الذاكرة السيالة

الشيخ ذو الذاكرة السيالة

مما اختَص الكريم الوهاب شيخي به: تلك الذاكرة العجيبة، المشحوذة دائمًا، اليقظة دائمًا، المستحضرة دائمًا.

يحس بقيمة هذه المنقبة رجل مثلي ذو ذاكرة قصيرة أو غربالية، لا تمسك شيئًا، ولا تتذكر حدثًا، حتى إني لا أحفظ شعر نفسي، ولا أسماء كتبي!

حين فاز الشيخ حفظه الله بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، أقام الشيخ القاضي عبد القادر العماري احتفالًا به في منزله باللقطة، حضره جمع من أحباب الشيخ وذلك عام 1994.

وقد ألقيت في هذه الاحتفالية قصيدة، وبعد المناسبة بنحو ثمان عشرة سنة، جاء ذكر الجائزة، فذكرت للشيخ أني ألقيت آنذاك قصيدة، فقال لي: أيوه يا أخ عبد السلام، كان اسمها: عاجل بشرى المؤمن، وقلت فيها: وأخذ يسردها علي، وأنا ذاهل، غارق في دهشتي؛ لأنني لا أذكر القصيدة، ولا أستطيع أن أسرد شيئا من مطلعها!

وحدثته عن كتاب بدأته من سنين بعيدة (معجم قرآني كبير) فإذا هو بين الحين والحين يسألني: ما أخبار المعجم؟ إلى أين وصلت؟

وأذكر أني عام جئته 1991 لأسجل حلقة من برنامج أعده لتلفزيون قطر (برنامج الإسلام وقضايا العصر، وقدمه آنذاك الشاعر عبد الرحمن القرضاوي)، دون أن أحدد له موضوعًا، فسألني: عماذا تريدني أن أتكلم؟

فاقترحت عليه عدة عناوين، منها العقلانية، ودور العقل في الإسلام! فقال لي: نتكلم في هذا:

وكنت وقتها قد نشرت كتابًا لي عن العقلانية، والموضوع حي في عقلي وقلبي، فبدأت أسأله، فكأنني وردت بحرًا، ووالله لكأنما كان يقرأ من كتاب، مدة ثمانين دقيقة، حتى بهرني وقطع نفَسي اندهاشًا؛ فالموضوع دقيق، وأنا حديث عهد بالكتابة فيه، وهو يتكلم دون سابق تحضير، وأتى بدقائق مدهشة، وتكلم عن أنواع العقل، وعن الغلو في استخدامه، وعن موقع العقل من النص، وعن مدارس تغييب العقل، وغير ذلك!

والشيخ عجيب في استحضار النصوص من القرآن الكريم، والسنة المشرفة، والشواهد الشعرية والحكم، والمأثورات، وأقوال الفقهاء، ومواقع الأفكار في الكتب والمراجع، يثق بذاكرته فيها جدًّا.

حدثني الصديق الشاعر عبد الرحمن يوسف، أنه يصلي بأبيه – هو أو زوج أخته د. هشام – هذه الأيام، وكثيرًا ما يخطئ أحدهما القراءة، فإذا بالشيخ التسعيني يفتح عليه إن تلعثم، أو يصحح له إن أخطأ!

وهو الذي ارتجل في كلمته لنيل لدكتوراه دون سابق إعداد – كما جرت عادة الممتَحَنين – ثقة وتمكنًا، واستحضارًا للموضوع، وكم استُدعي واستُنخي فانتخى وأتى بالعجائب على البديه، دون كد ذهن، ولا إرهاق فكر، في الحديث للعامة، أو في ندوات الجامعة – بين الأكاديميين – أو في المؤتمرات والمناقشات العلمية الدقيقة، على السواء!

وهو الذي استرجع في مذكراته – سيرة ومسيرة – دقائق من التواريخ، والأسماء، والشخصيات، والأحداث، والمواقع، والتفاصيل، ما يحير ويبهر! حتى إنه ليذكر من الرحلة التي قام بها أوائل الستينيات مثلًا: متى انطلق، وكيف انطلق، ومع من، وأين ذهب، ومن استقبله، وأين نزل، وماذا أكل، وماذا شرب، وما جرى من منمنمات حياتية أثناء ذلك، بشكل عجيب بديع!

بل إنه روى تفاصيل من حياته في الكتاب وما بعده، تجعلك تسبح الله على ما أعطاه وحباه!

يقول الأستاذ أحمد النسناس:

وللشيخ ذاكرة فذة – نسأل الله أن يحفظها عليه – ومقدرة على الاستيعاب والحفظ، ليس حفظ المتون والعلوم فقط، بل الأحداث والأشخاص.

وهو ليس ممن يُحَمَّل فيتحمَّل، فكثير من المشايخ يحمله تلامذته ومقربوه مواقف هي نتاج لما يلقونه إلى سمعه، لكن الشيخ ليس كذلك، فما إن تبدأ الحديث عن قضية أو شخص إلا تجد الشيخ عنده من الإلمام بالموضوع والإحاطة ما يجعلك تتعجب، كيف ومتى وأنت تراه في مكتبه من قبل الظهر إلى قرب منتصف الليل، في مكتبه بين كتبه وأوراق مشروعاته في التأليف؟! فإذا تأثرت أنت– مثلًا–

بالإعلام، أو غلبتك عاطفتك، فتبنيت رأيًا معينًا لم يُقنع الشيخ، وحاولت أن تعرض وجهة نظرك على الشيخ، حاججك وفند ما تقول، ثم تثبت لك الأيام صدق حدس الشيخ.

ويقول أ. د. إبراهيم أبو محمد المفتي العام لقارة أستراليا:

أذكر أنني تعرفت على سماحة الشيخ ونحن طلاب، مع أنه لم يُدرِّس لنا، ثم تكرر اللقاء بعد ذلك مرات ومرات، ثم توقفت اللقاءات لمدة تجاوزت العشرين عامًا، خلالها تغيرت الملامح والهيئة، وعلا الشيب كل رأسي، والتقينا في أول مؤتمرٍ كانت الرابطة العالمية لخريجي الأزهر قد عقدته للمرة الأولى في القاهرة! كان الشيخ هنالك، في صالة الطعام رأيته؛ فاندفعت إليه أصافح وأقبِّل يديه، وأُعيد وأُجدد تعريفي له كتلميذ تشرَّفتُ بمعرفته قديمًا، وبعد السلام، وقبل أن أبدأ في الكلام بادرني قائلا: كيفك يا شيخ إبراهيم أبو محمد، وكيف أحوال المسلمين في أستراليا؟ ساعتها غمرتني سعادة الدنيا؛ فشيخنا لا يزال يتذكر تلاميذه، ويعرف مَن منهم ألقى عصاه، وأين استقر به النوى!

وبعد هذا اللقاء بما يزيد عن عشر سنوات كنتُ في مؤتمر بدولة قطر، وطلبتُ من مرافقي أن يتصل بمكتب الشيخ، ويطلب لقاء معه باسمه هو كضيف من ضيوف المؤتمر دون أن أذكر اسمي، وفي صالة الانتظار وهى مزدحمة بضيوف أمثالنا أقبل الشيخ وألقى السلام؛ فتقدمت إليه مصافحًا ومقبلا لرأسه ويديه، وبادرته بسؤال: مولانا، هل تذكر الشاب النحيل الطالب المزعج كثير الأسئلة الذي قدَّمه إليك مولانا المرحوم الشيخ الغزالي والأستاذ حافظ سكر؟! ردَّ الشيخ قائلا: نعم أعرفه، كبر وتخرَّج وأصبح مفتيًا للقارة الأسترالية. كيف حالك يا شيخ إبراهيم أبو محمد؟! فقبَّلته مرة أخرى، وأهديته نسخة من آخر كتاب لي عن (الثورة المصرية بين تحليل الخبراء ومفاجآت الأقدار)!

وعلى موقع الشيخ كتب الأستاذ عبد الله بن عمر:

كان القرضاوي يدعو الله في شبابه ألا يهتز القلم في يده حين يتقدم في العمر، حتى يكون بوسعه أن يؤلّف، ولما كانَ كثير السفر جدًّا، يذرع العالم ذهابًا وجيئةً، كان يبتعد مضطرًّا عن مكتبته، ولكن مكتبته كانت تسكنه؛ فقد رُزق ذاكرةً أسطورية تضم كنوزًا من نصوص الوحيين، كما تضم كثيرًا

من النصوص العلمية، فكان يكتب في الطائرة، وفي صالات العبور في أثناء ساعات الانتظار، وفي الفندق حيث يقيم، ثم يعود إلى المكتبة فيثبت أرقام الآيات والأحاديث والصفحات، ويُحيل، ويعزو، ويكمل ما لم تسعف به الذاكرة!

هي حياة العالِم، داخل المكتبة، خارج العالم! عزلةٌ محسوبةٌ لا يفقد معها المرء الصِّلة بالعالم، ولكنه ينقطع عنه ليضيف إليه!

وقال عنه صديقة العلامة زغلول النجار: القرضاوي رجل تميّز بالرقّة والأدب، في حزم الفقيه! وقد وهبه الله ذاكرة واعية، وذكاء فطريًّا، وفراسة ربانية، وقدرة على الفتيا باستنارة ووعي؛ ما جعله داعية العصر وفقيهه بلا منازِع!

ويقول د. أكرم كساب: حباه بحافظة جيدة، أحسن الشيخ استخدامها عند الحاجة كما هو الحال في أسئلته التي يتعرض لها، أو في مناظراته كذلك.

وقد ذكر الشيخ في مذكراته أن أحد المدرسين دخل حصة عليهم فكتب ثلاثة أبيات لابن زيدون يقول فيها:

بيني وبينك ما لو شئت لم يضعِ	سرٌّ إذا ذاعت الأسرار لم يذع
يا بائعًا حظه مني.. ولو بذلت	لي الحياة بحظي منه لم أبع
ته أحتمل، واستطل أصبر، وعز أهن	وول أقبل، وقل أسمع، ومر أطع

ثم مسح المدرس الأبيات، وسأل الطلاب من حفظ الأبيات الثلاثة، فوجد من حفظ بيتًا أو اثنين، ولم يكن أحدًا حافظًا للثلاثة أبيات سوى الطالب يوسف، ثم كتب المدرس أربعة أبيات أخرى فكان الطالب يوسف حافظًا لها.

ولكن الشيخ جعل حفظه لما له فائدة، أما ما يرى أنه لا فائدة منه فيقول: لا أحسن حفظ ما لا أشعر أني بحاجة إلى حفظه.

وقد استفاد الشيخ من هذه الذاكرة الجيدة التي رزقه الله إياها، وكانت سلاحًا من أسلحته،

إن اعترضه أحد، أو ناقشه معارض، فتراه حاضر الحجة سريع البديهة، مليء الجعبة، لا يتلعثم ولا يتلكأ!

وقد حدث أن الشيخ كان يتحدث يومًا في أحد المساجد، وكان حديثه في ليلة السابع عشر من رمضان عن غزوة بدر، وتقبل الجمهور محاضرة الشيخ إلا واحدًا هو إمام المسجد، فقال للشيخ: حديث عظيم يا أستاذ، ولكن أما كان من الأنفع أن يتعلم الناس شيئًا من أمور دينهم؟

قال الشيخ: وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته أليست من أمور دينهم؟

فقال إمام المسجد: أقصد أن يتعلموا كيفية الوضوء والغسل، ويعرفوا شروط ذلك وواجباته وسننه.

قال الشيخ: يا سيدي الشيخ في كم آية ذكر الله شؤون الوضوء والغسل وما بينهما من أمور الطهارة؟ إنها آية واحدة جمعت ذلك كله: (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة!) المائدة 6. وآية أخرى تناولت الموضوع في سورة النساء، ولكن في كم سورة ذكر الله شأني الجهاد والقتال في سبيل الله، وسكت إمام المسجد، فقلت: إن عندنا مجموعة من السور القرآنية توحي أسماؤها وحدها بموضوعها – وهو الجهاد – منها: الأنفال، والتوبة، الأحزاب، الفتح، الصف، الحشر، الحديد، العاديات، النصر.





الشيخ موسوعيًّا

الشيخ موسوعيًّا

لا أشك أن مولانا القرضاوي ظاهرة؛ لكونه مجموعة من المواهب ضمها إهاب، وهو في كل منها – تبارك الله – متميز موهوب فائق، فهو – عندي – الإمام الأكبر، الموسوعي، المجتهد، الأصولي، الفقيه، الداعية، المفكر، الأكاديمي، البحاثة، الإعلامي، اللغوي، الشاعر، الناثر، الظريف، الذي يحيي لنا أنموذجًا سلفيًّا فذًّا؛ رأيته من قبل في الشافعي وابن تيمية وابن القيم وابن حجر والسيوطي، وأشباههم من الموسوعيين العظماء متعددي المواهب! مع لطف في المعشر، وهدوء في الطبع، وحضور في البديهة، وسيلان في الذاكرة، وغزارة في العطاء، وعفة في اللسان؛ أقول ذلك مقالة العارف المتابع، وأشهد بما أعلم، والله تعالى سائلي، وأزعم أنني – على ما خالطت، وقابلت من الإعلام – ما رأيت في موسوعيته، ودقة أدائه، وسلامة لسانه!

وفي سعة وادي الشيخ وامتلاء شباكه، وتنوع جوانب اقتداره والموسوعية العلمية والثقافية لديه، يقول الدكتور الشيخ سلمان العودة:

لاحظتُ أن سماحة الشيخ يتميز بقدر كبير من الموسوعية، فأنت تجده متمكنًا من علم الأصول، والفقه، واللغة، والتاريخ، والأدب، والشعر، والسياسة. مع شمولية العطاء والعمل، وتنوع المناشط، والنزول للميدان، والطاقة الإيجابية، والقدرة على تجاوز الصعاب والعقبات والتحديات، مهما كانت مريرة وقاسية، وحتى لو صدرت من حبيب أو قريب أو جار أو زميل في الميدان!

أذكر من العلماء الموسوعيين الذين لقيتهم الشيخ علي الطنطاوي، قرأت كل مؤلفاته، كما قرأت مؤلفات سماحة الشيخ يوسف القرضاوي، ثم كُتب لي أن أتصل بالشيخ علي الطنطاوي في مرحلة متقدمة من عمره، وكان في مكة المكرمة، وفرح بنا ودامت الصلة، وأبرز الفروق أن الشيخ يوسف القرضاوي يمتاز بالروح الحركية المتوقِّدة. ولو كان متفرغًا للتأليف، لقلت: لا غرابة؛ لكن الشيخ منهمك في حراك لا يتوقف، حتى لا تكاد تجد تجمعًا محدودًا في بضعة نفر، إلا وتجد الشيخ من بينهم، ولا تسمع بمؤتمر إسلامي في الشرق أو الغرب، إلا وجدته مشاركًا فيه.

قابلتُ الشيخ في ماليزيا، ووجدته يحدثنا عن زيارته الصين، كنت في قرارة نفسي أتعجَّب من الشيخ وهو يقول: أتيت من الصين ولا بد أن تزار الصين. وأقول في نفسي: ومن أين للناس هذه الروح الفاعلة النشطة؛ التي لا تمل، ولا يُسئمها طول الترحال، وعناء الطريق، ووعثاء السفر؟!

رأيتُ الشيخ يتكلم في مناسبات كثيرة ارتجالًا؛ بلا ورق ولا عناصر ولا تحضير، ويُخيَّل إليَّ أن الشيخ سيُكرر نفسه! ولأنني سمعته يفتتح المؤتمرات، فإذا تكلم وجدته يتجدد، ويأتي بأفكار وكلمات جديدة، ويضيف كل يوم جديدًا. بينما الآخرون – وهم علماء فطاحل – يكاد الإنسان يحفظ ما قالوه.

الشيخ الموسوعي يتميز بذاكرة فذة، والذاكرة عمرها طويل، وها هو يذكرني بلقاء قديم بيننا في إندونيسيا مضى عليه أكثر من (35) سنة، حين لقيت الشيخ في بيت الشيخ محمد ناصر، وهو لا يستذكر الأشياء القديمة فحسب؛ بل الأشياء التي وقعت بالأمس أكثر منا (نحن الشباب)!

وحين يكون الأمر أكاديميًّا معرفيًّا يختلف الأمر، وقد رأيت الشيخ في العديد من الملتقيات، مثل: مجلس الإفتاء الأوروبي، يُقدّم بحوثًا، فأتعجب كيف يجد وقتًا لكي يكتب بحثًا في جزئية ربما يكون الشيخ حفظها منذ الصغر، وقرأها على الشيوخ، وقرأ فيها واطَّلع.

الموسوعية منَّة يمن الله على بعض عباده بها، وإنما توجد في الندرة من الناس، ولكن على الإنسان أن يقتبس منها؛ لأن المقام ليس الثناء المجرد، وإنما مقام الدرس والاقتباس، فعلى الطالب أن ينوِّع معلوماته ومعارفه، ويستفيد ممن حوله، ويقرأ في ألوان المعرفة.

إذا تكلَّم الشيخ ارتجالًا جاء بالآية وتفسيرها، والحديث، وتخريجه، والحكم عليه، والتجارب الواقعية، والقصص، والشعر الفصيح. ما يعطى الكلام حلاوة وطلاوة وتجددًا، ويبعد السآمة والملل.

الموسوعية تجعل عقل الإنسان حيًّا، نيِّرًا، متجددًا، عارفًا كيف يتعامل مع المتغيرات والمستجدات. ومع الموسوعية تبرز ميزة المشاركة والحراك والتفاعل مع الأحداث، ومع المستجدات،

والقرب من الناس.

وكتب الدكتور علي بن حمزة العمري فك الله أسره:

إنني لا أظن أن عالمًا معاصرًا – بعد الإمام حسن البنا – كُتبت عنه رسائل علمية (ماجستير ودكتوراه) بقدر ما كُتب عن الشيخ القرضاوي.

كما لا أظن أنه قد كتب في فكر أحد ومنهجيته مثلما كُتب عنه! وهو في كل ذلك يستحق الإشادة وأكثر –ولا نزكيه على الله –ولعل موسوعة (يوسف القرضاوي! كلمات في تكريمه وبحوث في فكره وفقهه) والجمع المبارك الذي شارك فيها، والكتابة التي صيغت من علماء الأمة ومفكريها ومثقفيها عنه، لتدلُّ على مكانة الرجل، وعلو كعبه، وحجم دوره في فكر الأمة وترسيخ هويتها.

إن مما فتح الله سبحانه وتعالى به على الشيخ القرضاوي، أمورًا نادرة، ومواهب فريدة، وخصائص جليلة، يمكن الإشادة ببعضها، ومنها:

1– رجل تاريخ ومرحلة: فالشيخ – حفظه الله – عاش عمره المديد، منذ ريعان شبابه في الدعوة، تعلمًا وتعليمًا. وعاصر مرحلة تكوين الحركة الإسلامية، وما أعقبها من الصحوة الإسلامية، ثم تحولات الأمة، وما صاحب ذلك من تغيرات وتجديدات، عاش ذلك وهو بكامل وعيه، وناضج فكره، وتمام فقهه، وجميل سيره، ترقب ذلك في خطِّ خطبه الأولى، وقصائده ومسرحياته في بدايات عرضها، وكتبه في أوائل نشرها؛ ومشروعاته ومؤسساته منذ إعلانها لترى الموازين الغالبة وثبوتها منهجًا، وتطورها فنًّا.

ففي الفقه: العمق، والبحث عن الأدلة، والمقاصد، والاجتهاد.

وفي الفكر: الشمولية، والسعة، والربط بالسيرة، والتمحور حولها.

وفي الدعوة: البناء والتكامل، والنقد الهادف، ورسم السياسات والأولويات، والاستقلالية.

وفي السياسة: الوضوح، والحكمة، والحق.

وفي المشروعات: المبادرة، والمأْسَسَة، والإنتاج، والعَصْرنَة.

وفي كل مجال ما يمكن رصده بعمق وتحليل!

إن (الخَضْرمة) التي عاشها الشيخ يوسف، لم تُحقَّق لأكثر علماء جيله، بل حتى بعض أصدقائه وتلاميذه، وهي فتح من الله وتوفيق، ساهمت في تراكم خبرته، وترتيب مرحلته، وتوجيه رسالته.

وأرى من واجب دعاة اليوم، وشباب الأمة قراءة سيرته ومسيرته التي دونها بيده (ابن القرية والكتاب)، فهي مسيرة حافلة بالعطاء وأعجب العبر، وأبدع الدروس في عوالم السياسة والدعوة والتربية.

و كتب العلامة الدكتور زغلول النجار:

حين طُلب مني الكتابة عنه (بارك الله في عمره، وتقبل منه جهاده الطويل، وختم بالصالحات أعماله اللهم آمين)، حين طلب مني ذلك توقف القلم في يدي عاجزًا عن وصف مشاعري تجاه هذه القامة الإسلامية الكبيرة من بين علماء العصر المجاهدين من أجل نصرة الدين، وما أندرهم في هذه الأيام.

وكان ترددي في الكتابة ناتجًا عن خشية التقصير في إعطائه حقه، أو المبالغة في إعطائه ذلك الحق لفرط حبي الشديد لشخصه الكريم. ومع يقيني بأن الله (تعالى) يمن على أمة الإسلام بمن يحمل أمانة التبليغ عنه وعن رسوله الخاتم من عدول العلماء الذين لم يخل زمان منهم، إلا أن زمن الفتن الذي نعيشه يكاد يفتقر إلى هذا الصنف منهم. ومن هنا كانت رحمة من الله أن جعل أخي الكريم الدكتور يوسف القرضاوي علمًا من أعلامهم (ولا أزكي على الله أحدا)، في زمن يفتقر إلى من يقول كلمة الحق، وعلى الرغم من ذلك فقد احترت ماذا أكتب؟

هل أكتب عن نبوغه المبكر الذي مكنه من حفظ القرآن الكريم كاملا وهو دون العاشرة، كما مكنه من التفوق على أقرانه في جميع مراحل تعليمه؛ حتى حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الأزهر الشريف سنة 1973م؟

هل أكتب عن جهاده الطويل في مقاومة الحكومات الظالمة المتتالية على حكم مصر حتى دخل سجونها عدة مرات ابتداءً من سنة 1949م، 1954م، 1963م، وحتى حكم عليه بالإعدام غيابيًّا

سنة 2013م؟

هل أكتب عن جهاده العلمي في كل من معهد قطر الديني، وفي تأسيس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر التي تولى عمادتها لأكثر من سبعة عشر عاما، وقادها بنجاح واضح حتى وصلت إلى مستواها الحالي؟ أم أكتب عما أثرى به المكتبة الإسلامية بأكثر من مائة وسبعين كتابا ورسالة، وما أنار به عقول المسلمين من برامج إذاعية وتلفازية، وخطب منبرية، ومحاضرات ثقافية في كافة أنحاء العالم

أم أكتب عن ملكته الشعرية الراقية المتميزة بجزالة الأسلوب، وسمو المقاصد، ووضوح الأهداف والمعاني وهل أكتب عن حبه لدعوته الإسلامية الوسطية وتفانيه في الدفاع عنها وعن رموزها، وحبه لإخوانه وطلابه، ومريديه وقد تتلمذ على يديه الآلاف منهم؟ أم أكتب عن سماحته، وبشاشته وطلاقة وجهه، ونبل خلقه ومسارعته في معاونة جميع قاصديه، وجوده وكرمه، وفتح بيته دوما لإخوانه ومحبيه وكافة اللاجئين إليه؟

وهل أكتب عن تكريم العديد من حكام العالم الإسلامي له بأعلى الجوائز وبغيرها من مختلف صور التكريم، وذلك من مثل ما ناله من جوائز في كل من المملكة العربية السعودية، وقطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة، والأردن، وماليزيا، وبروناي واختياره واحدا من ابرز المفكرين المسلمين تأثيرا في العالم؟

أم أكتب عن توفيق الله (تعالى) له في تأسيس كل من "الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية" في الكويت، "وشبكة إسلام أونلاين"، و"الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين"، و"المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث"، و"مركز بحوث السنة والسيرة النبوية" بجامعة قطر، بالإضافة إلى المساهمة الفعالة في العديد من مجامع الفقه والبحوث الإسلامية، والجمعيات والهيئات الخيرية، وهيئات الرقابة الشرعية لعدد من البنوك الإسلامية، ومراكز الدراسات الإسلامية؟

وهل أكتب عن جرأته في النطق بكلمة الحق مهما كلفه ذلك من تضحيات، وفي قوة حواراته مع غير المسلمين، وفي الفتيا الشرعية – فيما ليس فيه نص من القرآن والسنة – وبما يقتنع هو بجدواه، وبوجود المبررات له، وهو العالم الفقيه، والمجدد الواعي الذكي، الحريص على احترام دينه، وعلى المحافظة على مصالح أمته، وعلى معايشة الفتيا للعصر دون أدنى إخلال بنصوص الدين؟

وعلى الرغم من أن علماء الإسلام كانوا دومًا العمود الفقري للأمة عبر التاريخ، فإن انحراف أعداد كبيرة ممن يعتبرون أنفسهم ضمن علماء الأمة في هذه الأيام عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واضطراب أحكامهم نفاقا للحكام وطلبا لمرضاتهم، وطمعا لما في أيديهم من سلطات، في زمن الفتن الذي نعيشه يقف أخي الكريم العلامة القرضاوي موقفا مشرفا من الحكام الطغاة ويقدم استقالته من "هيئة كبار العلماء" في الأزهر الشريف لتقاعسها عن القيام بواجبها الشرعي في مواجهة الأحداث الكارثية التي ألمت بمصر في الفترة الأخيرة والتي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف: (سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها) البخاري.

وهل أكتب عن عفة لسانه، وترفعه عن الرد على معارضيه الذين يدفعهم الحسد على محاولة انتقاده بغير حق، أو يدفعهم التعصب الأعمى أو الجهل الفاضح أحيانا إلى عدم رؤية الحكمة من وراء فكره الثاقب، وثقافته الشرعية والعلمية الواسعة، وإدراكه العميق لمشاكل الأمة الإسلامية ومواقف الأعداء منها، خاصة بعد أن جاب الأرض دفاعا عن الإسلام وعن مصالح المسلمين بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي؟

وهذا العالم المسلم العملاق، الذي كرس حياته كلها لخدمة الإسلام، ودفاعا عن قضايا المسلمين – مهما كلفه ذلك من ثمن – يبقى بشرًا يصيب ويخطئ، حتى لا يبالغ الناس في تقديسه، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه.

ويقول الدكتور عدنان زرزور: نعود إلى الشيخ يوسف حفظه الله تعالى: يستقبل الشيخ الحدث

أو الواقعة أو ما يقال عن الإسلام، أو ما يقع على المسلمين – في مشارق الأرض ومغاربها – بحماسة الداعية أو بهمته وصدقه وتأثره. بل حرقته التي لا تفارقه على الإسلام وأمته وتاريخه وحاضره ومستقبله. ولا أتحدث هنا عن تفاعله أو انفعاله بهذه الأقوال والأحوال وكيف يقف أمامها – بما يناسبها – خطيبًا أو شاعرًا؛ لأنني لا أتحدث عن هذه الأوصاف أو المزايا الأخرى فيما وراء الأمور الثلاثة السابقة. ولكن أقول: يواجه الشيخ هذه الأقوال والأحوال بمنهجية وحصافة الباحث، وآفاق العالم الذي يكاد يكون فيما خطَّه في هذا الباب لم يدع فرعًا من فروع العلم الشرعي والثقافة الإسلامية – مما يتخصَّص فيه العلماء في كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وسواها – إلا كتب فيه أو كانت له فيه كتب قيمة، حتى الجوانب التي قد يظن أنها لم تكن موضع عنايته – كبعض أنواع الفنون على سبيل المثال – سوف يجدها الباحث حاضرة في كتب الفتاوى، على أقل تقدير، وأعني الكتب التي جمعت فيها فتاوى الشيخ حفظه الله تعالى.

هذه ثقافة موسوعية. بل أقول: إنها ثقافة موسوعية نادرة، أو لا يجد الباحث لها نظيرًا في ثقافات مَنْ وسموا بهذه الموسوعية أو تمتعوا بها من المحدثين والمعاصرين. وأنا أستعرضهم الآن في الذهن، وأتذكر أعمالهم، ويحتلُّ الفقه والاجتهاد الفقهي – في التراث والقضايا المستجدة والمعاصرة – مكانًا بارزًا في هذه الثقافة الموسوعية، بل لقد بلغ الشيخ في هذا الباب مكانة لم يرتقِ إليها أحد من الفقهاء المعاصرين، بل من سائر الفقهاء والمجتهدين منذ وقت طويل.

ويقول د. جاسر عودة: وقد أنتج هذا الدأب على تحصيل العلم موسوعية في الاطلاع، واتساعًا في النظر يندر أن يوجد في علماء الإسلام. بل وأصحاب الفكر بشكل عام، فلا عجب إذن أن يكون الشيخ ملمًّا بفلسفات غربية وشرقية، قديمة ومعاصرة، كأنه درسها في بلادها، ومطلعًا على دقائق في مذاهب اللغة والتصوف والشعر، وكأنه لا هم له إلا هذه المسائل، وعارفًا بإعلام ومدن وأحداث لا يعرفها المتخصصون في التاريخ والجغرافيا، ومستوعبًا للكم الهائل من الثروة الفقهية على مدار تاريخنا الإسلامي الطويل. وقد شهدت طرفًا من هذا على مدار السنوات.

ويقول أ.د. حلمي القاعود: ومن العجيب – وأنا لم أعرف العلامة القرضاوي إلا شيخًا في السن – فإنه لا يزال يمتلك عقلية الشباب، وحماسة الشباب، وتوقد الشباب، ومرونة الشباب، وقبول التطوير والتغيير، ومتابعة الجديد، على غير عادة المسنين الراكدين، لذا فقد تحمس للجزيرة عند إنشائها، وتحمس للإنترنت وأسس إسلام أونلاين وجمعية البلاغ الثقافية، وتحمس للقضايا الفقهية الجديدة، والأوليات في الفتوى التي سبق إليها مباشرة أو عبر المجامع، وأسس اتحادات، ورأس مؤسسات، ومارس الصحافة بأشكالها، وكتب للمسرح، وتحمس للسينما، وأفتى في الفنون على غير السياق العام، ونظر للتعامل مع الغرب، وقاد الثورات، وأقلق الأنظمة، وخالط الشباب بشكل واسع، واحترم اندفاعهم وتوقدهم! ولو قدر لك أن تحضر مجلسه في عيد لوجدته غاصًّا بأحداث من الخامسة عشرة وشيوخ من لداته، وما بين ذلك من الأسنان! في حين يضيف شيوخ غيره بالشباب، ويعجز عن التواصل معهم، ومتابعة أفكارهم، واحتواءهم، وكفكفة جموحهم! فيا له من فرد فذ! ويا لحسرتي أنه ليس منه مائة!

ويكمل الدكتور وصفي عاشور أبو زيد: إنه إمام عصرنا، وفقيه دنيانا، وربانيُّ هذه الأمة في هذا العصر، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله القرضاوي، أكبر مرجعية سنية إسلامية شرعية في العالم الإسلامي في عصره، وأكبر عالم معاصر ترجمت له كتب بأكبر عدد لغات ممكن، وأول من دعا في عصرنا إلى التبشير في الدعوة والتيسير في الفتوى معا! يعد من العلماء النادرين الموسوعيين من الأحياء؛ حيث ارتادوا علوما كثيرة كتبوا فيها وأبدعوا وأجادوا وجددوا، فكتب شيخنا في الفقه والأصول ومقاصد الشريعة والفتوى والتفسير والعقيدة والاقتصاد والدعوة والفكر والتزكية والأسرة والدولة والسياسة، وغيرها، وأقيمت عنه ندوات ومؤتمرات لتكريمه والبحث في فكره وفقهه، وصدرت بذلك أعمال منشورة لم تقم عن غيره، وأُخذت فيه رسائل ماجستير ودكتوراه، في الفقه

وتجديده، وفي الأصول ومنهجه، وفي التفسير، والدعوة، والاقتصاد، وغيرها! وحسبك أن تعلم أن كتابه "الحلال والحرام" أخذت فيه رسالة ماجستير، خلافًا للكتب والأبحاث التي كتبت عنه، والمؤتمرات التي أقيمت لفكره ومنهجه! وفي ذلك كفاية.





الشيخ لغويًّا

الشيخ لغويًّا

فطر القرضاوي فيما أزعم على سليقة لغوية، وفطرة تعشق اللغة، وتطرب للتأنق فيها، فهو ممن وهبوا هذه الملكة، وأشربتها قلوبهم مع القرآن في الكتّاب بصفط تراب، ثم منذ أول دراسته بالأزهر؛ حتى إن أستاذه في السنة الأولى الابتدائية كان يناديه: يا علامة؛ لما رأى هضمه لعلم النحو وتذوقه له!

وسر سوقي لهذا الأمر على أنه منقبة: اعتقادي الجازم أن التأنق اللغوي موهبة مثل الشعر والخط والرسم والفن، لا يؤتاها كل أحد؛ فكم من عارف بالنحو، قياسي اللغو، لكنه إذا تكلم ليس مرقصًا مطربًا، بل متحدثًا معربًا وفقط!

فالمطربون إذا هم تحدثوا قليلون! وجئني بمثل مصطفى صبري، والرافعي، والصادق عرجون، وعلي الطنطاوي، والغزالي، والقرضاوي!

ولأستاذي الكريم الدكتور عبد العظيم الديب عليه رحمات الله ورضوانه طريفة عاشها بنفسها، حين رأى طلاب المعهد الأحمدي يحملون القرضاوي على أكتافهم هاتفين مهللين، فلما سألهم عن السبب قالوا: إن يوسف يعرب ابن عقيل مثل الشيخ محيي الدين عبد الحميد تمامًا، فقد امتحنوه في أبيات يعربها فلم يتلعثم في كلمة؛ ما أثار إعجاب زملائه، فحملوه على أكتافهم، مكبرين.

وقد بدأته ذائقته اللغوية في سن مبكرة؛ يقول في مذكراته:

وأذكر أني كنت أقرؤه – القرآن – وأنا أفهم المعنى الإجمالي للآيات الكريمة، وإن كنت لا أفهم معاني بعض الألفاظ، ولكني أفهم الفحوى والمقصود منها.

ومما أذكره أني كنت أسمّع المقرر عليّ حفظه من الشيخ حامد من سورة الصافات، فقرأت قول الله تعالى في قصة لوط مع قومه، وقد أهلكهم الله، وتعقيب القرآن على ذلك بقوله مخاطبا مشركي مكة: (تَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ*وَبِاللَّيْلِ؛ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) الصافات: 137-138.

وتلوت الآيتين هكذا، (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) ووصلت مصبحين مع قوله (وبالليل) ووقفت عندها، ثم قلت: (أفلا تعقلون). فقال الشيخ حامد: فتح الله عليك. فقد فهم الشيخ حامد أني وعيت المعنى، فدعا لي.

ويقول شيخي حفظه الله في مذكراته:

ولقد سهل الله جل شأنه عليَّ علم النحو والصرف، منذ السنة الأولى الابتدائية، فهضمت النحو ووعيته بيسر وسهولة، لم أحس معه بأي عنت، وكان زملاؤنا يشكون من صعوبة النحو، ثم اشتكوا بعد ذلك من صعوبة الصرف، وأنا أجدهما عندي كشربة الماء العذب البارد على الظمأ.

ومن يوم درست النحو إلى اليوم، وأنا لا أخطئ فيه إذا قرأت، أو إذا تكلمت، من غير تعب ولا تكلف، كأنما هي فطرة أو طبيعة. ولذا كان مدرسو النحو من أحب المدرسين إلى قلبي!

وأعانه على الإجادة دراسته بالأزهر منذ السنة الأولى الابتدائية؛ إذ اهتمت المناهج بالنحو والصرف اهتماما بالغًا (حتى إننا درسنا النحو كله أربع مرات في المرحلة الابتدائية: درسناه في السنة الأولي في شرح الأجرومية، وفي السنة الثانية في شرح الأزهرية، وفي السنة الثالثة في شرح قطر الندى لابن هشام، وفي السنة الرابعة في شرح شذور الذهب له أيضًا).

وفي السنة الثانية الابتدائية في المعهد فتح الكريم للقرضاوي أفقًا آخر بهيجًا، عمّق حبه للعربية، وأبعده عن أن يكون مجرد متقعر في النحو، متأزهرٍ في العبارة؛ دون أن يمتلك ناصية جمال الجملة العربية، أو يتأنق في سَوق القول، وكان هذا الأفق هو دار الكتب بطنطا، التي كاد يصبح من روادها الدائمين، وفيها انفتح على كتابات أديب العربية مصطفى لطفي المنفلوطي، الذي كان أدبه أحب إلى قلوب الشباب وعقولهم من غيره، لسلاسته وتدفقه وعذوبته، وللموضوعات التي يطرقها، كما في كتابه الشهير (النظرات)، وكما في القصص التي ترجمها بأسلوبه الخاص، مثل العبرات، وماجدولين، وفي سبيل التاج، والشاعر، والفضيلة، وغيرها.

كما انفتح الشيخ النابه على كتابات أديب طنطا ومصر والعربية مصطفى صادق الرافعي:

وحي القلم، وأوراق الورد، والمساكين وغيرها، وقرأ لطه حسين والعقاد وأحمد أمين والزيات وغيرهم من كتّاب مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) الشهيرتين في ذلك الوقت.

وفي السنة الثانية الابتدائية هذه بدأ يخطو الخطوات الأولى في نظم الشعر، فكتب أول أبيات نظمها عن (صفارة الإنذار). فقد كان الزمن زمن حرب، وكانت صفارة الإنذار تعمل، ويسمع الناس أصواتها، فيطفئون الأنوار بالليل، ويحاولون الاختباء بالنهار! وقد كان ما نظمه في هذه السنة قليلًا، ثم طفق يكثر ويتسع في السنة التي بعدها، ولا سيما في السنة الرابعة، كما كتب في المذكرات.

التهجين النافع:

وأزعم أن لغة القرضاوي قد دخلها نوع من (التهجين) المفيد، من خلال مؤثرات عدة هي:

- انفتاحه – كما سبق – على كتابات كبار مفكري العربية مقتبل حياته، دون اقتصاره على لغة المشايخ التقليدية، وعلى كتب النحو التي درسها في سني التحصيل.
- ومقابلته بعد ذلك للشيخين البنا والغزالي رحمهما الله، وكانا ذوَي بصمة لغوية خاصة – عليه وعلى غيره – مفعمة بالحرارة والعاطفة، والمفردات المشحونة التي تأسر القلوب.
- وتركيبته الشخصية، التي لا تنحني للجمود والتقليدية، حتى في العبارات، والصياغات.
- ثم انفتاحه الثقافي على آفاق كثيرة من العلوم، بجانب الموهبة الفطرية التي فطره الله تعالى عليها.
- وأخيرًا كثرة ممارسته للتأليف والكتابة والمحاضرة والإلقاء، في أصعدة مختلفة، وبين جماهير شديدة التنوع: أكاديميين وعوام/ رجال ونساء/ عرب وعجم/ إسلاميين وعلمانيين/ صغار وكبار؛ ما عمّق تجربته، وسليقته، واقتداره.

لذا تأتي لغة القرضاوي في باب السهل الممتنع، تظن أنك تقدر عليه، فإذا حاولت وجدتك أبعد الناس منه.

لقد استمعت للشيخ حفظه الله تعالى خطيبًا، ومحاضرًا، وشاعرًا، ومتحدثًا رسميًّا، وفي مجلسه بين محبيه، كما قرأت كتبه العلمية والفكرية والدعوية وأعماله الشعرية، فما وجدت لغته تختلف كثيرًا. فهو ممن يتكلمون كما يكتبون؛ بتلك اللغة الفصيحة، الواضحة، قريبة المأخذ، التي لا تحوج سامعها لفتح معجم، ولا لكدّ ذهن.

وأذكر أنني حضرت مرة ندوة عن الثقافة في جامعة قطر دامت يومين أو ثلاثة صباحًا ومساء، وشارك فيها أناس ذوو أسماء كبيرة، فما نلت من كلامهم غير الصداع، لكثرة ما زحموا عقلي، وأرهقوا أذني بالألفاظ الغريبة، والتراكيب اللقيطة، تلك التي يملأ بعض (الأكاديميين) بها أشداقهم تمظهرًا وادعاءً، حتى إنني لم أكن أصبر على محاضر من أولئكم أكثر من ربع ساعة، فلما كانت محاضرة القرضاوي خاتمة المؤتمر، وقف يتحدث عن الثقافة، بلغته السهلة الممتنعة، فاستحوذ على الأسماع والقلوب، وكأنه – بعصًا سحرية – كنس التكلف، والتفيهق الذي كان يتناثر من الأشداق المكتنزة، ووضّح ما عجزت الألفاظ اللزجة المستكبرة – دون استحقاق – أن توضحه، ونال من التصفيق والاستحسان خمسة أمثال من صفق لهم الناس من قبل!

ويلاحظ أن الشيخ في لغته، وفي شعره يتنزل أحيانًا ليستخدم مثلًا شعبيًّا، أو مفردة عامية، تكون في الكلام كالملح في الطعام، تضفي عليه طعمًا مستساغًا محببًا، كما أنه لكثرة ما يحب الشعر ويحفظه، وغزارة ما يجمع من جوامع الكلم، لا يترك شيئًا إلا أورد له الشواهد من ذخائر محفوظه الثر، بسهولة بعيدة عن التكلف والتعمل.

وللشيخ ولع في كتاباته وأشعاره بالاقتباس والتضمين والاغتراف من التراث، وإيراد الجمل والمعاني المتقابلة، التي يعنيني منها هنا: الجانب الشعري! وهو ما سأورده في محله إن شاء الله.

وهو أديب ملتزم – كما أشرت في كتابي: القرضاوي شاعرًا – فهو، ومن اللحظة الأولى، وعلى امتداد الطريق، أعلن التزامه – في أدبه – بهدف ولغة وأسلوب أداء، وأوضح أن هدفه الرئيس، الذي تدور حوله كل الأغراض الفرعية لشعره ونثره، هو نصرة الإسلام، وتجلية صحيفته، وبيان

محاسنه، ودفع الشبهات عنه، سواء أكان ذلك بشعره، أم بتآليفه، ومحاضراته، وندواته، وبرامجه، ومواقفه.

هو يعلن ذلك، ومتابعوه يلحظون ذلك، لم ينازع هذا الغرض شيء آخر! حتى إذا مدح أو تغزّل، أو وصف، أو بكى ورثا، أو غضب وهجا، أو سخر وعابث، أو ضحك وأضحك!

فأدبه إذن أدب ملتزم – بالمعنى الأدبي الشائع – كما أن الحداثيين ملتزمون بمنهج، والتبشيريين (بأي منهج أو دين أو مدرسة شعرية) وفلول الواقعية الاشتراكية، والكلاسيكية، وحتى شعراء البلاطات المعاصرة – على اختلاف أنواعها – يلتزمون بشيء ما، بشكل ما، وإن ادعى بعضهم أنه يبدع الفن للفن، والشعر للشعر، والأدب لمجرد الأدب؛ لا أدري كيف!

وقد صرح الشاعر القرضاوي نفسه بموقفه من الالتزام فقال – كما نشرت جريدة الخليج –: الشعر، والأدب عامة، له هدف ووظيفة، وليس سائبًا، فهو شعر ملتزم، وأدب ملتزم، وفن ملتزم، أما القوالب التي يظهر فيها الشعر أو الأدب فلا مانع من تغييرها، وتطويرها، واقتباس ما يلائمنا مما عند غيرنا، المهم هو الهدف والمضمون والوظيفة.

كما صرح بما يريده من الشعر، وانتقد مواقف المتأكلين به، والسافحين لشرفه، والمتلاعبين بمقاصده النبيلة، معلنًا عليهم (العصيان الشعري) متخذًا سبيله الخاص، الذي يراه محجة شعرية بيضاء بلجة، وذلك في قصيدة أسماها: أنا والشعر، نظمها عام 1950 – حين كان في عنفوانه الشعري والحركي – وتبلغ أبياتها تسعة وعشرين، يقول فيها، معترفًا بسطوة الشعر على مشاعره وقلبه:

أريد له هجرًا فيغلبني حبي	وأنوي، ولكن لا يطاوعني قلبي
وكيف أطيق الصبر عنه وإنما	أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب
فكم شد من عزم، وبصّر من عمًى	وأيقظ من نوم، وذلل من صعب

وينزعج من سلوك المتسلقة والوصوليين ودجاجلة الكتابة:

لقد بغضت لي الشعرَ في مصر ثلة	يبيعونه بالمال للبغي والنهب

فكم سافح قد لقبوه بفاتح	وكم مسرف سموه ذا الكرم الرحب
وكم فاجر باغٍ مشوا في ركابه	وسموه ليثًا وهو أدنأ من كلب
وكم ولغت في حرمة الناس كفه	فغطوا عليها كالخضاب على الشيب
إذا كان هذا ديدنَ الشعر في الورى	فما هو إلا السم في المشرب العذب

واقرأ وتأمل رسالته في شعره:

وقفتك يا شعري على الحق وحده	فإن لم أنل إلاه قلت لهم: حسبي
وإن قال غر: ثروتي، قلت دعوتي	وإن قال لي: حزبي، أقول له: ربي
فعش كوكبًا يا شعر يهدي إلى العلا	وينقض رجمًا للشياطين كالشهب

هذه رؤية القرضاوي، وهذه رسالته، وهذا دور الشعر في نظره؛ فهو ليس شعرًا لمجرد الشعر، ولا لشد الأنظار وكسب الإعجاب، ولا للتجارة والشطارة، ولا للتملق والتسلق، بل هو شعر للحق، والحق وحده.

وإنك لواجد فيه شيئًا من عجيب خلق الله! فهو في سنِّه هذه، ضعيف البدن، يغالب المرض، ويعالجه، لكنك ستجده خلقًا آخر – تبارك الله أحسن الخالقين – إذا هو ركب المنبر، أو جلس على منصة، أو قبض على ميكروفون – إذ يعلو صوته، ويجلجل في المكان، ليمتلك آذان الحاضرين ووعيهم، ببساطته، وتدفقه، وقدرته على تنويع صوته، من أدنى طبقاته إلى أعلاها، في حرفية ومهارة صقلتهما الدربة، وعمق التجربة، وطول معافسة القول.

وعلى كثرة من خالطت من كبار الدعاة قدرًا وعمرًا، لم أجد هذا إلا في رجلين اثنين – سبحان الله العظيم – هما القرضاوي حفظه الله، والشعراوي رحمه الله، لأن الإنسان إذا أسنّ أسنَّ فيه كل شيء، غير أن الصوت عند هذين الرجلين – على حد قول أهل الطرب – كالعود القديم: كلما طال به العهد جاد!

وشيخنا القرضاوي كذلك إذا هو خطب، أو حاضر، أو ألقى شعرًا ينسى مرضه، وينطلق في صوتٍ شابٍّ هدار، ليوصل المعنى من خلال النبرات والطبقات، ويحسن البدء الهادئ، والتفاعل مع المعنى، فإذا جاء أمر يمس الإسلام، أو يُنخي النفوس، أو يثير المشاعر، علا صوته، واحمر وجهه، وضرب بيده المنصة، فلم يبق عنق إلا التفت، ولا عين إلا نظرت، ولا قلب إلا انفتح، ليضع فيه القرضاوي ما يريد!

فشيخنا – إذن – خطيب مفوه، وملقٍ مميز، وشاعر يهز المكان، ويحسن إلقاء القصيدة الساخرة، أو الطريفة، أو المطربة، أو الجادة، أو المثيرة، أو ما شئت، فهو – متّع الله به – أستاذ المنبر والميكروفون بلا منازعة!

ولعل مما يليق هنا أن نشير إلى العقلية الفقهية للشيخ متع الله به/ والعقلية الأصولية/ والعقلية الناقدة/ وما شابه؛ لكن سيطول الكتاب جدًّا؛ بجانب ضيق الوقت، وضعف الهمة، والله المستعان!

ومن هذه الغزارة، يمكن القول إن الشيخ (يوسف القرضاوي) هو من أوائل من هَنْدس (فقه الأقليات)، وضبط معالمه، وبنى قواعده، سانده في كل ذلك مخزونه المعرفي في الأحكام والمقاصد، وخبرته الطويلة، وفهمه لطبائع النفوس.

لذا لا غرو أن يدرس العشرات من كبار علماء العصر اليوم هذه الحالة (القرضاوية المقاصدية)، ويشيدوا بها، بفلسفة ودراية، ولعل من أواخر وأعمق ما كتب عن الشيخ القرضاوي في هذا المعنى:مبحث في كتاب (من أعلام الفكر المقاصدي) للشيخ المقاصدي د. أحمد الريسوني. ومبحث في كتاب (السياسة الشرعية عند أعلام الفقهاء المعاصرين)، وهو رسالة دكتوراه في (جامعة مكة المكرمة المفتوحة)، للدكتورة: هند الرضي، بإشراف د. أحمد الريسوني، ومن قبلها فقيه الدعوة الأستاذ محمد أحمد الراشد في مبحث من كتابه (أصول الاجتهاد التطبيقي). وسواهم ممن إذ سنحت الفرصة عرضت لـ (ببليوغرافيا) بأعمالهم المهمة عن الشيخ ، ومشروعاته. د. علي العمري.

الباب الرابع

باب المناقب القيادية الريادية



الشيخ قائدًا

الشيخ قائدًا

القرضاوي قائد! لا شك في هذا؛ لكن: هل هو قائد ديني؟ سياسي؟ اجتماعي؟ أم خليط من هذا كله!؟ أجتزئ هنا مساحات من دراسة عن (القيادة الفكرية) كتبها الدكتور الشيخ فيصل بن جاسم آل ثاني نتعرف فيها على وجهة نظره:

!تبرز إحدى أهم القسمات القيادية لدى الشيخ العلامة القرضاوي؛ لقد اكتسب المصداقية والثقة ممن صاحبه، وممن سمعه، وممن قرأ له!

وباختصار اكتسب مصداقية جماهير غفيرة؛ فباتوا ينظرون إليه نظرة القدوة الحسنة التي تصلهم بالركب المبارك من العظماء والقادة الذين أنجبتهم رحم هذه الأمة؛ وبات الناس ييممون وجوههم نحوه ليسمعوا ويقرؤوا ويروا؛ بصوته، وفكره، وقلمه، وعالميته، حتى غدت الأمة في الملمات تنتظر صوته، ورأيه، المثبِّت للحق وأهله.

ومن هنا بات الشيخ القرضاوي في العالم موضوع بحوث ودراسات تفتش وتبحث في سر هذه القدوة؛ وبات من الأمور الثابتة والحقائق اللافتة أنه ليس ثمة عالم معاصر – بعد الشيخ حسن البنا – كُتبت عنه رسائل علمية عالمية (ماجستير – دكتوراه)، بقدر ما كُتب عن الشيخ القرضاوي، ناهيك عما كتبه وقاله علماء الأمة ومفكروها ومثقفوها، ما يدلك على مكانة الرجل وحجم دوره في فكر الأمة؛ حتى قال أحد إعلام هذا العصر وهو العلامة ابن بية – وهو ممن لا يرسل الكلام جزافًا، ويحسب لكل حرف مكانته ودلالته – إن الشيخ يوسف القرضاوي "ليس عالمًا فقط، وإنما هو إمام! من هو الإمام؟ الإمام هو المتقدم على غيره، والإمام هو المُقتدى به، والإمام هو مَنْ يؤمُّه الناس من كل صوب؛ ليجدوا عنده ما يحتاجون إليه! "!

وهذه نجاة محمد بن غانية الأستاذة الباحثة الأكاديمية وقد جذبتها إمامة الشيخ؛ تنطق بقلب صادق، وتكتب بأسلوب رائق، فتقول: « الآن أنا أمام أحد أولئك الأفذاذ الكرام والعلماء العظام والصالحين المصلحين المهتدين الهادين ولا أزكيه على الله! قدوةٌ تحيا بيننا، داعيًا إلى الله على بصيرة وعلى صراط مستقيم! إمامي وأبي وملهمي، سلطان العلماء، وفقيه الدعاة، وداعية الفقهاء، الإمام

العالم المجتهد الرباني "يوسف بن عبد الله القرضاوي" شيخي وإمامي وقدوتي»!

والشهادات المؤكدة لهذه الحقيقة لا تتسع لها مؤلفات ناهيك عن سطور وكلمات.

وجدير بالتذكير أنه لا يستحق مرتبة القدوة كل من برز في فن، أو بسق في علم؛ بل لا بد من صفات تجعل لصاحبها أحقية السير في الأمام، والركب من ورائه مسلسًا له الزمام؛ فالقيادة لها ثمن، والقدوة لها ثمن فوق ذلك الثمن؛ وقد دفع العلامة يوسف القرضاوي ثمن القيادة ودفع ثمن القدوة؛ فقد ضحى وثابر وصابر وكد واجتهد، ونشر الخير، والتزم الوفاء للأصدقاء، وشارك الناس همومهم، وحمل هم الانشغال بشؤونهم والتفكير في مصالحهم.

ولقد بلغ من الاعتراف للشيخ القرضاوي بمنزلة القدوة أن نجد الشيخ محمد الغزالي – وهو في مقام الشيخ للدكتور يوسف القرضاوي – يعلن ويوصي أمام الملأ بالاقتداء بالشيخ يوسف القرضاوي!

ولما حصلت شقاقات داخل الإخوان، وكان تيار الشباب قد استعصى على الاقتناع وتأزم الخلاف وأوشك أن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه؛ وبقي البحث عن طرف يوثق به ويقتدى بحكمه؛ فحصل الاتفاق على أن يكون ذلك الشخص هو الشيخ يوسف القرضاوي.

وفي أواخر الثمانينات ارتفع صوت العلمانيين في مصر عاليًا متحديًا مستفزًّا مشاعر المسلمين في مصر وغيرها؛ وكان رأسهم يومها رجلان هما فؤاد زكريا، وفرج فودة؛ وبلغ من وخزهم لضمير الأمة ما جعل الناس تبحث عمن يقارع صناديد العلمانية؛ فتم الاتفاق على يكون ذلك في دار الحكمة في القاهرة، واختارت رجلين كان أحدهما الشيخ يوسف القرضاوي القدوة التي رضيته الجماهير، ورأته أهلا لتلك المهمة.

ولما تحدى أهل السنة رأس من رؤوس الرافضة في العصر كان المتكلم على لسان الأمة من أهل السنة هو العلامة القرضاوي[11]، وما كان ذلك ليكون لولا أن الأمة رأت فيه القدرة والأسوة والقدوة.

وقبل سنوات انتقل الخلاف بين مجموعتين من المجموعات الإسلامية أزهقت فيه أرواح، وسالت فيه

---

11 – وبثت المناظرة على قناة الجزيرة بتاريخ 2007/04/14.

دماء؛ وكانت الأطراف كلها تبحث عن قدوة يخرجها من الأزمة، فرضيت بالشيخ القرضاوي قدوة، بل قال رئيس الدولة – وكان أحد طرفي النزاع – إنه يقبل وساطة الشيخ دون شروط[12].

وجانب التأثير في شخصية الشيخ القرضاوي لا يتطرق إليه الاحتمال، وليس للشك فيه مجال؛ فتأثير الرجل بلغ الآفاق ونشرت بعض المواقع اسمه ضمن أكثر الشخصيات تأثيرا في الناس؛ ولما أراد الدكتور رضوان السيد – وهو الباحث الشهير في المجالات الفكرية والإسلامية – في مقال له تحت عنوان: "يوسف القرضاوي فقيهًا ومفتيًا وشيخًا للإسلام المعاصر"[13] تقديم كتاب د.معتز الخطيب الذي ألفه عن الشيخ القرضاوي تحت عنوان: «يوسف القرضاوي، فقيه الصحوة الإسلامية: سيرة فكرية تحليلية» وتناول فيه أربع قضايا رئيسة: المرجعية والتأثير، والحركة ضمن جمهور الصحوة وتياراتها الثقافية والسياسية، والعلائق بالعالم المُعاصر، وإصلاح مناهج علوم الشريعة باتجاهَي التأصيل وفتح الآفاق؛ اختار د. رضوان السيد أن يدور كلامه حول موضوع التأثير ليضع– كما قال– النقاط على الحروف في ظاهرة العلاّمة الشيخ يوسف القرضاوي السائدة على مدى ثلاثة عقود على وجه التقريب؛ لأن الشيخ القرضاوي جمع إلى العلم العقدي والفقهي التقليدي (الذي يتصرف في مجالاته بمعرفة واقتدار)، حَمْلَ الحساسيات والإمكانيات والأشواق ووجوه القلق التي تعتملُ في نفوس وأوساط جماهير الصحوة الإسلامية وحوّلها الى «مشروع». ولذلك فإن تأثيره قوي وامتد في المنحيين: منحى الاعتراف بمرجعيته واجتهاداته لدى الفقهاء، ومنحى تمثيل الروح الجديد لما صار يُعرف بالصحوة الإسلامية.

وإذا كان التأثير ركنًا من أركان القيادة، فإن فن الخطابة والحديث الجماهيري الجذاب ركن من أركان التأثير ؛ بل إن الأسلوب الجذاب في الحديث – خلافا لما يتبادر لأذهان الكثيرين – قد يكون أكثر تأثيرًا من الكلمات نفسها، فقد أظهرت الدراسات التي قام بها "آلبرت مهرابيان" في كتابه: الرسائل الصامتة، أن الكلمات لها تأثير 7%، فقط؛ بينما تأثير نبرات الصوت ونغمة الكلام 38%، ونسبة

---

[12] – جريدة الشرق الأوسط؛ الجمعة 09 ربيع الاول 1430 هـ 6 مارس 2009؛ العدد 11056.

[13] – موقع الأستاذ أحمد الريسوني.

55% هي لتأثير لغة الجسد[14]؛ وقد لوحظ في المباريات الخطابية التي تجرى في الجامعات الأمريكية، أن الخطيب الذي يتميز بأفضل مادة لا يفوز دائمًا، بل الذي يفوز دائمًا هو الخطيب الذي يستطيع أن يتكلم بأسلوب جيد للغاية، فتظهر مادته على أنها هي الأفضل.

ولهذا قال "اللورد مولي": " هناك ثلاثة أشياء مهمة في الخطاب: من يلقيه؟ وكيف يلقيه؟ وما الذي يقوله؟ والشيء الأقل أهمية من بين هذه الصفات الثلاث هي الأخيرة"[15].

والتأثير حسب المختصين يقوم على ركنين هما الإقناع والخطابة؛ وعليه ومهما اختلف في شيء فلا يختلف اثنان أن الشيخ القرضاوي – بأسلوبه القوي وصوته الجهوري – يعد فارسًا من فرسان الخطابة، وأستاذًا من أساتذة هذا الفن، يشهد لهذا الخصوم والمخالفون قبل الأنصار والمؤالفين؛ ولذلك كان بعض مناظري أثناء مناظراتهم له واختلافهم معه يجمعون ويشيدون بأن الشيخ يمتلك جاذبية التأثير وفن الخطابة وسحر التعبير.

- وكتب العالم الجليل الأستاذ محمد أحمد الراشد عن الظاهرة القرضاوية، يقول:

ويكفي القرضاوي أنه كان – على طول المدى، وفي الصميم – يُوسِعُ المسلمين تحذيرًا وتنبيها، ويصرخ ويطلب الإفاقة، ويعرِض الإيجاب بدل السلب، والوحدة بدل التفرق، والمقارنة واستنباط الحلول بدل الحيرة أو الاستسلام، وتكرر منه الإلحاح حتى كثرت الكتب والمحاضرات والخُطب وأحاديث التلفزيون، فحصل فعلًا تحسُّن كبير في منهاج وفَهم الجمهور الإسلامي العريض، وارتفعتْ مستويات الاستيعاب لمكامن الخطر، واستجابت أرواحٌ وقلوبٌ فمالت إلى عمل دعوي منهجي!

لا أقول: إن القرضاوي ينفرد بصناعته. ولكن القرضاوي جزمًا هو ركنٌ ركين فيما حصل من تقدُّم، وهو من أهم العاملين في هذا المجال، وله إبداعٌ في ذلك، وجزالة رأي، ووسطية، مع ثراء في القول

---

[14]– عيسى العيسى وعبد الله البابطين، لماذا نخشى الإلقاء، الطبعة الثانية (الرياض: المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد، 1428).

[15]– ديل كارنيجي، فن الخطابة،مرجع سابق، (ص: 74).

وكثافة الكتابات، فاستحق أن يصفه الواصفون بأنه: (إمام العصر) و(رائد التجديد) و(صاحب الفكر الشمولي)، وكانت طيبة قلب زائدة تتحكم في موقفه من بدعة الروافض وأهلها، ويُحسِنُ الظنَّ، يحسب أن وحدة المسلمين تُوجِبُ التأول لهم، ثم لما حدثت مأساة العراق وطغيان الطائفية، وأنصت لأخبار الثقات: توقف عن ذلك ووعى، وانتقد البدعة وجرائم المبتدعة، فاكتمل توثيقه وإحسانه وفقهه، وهو المصيب، ومَن لامه هو المخطئ.

ومن ميزة (الأداء القرضاوي): أنه جاء في زمنٍ كان العلماء الشرعيون يميلون فيه إلى السلبية والسكوت والاستسلام للهجمة التغريبية الطاغية، التي زادتها انتصارات أميركا الحربية والعلمية شِدَّةً وشراسة، حتى تكلمتْ آلام الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله، عن إسلامٍ كَثُر أنينُه بسبب (جهل أبنائه، وعجز علمائه) في جميع البلدان، فكان أسلوب القرضاوي في التصدِّي الصريح، والإنكار على الأحزاب العلمانية، والحكومات المستبدة، وعلى الجيل الضائع الذي بدأ يفقد هويته الإسلامية المتوارثة: أبعد من مجرد أُسلوبٍ امتاز به وقدَّمه كمثال للأداء الجيد لعالِمٍ شرعي بطرائق دعوية معاصرة، تستعيد الوعي القديم وموازين الفقهاء وتضعها في أصل الحوار الفكري والسياسي.

بل كان بنمطه الذي ورثه عن شيخه الإمام حسن البنا، وأشياخه: محمد فرغلي وسيد سابق ومحمد الغزالي حين فرغت الساحة منهم، باستشهاد الاثنين الأولَين منهم، وانعزال الاثنين الآخَرين منهم بعد ملابسات خلافية: هو القدوة الحية لألوف الدعاة الشرعيين الذين بدؤوا يقلدونه، ويَحذَون حذوه في السيرة العلمية والأقوال والخُطب، وبعضهم في الكتابات أيضًا.

وتوالى نمو هذا الأداء الجماعي حتى صار ظاهرة عامة بمعونة الله تعالى، ثم معونة الخُطط الدعوية، وحُسن الأداء القيادي الدعوي، ونشأ عمل واضح لطبقة علماء الشرع في الأمة، كان القدوات الأولين قد أطلقوا زناده، ثم تولاه عدد من تلامذتهم من بعدهم، لكن القرضاوي كان الأكثر دأبًا

من بينهم، والأوسع تأثيراً، والأطول نَفَسًا، في وتيرة استدامت أكثر من ستين سنة من الإنتاج الفكري المكتوب، والتصريحات، والدروس، وحضور المؤتمرات، وإبداء الرأي الشوري لمن يطلبه ولمن لا يطلبه.

وفي ذلك المعنى يقول الرجل الموفق الدكتور علي العمري:

رجل حرية وقيادة: لقد قادت حرية الشيخ أن يقول رأيه منذ كان قول الرأي في مسائل صغيرة وكبيرة تناله الأقلام بالردود والتشنيع، والألسن بالتوبيخ والتصنيف والتفسيق.

لكنَّ الشيخ مارس حريته في محاضراته، وخطبه، وكتبه، ومبادراته، وآرائه، ومواقفه، واختياراته، وقراراته الحاسمة، ولو خالفت فقهاء وساسة، ودعاة وجماعات وحركات إسلامية.

نعم قد يكون الشيخ – نفسه – رجع عن بعضها، واعتذر عن شيء فيها، ولكنه ظلَّ جبلًا راسخًا، في خطاب لا يتلون، رغم تَغَيُّرِ بعض الأحداث لصالحه!

فهو مع الحق وللحق، لا يهاب، ولا يتزعزع، ومع المنهج يدور معه حيث كان.

زانه في هذه المواقف (هيبة) منَّها الله سبحانه وتعالى عليه بها، (ومصداقية) توشحت قوله وفعله، فكان حضوره، ولقاؤه، موضع احتفاء وانتظار، وتقدير وإجلال، ونَهَمٍ وإنصات وانشداه.

وسانده في ذلك فصاحة وبلاغة، وتسلسل في الحديث ومنطق، وفنٌّ في جذب الجماهير، وتحريك مشاعرهم، وإقناع عقولهم.

ومن (هيبته) و(رسوخه)، أنه لم يكن له أن يمشي على الأرض إلا قائدًا؛ فهو مُقدَّم وفي الصفوف الأولى منذ مراحل مبكرة من عمره، وقيادته للأمة في الفقه والفكر كانت قبلها وبعدها سرًّا ربانيًّا في التوفيق.

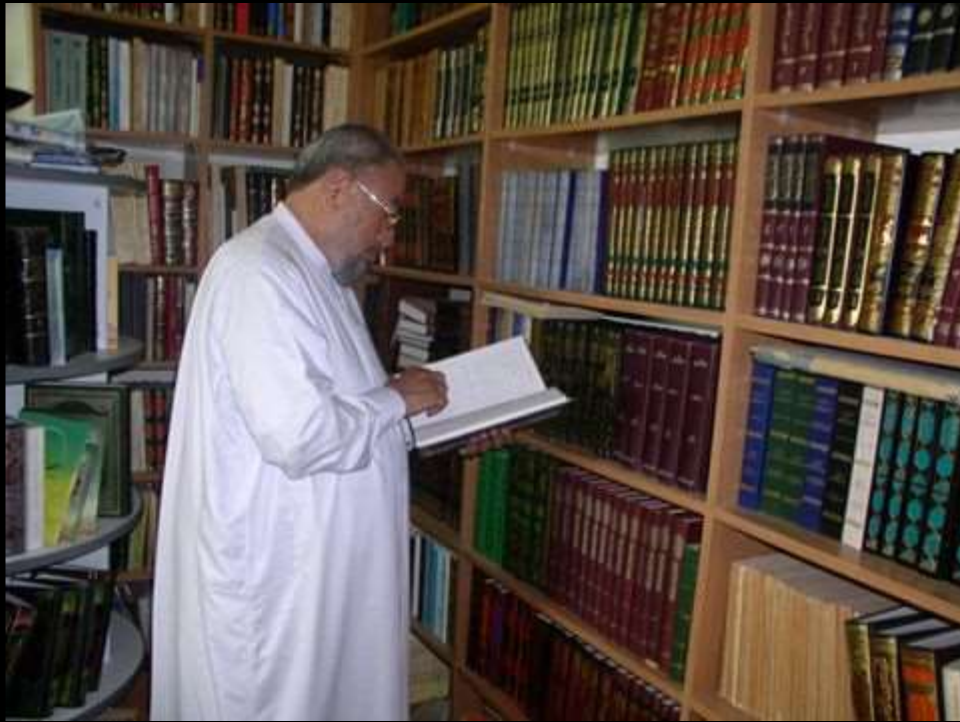
وإلا فبأيِّ تفسير تصل كتبه إلى كل أنحاء العالم، بل بعضها في صدر المكتبات في أوروبا، وفي محاريب بعض المساجد في الصين؟!

وبأيِّ تفسير تلْقى القبول في مشرق الأرض ومغربه قبل عصر الفضائيات والاتصالات، ويُختار

لإمامة الصلاة على العلامة "أبو الأعلى المودودي" في باكستان؟!

وبأيِّ تفسير تحسب له الدول حسابًا، ويَلقى وهو بمكانته العلمية جل حكّام العرب، ويستقبلونه، ويحسنون وفادته، وهو يوجههم للحسنى، وربما قَسا على من بغى منهم؟!

وبأيِّ تفسير كان له الدور البارز، والإرشاد الظاهر في قيادة عدد من المنشآت الإسلامية، والمؤسسات الخيرية، والاقتصادية، وعمادة الكليات والهيئات الشرعية، والمجامع الفقهية، في العديد من قارات العالم؟!





الشيخ رائدًا

الشيخ رائدًا

لكلمة الرائد ظلال كثيرة معجبة، فهو الذي يفتح لقومه الطريق ييسره لهم وينيره، وهو من يهيئ ويمهد سبل المستقبل، وهو المقدَّم والمتقدم، وهو الصادق، المؤتمن على من بعده لا يكذبهم ولا يغشهم.

ولا شك أن الشيخ – والله حسيبه – قد فتح للمسلمين آفاقًا كثيرة: علمية، ودعوية، وخيرية، وإعلامية، وحركية، سبق إليها غيره، وأسأل الله تعالى أن يكون جناها الداني من حصاده المبارك يوم القيامة، اللهم آمين. فله أولياته ولا شك في علوم الأصول، والتنظير الدعوي، والبرامج الإعلامية، والمؤسسات الخيرية على مستوى العالم.

- وقد كتب عن ذلك البروفسور الشيخ أحمد جاب الله، مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية في باريس، ورئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا تحت عنوان الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي علامة سبق سبقًا بعيدًا، تجدها بسيطة في أثناء هذا الكتاب.

- وكتب المستشار عبد الله العقيل:

لقد عايش القرضاوي مشكلات المسلمين المعاصرة، وأسهم إسهامًا كبيرًا في علاج المعضلات والمشكلات المستعصية في كل جوانب الحياة الإسلامية المعاصرة: السياسية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والدعوية والعقدية والسلوكية والعلمية، ولم يدع مجالًا من المجالات إلا وكانت له فيه صولات وجولات!

إن الشيخ ارائد الصحوة الإسلامية المعاصرة بحق؛ فهو من مؤسسيها بعلمه الشرعي، وفقهه الدعوي، ونشاطه الحركي، وتنظيره الاقتصادي، وحواره الفكري، ومنهجه التربوي، وعمله الخيري!

وكيف لا يكون رائد الصحوة ومرشدها، وهو الذي يتحرك بالإسلام وللإسلام في كل مكان، وتشهد له المؤتمرات الإسلامية التي يحضرها، والمجامع الفقهية التي يشارك فيها، والبنوك الإسلامية

التي يفتي لها، والجامعات التي يحاضر في طلابها وطالباتها، والمساجد التي يخطب في روادها، ويؤم مصليها، ويدرّس في حلقاتها، والمشاريع الخيرية التي يساهم في إقامة منشآتها ومؤسساتها.

وصفوة القول أن الشيخ القرضاوي عالم مجتهد، وداعية مصلح، وخطيب مفوه، وشاعر مفلق، بل هو مجدد العصر ونابغته، وله الفضل بعد الله في هذا البعث الإسلامي والصحوة الإسلامية والتيار الإسلامي الذي يعم العالم خيره.

- وكتب الدكتور أشرف محمد دوابة: يعد العلامة الدكتور يوسف القرضاوي رائدًا لعلماء عصره، ومجددًا لدين أمته، بما اتسم به من علم وفير، وفقه عميق، وتحليل دقيق، وأسلوب سهل بليغ، وحسٍّ مقاصدي مستنير، وفراسة إيمانية لا تغيب.

- وتحت عنوان: الشيخ القرضاوي والإخوان: قراءة في جدلية الشيخ والحركةكتب الأستاذ حسام تمام رحمه الله:

لقد اشتغل الشيخ القرضاوي في قضايا الدعوة والتربية، وقضايا الفقه والتفسير، وقضايا الاقتصاد والتنمية، وقضايا الثقافة والفكر، وفي العمل الخيري والإغاثي، وفي قضايا السياسة.

وحين كانت الحركة تواجه تحديًا على مستوى مشروعها الإسلامي الذي صار موضوعًا للنقد والتحدي من قبل أنصار المشروع الاشتراكي، كان اهتمام الشيخ القرضاوي بالدفاع عن هذا المشروع، وحمايته من موجة النقد التي كادت تعصف به، فكتب وقتها سلسلته الشهيرة عن حتمية الحل الإسلامي (الحل الإسلامي فريضة وضرورة/ الحلول المستوردة وماذا جنت على أمتنا/ بينات الحل الإسلامي/ أعداء الحل الإسلامي!)

وفي إبان انبعاث الصحوة الإسلامية في السبعينيات انصب جهد الشيخ القرضاوي على قضية ترشيد الصحوة الوليدة، فكتب سلسلة رسائل وكتب مهمة في هذا الموضوع (ظاهرة الغلو في التكفير/ أين الخلل؟/ فقه الأولويات/ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف/ الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي/ والصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم/

والصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد/ ومن أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا/ وأولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة.

ثم لما تعددت تيارات الصحوة والجماعات العاملة لها بما فتح باب التنافس بينها والتصادم في بعض الأحيان حاول الشيخ القرضاوي وضع أسس للتعاون بين جماعات الدعوة والعاملين في حقلها، فكتب عن: شمول الإسلام/ والمرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة/ وموقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤي ومن التمائم والكهانة والرقى/ والسياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها/ وكيف نتعامل مع التراث والاختلاف والتمذهب! وكانت كتاباته في هذا الموضوع – في مجملها – شرحًا وتطويرًا للأصول العشرين التي وضعها الإمام حسن البنا كأصول للمشروع الإسلامي الحركي الأول (الإخوان المسلمين)، ولكن بصياغة جديدة، وأكثر مناسبة للتعددية التي صارت إليها الصحوة الإسلامية.

ثم لما صارت الحركة الإسلامية في تحدي سؤال الدولة؛ سواء نظريًّا أو واقعيًّا كما جرى في بعض البلدان التي تولت فيها الحركة السلطة، اتجه الشيخ القرضاوي إلى بيان شكل الدولة الإسلامية التي يتصورها، وسعى للإجابة على إشكالات هذه المرحلة فكتب: ملامح المجتمع الإسلامي الذي ننشده/ شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان/ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي/ الأقليات الدينية والحل الإسلامي/ جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة.

ولما انفتحت الحركة على سؤال العولمة والانفتاح على الآخر كان له سبق الاشتباك مع أسئلة اللحظة، فكتب: المسلمون والعولمة/ خطابنا الديني في عصر العولمة/ الإسلام والمسلمون وعلوم المستقبل على أعتاب القرن القادم/ المسلمون والتخلف العلمي/ ورعاية البيئة في شريعة الإسلام/ وحقوق المسنين من منظور إسلامي/ الغرب والإسلام! وربما افتقدت بعض كتاباته في هذه في قضايا مثل العولمة وحوار الأديان والحضارات الإحاطة اللازمة بموضوعاتها؛ نظرًا لطبيعتها الفكرية المعقدة والسن الذي بلغه الشيخ (كتب في ذلك بعد السبعين) إلا أنه كان رائدًا في توجيه الحركة والاتجاهات الإسلامية إلى أهمية الاشتباك مع مثل هذه القضايا.

وقد عدد الشيخ القرضاوي من وسائل وآليات عمله التي جمعت ما بين التقليد والحداثة؛ من الخطبة والدرس الوعظي والمحاضرة العلمية، إلى برامج الإذاعة والتلفاز والفضائيات وموقع الإنترنت. كما قارب ما بين الخاص والعام في حركته؛ من دروس تكوينية داخل الأطر التنظيمية بمستوياتها المختلفة إلى الوسائل المفتوحة التي تناسب العام من خارج التنظيم، وهو دائمًا رجل التنظيم بكل مستوياته ورجل العام بكل شرائحه وطبقاته.

كما نوّع الشيخ الشيخ القرضاوي في بناء مشروعه بين الجهد الفردي وبناء المؤسسات؛ حتى بدا أقرب إلى مؤسسة متكاملة!

فقد نجح الشيخ القرضاوي في بناء شبكة عالمية تتصل بكل أنشطته واهتماماته وتغطيها، حتى يكاد لا يستثني مؤسسة من مؤسسات العمل الإسلامي بتخصصاته المختلفة في أنحاء العالم تقريبًا منها إلا كان له بها صلة وثيقة؛ فهو عضو إن لم يكن مؤسسًا لأهم مؤسسات العمل الإسلامي العالمية؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. **مجلس إدارة مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة في قطر!**
2. **مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة!**
3. **المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة!**
4. **المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن!**
5. **مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية بإسلام آباد**
6. **مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد!**
7. **رابطة الأدب الإسلامي!**
8. **جمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة!**
9. **الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت!**
10. **مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومركزها الخرطوم!**
11. **الهيئة الشرعية العالمية للزكاة بالكويت!**

12. **مجلس إدارة صندوق قطر الإسلامي للزكاة والصدقة!**

13. **مجلس أمناء الوقف الإسلامي لمجلة المسلم المعاصر!**

14. **المجلس العلمي للكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في فرنسا!**

15. **هيئة الرقابة الشرعية لشركة الراجحي للاستثمار بالسعودية!**

16. **هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي وبنك قطر الإسلامي الدولي ومصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وباكستان وبنك التقوى بسويسرا!**

17. **المؤسسة الإعلامية الإسلامية العالمية بإسلام آباد!**

18. **مجلس إدارة جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت!**

19. **المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث!**

20. **وائتلاف الخير!**

21. **ثم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي أسسه الشيخ كأهم تجمع لعلماء المسلمين في العالم!**

- **وكتب تلميذه وسكرتيره السابق أكرم كساب: إن القرضاوي فيما دبجته أنامله من كتب قاربت المئة الثانية؛ هي في مجملها حديث عن السياسة الشرعية، كلها – تقريبا – في السياسة الشرعية بمفهومها العام، وجلها ربما في السياسة الشرعية بمفهومها الخاص.**

وإذا أردنا الحصر فإن (50 %) من هذه الكتب هي في صميم السياسة الشرعية، ومن ذلك سلسلة (حتمية الحل الإسلامي) وتضم أربعة كتب، وسلسلة (في ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية) وتضم أكثر من خمسة عشر كتابا، وسلسلة (رسائل ترشيد الصحوة) نحوا من عشرين كتابا، فضلا عن سلسلة (نحو وحدة فكرية للعاملين بالإسلام) وهي تكتمل في عشرة كتب، و (محاضرات القرضاوي)

وهي نحو عشرين كتابًا!

وعلى هذا فهو في عصرنا الحاضر يعد من المجددين في علم السياسة الشرعية لا يقل مكانة عن الشافعي في تأصيله الأصولي، ولا عن ابن تيمية في تجديده الفقهي، ولا عن الشاطبي في تجديده

المقاصدي ولا عن ابن خلدون في تجديده في علم الاجتماع السياسي، ولا عن البنا في تجديده الفكري الحركي، ولا عن قطب في تجديده الا بداعي في تفسير القرآن وبيانه.

وتتضح أسبقية يوسف القرضاوي في هذا الفن لأمور عدة أهمها:

.1لم ينجرف –كما انجرف بعض الكتاب في القديم وفي الحديث – لتبرير الواقع، وإقرار ما فيه من انحرافات، لم تكن الأمة سببًا فيها بقدر ما كان الحكام هم المنشئين لها.

.2لم يقبل ما عاصره من استبداد سياسي وانحراف اقتصادي، بل كان مع غيره من العلماء السابقين له والمعاصرين له شوكة في حلق هذه السلطات المستبدة، وقد ذاق ما قدره الله له من الحبس والتعذيب والتشريد والمطاردة قديما وحديثا.

.3لم يقف عند تنظيرات الأولين التي ابتدأها أبو يوسف في (الخراج) والماوردي وأبو يعلى في (الأحكام السلطانية)، بل تجاوزها نقدًا وضبطًا، وتوسيعًا وتأصيلًا.

.4كانت أدلة الأحكام من كتاب وسنة وإجماع وقياس و! و! هي مصادر القرضاوي في الإفتاء لما جدّ من أحكام في عالم السياسة الشرعية.

.5لم يتأثر القرضاوي بالفلسفات الوافدة والأفكار المستوردة، بل كان ناقدًا لها، كما في سلسلة (حتمية الحل الإسلامي) وخصوصًا (الحلول المستورة وكيف جنت على أمتنا).

.6لم يتردد القرضاوي في قبول ما جدّ من الوسائل والأساليب الوافدة من الغرب؛ جاعلًا شعاره الأثر القائل: الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

.7استطاع القرضاوي في خوضه لغمار السياسة الشرعية أن يقرأ الواقع قراءة متبصرة، واضعًا إحدى عينيه على الشرع والأخرى على العصر، فأنزل النص على الواقع، مسترشدًا بما أصل له من أنواع الفقه المختلفة: الموازنات والأولويات والمآلات والسنن والخلاف والمقاصد.

.8استطاع القرضاوي بموسوعيته أن يسبق كل من كتب في السياسة الشرعية في العصر الحديث،

ففاق من سبقه كرشيد رضا الذي تناول السياسة الشرعية في جانب الخلافة، وعبد الوهاب خلاف الذي اقتصر على جانب (التنظير والتأصيل)، وحسن البنا الذي كتب في بعض (النظم)، وكذلك سبق من عاصره، فالغزالي (ت 1996م) وهو من المكثرين في هذا الجانب، إلا أن الجانب الدعوي والأسلوب النقدي كانا سمة عامة له، وأما سيد قطب (ت 1966 م)، فقد كانت كتابته السياسة تدور في فلك تكوين جيل قرآني ينطلق من قاعدة صلبة تعيد الجماعة المسلمة الأولى في أبهى صورها، بعد ما أسماه بـ (المفاصلة الشعورية) لتجسد لاحقًا نموذج الخلافة الراشدة ثانية على أرض الواقع، وأما المودودي (ت 1979م) فقد كانت فكرته قائمة على أن النظام السياسي في الإسلام يسبقه وجود مجتمع إسلامي صادق، ومنه تأتي الخلافة الراشدة، هذا المجيء يراه المودودي مجيئًا تلقائيًّا، وهو ما يعبر عنه بـ (منهج الانقلاب الإسلامي). ولم يتحدث واحد من هؤلاء حديثًا تفصيليًّا – سوى البنا – عن شكل هذه الحكومة، ولا طبيعتها ولا نظامها، ولا مكانة المخالفين فيها.

.9الرؤية النقدية التي عرف بها القرضاوي ظهرت في فكر المدرسة التي ينتمي إليها، فنقد فكر (البنا) و(الغزالي) بل وفكر (الإخوان)، وارتأت الإخوان كحركة أن تنزل على تجديداته، تاركة بعض أفكار شيخها ومؤسسها؛ كما في موقفهم من تكوين الأحزاب، ومشاركة المرأة السياسية.

.10وهذا لا يعني أن الشيخ أصاب في كل اجتهادته، بل كان له بعض الآراء التي جانبه فيها الصواب، لكنه وإن لم ينل الأجرين – من وجهة نظري – فلن يحرم أجر اجتهاده.

.11وأخيرًا: فهذا يعني أن القرضاوي لم يكن مجرد فقيه منظر، وإنما كان فقيهًا حاذقًا وسياسيًّا شرعيًّا بارعًا، برّز بكتاباته وممارساته أقرانه، وفاق من سبقوه، وأتعب من يأتون بعده.

- وكتب الشيخ عصام تليمة: كما اتسم الشيخ القرضاوي بسمة لازمته طوال حياته، فهو رجل رائد: رائد في طلبه للعلم، لا يقبل بالمرتبة الدنيا، بل عينه دائمًا على المرتبة الأولى، نال الشهادة الثانوية الأزهرية، وكان ترتيبه الثاني على المملكة المصرية، وكان بينه وبين الأول نصف درجة، ولولا ظروف حدثت له في امتحان مادة (الفقه الإسلامي) لكان الأول بلا منافس.

وبعد ذلك كان الأول على كلية أصول الدين، والأول على مرحلة التخصص إجازة التدريس.

وعندما سافر إلى قطر، عرض عليه أن يقدم برامج دينية للإذاعة القطرية والتليفزيون القطري، فلم يتوان، إنما لبى وأسرع إلى استخدام هذه الوسيلة الفعالة لخدمة الإسلام.

ثم بعد ذلك أدرك بسرعة أهمية الفضائيات، فكانت برامجه الفضائية، وبعدها ببضع سنوات، كان انطلاق مشروعه العالمي (إسلام أون لاين)؛ إنها حكمة وخبرة الشيوخ التي تحركها وتدفعها حماسة وطاقة الشباب.

- وكتب الدكتور جاسر عودة:

أهم ما يتميز به الشيخ الجليل في رأيي عن العلماء في عصره بل وفي ما سبق من عصور هو قدرته العالية وهمته الحاضرة في تحويل الأفكار إلى مؤسسات، وإدراكه لكيفية استثمار الرأي العام حين يهتم بقضية ما من أجل تحويل رد الفعل إلى مؤسسة متكاملة ومنتجة تتعامل مع القضية بشكل منهجي ومستدام، وهذا أيضًا من علو همته واتساع أفقه.

وقد شهدت إسهام الشيخ المتميز في تأسيس عدد من المؤسسات التي كان لها أثر كبير في الواقع الإسلامي في العقود الماضية، منها موقع إسلام أون لاين في صيغته الأولى، والذي كان له أثر كبير على شبكة الإنترنت بفضل المنهج الوسطي الذي خطه الشيخ، والذي شرفت بالمشاركة في وضع سياساته في الموقعين بالعربية والإنجليزية، ومنها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي شرفت بعضويته التأسيسية ثم بالانتخاب لعضوية مجلس أمنائه لاحقًا، والاتحاد كان محاولة للتنسيق بين العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وتوجيه جهودهم لخدمة قضايا الأمة خاصة قضية فلسطين، والتي كان للشيخ فيها إسهام بارز، ومنها: مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، الذي أسسه معالي الشيخ أحمد زكي يماني، وتولى الشيخ يوسف القرضاوي رئاسة مجلسه الاستشاري الأعلى، وشرفت بإدارته حين أسس ولمدة خمس سنوات، نشر فيها المركز فكرة المقاصد في أنحاء مختلفة من العالم، ونشر كتبًا كان من أبرزها كتب الشيخ وأبحاثه المهمة في هذا الموضوع الهام، وشهدت كذلك إسهامه الرائد في المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث بدبلن والذي تشرفت مؤخرًا

بعضويته، وهو المجلس الذي كان له الأثر الأول في فقه المسلمين في أوروبا والغرب عمومًا حينًا من الدهر، وشهدت كذلك فيما مضى إسهامه الرائد في كلية الدراسات الإسلامية، ومركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بالدوحة، وكانتا أيضًا – في وقتهما – محاولتين مهمتين لتقديم دراسات إسلامية معاصرة.

وقد حللت – والكلام لا يزال للدكتور جاسر عودة – كذلك منهج الشيخ الفقهي، من اجتهاده "الإنشائي" عن طريق الاستصلاح، إلى اجتهاده "الانتقائي" بناء على المقاصد، ومن أثر المناسبة على القياس عنده، إلى "تغير الظروف التي قيل فيها النص"، على حد تعبيره. وللشيخ تعبيرات أخرى كثيرة ذكرها في ثنايا مباحثه الفقهية هي من الأهمية بمكان في مسيرة التجديد المقاصدي المنشود، منها: "التفرقة بين الوسائل المتغيرة والمقاصد الثابتة"، و"تقسيم السنة إلى تشريع وغير تشريع"، و"المبالغة في سد الذرائع كالمبالغة في فتحها"، و"إذا فتح الشارع شيئًا بنصوصه وقواعده، فلا شيء ينبغي لنا أن نسده بآرائنا وتخوفاتنا"، و"الرسول نفسه كان ينهج هذا النهج في آرائه الإدارية والسياسية والمالية ونحوها، فيديرها وفقا للمصالح المعتبرة"، و"نحن ضد أن تسيطر الشكلية على البنوك الإسلامية"، وغير ذلك. وكتبت أخيرًا عن تأسيس الشيخ حفظه الله لأنواع من "الفقه الجديد" ترتبط بفقه المقاصد كفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه الأقليات المسلمة، والفقه الحضاري، وفقه السنن الإلهية. بل إن فقه الشيخ وفكره كله يجري مراعيًا تلك السنن الإلهية، خاصة سنة "الحركة حول محور ثابت" على حد تعبيره، مما شكل فلسفة للمقاصد عند الشيخ، فهو يتحرك مع الوسائل حول المقاصد، ومع الآليات حول الأهداف، ومع المتغيرات حول الثوابت، ومع الظنيات حول القطعيات، ومع الفروع حول الأصول، ومع الجزئيات حول الكليات، ومع الفقه حول القرآن والسنة، ومع الفكر حول العقيدة، ومع الحياة حول الشريعة، وهي حركة تجري على فطرة الله في خلقه، وسننه في كونه، وهي إذن حركة مباركة على امتداد الزمان والمكان، إن شاء الله تعالى. وكفاني بذلك إشارة.



الشيخ مجددًا

الشيخ مجددًا

لا يخفى على من يقترب من الشيخ شمول رؤيته، وسعة واديه، وموسوعية ثقافته!

ولن تخفى على المتأمل – دون كبير جهد – مبادرات الشيخ، وأولياته، ونظراته غير المسبوق في آفاق كثيرة، طرقها بجرأة الرائد، وثقة القائد، ووعي العالم، وعقل المستشرف النابه! وذلك على مستوى الجديد في العلوم، وريادة الأبحاث، وقيادة الأحداث، والمؤسسات الجديدة، والكيانات غير المسبوقة، ولقي في ذلك من العناء، وتحمل من الجهد واللألواء، ما لا يقوم به إلا الزعماء من الرجال، والأفذاذ الآحاد من الرواد.

ولا يستطيع أحد أن ينكر المؤسسات التي ابتدأها الشيخ: فكرًا وتأسيسًا وتنظيرًا، وبلورة، وإدارة، ولا تفريعات العلوم التي ابتدأها كأنواع الفقه التي صارت الآن مقبولة، مرضية، تدور تفاصيلها على ألسنة الباحثين وطلاب العلم والدعاة، ونظراته في أصول الفقه، وأولياته في الاقتصاد الإسلامي، والفقه، والدعوة وغيرها!

ولا يستطيع أحد أن ينكر دوره الرائد في التأصيل للصحوة الإسلامية، وفكر الوسطية، حتى صار – كما قال المستشار عبد الله العقيل: (بمؤلفاته ودروسه، ومحاضراته وفتاواه، وخطبه ومناظراته، مدرسة علمية قائمة بذاتها، ومرجعًا فقهيًا؛ لأنه تعمق في فقه الكتاب والسنة، وجمع خلاصة فقه السابقين، واستوعب أدلتهم ومذاهبهم، وعرف مشكلات العصر، وتعامل مع الواقع بروح الفقيه الباحث عن الحق، الذي ينشد الخير للناس، ويقربهم إلى الدين متبعًا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التيسير والتبشير، مستندًا إلى قوة الدليل في الترجيح بين الآراء والمذاهب والأقوال، فكان بحق فقيه العصر وعالم الأمة ورجل المرحلة، وليس هذا مبالغة أو مجاملة، ولكنه حقيقة واقعة يعرفها ذوو الفضل وأهل العلم، ويدركها كل من عرفه عن قرب، أو قرأ مؤلفاته بإنصاف وتدبر!

إن الشيخ القرضاوي رائد الصحوة الإسلامية المعاصرة بحق؛ فهو من مؤسسيها بعلمه الشرعي، وفقهه الدعوي، ونشاطه الحركي، وتنظيره الاقتصادي وحواره الفكري، ومنهجه التربوي، وعمله الخيري، وكيف لا يكون رائد الصحوة ومرشدها، وهو الذي يتحرك بالإسلام وللإسلام في كل مكان، وتشهد له المؤتمرات الإسلامية التي يحضرها والمجامع الفقهية التي يشارك فيها والبنوك الإسلامية التي يفتي لها والجامعات التي يحاضر في طلابها وطالباتها والمساجد التي يخطب في روادها، ويؤم مصليها، ويدرّس في حلقاتها، والمشاريع الخيرية التي يساهم في إقامة منشآتها ومؤسساتها).

وقد كتب الدكتور سلمان العودة، أول مارس 2011 عن: القرضاوي، رائد استثمار التحديات المعاصرة، خلال افتتاح "الملتقى العلمي الأول لتلاميذ القرضاوي" بقطر، والذي شارك فيه نُخْبَة من العلماء والدعاة –: إنّ القرضاوي يمتاز بأنه رائد في استثمار التحديات المعاصرة، وليس مجرَّد الرفض والمقاومة السلبية، وذلك حتى تستفيد الأمَّة من هذه التحديات بشكل إيجابي!

وأكّد أنّ تجربة القرضاوي طويلة وعميقة وثَرِيّة، ولا بد أن تُقَدَّم للأجيال القادمة للاستفادة منها واختصار الوقت والجهد على هذه الأجيال وحمايتهم من ارتكاب أخطاء الماضي، وتجنُّب التجارب الفاشلة، مشيرًا إلى أنّ الأمة تعانِي من غياب المنهجية حتى بين الخاصة من طلبة العلم والعلماء. ولفت إلى أن تراث الشيخ أصبح مادة للدراسة الأكاديمية المتخصصة في رسائل الدكتوراة والماجستير في العديد من الدول الإسلامية والأوروبية، موضحًا أن جامعة جورج تاون عندما رصدت أكثر 500 شخصية إسلامية مؤثِّرة، وضعت القرضاوي في العشرة الأوائل من هذا التصنيف.

وذكر السيد ولد أباه – الأخبار الموريتانية 22.05.2010– أن الإسهام الفكري الأبرز لدى القرضاوي في سياق مشروع النهضة المعاصر هو "تأسيس مدرسة فقهية فكرية جديدة شعارها السعي إلى مصالحة المسلم مع عصره ومع الحياة". وبلورة مدرستين مهمتين تتمثل الأولى في فقه

الأولويات، والثانية في فقه الأقليات!

وأوضح اكناة ولد النقرة – الأخبار الموريتانية 22.05.2010– أن د. يوسف القرضاوي أثرى مجال الاقتصاد الإسلامي بكتاباته وتآليفه المشهودة في حديثه عن "الزكاة" وأن "فوائد البنوك من الربا المحرم" و"دور الأخلاق والقيم في الاقتصاد الإسلامي" وكان رائدًا في اكتشاف البدائل الإسلامية في مجال المعاملات والميدان الاقتصادي، وكان يردد دوما بأن "الاقتصاد أعظم من أن يترك للاقتصاديين وحدهم."

وفي بحث عن تأصيل الأولويات، وكيفية تحديدها كتب الدكتور علاء الدين حسين رحال، ونهيل علي صالح/ كلية الشريعة في جامعة اليرموك:

وقد ظهر مصطلح الأولويات في الفقه الإسلامي حديثًا، ويُعد (القرضاوي) رائدًا من روّاد هذا المصطلح، وقد أضاف للأولويات كلمة فقه فأصبحت (فقه الأولويات)، ليُعطي بذلك دلالة على أنّ الأولويات لها فقهٌ خاصٌ بها، وسنوجز باختصار بعض تعريفات العلماء لفقه الأولويات، والتي تساعد في وضع تصوّر شامل للأولويات.

وعن بصيرة الشيخ كتب الدكتور جاسر عودة:

ومن علو همة الشيخ وسعة أفقه وابتغائه لمرضاة ربه أنه لا يقتصر في تطبيق العلم الشرعي على قضايا الفقه والسلوك فقط، بل يطبقه؛ خاصة على قضايا السياسة جميعًا، فله في كل حدث سياسي موقف، وهو دائمًا ما يكلف الباحثين في مكتبه بمتابعة الأخبار السياسية والأحداث العالمية وتلخيصها له، حتى يتابع أحداث الدنيا أولًا بأول، ويتخذ منها المواقف بل ويشترك فيما يمكن الاشتراك فيه. وللشيخ تاريخ طويل في هذا، وناله بسبب مواقفه السياسية التي وقف فيها مع الحق وأهله ما ناله منذ شبابه وإلى اليوم.

ومن أبرز الأحداث السياسية القريبة التي شارك فيها الشيخ مشاركة فعالة، وكان له فيها مواقف مؤثرة أحداث (الربيع العربي)!

فمن حيث الفكر والفقه الموجود في كتب الشيخ التي قرأتها وخطبه ومحاضراته التي حضرتها، فحدث عن علو الهمة وحرية العقل واتساع الأفق ولا حرج. وقد كتبت منذ سنوات كتابًا عن مقاصد الشريعة عند الشيخ – وهو الموضوع الذي أكتب فيه أو أدندن حوله دائمًا – فقد كتبت أقول إنه إمام مقاصدي بحق، علمًا وتعليمًا، وتنظيرًا وتطبيقًا، وفكرًا وفقهًا، وتأصيلًا وتجديدًا، وكتابة وفتوى، ودعوة وحركة – جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والعلم وأهله خير الجزاء. وبحثت في هذه الجوانب كلها بدءًا من تأثر الشيخ بأئمة المقاصد من سلف هذه الأمة الذين أفردوا هذا العلم بالتأليف وأبدعوا فيه، وتأثره أيضًا بمن عاصر من العلماء "المقاصديين" خاصة من المدرسة الأزهرية المعاصرة، وتابعت تطور النظر المقاصدي عند الشيخ منذ كان يقتصر على دراسة الحكم والأسرار التي تترتب على تطبيق الأحكام الشرعية، إلى أن صار يراعي المقاصد في القياس ومآلات الأحكام، إلى أن ناقش ونقد وجدد في نظريات المقاصد نفسها، بل وإفراده أخيرًا المقاصد الشرعية بالتأليف في كتابات قيمة.

وقد استقريت أبعاد المقاصد ومعانيها وتقسيماتها المختلفة عند الشيخ، وتركيزه على الفصل بين مقاصد الخلق ومقاصد الشارع حتى لا يساء استغلال موضوع المقاصد لصالح أهواء البعض، واستقريت كذلك المقاصد العامة الرئيسة عند الشيخ من تيسير، وعدل، وتعبد، ودعوة إلى الله، ومراعاة للفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، ودرست أهمية دراسة موضوع المقاصد عند الشيخ القرضاوي لفهم القرآن الكريم خاصة والشريعة الإسلامية ككل، وللتجديد في لغة الخطاب الإسلامي المعاصر وفي حركة الاجتهاد المعاصر، ولأهميتها للمفتي والداعية والمربي، ولإرساء دعائم ثقافة الحوار والتعاون مع أهل الديانات وبين المذاهب الإسلامية المختلفة. ووصلت إلى أن الفكر الإسلامي عند الشيخ هو فكر مقاصدي بالأساس: بدءًا من تصنيفه للمدارس الفكرية حسب

مواقفهم من مقاصد الشريعة، إلى سمات المدرسة الوسطية التي رسمها بناء على هذا التصنيف، إلى فكره السياسي والاقتصادي والاجتماعي بفروعه المختلفة.

وقد حللت كذلك منهج الشيخ الفقهي، من اجتهاده "الإنشائي" عن طريق الاستصلاح، إلى اجتهاده "الانتقائي" بناء على المقاصد، ومن أثر المناسبة على القياس عنده، إلى "تغير الظروف التي قيل فيها النص"، على حد تعبيره. وللشيخ تعبيرات أخرى كثيرة ذكرها في ثنايا مباحثه الفقهية هي من الأهمية بمكان في مسيرة التجديد المقاصدي المنشود، منها: "التفرقة بين الوسائل المتغيرة والمقاصد الثابتة"، و"تقسيم السنة إلى تشريع وغير تشريع"، و"المبالغة في سد الذرائع كالمبالغة في فتحها"، و"إذا فتح الشارع شيئًا بنصوصه وقواعده، فلا شيء ينبغي لنا أن نسده بآرائنا وتخوفاتنا"، و"الرسول نفسه كان ينهج هذا النهج في آرائه الإدارية والسياسية والمالية ونحوها، فيديرها وفقا للمصالح المعتبرة"، و"نحن ضد أن تسيطر الشكلية على البنوك الإسلامية"، وغير ذلك.

وكتبت عن تأسيس الشيخ حفظه الله لأنواع من "الفقه الجديد" ترتبط بفقه المقاصد كفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه الأقليات المسلمة، والفقه الحضاري، وفقه السنن الإلهية. بل إن فقه الشيخ وفكره كله يجري مراعيًا تلك السنن الإلهية، خاصة سنة "الحركة حول محور ثابت" على حد تعبيره، ما شكل فلسفة للمقاصد عند الشيخ، فهو يتحرك مع الوسائل حول المقاصد، ومع الآليات حول الأهداف، ومع المتغيرات حول الثوابت، ومع الظنيات حول القطعيات، ومع الفروع حول الأصول، ومع الجزئيات حول الكليات، ومع الفقه حول القرآن والسنة، ومع الفكر حول العقيدة، ومع الحياة حول الشريعة، وهي حركة تجري على فطرة الله في خلقه، وسننه في كونه، وهي إذن حركة مباركة على امتداد الزمان والمكان، إن شاء الله تعالى. ولعل هذا يكفي.



الشيخ عنيدًا متحديًا

الشيخ عنيدًا متحديًا

الشيخ – فيما عرفته – هين لين، سهل سمح، هادئ بسام، بشوش ضحوك؛ لكنه أيضًا إذا استنفر نفر، وإذا اعتدي أمامه على الحق غضب، وواجه وصمم، غير مبالٍ، ولا هياب!

وحسبك انه محكوم عليه بالإعدام، ومطلوب من الإنتربول، وممنوع من دخول دول عديدة كبرى، وتتصدى له وسائل إعلام نباحة، خالية من المروءة الشرف الإعلامي في حده الأدنى، ومع هذا فهو بربه واثق، وبأقداره مسلم، وطالما سمعته يدعو أن يرزقه الله الشهادة! أسأل الله تعالى أن يطيل عمره، وينفع بحياته الأمة والملة! وهو القائل في نونيته الملحمية:

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي	بالسوط ضع عنقي على السكّين
لن تستطيع حصار فكري ساعةً	أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يديْ	ربّي! وربّي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي	وأموت مبتسمًا ليحيا ديني

ومن شعره في التحدي قصيدته الثائرة التي كتبها عام 1985، وأبدع في إنشادها الشاعر الثائر عبد الرحمن القرضاوي: يا أمتي وجب الكفاح، ومنها:

يا أمتي وجب الكفاح فدعي التشدق والصياح
ودعي التقاعس ليس ينصر من تقاعس واستراح
ودعي الرياء فقد تكلمت المذابح والجراح
ما عاد يجدينا البكاء على الطلول ولا النواح
لغة الكلام تعطلت إلا التكلم بالرماح
يا قوم! إن الأمر جدُ قد مضى زمن المزاح
سموا الحقائق باسمها فالقوم أمرهمُ صراح
سقط القناع عن الوجوه!وفعلهم بالسر باح

عاد الصليبيون ثانيةً! وجالوا في البطاح

عاثوا فسادًا في الديار كأنها كلأ مباح

عادوا يريقون الدماء ولا حياء من افتضاح

والباطنية مثلوا الدور المقرر في نجاح

دور الخيانة وهو معلوم الختام والافتتاح

عادوا وما في الشرق (نور الدين) يحكم أو (صلاح)

كنا نسينا ما مضى لكنهم نكؤوا الجراح

لم يخجلوا من ذبح شيخ لو مشى في الريح طاح

أو صبية كالزهر لم ينبت لهم ريش الجناح

لم يشف حقدهمو دم سفحوه في صلف وقاح

عبثوا بأجساد الضحايا في انتشاء وانشراح

وعدوا على الأعراض لم يخشوا قصاصًا أو جناح

ما ثم (معتصم) يغيث من استغاث به وصاح

أرأيت كيف يكاد للإسلام في وضح الصباح؟

أرأيت أرض الأنبياء، وما تعاني من جراح؟

أرأيت كيف بغى اليهود، وكيف أحسنا الصياح؟

عاد التتار يقودهم جنكيز ذو الوجه الوقاح

عادت جيوشهمُ تهدد بالخراب والاجتياح

عادوا ولا (قطز) ينادي المسلمين إلى الكفاح

عاد المروق مجاهرًا! ما عاد يخشى الافتضاح

وجد الحصون بغير حراس لها! فغدا وراح

ومضى يعربد – لا يبالي – في حمانا المستباح

وتعالت الأصوات تدعو للفجور وللسفاح

مسعورة! إن رحت تزجرها تمادت في النباح

يا أمة الإسلام هبوا واعملوا، فالوقت راح

الكفر جمع شمله! فلم النزاع والانتطاح؟

فتجمعوا وتجهزوا! بالمستطاع وبالمتاح

يا ألف مليون! وأين همً إذا دعت الجراح؟

هاتوا من المليار مليونًا صحاحًا من صحاح

من كل ألف واحدًا أغزو بهم في كل ساح

من كل صافي الروح يوشك أن يطير بلا جناح

ممن يخف إلى صلاة الليل بادي الارتياح

ممن يعف عن الحرام! وليس يسرف في المباح

ممن زكا بالصالحات! وذكره كالمسك فاح

ممن يهيم بجنة الفردوس! لا الغيد الملاح

من همه نصح العباد وليس يأبى الانتصاح

يرجو رضا مولاه! لم يعبأ بمن عنه أشاح

مرٌّ على أعدائه! ولقومه ماء قراح

إن ضاقت الدنيا به وسعته (سورة الانشراح)

***

لا بد من صنع الرجال، ومثله صنع السلاح

وصناعة الأبطال علم في التراث له اتضاح

لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح

في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح

في صحبة الأبرار ممن في رحاب الله ساح

لايستوي في منطق الإيمان سكران وصاح
شعب بغير عقيدة ورق تذريه الرياح
من خان (حي على الصلاة) يخون (حي على الكفاح)

وفي سياق الطبيعة المتحدية والصلبة عند الشيخ يقول الأخ الشيخ عصام تليمة: سمعت ورأيت الشيخ القرضاوي يتمنى أن يموت شهيدًا في سبيل الله، عشرات المرات، وفي أكثر من مناسبة.

تمناها وهو يتحدَّث مع أصدقائه، وهو يحاضر، وهو يخطب الجمعة، تمناها بصدق. وسمعته ورأيته يتمناها وهو يشارك في مؤتمرات وندوات، وآخرها: أمنيته أن لو كان صحيحًا لذهب ورابط مع المرابطين في المسجد الأقصى، الذين يدافعون عن أولى القبلتين ضد محاولات الهدم والتهويد.

قبل دخوله للمستشفى في مارس 2003م لإجراء عمليتين جراحيتين في ركبتيه، ألقى خطبتين بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة، أكد فيهما عدم جواز مساعدة القوات الأمريكية في عدوانها على العراق، وطالب بمقاطعة البضائع الأمريكية، والبريطانية إذا شاركت بريطانيا مع أمريكا في الحرب.

وقد كان للخطبتين أثر كبير في نفوس مَن سمعوهما وقرؤوهما من محبي الشيخ، وممن يختلفون معه على السواء، فقد كان جريئًا كعادته في قول كلمة الحق.

ومما لفت الانتباه في الخطبة الثانية، سخرية الشيخ ممن حذَّروه من كيد أعداء الإسلام، الذين قد يفكرون – إن لم يكن خططوا فعلا – لاغتياله. فقال في الخطبة: إن الشهادة في سبيل الله أغلى أمنياته، وهو في آخر حياته، وإنه لو نالها فسيكون أسعد الناس بحسن الخاتمة.

وكتب الأستاذ محمد صبرة: كان محبو الشيخ ينتظرون سماعه في خطبة الجمعة، وفي كل جمعة لا يخطب فيها تثار حوله إشاعات بأنه ممنوع من الخطابة، وأن السلطات القطرية حددت إقامته، وكان أبرز الإشاعات وأكثرها كذبًا تلك التي انتشرت عندما سافر إلى مصر في نهاية يونيو 2013م، بادئًا إجازة سنوية. يومها بث مواقع إلكترونية وجهات إخبارية، تمولها دول تعادي الشيخ، مثل: سوريا وإيران. بثَّت خبرًا يقول: إن قطر أبعدت القرضاوي، وأسقطت عنه الجنسية! وكان الخبر كاذبًا جملة وتفصيلًا، حيث حضر الشيخ مراسم تنصيب الأمير الجديد الشيخ تميم ابن حمد، وظهر في الصور

متوسطًا الأمير الشيخ تميم والأمير الوالد الشيخ حمد، وعلى وجوههم علامات السعادة.

وكتب العالم الجليل أ. د. حلمي القاعود:

لقد كلف هذا الموقف المتقدم للشيخ القرضاوي أن تحكم عليه إحدى المحاكم الانقلابية بالإعدام مع الرئيس الشرعي، ومئات غيرهما من طلاب الحرية، ولكن هذا الموقف لم يؤثر فيه، فهو يعلم أنه حكم سياسي أو حكم مسيّس، وليس حكمًا عادلًا؛ فهو لم يقترف جريمة في حق أحد، اللهم إلا إذا كانت المطالبة بالحرية جريمة!

ولا عجب أن يكون موقفه راسخًا لا يؤثر فيه هذا الحكم، ولا تلك الحملات المجنونة المتدنية التي طالت شخصه وأسرته وعلمه وتاريخه، فقد قال منذ زمان في نونيته الشهيرة، التي سماها ملحمة الابتلاء التي نظمها ذات يوم وهو في معمعة الاعتقال بالسجن الحربي:

إنا لعمري إن صمتنا برهةً	فالنارُ في البركان ذات كُمونِ
تالله ما الدعوات يهزمها الأذى	يومًا! وفي التاريخ بر يميني
ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي	بالسوط ضع عنقي علي السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة	أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي	ربي وربي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي	وأموت مبتسمًا ليحيا ديني

تحية للقرضاوي ولجهاده الذي لا يتوقف مع كرّ السنين، فهو الثائر الحق، الذي يبذل التضحيات مهما عظمت، ولا يبالي بالنتائج، فهي بيد الله في كل الأحوال.

وقال فضيلة الشيخ: فايز النوبي:

(وأذكر وقتها في هذه الأثناء، أن الإخوة القائمين على المؤتمر شعروا ببعض الأشخاص يتحركون بريبة، فتخوفوا على فضيلة الشيخ وأرادوا تأمينه ووضع حراسة عند غرفته، حتى طلبوا مني أن أبيت

معه في جناحه، واستحيوا أن يتحدثوا مع فضيلته، ورغبوا أن أتحدث معه، فأخبرت فضيلته بذلك، فابتسم وكان في غاية الثبات، وكأني لم أقل له شيئًا، وذكرني بقول الله تعالى: (قُل لن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلَانَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) التوبة:51، فرأيت في فضيلته ثبات المؤمنين الأقوياء، وشجاعة المجاهدين الصادقين)!

بل إنني أزعم وأظن – وبعض الظن يقين – أنه يتميز بنوع لطيف خفيّ من التحدي، في تآليفه ومصنفاته، فقد كتب كتبه كلها تقريبًا في مواجهة الشيوعية، والعلمانية، والحكومات، والتطرف الفكري، وحاضر خصومه، وناظرهم، وهاجمهم في ثوابتهم، وواجه بذلك الدنيا، وأوذي، وألفت عشرات المؤلفات في ذمه، بل وتكفيره وردته، فما وهن لما أصابه، وما ضعف وما استكان، أحسبه والله حسيبي وحسيبه!

وماذا تلمح من قوله في مذكراته: أول عمل لي دخل المكتبة العربية كان عملًا شعريًّا مسرحيًّا، فقد قرأت مسرحيتيْ شوقي مصرع كليوباترا ومجنون ليلى، وتأثرت بهما، وأردت أن أنسج على منوالهما مسرحية عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام، لما فيها من غرائب الأحداث، مما يصلح لمسرحية شعرية.

وقد شرعت في كتابتها وأنا في السنة الرابعة الابتدائية، وأكملتها وأنا في السنة الأولى الثانوية، ودفعت بها إلى المطبعة، وكانت تسمى (المطبعة اليوسفية) فكان هذا من المفارقات، فالموضوع هو (يوسف الصديق) والمؤلف هو يوسف القرضاوي، والمطبعة هي (اليوسفية) لصاحبها يوسف!

ومن لطيف تحديه ما ذكره الأستاذ: محمد فوزي النتشة: الحكاية تتلخص في أن الشيخ قبضت عليه السلطات ذات مرة، بعد إلقائه خطبة هاجم فيها الحكومة، وحين أخذ المحقق يناقشه في موضوع الخطبة، أسرع الشيخ وأخرج من جيبه مصحفًا صغير الحجم ثم وضعه أمام المحقق وقال له: هذا هو الكتاب الذي أستمد منه جميع موضوعات خطبي، وأنت تستطيع بقلمك الأحمر أن تشطب على كل الموضوعات التي لا تعجبك في هذا الكتاب! فبهت المحقق، ولم ينبس ببنت شفة!



الشيخ ثائرًا

الشيخ ثائرًا

في تاريخنا المعاصر – قل خلال القرنين الفائتين – عرفنا شيوخًا غير تقليديين، ثوريين، متمردين، يحركون الشعوب لصالح الشعوب، ويغيرون المصائر لغير ما هو صائر، ويحولون الأمور عكس ما يريد سادتنا أولياء الأمور!

وينال هؤلاء الشيوخ الجبال في حياتهم كثيرًا من الأذى والعداء والتقبيح والتجريم، فإذا لاقَوا ربهم لقوا الكثير من الرضا والثناء والتقدير والتعظيم، والله تعالى حسيبهم!

أتذكرون الموقد الحقيقي لثورة عرابي؛ الشيخ العظيم، الأديب الأدباتي، عبد الله النديم (1842. – 1896)؛ ذلك المناكف الذي أقلق القصر، وأرهق المحتل، فطورد وصودر، وضيق عليه وحوصر، لكن أثْرت به الحياة الأدبية والوطنية والجهادية بشكل ثوري وتنويري هائل!؟

أتذكرون المفكر السوري العظيم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (1854 - 1902 م) ذلك الجليل الذي آذاه العنف الرسمي، والإرهاب الحكومي، فانتقد الملوك، وأكد أن (الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان؛ التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء؛ بلا خشية حساب ولا عقاب)! وذهب إلى أن (المستبدين من السياسيين يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي، والتشامخ الحسي، ويذللونهم بالقهر، والقوة، وسلب الأموال حتى يجعلوهم خاضعين لهم، عاملين لأجلهم؛ كأنما خلقوا من جملة الأنعام، نصيبهم من الحياة ما يقتضيه حفظ النوع فقط).

أتذكرون الشيخ جمال الدين الأفغاني الثائر الهادر، الذي كان (يوزع السعوط بيمينه، والثورة بيساره) حتى ضج منه الإنجليز وأعوانهم، فنفوه وطاردوه؟

أتذكرون الشيخ المجاهد العظيم عمر المختار (8/20/ 1861 – 9/16/ 1931) الذي قاتل إيطاليا المستعلية المتجبرة، وكان لاعتقاله صدىً كبير هنالك؛ حتى إن عدوه جراتسياني لم يصدّق نبأ

اعتقاله، فأصيب بحالة هستيرية، وأخذ يشير بيديه ويقول: صحيح قبضوا على عمر المختار؟ ثم يقول شاكًّا: لا، لا أعتقد!

ولم يسترح بال عدو الله والإنسانية، فقرر إلغاء إجازته، وأقلته طائرة خاصة ليهبط في بنغازي، ويطلب إحضار عمر المختار إلى مكتبه ليتأكد أنه اعتقل فعلًا.

وحين صدر الحكم بإعدام المجاهد الكبير شنقًا قال في شموخ: "إن الحكم إلا لله، لا حكمكم المزيف؛ إنا لله وإنا إليه راجعون" وشنقوا جسده فخلد الله اسمه وأثره؟!

أتذكر ذلك قارئي الكريم؟ الحمد لله، فهاك سؤالي إذن؟!

ألا يجب أن يصنف الشيخ العظيم يوسف بن عبد الله القرضاوي ضمن هذه النوعية الفذة من الرجال، التي غيرت الاتجاهات، وصنعت الأفكار، وجددت الرؤى!؟

- ألا ينبغي أن يكون مع عمر مكرم والنديم والأفغاني والكواكبي والمختار في قَرَن!؟

لن أتحدث عن بداياته الثورية، وقصائدة النارية، وخطبه المشتعلة – في شبابه – لكن أدعوك لتتأمل مسيرته في السنين العشرين الأخيرة عامة، والسنين الست الأخيرة خاصة، وارصد بنفسك مواقفه، وخطبه، وكتاباته، وأفكاره، وآثاره؛ ترَ كمْ أنت محظوظ لتعاصر هذا الجبل الذي فَتحت عليه ليبيا وسوريا واليمن ومصر وتونس والد! نار إعلامها السلطوي الكنود، وتمنوا – لو بوسعهم – أن يخنقوه ألف مرة، وهو الذي منع رسميًّا من دخول أميركا وبريطانيا وعدد من الدول (العربية!) لكونه شيخًا غير مرغوب فيه!

- ألا يجب تصنيفه كزعيم وطني، وقائد شعبي، وثائر زلزل عروش الظالمين، ونجحت كلماته – مع دماء المجاهدين – في انتزاعهم من كراسيهم وملكهم العضود.
- ألم تر إلى دوره في ثورة يناير الغراء؟ ألم تر إلى كلامه قبلها وبعدها عن الطواغيت البلهاء في تونس، وليبيا، وسوريا واليمن ومصر، وحيثما كان الطغيان والطغاة!؟

- **ألم تر إلى رجوع الناس – قيادات وعوام – إليه، يستفيئون بظله، ويستأنسون برأيه، ويصدرون عن فكره!؟**
- **ألم ترهم يستعيدون كلامه وخطبه أثناء الثورة؟**
- **ألم تر إلى الحنق العظيم الذي يأكل قلوب أنظمة الاستبداد، ويجعلهم يتخبطون في جهالاتهم، ويرمونه بالعمالة والخيانة والمداجاة، والتآمر مع المشرق والمغرب ضد حكمهم (الراشدي العادل الأمثل)!؟**
- **ألم ترهم يستعينون بمفتين متأكلين، وخطباء مساجد جاهلين أو مجبرين، وزمارين، وطبالين، ودجالين، وشتامين، لعلهم يغطون الشمس، أو يحجبون الحق!؟**
- **ألم تر إلى التلفزيون الليبي الوطني العظيم الذي أذاع ذات يومٍ نبأ في غاية الدقة والحرفية والأمانة – بلغةٍ كاذبة خاطئة – فحواه أن العلامة القرضاوي مصاب بجلطة وشلل، وأنه دخل غيبوبة، إذا أفاق منها فسيظل للا بد مشلولًا!؟ وعنه نقلت تلفزيونات أخرى ملوثة ملتاثة؟!**
- **ألم تر إلى التلفزيون السوري العظيم الذي اتهمه بالتلون والتلاعب والتقلب وسوء النية، وبأنه المتآمر المصلحجي شيخ العولمة وعبدها المطيع! وأنه يزعم أن ثورة سورية سلمية سلمية بينما الشعب السوري المشاغب (المجرم) الذي لا يشكر نعمة البعث عليه، يحمل على أكتافه دبابات وطائرات وراجمات صواريخ ليهدم سوريا الباسلة، وفشار وماهر الأسد بريئان، وعصابات البعث هي أمثلة الطهر والوطنية والعدالة والإنصاف!؟**

لكم ضحكت من بلاهة أعوان القذافي وحمقهم، ومن إعلام الأسد التافه، ورجاله (الأشراف) وقلت: عافى الله الشيخ، وأبقاه شجًى في حلوق الفراعين، وكابوسًا يحرمهم المنام، ومنارة حق ترشد الشعوب إلى مرافئ الأمان!

ولكم ضحكت من بلاهة الإعلام البعثي الهزيل التافه، وهو يسبه، ويفتري عليه، ويقول فيه (ما قال

مالك في الخمر)، وما ادعاه فرعون عليه اللعنة على موسى عليه السلام.
ألم يقل ذلك الأحمق عن موسى وأخيه عليهما السلام: (إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما، ويذهبا بطريقتكم المثلي؟)!
ألم يقل رجال إعلام فرعون: (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض!؟)!
هذا بالضبط ما قاله مفتى ليبيا، والحليوة حسون بتاع سوريا، كما أذعاه تلفزيونا الدولتين!

ولن أعلق على السفاهات والطرائف المضحكة التي يطلقها هؤلاء الحمقى، ظانين أنهم يخدمون العقير وفشار، وهم في الواقع والله يسيؤون لهم، و(يعكون) ويزيدون الوحل بلة!

يا سادتي هلك فرعون وهامان وقارون، وراح مبارك وبن علي، وزال العقيم وسالح، وسيزول فشار، وكل هذا القراد البشري الذي يعيش على مص دماء الشعوب! صدقوني سيزولون، وعسى أن يكون قريبًا!

وليس هذا محور كلامي على كل حال، إنما أريد أن أتأمل المفارقة العجيبة:

= = عالم معمم مسن، ليس معه شيء، تنبحه تلفزيونات أنظمه عاتية، وإذاعاتها، وصحافتها، وشيوخها المنافقون، ويسخر لذلك المال والجهد والإمكانات! ثم تأتي مجرد كلمة من هذا الكبير لتلهب القلوب، وتوقظ المشاعر، وتحرك الشوارع، ينتظرها الناس، ثم يتجاوبون معها، وتصير وقودًا محركًا يجعلهم يستهينون بالموت، ويستهزئون بالفراعين!

= = مفارقة أخرى فارقة، جديرة بالتأمل: يوسف القرضاوي – حرسه الله – ممنوع من دخول أميركا، بوصفه متطرفًا وراديكاليًّا، وجناب مفتينا الهمام يستعديها في الواشنطن بوست على بلده! و(مفني) ليبيا الذي ظننته القذافي يخطب حين سمعته يصيح، يقول إن القرضاوي طابور خامس، وكذاب، ومنافق، وعميل لأمريكا! بينما يرن هاتفه بأغنية للشيخة نانسي عجرم!
= = شيخنا يحرض على الثورة، والخروج للميدان، وجناب مفتينا الهمام يرخص في ترك الجمعة؛ حتى لا يجتمع الناس في التحرير راغبين في التحرير! والفوطي (صاحبه والصائد بمثل شباكه) يقول عن

لا يجتمع الناس في التحرير راغبين في التحرير! والفوطي (صاحبه والصائد بمثل شباكه) يقول عن الثائرين إنهم: ينتعلون المساجد لمآربهم، ولا يعرفون شيئًا اسمه الصلاة، وجباههم لا تعرف السجود، وينقادون لأوامر آتية من الخارج، ويحتمل أن تحركها أصابع صهيونية!
= = هذا بالتنوير يحرر العقول، وهؤلاء بالخرافات والأكاذيب يخدرون العقول!

ياااااااااااااه! ولسه! بينه وبينكم التاريخ، والجنائز، ولقاء الملك العدل!

وكتب الأستاذ يحيى عبد الهادي عن الثائر قبل ثورات الربيع العربي:
يعتقد بعض الناس أن العلامة يوسف القرضاوي لم يجرؤ على انتقاد النظام السوري ونظام حسني مبارك والنظام المخلوع في تونس، إلا بعد قيام ثورات الربيع العربي، ولكن هذا ليس صحيحًا. فيأيها القارئ الحبيب، ليس كل ما لا تعرفه يكون معدومًا وغير موجود، بل لا بد من التعمق في القراءة والاطلاع لمعرفة الحقيقة، حتى تتبين أن الشيء كان موجودًا من قبل، ولكنه كان مجهولًا لمن لا يعلمه فقط.

عندما قرأت صفحات من مذكرات الشيخ القرضاوي في أجزائها الثلاثة الأولى، التي نُشرت قبل أن يبدأ الربيع العربي بفترة طويلة، اكتشفت أشياء جديدة لم أكن أعرفها. فقد كتب الشيخ في مذكراته عن معاناته في السجون المصرية، وكيف أنه سجن مرتين وعُذِّب، وعلى الرغم من ذلك كله لم يذعن لهم. وكان الشيخ القرضاوي مطلوبًا من نظام جمال عبد الناصر، ولكن رفضت قطر تسليمه، ثم سُحِبَ منه الجواز المصري، وبعد فترة أعطته قطر جواز سفر قطريًّا، حتى يتمكن من السفر إلى المؤتمرات والندوات العالمية. وكان الشيخ القرضاوي يُوقَف مُدَدًا طويلة في مطار القاهرة أيام حسني مبارك، قبل أن يتم السماح له بالدخول، كلما أراد زيارة مصر في إجازاته الصيفية.

وكتب في مذكراته كيف أنه رفض الإلحاح المصري من أعلى المستويات بأن يظهر في برنامج ديني على التلفزيون الحكومي، قائلًا لهم: إنه لا يقبل أن يقوموا بتحسين صورتهم به، ناصحًا لهم إن أرادوا فعلًا تحسين صورتهم، فلا بد لهم من إخراج المعتقلين من السجون، وإيقاف المحاكمات الظالمة،

وفسح المجال للإخوان المسلمين للعمل بحرية، وإيقاف الخلاعة والمجون التي تظهر على التلفاز، وأن يسمحوا للإعلاميات المحجبات بالظهور.

كما كتب الشيخ القرضاوي في مذكراته أنه كان ممنوعًا من دخول سوريا، فدخلها أول مرة متخفيًا باسم "عبد الله المصري"، ودخلها مرة ثانية – بعد سنوات – باسمه الحقيقي، ولكن باعتباره سائحًا قطريًّا وليس داعية إسلاميًّا، ولم يسمح له بدخول سوريا باعتباره داعية إسلاميًّا حتى عام 2003، حيث سُمِح له بحضور مؤتمر إسلامي.

وكتب الشيخ في مذكراته أيضًا انتقاده لحزب البعث في سوريا، واصفًا إياه بأنه حزب ظالم وطاغٍ، وأنه حزب لا علاقة له لا بالصلاة ولا بالمسجد. قرأت ذلك في الأجزاء الثلاثة الأولى من المذكرات، والتي نشرت – كما قلت – قبل الربيع العربي بفترة طويلة.

وكان الشيخ القرضاوي يرفض دخول العراق أيام حكم حزب البعث، وذلك رفضًا منه للظلم والبطش والقهر، الذي كان يمارسه ذلك النظام، فكان لا يذهب للمؤتمرات التي تقام في العراق، كما وقف الشيخ القرضاوي بحزم ضد احتلال صدام حسين للكويت، وكان موقفه واضحًا في خطب الجمعة، وبالإمكان أيضًا الرجوع إلى موقفه من تلك الأحداث في كتابه الرائع "فقه الجهاد."

وفي الجزء الرابع من مذكراته، والذي نُشِر في 2011 نشر الشيخ القرضاوي رسالته المفتوحة الشديدة اللهجة التي وجهها إلى حسني مبارك عام 1990، ونبهه فيها على المظالم التي تقع في مصر، وكتب الشيخ في نهايتها أن الله سبحانه وتعالى قد انتقم من فرعون الكبير، فما بالك بفرعون صغير؟!

وقد رأيت بنفسي الشيخ القرضاوي وهو يهاجم النظام المصري بقوة من فوق المنبر في خطبة الجمعة، أيام بناء ما يعرف بالجدار الفولاذي بين مصر وقطاع غزة. وما يزال بالإمكان الرجوع إلى تلك الخطبة على يوتيوب تحت عنوان: "القرضاوي خطبة الجمعة 01-01-2010 الجدار الفولاذي."

كما سمعته في برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة وهو يقول بأن الواجب الشرعي على مصر

أن تقاتل دفاعًا عن غزة، والحلقة بفضل الله موجودة على يوتيوب تحت عنوان: "رد الشيخ القرضاوي على فتوى الأزهر."

كما رأيت الشيخ القرضاوي في خطبة الجمعة التي بثتها فضائية قطر على الهواء مباشرة – أيام فضيحة غولدستون – وهو يقول من فوق المنبر: لو صحت الإتهامات الموجهة إلى رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، فإنه لا يستحق الإعدام فقط، وإنما يستحق أن يرجم. وما يزال بالإمكان الرجوع إلى هذا الفيديو في يوتيوب تحت عنوان: "العلامة الشيخ القرضاوي والرد على محمود عباس."

كما انتقد الشيخ القرضاوي أيضًا النظام في تونس والنظام العلماني في تركيا (في ذلك الوقت) في كتابه "التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: تونس وتركيا نموذجًا" والذي صدر قبل الثورات العربية بمدة طويلة.

ولقد قرأت في إحدى فتاوى الشيخ القرضاوي (التي نشرت عام 2006، أي قبل ثورات الربيع العربي بسنوات) أنه ذكر ثلاث طرق لتغيير المنكر باليد في هذا العصر؛ إن كان ذلك المنكر من جانب الحكومات، وذكر الطريقة الثالثة وهي قوة الجماهير الشعبية العارمة، فقال بالحرف: "قوة الجماهير الشعبية العارمة التي تشبه الإجماع، والتي إذا تحركت لا يستطيع أحد أن يواجهها، أو يصد مسيرتها؛ لأنها كموج البحر الهادر أو السيل العرم، لا يقف أمامه شيء، حتى القوات المسلحة نفسها؛ لأنها في النهاية جزء منها، وهذه الجماهير ليسوا إلا أهليهم وآباءهم وأبناءهم وإخوانهم". وبالإمكان الرجوع إلى هذه الفتوى من خلال موقعه على الإنترنت www.qaradawi.net تحت عنوان "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."

ورأينا الوقوف الشجاع للشيخ القرضاوي ضد الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان. وللدلالة على مدى صلابة وشجاعة موقفه من الإحتلال الأمريكي، أرجو الرجوع إلى خطبة الجمعة التي خطبها الشيخ القرضاوي في 14 مارس 2003م، وتلك الخطبة منشورة في الجزء السادس من كتاب

"خطب القرضاوي"، كما يمكن الرجوع إلى تلك الخطبة على يوتيوب تحت عنوان: "الإمام القرضاوي: لا أخاف الاغتيال بل أتمنى الشهادة ختامًا لحياتي."

أما ما يقوله البعض من أن الشيخ القرضاوي كان يقابل الزعماء العرب بالمودة والثغر الباسم، فإن ذلك كان من باب النصح لهم، وليس من باب التزلف والنفاق وطلب الدنيا والمناصب، فالشيخ القرضاوي لم يترك كلمة حق يجب أن تقال لحاكم إلا قالها، وكان له مواقف مع القذافي (قبل الربيع العربي) شهد بها تلاميذه الحاضرون، ومنهم الشيخ عصام تليمة، وسجل الشيخ تلك المواقف في مذكراته.

كما رأينا كيف أن الشيخ القرضاوي حفظه الله وقف وقفة عالم يخاف على أمته، عندما طاف مع إخوانه العلماء في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين (والذي يرأسه الشيخ القرضاوي) على الزعماء العرب أيام حرب غزة 2009، لينصحوا الحكام بأن يقوموا بواجبهم تجاه غزة، ورأينا كيف أن حسني مبارك لم يستقبلهم.

وسمعت الشيخ القرضاوي أيضًا في إحدى حلقات الشريعة والحياة وهو يتكلم عن تلك الجولة ويعقب على زيارة العلماء إلى الزعماء العرب قائلا:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا * *** ولكن لا حياة لمن ينادي**

والبعض يعترف بذلك كله، ولكنهم يزعمون أن الشيخ القرضاوي لم يجرؤ قط على انتقاد سياسة قطر، ولكن ذلك ليس صحيحًا، فعدم علمهم بالشيء لا يعني عدم وجوده، ولكن يعني عدم اطلاعهم؛ فالشيخ القرضاوي انتقد قطر على استضافتها لبيريز المجرم، فعندما قام أمير قطر بمصافحة بيريز، قام الشيخ القرضاوي على المنبر في خطبة الجمعة في العاصمة القطرية الدوحة، والتي يبثها التلفزيون القطري وأيضًا إذاعة قطر على الهواء مباشرة، قام بانتقاد قطر على هذه الاستضافة، وقال بصوت عال: على الذين صافحوا بيريز أن يغسلوا أيديهم سبع مرات إحداهن

بالتراب. كما انتقد قطر على استضافتها للقواعد الأمريكية، وانتقد ذلك أيضًا في لقاء أجرته معه قناة BBC وبالإمكان الرجوع إلى هذه الحلقة في يوتيوب تحت عنوان: "الشيخ القرضاوي يدين وجود القواعد الأمريكية في قطر". ويمكن الرجوع إلى رأيه عن القواعد الأمريكية الموجودة في الخليج في كتابه فقه الجهاد، والذي صدر قبل ثورات الربيع العربي، كما انتقد قطر على استضافتها لليهود في مؤتمر حوار الأديان وقد قاطعه الشيخ القرضاوي لذلك السبب.

وقد كتب الشيخ القرضاوي (قبل ثورات الربيع العربي) أكثر من كتاب في الرد على الفكر العلماني، وتلك الكتب هي: الإسلام والعلمانية وجها لوجه، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام! تونس وتركيا نموذجا، بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين، أعداء الحل الإسلامي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.

كما كتب الشيخ (قبل ثورات الربيع العربي) أكثر من كتاب في علاقة الدين بالسياسة وفي مفهوم الدولة الإسلامية المنشودة، ومن تلك الكتب: الدين والسياسة، نحن والغرب، الإسلام والعنف، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، درس النكبة الثانية، من فقه الدولة في الإسلام، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القدس قضية كل مسلم، وكتابه الموسوعة "فقه الجهاد."

وقبل أن تبدأ الثورات العربية كان الشيخ القرضاوي– وما يزال– ممنوعا من دخول عدد من الدول، وتلك الدول هي: أمريكا وبريطانيا ودول الاتحاد الأوربي، والإمارات.

تلك هي مواقف شيخ الإسلام يوسف القرضاوي من قبل أن تبدأ ثورات الربيع العربي، وما يزال الشيخ على ذلك المنهج الرباني لم ولن يتغير، قال تعالى: (الذين يبلغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحدًا إلا الله، وكفى بالله حسيبًا) سورة الأحزاب، الآية 39.

فحتى بعدما بدأت ثورات الربيع العربي ثبت الشيخ القرضاوي على مبدئه وعلى دينه، فلم يبع دينه بعرض من الدنيا كما فعل آخرون، ففي بداية أيام الثورة السورية حاول الشيخ من خلال خطب الجمعة التي كانت تبث على الهواء مباشرة أن ينصح بشار الأسد بالحكمة والموعظة الحسنة، فلم

يستجب بشار، بل على العكس زاد بشار الأسد قمعًا وإجرامًا، فما كان من الشيخ القرضاوي إلا أن صعد من اللهجة، واصفًا بشار ونظامه بما يستحقون من أوصاف.

الشيخ القرضاوي ما يزال ثابتًا على موقفه ولم ولن يتنازل عن الحق أبدا، ولن يبيع دينه لأرضاء زيد أو عمرو من الناس. وبالإمكان متابعة آراء الشيخ من خلال موقعه على الإنترنت ومن خلال موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وليس من خلال المواقع الصفراء على الإنترنت التي تمتهن نشر الكذب والبهتان والزور.

فبارك الله في الشيخ القرضاوي هذا العالم الجليل الذي أصبح شيخا للإسلام في هذا العصر وما سبقه من العصور. اللهم احشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الربانيين، واحشرنا مع شيخ الإسلام يوسف القرضاوي العالم الرباني، الذي يقول الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم، وحسن أولئك رفيقًا.

ويقول الأستاذ حسام تمام رحمه الله تعالى عن دوره السياسي والثوري: (القرضاوي والإخوان: قراءة في جدلية الشيخ والحركة):

وجود القرضاوي في حركة الإخوان تجاوز الشيخ أو العالم الأزهري إلى المحرض السياسي، الذي يقدم الوقود الديني لقضايا الحركة السياسية ومعاركها؛ سواء أكانت معارك خاصة بالحركة، أو كانت تتصل بالقضايا العامة أو "قضايا الأمة" التي احتلت قمة أولوياته فيما بعد حين كفّ عن دخول السياسة، من باب الحركة الإسلامية الخاص.

وحين انتقل إلى خارج البلاد وتراجعت أعماله التنظيمية تدريجيًّا قام القرضاوي بهذا الدور في قضايا الأمة، التي كان أبرز من تولوا الدفاع عنها، وتحريض الناس من أجلها! فاحتلت قضية فلسطين مبكرًا اهتمامه.

وربما لم تتفجر قضية تهم الأمة أو الحركة الإسلامية إلا ووقف فيها القرضاوي محرضًا يقدم وقود المعركة: فعل ذلك في أثناء الغزو، والاحتلال السوفيتي لأفغانستان، واستمر في حشد التأييد

للمجاهدين حتى انسحاب السوفيت منها.

وفعل ذلك في الغزو الأميركي للعراق، فكان أعلى الأصوات وأكثرها تأثيرا في رفض الحملة الأميركية على أراضيه، فأفتى بوجوب الجهاد لمقاومة الغزو الأميركي، ثم لمقاومة هذا الاحتلال، وجر موقفه هذا عليه حملات إعلامية من بعض المنابر الإعلامية التي اتهمته بدعم الإرهاب.

تكرر الأمر في أزمة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، فوقف القرضاوي محرضًا للشارع المسلم على الغضب؛ احتجاجًا على إهانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وقاد معركة الاحتجاج ضد الدنمارك.

كما كتب الأستاذ الدكتور حلمي القاعود:

فالواقع العربي والإسلامي يمتلئ بكثير من القضايا والظواهر التي تحتاج إلى عقل جريء، يناقش ويحلل، ويفكر ويقدر، ويقيس ويستنبط، ويواجه ما يجري بروح الفقيه الأصولي الذى ينطلق من وعي عميق بعلم الأصول، ومواضعات الواقع بما فيه من تطورات تفرض أن تكون هناك إجابة واضحة تبين للناس كيف يتصرفون على ضوء عقيدتهم وإيمانهم.

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية كثيرًا من الأحداث والظواهر والمواقف التي تفرض على المسلمين أن يلتمسوا الصواب في الفتاوى وآراء الفقهاء؛ كي يتأكدوا أنهم يسيرون على طريق الصواب، ويبتعدون عن الخطأ.

كانت هناك ثورة إيران الإسلامية، والاحتلال السوفيتي لأفغانستان، ومصرع الرئيس السادات، واحتلال اليهود الغزاة للبنان الذي كانت تعصف به الصرعات الدموية؛ قتالًا بين الطوائف، ومطاردة للمقاومة الفلسطينية، والحرب العراقية الإيرانية، واحتلال صدام للكويت، وحرب القوات الأجنبية والعربية لتحريرها، ثم انتشار العنف بين بعض الجماعات الإسلامية والسلطات وصلت إلى حد الحرب الأهلية الدامية كما جرى في الجزائر، وتفجيرات نيويورك، والحرب الأمريكية على

أفغانستان والعراق، ثم ثورات الربيع العربي التي انطلقت مع نهايات عام 2010 م، وما تزال تهدر حتى كتابة هذه السطور.

كانت هناك ظواهر أخرى عديدة اجتماعية واقتصادية، طفت على سطح الحياة العامة مثلما يسمى بالتطرف أو التشدد، والزواج السرى أو العرفي، وما عرف بزواج المسيار، وقضايا الحج الصعبة مثل رمي الجمار، وذبح الأضاحي وتكدسها في المشاعر المقدسة وعدم الاستفادة منها جيدًا، وقضايا البنوك والفوائد والاستثمار، وأوضاع المسلمين في الدول غير الإسلامية، وكيفية التعرف على أمور دينهم، والتوافق مع المجتمعات الأجنبية، والظروف المختلفة في بعض بلدان العالم مثل طول النهار وقصر الليل، وعلاقة ذلك بفريضة الصوم! وغير ذلك من أمور نشأت نتيجة لاختلاف الزمان والمكان.

وكان القرضاوي في تلك المعمعة – إذا صح التعبير – فارسًا لا يشق له غبار؛ حيث تصدى للإجابة عن كثير من الأمور المتعلقة بهذه الأحداث والظواهر والأحوال؛ منطلقًا من وعيه بدور العالِم الإسلامي في زمانه، ومن خلال توظيفه لعلمه وثقافته ليدلي بدلوه في فقه المعاصرة قويًّا وراسخًا ومقنعًا، ما جعل لفتاوى الشيخ القرضاوي ومواقفه حضورًا قويًّا في وجدان الشعب المصري، بل الشعوب العربية والإسلامية جميعًا؛ فقه المعاصرة الذي اتسم بالعلم العميق والشجاعة المسؤولة، وجد مساندة من العلماء الأصلاء، الذين لم يخضعوا لسلطة مستبدة، أو حكومة ظالمة، أو دولة ذليلة، تابعة للغرب الاستعماري وإرادته.

ولا أظن أن أحدًا يستطيع – والكلام لا يزال للدكتور القاعود – أن ينكر دور القرضاوي زعيمًا سياسيًّا ومحرضًا على الطواغيت، ومحرضًا الشعوب لتأبى الضيم، وتكسر القيد، وتسعى لتتنشق عبير الحرية، ونسائم السيادة!

هو الذي خطب في الثوار في ميدان التحرير، وخطب في ميداني الحرية في طرابلس وبنغازي، وسافر لتونس بعد الثورة مؤازرًا، وحلف أن بشارًا ساقط، وأن القذافي هالك، وأن مبارك إلى زوال، وهو

الذي هاجمته تلفزيونات الأنظمة العميلة، ولم تأل جهدًا في التشهير به، وتشويه صورته، وهو الذي هاج الإعلام عليه في كل بلدان الربيع العربي (المجهض) وهو الذي صار رمزًا مباشرًا للثورة، وأيقونة من أيقوناتها، وقد رأيت كيف استقبله الشعب الليبي بعد الثورة في بنغازي وطرابلس، وكيف استقبله التوانسة في العاصمة والولايات التونسية المختلفة، وكيف احتفل به الثوار في ميدان التحرير قبل ذلك.

وهو الذي ناصر قضايا المسلمين من قبل علنًا وبقوة في فلسطين – القضية الإسلامية الكبرى – والعراق، والبلقان، والشيشان، وأفغانستان، وكشمير، وبورما، والقرن الأفريقي، وحيثما كانوا، إحساسًا منه بوحدة المسلمين حول العالم، وقيامًا بدوره الرائد في إثارة نوازع الحرية والكرامة:

وهو الذي قال في رؤيته هذه قبل عقود كثيرة:

مسلمون مسلمون مسلمون	حيث كان الحق والعدل نكون
نرتضي الموت ونأبى أن نهون	في سبيل الله ماأحلى المنون
نحن صممنا وأقسمنا اليمين	أن نعيش ونموت مسلمين
مستقيمين على الحق المبين	متحدين ضلال المبطلين
جاهدين أن يسود المسلمون	مسلمون مسلمون مسلمون
نحن بالإيمان أحيينا القلوب	نحن بالإسلام حررنا الشعوب
نحن بالقرآن قومنا العيوب	وانطلقنا في الشمال والجنوب
ننشر النور ونمحو كل هون	مسلمون مسلمون مسلمون
يا أخي في الهند أو في المغرب	أنا منك أنت مني أنت بي
لا تسل عن عنصري عن نسبي	إنه الإسلام! أمي وأبي
إخوة نحن به مؤتلفون	مسلمون مسلمون مسلمون
قم نعد عدل الهداة الراشدين	قم نصل مجد الأباة الفاتحين

شقي الناس بدنيا دون دين	فلنعدها رحمة للعالمين
لاتقل: كيف؟ فإنا مسلمون	مسلمون مسلمون مسلمون

وكتب تلميذ الشيخ الأستاذ وليد أبو النجا:

كنت مرافقًا له في زيارته لمصر بدعوة من شيخ الأزهر أحمد الطيب، لحضور اللقاء التحضيري للملتقى العالمي السادس للرابطة العالمية لخريجي الأزهر.

لم يكن الشيخ القرضاوي غافلًا عن تاريخ شيخ الأزهر، غير أنه أراد مساعدته على أن تكون المشيخة حدًّا فاصلًا بين أحمد الطيب عضو لجنة السياسيات، وأحمد الطيب الإمام الأكبر؛ لكن هيهات، لا تجدي مساعدة الآخرين شيئًا، إذا لم يساعد المرء نفسه. وتوفيرًا لجهد المتوقفين دائمًا عند توافه الأمور (كتكلفة تذاكر الطيران والإقامة) لم تكن تكلفة المؤتمر على حساب مشيخة الأزهر، ولا الحكومة المصرية، وإن كانت الدعوة موجهة من الأزهر.

كانت الجلسة الأولى يوم (25 يناير 2011م)، وأغلقت القاهرة كلها أو كادت، الطرق مسدودة، والشوارع مقطوعة بحواجز ضباط الشرطة وجنود الأمن المركزي، وبعد انتهاء الجلسة التحضيرية في المشيخة، ظلت السيارة المقلة للشيخ تدور وتدور حتى تجد سبيلًا إلى الفندق الذي ينزل فيه، (فندق جراند حياة) على مشارف ميدان التحرير، وقبيل الفندق أحاط الشباب بسيارة الشيخ، وهم يهتفون: (يا شيخنا! بلدنا) وما شابهها من هتافات، فحيا الشيخ الشباب ولوح لهم وانصرف.

ولذا حين يتحدث الشيخ عن شباب الثورة وسلميتهم، وأنه ليس بأيديهم حجر ولا عصا ولا سيف ولا بندقية، فهو يتكلم عما رآه بعينيه على غير ترتيب، لا عما سمعه من هنا أو هناك.

انقضى اليوم بوفاة أربعة شهداء في السويس، واتصل صحفي من جريدة الشروق بالشيخ عن طريق

وسيط يطلب تصريحًا من فضيلته ينشر يوم جمعة الغضب (28 يناير)، ثم عاد واتصل مباشرة بغرفة الشيخ، صبيحة مغادرته إلى الدوحة، كان الشيخ صريحًا واضحًا من أول يوم: (حيا الانتفاضة المباركة للشعب المصري، دعا للاعتبار بدرس تونس، أكد مطالب الشعب في الحرية والكرامة، وصف المتظاهرين بالأحرار وأنهم أبناء مصر، دعا للتعامل الحضاري مع المتظاهرين، استنكر ضيق أفق الحكومة، حرم إطلاق الرصاص على المتظاهرين، دعا لعدم الاعتداء على الشرطة، أكد أن دماء الشهداء لن تضيع هدرًا، وستكون الشرارة، دعا الحكومة إلى التعقل والاستجابة)!

وفي مساء الجمعة (28 يناير) كان للشيخ تصريح قوي على قناة الجزيرة، وفي صبيحة يوم السبت (29 يناير) طلب الشيخ من أحد مساعديه في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين صياغة بيان حول جمعة الغضب، وما سقط فيها من شهداء، فجاءت صياغة البيان فاترة لا تناسب جلال الموقف، فلم تعجب الشيخ القرضاوي، وقال بكل حسم: إما أن نصدر بيانًا قويًّا، أو لا نصدر بيانًا على الإطلاق.

قيل للشيخ: هناك أمور متفق عليها، كحق المواطنين في التظاهر، وعدم الاعتداء على المتظاهرين، وعدم تخريب الممتلكات، وما شابه ذلك من مطالبات. وهذه أمور محل اتفاق من الجميع، حتى إن أمريكا بجلالة قدرها، لم تحسم أمرها، وتضع رجلًا هنا، وأخرى هناك، والأمور لم تحسم بعد.

فرد بحسم: ونحن لسنا أمريكا.

وفي نفس اليوم وجه الشيخ القرضاوي على قناة الجزيرة يوم السبت (29 يناير)، ثلاث كلمات، كلمة للشعب، وكلمة للجيش، وكلمة لحسني مبارك طالبه فيها بالرحيل صراحة.

لم يكن الشيخ يراهن على المنتصر، بل كان يراهن على المبدأ، ومن ثم قال ما قال، وصرح بما صرح

على مسؤوليته؛ باعتباره عالمًا مسلمًا مصري الأصل، حتى لقد قال له القائلون: لقد أحرقت سفنك بمصر يا فضيلة الشيخ!

توالت أحداث الثورة، وتوالت معها تصريحات الشيخ وبياناته المكتوبة والمسموعة والمرئية وخطبه.

حدثنا بعد صلاة ظهر أحد أيام الثورة عن أحد معارفه وقد اتصل به ليطلب منه أن يدعو المتظاهرين لمغادرة التحرير! احتد الشيخ عليه وردَّ ردًّا قويًّا، وتأسف أن يصدر هذا منه، بدلًا من أن يذهب هو وأسرته إلى ميدان التحرير!

حرص أحد الجالسين أن ينقل للشيخ الوضع كما يتصوره في مصر، فقال: هناك قطاع من المصريين المخلصين، المعارضين لمبارك، يخافون على مستقبل البلد، ويدعون إلى الحوار، حتى لو استمر المتظاهرون في الميدان.

تأسف الشيخ بشدة أن يسمع من المتكلم مثل هذا الكلام، ثم استرضاه بعد ذلك.

اتصل به أحد معارفه وهو في ميدان التحرير، فكلمه الشيخ واطمأن عليه وعلى الشباب الثائر، وأخبره المتحدث أن إلى جواره السفير رفاعة الطهطاوي، المتحدث الرسمي باسم الأزهر، فكلمه الشيخ وحيا موقفه ومشاركته، رغم حساسية منصبه، وطلب منه أن يكلم شيخ الأزهر ليؤيد الشباب الحر في الميدان، فردَّ الرجل ردًّا يقطع أي بارقة أمل في موقف إيجابي يصدر من شيخ الأزهر: أنت في وادٍ يا فضيلة الشيخ، وهو في وادٍ آخر!

لم يدَّعِ الشيخ أنه من صنع الثورة، أو أطلق شرارتها (يواصل أ. وليد ابو النجا) غير أنه من أول يوم كان لها ظهيرًا ونصيرًا، وكان عليها أمينًا، كان مع الثورة بكل كيانه، بل قبل أن يتبين أنها ثورة، وكان يريد أن ينزل للمشاركة ولو رمزيًّا في أحداثها، وكان على تواصل مع رموز الميدان من تيارات مختلفة،

يستشيرهم في توقيت نزوله لمصر، وقد عقد العزم على السفر في يوم الخميس (10 فبراير)، ومبارك لا يزال في الحكم، ولم يثنه إلا مشورة أهل الميدان، أن يُرجئ النزول للجمعة القادمة، حتى لا يساء تصوير مشاركته من قبل النظام. تنحى مبارك، ونزل الشيخ خطيبًا في التحرير خطبة النصر المشهودة!

ومن يخطب إذا لم يخطب هو؟

نزل ليبارك للثوار بانتصار ثورتهم، لا ليركب ثورتهم ولا ليحتكرها، ثم عاد إلى مكتبه وكتبه وأوراقه بالدوحة، لم ينزل ليكون مرشدًا ولا قائدًا ولا زعيمًا، كما صور من اعتاد الكذب والتلفيق لعقود!

درس الانقلابيون الثورة، والعوامل التي ساعدت في نجاحها حق الدرس، وكان أحدها هو تأثير الشيخ القرضاوي وتصريحاته وخطبه وبياناته وفتاويه في الشباب الثائر، ومن ثم وضعوا الخطة لإبطال عوامل النجاح واحدًا تلو الآخر، وفيما يخص الشيخ اعتمدت خطة التشويه المبكر، فمرة: عودته كعودة الخوميني. ومرة: حرس القرضاوي يمنع وائل غنيم من صعود المنصة. ومرة: القرضاوي يطمع في تولي مشيخة الأزهر. ومرة: القرضاوي يطرد من قطر. ومرة! ومرة! حتى إذا قاموا بانقلابهم، لا يعود لتصريحاته أثرها القديم كما في ثورة (25 يناير)!

وكتب الأستاذ الباحث محمد إلهامي:

قابلت أحد طلبة العلم الليبيين، كانت له ورقة بحثية قدمها في ملتقى تلاميذ القرضاوي عن موقف الشيخ وأثره في الثورة الليبية. لفت نظري منها حديثه عن أن القذافي – ولأول مرة – بدأ يستعمل الخطاب الديني عندما انطلقت الثورة، وبعدما كان يستهزي بالنبي وبالقرآن أحيانًا، بدأ يظهر مشايخ السلطان في الفضائيات (وهذا رأيناه جميعًا على الفضائية الليبية آنذاك) بل بدأ القذافي يوزع

منشورات أمام المساجد وفي الشوارع فيها فتاوى السمع والطاعة للحكام!

يقول الرجل: ساعتها احتاجت الثورة لشرعية، اشتقنا إلى سماع صوت عالم شرعي يؤيد الثورة ويحميها من مشايخ السوء، وساعتها أنقذنا القرضاوي الذي لم نجد غيره – ممن هو في طبقته وشهرته – يدعم هذه الثورة.

مما استغربتُه، أن الرجل ذكر أن هذه الفتوى قد أثرت على جيش القذافي، فانسحب منه عدد غير قليل، وكان لها أثر واسع في خلخلة صف القذافي بين الجماهير!

لم أكن أتصور أن فتاوى العلماء لها مثل هذا الأثر حتى الآن بعد آثار عقود التجريف، وزرع الإهانة في نفوس الناس تجاه المشايخ.

وبعنوان: القرضاوي من المنفى إلى الميدان كتب أ. د. حلمي محمد القاعود:

بعد سقوط رأس النظام مبارك في ثورة يناير، حضر الشيخ القرضاوي إلى ميدان التحرير، وخطب خطبة شهيرة أيد فيها الثورة والثوار، وشبه الصحفيون اليساريون وجود الرجل في الميدان بعودة الخميني إلى إيران قادمًا من منفاه في باريس إلى إيران. فقد عاد القرضاوي إلى مصر التي خرج منها مضطرًّا بعد معاناة طويلة ممتدة مذ كان طالبًا في العهد الملكي حتى يوم الناس هذا، في ظل الحكم العسكري الانقلابي، وهو أشهر علماء الدين المعاصرين!

كان الشيخ متشوقًا للحرية مثل مئات الملايين في مصر وأرجاء العالم العربي والإسلامي. وعند سقوط رأس النظام كان من أوائل الذين عادوا إلى الوطن ليقف على منبر الجمعة بساحة ميدان التحرير في الثأمن عشر من فبراير 2011 ويخطب في عشرات الألوف الذي صلوا في الخلاء ويبدأ خطبته بمخاطبة المسلمين والأقباط: "يأيها المسلمون وأيها الأقباط"! متحدثًا عن الوحدة الوطنية، ومشيدًا بها حيث قدمت للعالم أروع نموذج للثورة السلمية النبيلة، وكان ميدان التحرير مجالها الأبرز، ورمزها الساطع.

وقد احتلت الخطبة معظم الصفحات الأولى في الصحف الرئيسية الصادرة في اليوم التالي التاسع

عشر من فبراير 2011 وقد أشارت إلى صفة الشيخ "رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين"، كما أشارت الصحف إلى الارتياح الذي لقيته الخطبة التي ألقاها القرضاوي في بلده بعد ثلاثين عامًا، فقد خلت مما عده العلمانيون والطائفيون وأشباههم محاولات ترمي الى "أسلمة" الثورة المصرية! كأن الإسلام جرب يجب الابتعاد عنه!

وجاء عنوان صحيفة "المصري اليوم": "القرضاوي في إحدى أعظم خطب العصر الحديث يؤكد استمرار الثورة":

"من يقارن بين عودة القرضاوي إلى مصر بعد الثورة ضد نظام (الرئيس السابق حسني مبارك) وعودة (آية الله الخميني) من باريس إلى إيران بعد الثورة ضد نظام الشاه".

وقالت الصحيفة: "عاد الخميني ليحكم ويقيم دولة دينية، ولكن القرضاوي عاد ليعبر عن ثورة الشعب المصري بمسلميه ومسيحييه من أجل إقامة دولة مدنية".

وأبدى جورج اسحق المنسق العام بحركة كفاية لوكالة فرانس برس "الإعجاب الشديد" بخطبة القرضاوي. وقال: "إنه خطاب قومي مصري، وليس فيه أي إشارات بأنه يقود الثورة، أو إن الثورة إسلامية، بل هي تجمع كل أبناء الأمة". وحيا ما جاء في الخطبة من إشارة إلى "شهداء المسيحية تاريخيًّا في مصر".

وتحت عنوان "ترحيب واسع بعودة القرضاوي بعد 30 عامًا" كتبت صحيفة الاهرام الحكومية "لأول مرة بعد غياب دام ثلاثين عًاما عن ساحة الخطابة في مصر عاد الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ليؤمّ صلاة الجمعة (!) وسط ترحيب شديد وهتافات".

وكتب المدوّن وائل غنيم على صفحة كلنا خالد سعيد على موقع فيسبوك "أروع ما في خطبة الشيخ القرضاوي قوله: لن أقول أيها المسلمون بل سأقول أيها المسلمون وأيها الأقباط؛ لأن كلنا مصريون! ووجه الخطبة كاملة لكل المصريين".

ولم يشر القرضاوي في خطبة صلاة الجمعة في ميدان التحرير الذي احتشد فيه "ملايين المصريين" بحسب الصحافة المصرية، إلى أي بعد إسلامي "لثورة 25 يناير"، بل رحب "بانصهار المسلمين

والمسيحيين والراديكاليين والمحافظين واليمينيين واليساريين (!) في بوتقة واحدة لتحرير مصر من الظلم والطاغوت".

وتطرق القرضاوي في خطبته الى التحركات الاحتجاجية التي يشهدها العالم العربي، قائلا للحكام العرب "لا تكابروا، لا تناطحوا المريخ، ولا تقفوا أمام التاريخ وأمام شعوبكم".

وحملت الخطبة نداءات إلى القوات المسلحة المصرية، وأيضًا الى الشعب المصري وشبابه. فطالب القرضاوي الجيش بإقالة حكومة أحمد شفيق التي عينها مبارك، وتعيين حكومة "جديدة مدنية من الشرفاء أبناء الوطن"، وإلى الإفراج عن كافة المعتقلين السياسيين.

والتقى القرضاوي بذلك مع مطالب "ائتلاف شباب ثورة 25 يناير" الذي أشار في وقت سابق إلى المطالب التي لم تتحقق بعد وهي: "إلغاء قانون الطوارئ، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وإطلاق الحريات العامة (!) وتشكيل حكومة إنقاذ وطني من التكنوقراط، وإلغاء دستور العام 71".

وفي مساء يوم الجمعة الذي ألقى فيه الشيخ خطبته، أفرجت السلطات المصرية فعلا عن 239 معتقلًا سياسيًّا، كما ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية.

ونادى القرضاوي بفتح معبر رفح في قطاع غزة. وقد أعلنت السلطات المصرية – في وقت لاحق – فتح المعبر أمام الفلسطينيين الراغبين في العودة الى القطاع وليس أمام الراغبين في دخول مصر، فيما قد يبدو انعكاسًا للتأثير الذي يحظى به القرضاوي.

ويواصل الدكتور القاعود: لقد كان وجود القرضاوي في مصر عقب سقوط رأس النظام العسكري الفاشي، الذي استمر ستين عامًا، دفعة قوية للمصريين للاستمرار في الثورة، والمطالبة بحقوقهم في الحرية والكرامة والعدالة والمساواة، وكان صمام أمان؛ بحكم تأثيره الكبير في نفوس قطاعات عريضة من الشعب؛ فقد طالب القرضاوي " أبناء مصر من العمال والفلاحين الذين ظلموا كثيرا" بالكف عن المطالبة في هذه المرحلة، والعودة الى العمل.

وقال: "أنادي كل من عطل العمل وأضرب أو اعتصم أن يؤدي خدمة لهذه الثورة بالعمل" لأن "الاقتصاد المصري يتأثر، ولا يجوز أن نكون سببًا في الإضرار باقتصاد مصر،داعيًا إلى الصبر قليلًا

(!) حتى تسير مصر في مرحلة البناء.

وتعتمد مناشداته للشعب على ما يكنه الشعب له من تقدير رسخته مواقفه التي سبقت الثورة أو رافقتها، فقد كان على تواصل دائم مع الجمهور المصري قبل الثورة ومنذ اشتعلت شرارتها في 25 يناير، ولم يتخلف يوما عن إلقاء بياناته أو خطبه عبر قنوات الجزيرة الرئيسية أو الجزيرة مباشر أو الجزيرة مصر، وظل بعد الثورة يقدم وجهة نظره بقصد الترشيد والتصويب والإسهام في التعجيل بتحقيق أهداف الثورة.

كان الشيخ ينطلق في تأييده للثورة بوصفها امتدادًا لجهاده الطويل من أجل الحرية والكرامة مذ كان طالبًا في الأزهر الشريف حتى تجاوز سن الثمانين وقارب التسعين (الشيخ من مواليد 1926، في قرية صفط تراب مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية)، فقد سجن وهو طالب أول مرة عام 1949في العهد الملكي، ثم اعتقل ثلاث مرات في عهد البكباشي المهزوم دائمًا في يناير سنة 1954م، ثم في نوفمبر من نفس السنة حيث استمر اعتقاله نحو عشرين شهرًا، ثم في سنة 1963م! ما دفعه للسفر خارج البلاد، فتوجه إلى دولة قطر ليعمل مديرًا للمعهد الديني الثانوي، ويحصل على الجنسية القطرية، ويتولى سنة 1977 تأسيس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر التي ظل عميدًا لها إلى نهاية 1990.

ظل الشيخ يساند الثورة في مصر ودول الربيع العربي حتى تمت الجريمة في 3 يوليو 2013 بالانقلاب العسكري الدموي وإلغاء الحرية والعودة إلى الحكم العسكري، فراح ينافح عن الثورة والثوار، واستنكر مذابح رابعة والنهضة ورمسيس والفتح والمنصة وأكتوبر وشوارع القاهرة والإسكندرية والمدن والقرى المصرية! ولكن الجريمة كانت مسلحة بالدبابات والطائرات والدم الذي يسيل في الشوارع بلا رحمة، مدعومًا بعصابات الكذب والنفاق والانتهازية والارتزاق والطائفية وكراهية الإسلام والمسلمين.

وقف الشيخ في معسكر الثورة، وكان عليه أن يصمد في مواجهة الحملات الضارية في وسائل إعلام الانقلاب وصحفه وإذاعاته، وهي حملات تدنت إلى مستوى من الانحطاط والفجور، تعبر عن

أخلاق أصحابها ومستواهم الفكري والاجتماعي، تنسب إلى كبار متعهدي الحملات وصغارهم، وتكشف زيف مواقفهم، وتضليلهم وتدليسهم وتهافتهم!

وفي مقاله عن الظاهرةُ القَرَضاوية، كتب المفكر الجليل الأستاذ محمد أحمد الراشد رأيًا لافتًا لي جدًّا عن أثر الأستاذ سيد قطب في القرضاوي، فقال:

وهذه السيرة الثورية اللاهبة التي عرفناها من سيد قطب رحمه الله، لها أثر واضح جدًّا في (ثورية القرضاوي)، نلمسه نحن أهل صنعة الفكر والتربية، وفَرَض سيدٌ نفسه شيخًا للقرضاوي ومربيًا ومُعلِّمًا؛ مهما رَفَض القرضاوي ذلك، وما أظنه يرفض، وهو من أهل الوفاء للمشايخ، ولكنه ناقد مجتهد لا يرى كمالًا لبشر، وهو واقعي لا يستبعد أن تَخرُجَ الغضبةُ بالمفكر مسافةَ إصبعين فيتحرر حين زمجرته من ميزان الفقه ثم يعود إليه، وهذا هو التأويل الحَسَن لعتاب سَيِّد على مجتمعات المسلمين المعاصرة، وهو التأويل الكامن في ثنايا عتاب القرضاوي على سيد رحمه الله.

وأثر التربية الثورية القطبية في القرضاوي يتضح في استطاعة القرضاوي المحافظة بشجاعة على سمت المفكر الحُر الذي يقول الحق في كل الأحوال، وأقوى ذلك ما كان من مخالفته القيادة الدعوية في مسألتين مهمتين، كان هو المصيب فيهما جزمًا وبمقدار مائة بالمائة!

وبذلك استحق القرضاوي لَقَبًا آخر، وساغ لي ولعُشاق الحرية أن نسميه: (إمام الأحرار وقدوة الثوَّار)، لأن الفكر والتقعيد والإفتاء لها مكانة قيادية في الثورات وحركات الحياة التغييرية.

وعن ثورية القرضاوي كتب الأستاذ محمد فوزي النتشة، عن إعدام سيد قطب، وانفعال القرضاوي ساعتها، وكان في الخليل آنذاك:

كان يوم الحكم بإعدام سيد قطب يومًا مأساويًّا في تاريخ الحركة الإسلامية، استنكره المسلمون في

جميع أنحاء العالم. وقبل تنفيذ الحكم اتَّخذ الإخوان في الأردن قرارًا أن يذهبوا إلى عمَّان لإعلان استنكارهم لذلك الفعل الهمجي المشين إذا تمَّت عملية الإعدام.

ولكن عبد الناصر لم يستجب لكل النداءات من سائر الأقطار العربية والإسلامية بعدم تنفيذ حكم الإعدام، وتمت بالفعل بتاريخ 29 أغسطس 1966م. وكان لهذا العمل المشين صدىً واسع في جميع البلاد الإسلامية.

خرج الإخوان من جميع أنحاء الأردن إلى عمَّان، وخرج الشيخ يوسف – وكنتُ معه – من الخليل إلى عمَّان بسيارة أحد الإخوان المصطافين. ذهبنا لصلاة الظهر في المسجد الحسيني الكبير وسط عمَّان، وكان المسجد محاطًا بعدد كبير من رجال الأمن!

وبعد الصلاة ألقى المرحوم الأستاذ يوسف العظم كلمة ألهب فيها حماس الجماهير الذين خرجوا بالآلاف في تظاهرة ضخمة؛ معربين عن استنكارهم لعملية الإعدام، وكان الشيخ القرضاوي في مقدِّمتهم يلبس بدلة رسمية غير اللباس الأزهري.

وانطلقت المسيرة نحو دار الإخوان في شارع السلط بعمَّان في ذلك الوقت، ثم تفرَّقت بسلام. بعد ذلك عدنا إلى مدينة الخليل داعين الله أن يتقبّل الشهيد عنده في جنَّات النعيم!





الشيخ دؤوبًا لا يكل

الشيخ دؤوبًا لا يكل

ما شاء الله، تبارك الله! اللهم زده وبارك فيه وله وحوله:

بجانب ريادة القرضاوي ومزاياه الفائقة، وأولياته السابقة، وإبداعاته الدافقة – ولا أزكيه على الله تعالى – فإن ربه الكريم قد حباه ذاكرته الدقيقة، وموسوعيته الشاملة، ونظراته الثاقبة، وهمته العالية الواثبة. يعرف ذلك كل من اقترب منه، وعرف بعض جدوله اليومي! ولن أكون غاليًا إذا ذكرت أنه – لعقود طويلة –كان يعمل في اليوم خمس عشرة ساعة، بين كتابة وبحث، ومحاضرة، ومحاورة ومناظرة وخطبة ولقاء!

لا يتوقف، ولا يعرف الإجازات، ولا التعطل؛ إلا مريضًا، أو مكرها!

- **بل إنه كان يكتب وهو مسافر، ينشر أوراقه، ويبدأ الكتابة حتى تهبط من الطائرة؛ حدثني بذلك الشيخ القاضي عبد القادر العماري شفاه الله وعافاه؛ من أصدقاء الشيخ القدامى!**

- **سأله أحد الإخوة: متى تكتب وأين تؤلف هذا الإنتاج الغزير والمتميز في مختلف القضايا والفروع والمسائل، مع حمل مسؤوليات عدة في مؤسسات مختلفة، وحضور إعلامي؟ فلا وقت لديكم للتصنيف في الأصل!**

فتبسم الشيخ قائلًا: لقد سئلت هذا السؤال كثيرًا، وأذكر أنني في اجتماع مع أعضاء هيئة التدريس في كوالامبور قال لى أحدهم: نحن مندهشون من إنتاجكم العلمي يا مولانا؛ فنحن متفرغون للبحث والكتابة، وإذا انتج أحدنا كتابًا أو كتابين في العام قال ألفت!

فما سر غزارة إنتاجك العلمي؟

فقال الشيخ بتواضع وانكسار: هذا دعاء الصالحين من المسلمين لي وبركة الوقت، لكني أستثمر وقتي، وأؤلف وأكتب في كل مكان، حتى في الطائرة، وعندما أعود إلى مكتبتي أوثق ما يحتاج إلى توثيق، وأنقل النصوص التي يحتاجها الكتاب أو البحث.

ثم إنني لا أعرف الإجازات، أنا الآن في إجازة ولكن البيت لا يفرغ من الناس، قبلكم بقليل كان عندي فهمي هويدي، وفي المساء عندي موعد مع فلان، وأنا أكتب الآن كتابًا في كذا طلبت مراجع، وقد وصلتني، وهكذا.

ذات رحلة له إلى أميركا قال: (كان يرافقني فيها الابن العزيز والأخ الكريم عليّ محمد يوسف المحمدي، وكان معيدًا في كلية الشريعة بجامعة قطر، وقد أذهله الجهد الذي أبذله في هذه الرحلات من بلدة إلى أخرى، ومن مركز إلى آخر، ومن مسجد إلى غيره، ومن منتدى إلى منتدى، وقد يتم ذلك كله في يوم واحد، وفي كل مرحلة من هذه التنقلات أتكلم وأوجه وأجيب عن الأسئلة، وأجلس جلسات خاصة، فكان مما قاله الأخ عليّ حفظه الله: الأستاذ الدكتور عليّ الآن: إن الشيخ يتكلم (18) ساعة، في كل (24) ساعة!

- ويقول الشيخ عبد الله السكرمي أحد العاملين في مكتبه:

سافرت مرافقا لفضيلة الشيخ إلى الأردن عام 2010 وكانت هذه المرة الأولى التي أكون فيها قريبًا جدًّا من الشيخ، ألازمه في الصباح والمساء وفي الذهاب والإياب، وفي الدعوات والمناسبات، وفي اللقاءات والمحاضرات، وفي السفر وفي الإقامة.

كنت أستيقظ لأجلس معه، وأتركه عند النوم لأعود إليه بعد ساعتين أو ثلاث؛ لعله يريد شيئًا، والهاتف بجواري، حتى إذا استيقظ يريد شيئًا اتصل على رقم الغرفة.

ورأيت في هذه الرحلة من الشيخ أشياء لم أرها في حياتي:

- ✓ رأيت الشيخ كثير الذكر في لحظات انتظاره!
- ✓ ورأيت الشيخ الضعيف المتعب الذي أتعبه الخروج والزيارات، والذي ينشط إذا طلب منه كلمة يسجلها، أو محاضرة يلقيها!
- ✓ رأيت الشيخ نشيطًا يستغل كل لحظة، ويقرأ أغلب بحوث المؤتمر الذي حضر له.
- ✓ ورأيته مريضًا يعتذر عن أي لقاء، ويزوره المحبون على جميع المستويات في الدولة!
- ✓ ويُظهر ضعفه وحاجته لربه! راجيا أن يقوي الله ظهره ليُعلن على عبئه!

- **وكتب الأستاذ أحمد النسناس أحد العاملين في مكتبه:**

والشيخ بينه وبين الورق المسطر عداء، لا يستخدمه ولا يكتب عليه، بل يكتب على ورق غفل. ويا لسوء حظ من ينسخ ما يكتب الشيخ إن كان القلم قلم تحبير، مما يتشرب الورق مداده! حتى إننا مرة أخفينا قلما من هذا النوع حتى لا يكتب به الشيخ.

والشيخ في تأليفه يسير على نفس منواله في الكتابة والخط، فهو يعمل في عدة كتب في آن واحد، وقد يكتب في موضوع ثم يتركه أشهرًا، ثم يبدأ فيه من جديد، أو يبدأ في فصل ثم يتركه ليعود إليه بعد مدة من الزمن، وقد تتداخل الموضوعات إذا لم يتيقظ من يعمل مع الشيخ، وتكون نتيجتها غضبة من الشيخ تتلاشى سريعًا، بعد أن تجمع له كل ما أمر بكتابته أو نقله، ليعكف على ترتيبه، وأنت تقف مشدوها لحسن السبك والترتيب بعد أن فك الشيخ شفرة هذه الأوراق وأعاد ترتيبها وأحسن الربط بين بعضها وبعض.

لم يأخذ الزمن من الشيخ إلا ثقلا في الحركة، وشيئًا من السمع، وكثيرًا ما يتمثل لمحدثه قول الشاعر:

إن الثمانين، وبلغتَها * قد أحوجت سمعي إلى ترجُمانِ**

أما عزيمة الشيخ وهمته، فلم يصبهما الوهن؛ فللشيخ همة عجيبة في العمل، فهو في هذه السن يأتي إلى مكتبه قبيل الظهر، ويظل فيه إلى نحو الرابعة، ثم يأخذ قسطًا من الراحة إلى قبيل صلاة المغرب، ويظل في مكتبه يقرأ ويؤلف إلى الساعة الثانية عشرة، وربما إلى ما بعد ذلك، وهذا ديدنه يوميًّا، حتى إنه يعمل في يوم الجمعة، لا يعرف شيئًا اسمه إجازة؛ إلا إجازته السنوية، التي يصطحب فيه بعض الكتب والأوراق، ليكتب ويقرأ ويؤلف! والآن في عصر المحنة المتطاولة، تكاد تضيع الإجازة السنوية!

كم نصحناه نحن العاملين معه أن يأخذ له قسطًا من الراحة، وأن يأخذ له فسحة يروح بها

عن نفسه، أو يأخذ يومًا أو يومين يخرج فيهما للخلاء يخيم كما يفعل أهل الخليج، فيجيب بأن فسحته وراحته هي بين الكتب والمؤلفات، وأنه يخشى أن يأتيه أجله قبل أن يتم مشاريعه العلمية!

وللعلم فهذه المشاريع العلمية لا تنتهي، فما إن ينتهي من كتاب حتى يبدأ في آخر، ولا أدري هل هذا ديدن الشيخ طوال حياته، أم إنه مد الله في عمره يسابق الأجل في أن يكتب ما يراه واجب الوقت؛ مما يحس أن الأمة في حاجة إلى أن تقرأه.

ونفور الشيخ من الإجازات يجعل أمر الإجازات الرسمية – لمن يعملون معه – أمرًا يحتاج إلى توطئة وتمهيد وتلميح قبل التصريح، وتبييت للأمر بليل.

في مرة من المرات، كان اليوم الرياضي، وهو عطلة رسمية في دولة قطر، فأراد بعض الزملاء أن يمهد للشيخ أن غدًا إجازة رسمية، فبدأ فقرة الأخبار التي نجلس فيها إلى الشيخ يوميًّا نسمعه بعض ما استجد من أخبار، ونسمع تعليقه عليها!

قال هذا الأخ، وهو شيخ فوق الخمسين ابتلي بالبدانة المفرطة: كل عام وأنت بخير يا شيخ، قطر تحتفل غدًا باليوم الرياضي، وهو عطلة رسمية، ووزارة الأوقاف تنظم بعض الفاعليات الرياضية، وتجري مباريات كرة قدم بين الأئمة!

فرد الشيخ وقد علت نبرة صوته: "وانت هتلعب كورة يا شيخ!؟!" لكن بعدها بساعة أو أقل أبلغ الشيخُ الدكتور حسن الصعيدي مدير مكتبه بعدها أن يخبرنا أن غدًا إجازة.

- وعن دأب الشيخ وجلده كتب لي الدكتور أكرم كساب:

كنت في سفر مع الشيخ، وتأخرت الطائرة عدة ساعات، وكان كل همه ألا يضيع عليه درس التراويح في مسجد الشيوخ، واستمر السفر قرابة الأربع عشرة ساعة، ولما وصلنا إلى الدوحة قال

لي: سأتوكل على الله أنا للمسجد، وأت أنت بالحقائب حتى أدرك كلمة التراويح!

وخرجت فقابلني أحد الإخوة عند المطار، وقال لي: أين كنت؟ قلت له: كنت مع الشيخ في سفرة!

وخرج هذا الأخ – وكان قد أتى لاستقبال أحد أصدقائه – ولما افترقنا وجدته يتصل بي ويقول: هل كان الشيخ معك؟ قلت: لا، كنت أنا معه!

فقال: إن الشيخ يتحدث الآن على قناة القرآن الكريم، ويلقي درس التراويح!

فقلت: وما العجب؟ خرج مسرعًا لهذا!

وقال أيضًا: شهدت الدوحة مؤتمر منذ أكثر من 10 سنوات تحت عنوان: (مؤتمر علماء المسلمين لنصرة شعب فلسطين) وأرهقت فيه وجميع الإخوة إرهاقًا شديدًا، فلما انتهى المؤتمر قلت للشيخ: أحتاج إجازة بضعة أيام. فقال: لماذا؟ قلت له: لأستريح.

فضحك ثم قال: وهل أنا آخذ إجازة؟ سأكون في المكتب من الصباح!

فقلت له: أنت يوسف القرضاوي!

فضحك ثم قال: تعال يوم متأخر (وخلاص) وقد كان!

- وخرجت مع الشيخ في زيارة للبوسنة منذ 10 سنوات تقريبًا، ونزلنا في اسطنبول (ترانزيت) ولما كان الشيخ يحمل جوازًا دبلوماسيًّا فلم يعطوه تأشيرة؛ لأنه لا بد أن يكون هناك تواصل رسمي بين السلطات، وكان الوقت مبكرًا في فجر ذاك اليوم، وكان يوم أحد وهو يوم عطلة، وتم رفض دخول الشيخ، فجلسنا في المطار قرابة الست ساعات، والشيخ نائم على الكرسي دون تبرم ولا وتململ!

- وكتب الأخ الدكتور خالد حنفي: بعد أن خطبت العيد في كفر الجلابطة مركز الشهداء المنوفية جلسنا مع الأستاذ أحمد جلبط، مدير مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في جدة، فقال لي معلقًا على الخطبة: شكوت للعلامة القرضاوي ظلامية الصورة الواقعية للمسلمين، ويأس الجماهير المسلمة من كثرة الآلام والجراحات التي نعاني منها، فهل في السنة ما يبعث على الأمل ويبدد هذا الإحساس؟

قال: نعم، السنة مليئة بهذه المبشرات.

قال: ثم لقيت الشيخ بعد أسبوع أو أكثر قليلًا، فبدأه الشيخ بالحديث:

أتذكر ما حدثتني فيه الأسبوع الماضي؟ قال: نعم:

قال الشيخ: الكتاب في المطبعة! وخرج كتابه: المبشرات بانتصار الإسلام!

- وكتب الأستاذ وضاح خنفر مدير عام شبكة الجزيرة الأسبق:

كان للشيخ أثناء الربيع العربي مداخلات وتعليقات كثيرة، فعلت فعلها في نفوس الجماهير في كل مكان. وأذكر إننا كنا نغطي أحداث ميدان التحرير في إحدى الليالي، وقد خيمت حالة من الخوف على المعتصمين، قبيل سقوط النظام. وانتشرت إشاعات بأن البلطجية ورجال الأمن سوف يقتحمون الميدان ليلًا عندما تقل أعداد المعتصمين، وكان للشيخ مداخلة على شاشة الجزيرة. وقد عرفت منه عندما وصل مبنى الجزيرة أنه جاء مباشرة من المطار، بعد عودته من سفر خارجي، ولم يمنعه تعب السفر ولا تأخر الليل من أن يلقي كلمة بليغة مؤثرة، ختمها بدعاء مزلزل. عرفنا فيما بعد أن هذه الكلمة كان لها أثر كبير في شدِّ أزر المعتصمين في الميدان، وعودة كثيرين تلك الليلة من بيوتهم إلى الميدان لتعزيز أعداد المعتصمين.

- وكتب الصحفي الكبير والصديق الحبيب محمد صبرة: أتحدث عن جهد القرضاوي في مؤتمر علماء المسلمين لنصرة شعب فلسطين، الذي احتضنته الدوحة في النصف الأول من مايو2006

لا أدري حجم المجهود الذي بذله الشيخ من أجل التحضير للمؤتمر؛ لأنه لم يحدث أحدًا بذلك، ولا يحب أن يتحدث فيه أحد، لكني تابعت – عن قرب – الجهد الذي بذله في استقبال إخوانه العلماء، الذين جاؤوا من مختلف الدول للمشاركة في المؤتمر، ولمست عن كثب الدور الذي قام به، خلال إدارة جلسات المؤتمر، على مدى يومين، حتى اطمأن إلى أنه حقَّق أهدافه، ووصل الى الغاية المنشودة منه. كان القرضاوي طوال أيام المؤتمر – وهو على نفس الحال في كل المؤتمرات التي يشارك فيها – شعلة من النشاط، لم يهدأ ليلًا ولا نهارًا من أجل ضمان نجاح المؤتمر.

ولأن الشيخ مخلص لدينه وعقيدته، ويرجو إصلاح ذات البين لإخوانه في الفصائل الفلسطينية، وينشد تحفيز الأمة للقيام بواجبها تجاه الأشقاء الفلسطينيين، فقد سخر الله له كل شيء من حوله، ليساعده على تحقيق هدفه.

وكنا نحن الصحفيين ومراسلي الصحف العربية، ووكالات الأنباء العالمية، والقائمين على القنوات الفضائية، ممن سخرهم الله للقرضاوي، ليكونوا له عونًا على أداء رسالته، في نصرة دينه، وشدِّ أزر إخوانه.

لقد أتعبنا القرضاوي خلال يومين في تغطية أنشطة مؤتمر نصرة فلسطين، أتعبنا تعبًا جميلًا، له هدف ونتيجة، رضينا بها عن طيب خاطر؛ لأن شعلة الإخلاص التي أوقدها القرضاوي دخلت قلوبنا، فأشعلت حماسنا لتغطية فعاليات المؤتمر حتى آخر لحظة.

لم نعرف الراحة على مدى يومين، والتقطنا أنفاسنا بعد إعلان التوصيات، ونشرناها ونشرنا فعاليات الجلسة الأخيرة، وقلنا: سنخلد للراحة بعد انتهاء المؤتمر.

نمنا نومًا عميقًا يعوضنا عما أتعبنا به القرضاوي، وظننا أنه نام مثلنا، وأنه سيخلد للراحة أيامًا تعوضه عناء ما تعب طوال أيام المؤتمر. لكن القرضاوي الشعلة التي لا تنطفئ، والنحلة التي لا تهدأ، فاجأنا بأنه يرتقي منبر الجمعة بجامع عمر بن الخطاب، ويخطب خطبة عصماء عن المؤتمر وما دار فيه، وما توصل إليه، وما هو مطلوب من الأمة لإنجاحه.

تساءلت يومها: ماذا سيفعل القرضاوي بعد ذلك؟ وهل سنستطيع نحن الإعلاميين، ملاحقته

ومتابعة كل ما يقول ويعمل؟ إنه أمر مستحيل. نعم مستحيل، أن يفلح إعلامي واحد في تغطية أنشطة رجل بحجم (أمة)، اسمه يوسف القرضاوي.

- **وقال الدكتور محمد علي بلاعو: رأيته في دورات المجلس الأوربي؛ فكان على الرغم من كبر سنه، يصر على حضور الجلسات كاملة، ويشارك فيها ببحوث قيمة، أما في المناقشات العلمية فترى العجب العجاب، متانة، ومرونة، وسعة، وتيسيرًا، إذا رأى الصواب مع غيره سلّم له دون تعصب، وتلكم هي خصال العلماء وأخلاقهم التي كانت تؤثر في جميع الحاضرين.**
- **وكتب الدكتور جاسر عودة: صفتان شخصيتان من صفات شيخنا وأستاذنا الحبيب الدكتور يوسف القرضاوي، كان وما يزال لهما في نظري الأثر الأكبر على حياته العملية وإنتاجه العلمي والأثر الأكبر على تلاميذه ومتابعيه في كل مكان، ألا وهما: الهمة العالية والعقل الحر. وهذه مقالة أقص فيها طرفًا من مواقف شهدتها منه على مدار العقود، ظهرت فيها هاتان الصفتان بشكل جلي، وأذكر خلاصات لفكره وفقهه ظهرت فيها هاتان الصفتان كذلك؛ مما أرجو أن يكون تعبيرًا عن امتناني لبعض ما تعلمته من الشيخ عن طريق رد الفضل لأهله، وعسى كذلك أن تنفع هذه الكليمات من أراد أن يسلك طريق الشيخ من محبيه، طريق العلم والتعليم والدعوة إلى الله، وهو طريق لا يسلكه بحق إلا أصحاب الهمم العالية والعقل الحر.**

فمنذ كان الشيخ يزور القاهرة في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي ليخطب العيد، أو يلقي بعض الدروس والمحاضرات كنت ألاحظ تلك الهمة العالية التي تظهر أول ما تظهر في حرارة إلقائه وجزالة تعبيراته وجهورية صوته وعلو نشاطه، ولاحظت كذلك عقله الحر وأفقه المتسع في تناول الموضوعات وجدة الطرح وجرأة الفتوى، ثم تأكدت لي هذه الملاحظات في تسعينيات القرن الماضي بالاحتكاك بالشيخ من مسافة أقرب خلال زياراته المتكررة لأمريكا لإلقاء المحاضرات والاشتراك في الفعاليات الدعوية التي كنا ننظمها هناك؛ خاصة اجتهاداته فيما سماه فقه الأقليات المسلمة وإسهامه في توطين هذه الأقليات وتكاملها في مجتمعاتها، ثم أسعدتني الأقدار في العقد الأخير بالعمل مع الشيخ بشكل

مباشر من خلال مركز دراسات مقاصد الشريعة بلندن، ثم كلية الدراسات الإسلامية بالدوحة، ومن خلال الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث؛ فهذه المقالة تختلف عن سابق ما كتبت عن فكر الشيخ وكتبه لأن مصادرها هي التجربة والملاحظة الشخصية المباشرة.

أشهد أن الشيخ وقد شارف على التسعين – متعه الله بالصحة والعافية – ما يزال ينزل مكتب منزله كل صباح دون استثناء فيقضي سحابة يومه قارئًا وكاتبًا، لا يقطعه عن ذلك إلا الصلاة واستقبال الضيوف الذين يقرر أن يستقبلهم كل يوم في مواعيد محددة، فإذا انصرف الضيف عاد هو إلى القراءة والكتابة مباشرة. وإنني ما دخلت عليه مكتبه في صحة أو مرض، أو صيف أو شتاء، أو صخب من الأحداث الخاصة أو العامة أو هدوء منها؛ إلا وجدت أمامه على مكتبه كتاب مفتوح أو أكثر، وهو جالس يتصفح أحيانًا ويكتب أحيانًا أخرى.

وقد أنتج هذا الدأب على تحصيل العلم موسوعية في الاطلاع واتساعًا في النظر يندر أن يوجد في علماء الإسلام، بل وأصحاب الفكر بشكل عام، فلا عجب إذن أن يكون الشيخ ملمًّا لفلسفات غربية وشرقية قديمة ومعاصرة، كأنه درسها في بلادها، ومطلعًا على دقائق في مذاهب اللغة والتصوف ، كأنه لا هم له إلا هذه المسائل، وعارفًا بأعلام ومدن وأحداث لا يعرفها المتخصصون في التاريخ والجغرافيا، ومستوعبًا للكم الهائل من الثروة الفقهية على مدار تاريخنا الإسلامي الطويل – وقد شهدت طرفًا من هذا على مدار السنوات.

وحرص الشيخ على طلب العلم حرص عجيب، فهو يتحرق حسرة على ما لا يعرفه ولم تتح له الفرصة لتعلمه. فمثلًا، من الأيام القليلة التي رأيت الشيخ يهتز حسرة وألمًا يومًا ذكرت له الجهد الذي بذلته لتعلم اللغة الإنجليزية، ففوجئت بمدى انفعاله وتألمه؛ لأنه لم يتعلم لغات غير اللغة العربية وأن السن قد تقدمت به بما لا يسمح بذلك الآن على حد قوله، وقد حاولت أن أخفف من ألمه بقولي إن قضية اللغات قضية جانبية في علوم الإسلام، وأنه يمكن أن يستعين بالترجمة، فرد الشيخ أن الترجمة لا تغني عن اللغة؛ للتواصل والتعلم عن حضارات وأفكار الآخرين.

والشيخ لا يضيع وقتًا يمكن أن ينفقه في الكتابة في حضر ولا سفر، بل إنه في سفره دائمًا ما يحمل قدرًا من الورق الفارغ حتى يكتب عليه، فإذا نفد الورق الذي يحمله معه في الطائرة طلب من طاقم الضيافة حزمة من الأوراق التي توضع عليها صينيات الطعام؛ حتى يكتب على ظهرها ولا يضيع الوقت دون كتابة.

وبمناسبة الورق أذكر كذلك أن الشيخ يحرص على الورق حرصًا شديدًا، ولا يقبل أن ترمى ورقة بيضاء أبدًا، ولا أن يكتب المرء على جزء منها دون أن تملأ الورقة بوجهيها تمامًا. فإذا رأى جزءًا من الصفحة فارغًا قال: "لا يجوز إضاعة الورق"، ثم يقص الصفحة حتى ينقذ الجزء الفارغ ويكتب عليه فيما بعد (وكان ذلك من مناقب رفيق درب الشيخ، وأستاذي العلامة عبد العظيم الديب رحمه الله تعالى أيضًا).

والشيخ يحرص على وقت التأليف جدًّا، ويلغي أو يؤجل بعض مواعيده وأسفاره حتى يستكمل مشروعات كتبه. أذكر أنني في أواخر التسعينيات اتصلت به من كندا لأدعوه لحضور مؤتمر الشباب المسلم العربي بأمريكا، وهو المؤتمر الحاشد الذي كان يحضره بانتظام كل سنة لبضعة أيام، فرد قائلًا: "يا بني عندي مشروعات كتب أريد أن أنتهي من تأليفها قبل أن أموت، وبالتالي فلن يتسع وقتي لحضور مؤتمركم إلا كل سنتين مرة".

وكان من أمنيات الشيخ أن يستكمل تفسير المنار، وهو التفسير الذي كتب أجزاءه الأولى الشيخ رشيد رضا، راويًا إياه عن شيخه الأستاذ الإمام محمد عبده، ثم أكمل الشيخ رشيد رضا التفسير على نفس المنوال حتى مات حين وصل إلى قوله تعالى من سورة يوسف: (ربِّ قد آتَيتَني من المُلك، وعلَّمتني من تأويلِ الأحاديثِ، فاطِرَ السمواتِ والأرض، أنتَ وليِّي في الدُّنيا والآخرةِ، توفَّني مُسلِمًا، وأَلحِقني بالصالحينَ) يوسف:101. ولطالما تمنى الشيخ القرضاوي إكمال التفسير على نفس المنوال فلم يتسع وقته لذلك، وحزن الشيخ لذلك حزنًا لم يخففه إلا إنجازه تفسيرًا للجزء الثلاثين من القرآن على نفس المنهج.

وقد طفت في بلاد كثيرة قاربت على الخمسين دولة من دول هذا العالم، زائرًا لمعاهد ومؤسسات ومساجد وجمعيات وجامعات إسلامية وغير إسلامية، وإنني أشهد أنني ما ذهبت إلى مدينة أو قرية في نجوع الهند أو أطراف آسيا أو عواصم أوروبا أو مجاهل أفريقيا أو براري أمريكا إلا ووجدت الشيخ قد سبقني إليها – إلا نادرًا – بل ووجدته في كل أنحاء الدنيا كان قد ترك أثرًا طيبًا؛ بأن أسس جمعية، أو أطلق كتابًا من كتبه مترجمًا، أو افتتح جامعة أو معهدًا، أو درس طلابًا، أو دعم مبادرة مدنية أو حقوقية. بل إنني كثيرًا ما سمعت في كل مكان ذكريات أهل تلك البلاد مع الشيخ وكيف أنه أحيانًا يوفي بالزيارة المخطط لها؛ ولو كان مريضًا، حتى لو اقتضى الأمر أن يصل إلى المكان وهو مستلق على ظهره في السيارة من وجع في ظهره مثلًا.

ومن أهم ما يتميز به الشيخ عن أغلب العلماء في عصره، بل وفيما سبق من عصور هو قدرته العالية وهمته الحاضرة في تحويل الأفكار إلى مؤسسات، وإدراكه لكيفية استثمار الرأي العام حين يهتم بقضية ما من أجل تحويل رد الفعل إلى مؤسسة متكاملة ومنتجة تتعامل مع القضية بشكل منهجي ومستدام، وهذا أيضًا من علو همته واتساع أفقه.

وقد شهدت إسهام الشيخ المتميز في تأسيس عدد من المؤسسات التي كان لها أثر كبير في الواقع الإسلامي في العقود الماضية، منها موقع إسلام أون لاين في صيغته الأولى، والذي كان له أثر كبير على شبكة الإنترنت؛ بفضل المنهج الوسطي الذي خطه الشيخ، والذي شرفت بالمشاركة في سياساته في الموقعين بالعربية والإنجليزية، ومنها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ والذي شرفت بعضويته التأسيسية ثم بالانتخاب لعضوية مجلس أمنائه لاحقًا، والاتحاد كان محاولة للتنسيق بين العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وتوجيه جهودهم لخدمة قضايا الأمة خاصة قضية فلسطين والتي كان للشيخ فيها إسهام بارز، ومنها مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية الذي أسسه معالي الشيخ أحمد زكي يماني وتولى الشيخ يوسف القرضاوي رئاسة مجلسه الاستشاري الأعلى، وشرفت بإدارته حين أسس ولمدة خمس سنوات نشر فيها المركز فكرة المقاصد في أنحاء

مختلفة ونشر كتبًا كان من أبرزها كتب الشيخ وأبحاثه المهمة في هذا الموضوع الهام، وشهدت كذلك إسهامه الرائد في المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث بدبلن والذي تشرفت مؤخرًا بعضويته، وهو المجلس الذي كان له الأثر الأول في فقه المسلمين في أوروبا والغرب عمومًا حينًا من الدهر، وشهدت كذلك إسهامه الرائد في كلية الدراسات الإسلامية، ومركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بالدوحة وكانتا أيضًا محاولتين مهمتين لتقديم دراسات إسلامية معاصرة.

وإنه من خلال عملي الإداري في تلك المؤسسات قد شهدت كذلك أن الشيخ يرفض تمامًا أن يتلقى المكافآت الشرفية التي تفرضها لوائح تلك المؤسسات، ويكتفي بدخله من عمله الراتب، بل وفي إحدى تلك المناسبات نهرني أستاذنا حين طلبت منه التوقيع على استلام مكافأة رمزية ولم أكن أعرف عادته في هذه المسألة، فقال: ما هذا؟ أنا لم آت إلى هنا من أجل هذا. هذا عمل لله يا بني.

وكتب الأستاذ محمد فوزي النتشة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي: مذكّرات، وذكريات: وفي يوم الأحد 17 يوليو 1966 كانت المحاضرة للمراقب العام للإخوان محمد عبد الرحمن خليفة (أبو ماجد) رحمه الله. أما مسك الختام، فقد كانت محاضرة الشيخ يوسف القرضاوي صباح يوم الاثنين 18 يوليو 1966م وقد استمرت قرابة خمس ساعات مع الأسئلة. وبعد تناول طعام الغداء عدنا إلى الخليل مع الأخ حسن المدهون رحمه الله، وقد كانت الرحلة إلى إربد ممتعة ومفيدة وشاملة حضرها عدد كبير من أنحاء الأردن. ومن أعمال الدكتور يوسف الهامة أنه أتمَّ أثناء إقامته في الخليل تأليف أهم كتبه وهو: (فقه الزكاة)!

- وكتب الشيخ عصام تليمة: كما رزق الشيخ القرضاوي همة عالية وثابة، ترى ذلك في كتبه التي جاوزت المائة، وفي أعماله وحركته للإسلام. بل كثيرًا ما تقابل هذه الهمة العالية بتساؤل شديد من الناس، فكثيرًا ما يسأل الشيخ عن السر وراء كثرة مؤلفاته؟

بل يسأله العلماء والدعاة: إننا كلما نحضر مؤتمرًا نجدك فيه، ثم نمضي إلى بلادنا وبيوتنا، ونفاجأ

بعدها بمدة وجيزة أنك حضرت مؤتمرًا آخر، ونحن في بيوتنا. والواحد منا يؤلف بضع مؤلفات تعد على أصابع اليد، ويزهى بها، وأنت تربو مؤلفاتك على المائة! أنى لك بهذه الطاقة والهمة العالية؟!

والسر وراء هذا المجهود الضخم –كما يقول الشيخ القرضاوي – هو لسببين اثنين: الأول: هو أن الله يبارك له في وقته، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى، وصدق الشاعر إذ يقول:

إذا لم يكن عون من الله للفتى ** *** فأول ما يجني عليه اجتهاده**

الثاني: هو أن الشيخ لا يضيع ثانية واحدة من وقته، فهو يستثمر وقته أينما حل وارتحل، فهو يكتب في بيته، ويكتب في مكتبه، بل ويكتب في الطائرة.

- **لقيه مرة الدكتور عز الدين إبراهيم في الطائرة فوجده يكتب، فقال له: أنت تكتب في الطائرة يا شيخ يوسف؟ قال: نعم، قال: ولكن ألا تحتاج للمكتبة؟ قال: ما أحتاج للمكتبة فيه أترك له مكانًا حتى أعود لمكتبتي.**

وهذا بالفعل ما يحدث، حيث إني عندما أكتب له على الكمبيوتر ما يؤلفه الشيخ، أجد بين السطور عبارة: يُتْرك مساحة تسعة أسطر. عندئذ أعلم أن هذه المسافة موضع نص من التراث، أو نقل من أحد الكتب.

- **بل يستثمر الشيخ أوقات تنزهه فهو يذهب لقضاء يوم أو يومين للتنزه والاستجمام ولكن هيهات أن يحدث هذا، فهو يذهب ومعه أوراقه، حتى إني كنت أفاجأ بعد عودته من نزهته أنه عاد بأوراق للطباعة، فأسأله متى كتبت هذه الأوراق؟ فيقول: في سفرتي هذه. ما يجعل أهله يشتكون: حتى في وقت تنزهك تعمل؟**
- **ويقول الشيخ عن نفسه: أنا لا أستطيع النوم ما دام في رأسي فكر، فإذا أفرغت ما في رأسي من علم وفكر، عندئذ أستطيع أن أنام.**

فاستفادة القرضاوي بوقته من أهم الأسباب وراء همته العالية في الكتابة، وكيف لا وهو صاحب كتاب (الوقت في حياة المسلم).

- **ولم تقف همة القرضاوي عند الكتابة؛ بل تجد هذه الهمة لا تفارقه حتى في أعماله الدعوية.**

فالشيخ لا يظل في بيته أسبوعًا كاملًا، فهو كثير الأسفار إلى البلاد الإسلامية، إما محاضرًا في مسجد، أو في مركز إسلامي في دول الغرب، حتى أصبح الناس يسألون هل الشيخ موجود في الدوحة، هل أتى أم ما يزال مسافرًا؟ لأنهم يعلمون أن الأصل في الشيخ السفر، حتى لقب بـ (الفقيه الطائر) لكثرة أسفاره، ولذا إذا أردت أن تعرف إلى كم بلد سافر الشيخ، فالأيسر أن تسأل: أي بلد لم يذهب إليها الشيخ؟!

- بل إني كنت أفرح عندما أنتهي من كتابة كتاب للشيخ على الكمبيوتر، فأفاجأ بكتاب آخر يدفع به إلي! وذات مرة أخبرني الشيخ أنه سيسافر أسبوعًا كاملًا، فهششت لذلك، وسررت لأني سأقعد أسبوعًا كاملًا لأول مرة منذ عملي معه دون عمل، وكانت غلطتي أني ذهبت لألقاه قبل سفره، ففوجئت به يفسد على الأسبوع ليلقي إلي بأوراق تحتاج إلى أسبوعين حتى تنجز! فالشيخ لا يعرف عطلة، ولا أعيادًا ولا جُمَعًا ولا إجازة، ولا يعرف الدعة والراحة!

- **أنا أصارع الزمن يا أخ أكرم:**

كان الشيخ مشغولا بمشروع علمي يقوم على حمل فكرة (الوسطية) وتطبيقها، وكانت الفكرة قائمة على إنشاء مركز يرعى هذا الأمر، وقد كلف بالأمر الأخ الكريم الأستاذ توفيق غانم، الذي كان أحد أعمدة موقع (إسلام أون لاين)، وكلفني الشيخ بمتابعة الأمر مع الأستاذ توفيق، وبين الفينة والأخرى يسألني الشيخ عما تم، وما أخبرني به الأستاذ توفيق، وبعد مرور أسابيع سألني الشيخ فأخبرته بما كان، فقال لي: يا أخ أكرم: أنا أصارع الزمن، أريد أن أنتهي من هذا الأمر!

- **أرقه وقلة نومه:**

من الأمور المعلومة أن نوم الإنسان يقل مع تقدم السن، وأكثر ما يكون هذا في سن الشيخوخة، والشيخ القرضاوي كغيره من كبار السن قلّ نومه في آخر عمره!

تركته في ليلة من الليالي – والكلام للدكتور أكرم كساب – وكان ذلك في حدود الساعة الثانية عشرة ليلًا، على أنه سيخلد إلى نومه، وما أن جئته في التاسعة من صباح اليوم التالي في الساعة حتى أعطاني عددًا من الأوراق! فقلت لفضيلته: ما هذا؟

قال: هذه مقدمة لكتاب"فصول في العقيدة" اقرأها، وقل لي رأيك فيها.

فقلت لفضيلته: ألم أترك فضيلتكم في ساعة متأخرة من الليل.

وأختم هذه الفقرة بيوم واحد من أيام القرضاوي كتبه سكرتيره السابق الدكتور أكرم كساب، لترى همة عجيبة، ورجلًا فذًّا بين الرجال؛ وأود هنا أن يعيش القارئ معي يومًا واحدًا من أيام الشيخ؛ الذي أتعب نفسه وجسده، وأتعب محبيه ومتابعيه؛ بل مبغضيه وشانئيه.

هذا اليوم هو يوم الأربعاء الموافق 19 رمضان1427هـ، الموافق 11/ 10/ 2006م، كنت يومها في مكتب فضيلة الشيخ، ومعي إخواني الذين يعملون معه، وكان حضور الشيخ للمكتبة في هذا اليوم بعد الساعة التاسعة صباحًا، وقضينا هذا اليوم الرمضاني مع فضيلة الشيخ نمارس أعمالنا، والشيخ في مكتبه يطالع كتبه، ويسطر بقلمه ما فتح الله عليه به، ويرد على الهاتف مجيبًا عن سؤال، أو مطمئنًا على متحدثه، وبين يديه عدد من كتبه التي تحت الطبع، ومنها: رد إسلامي على البابا بنديكت السادس عشر وتطاوله على الإسلام، وفقه الجهاد! وغيرهما، ينظر في هذا، ويراجع ذلك، وهو بين هذا وذاك يختلس بعض الدقائق ليطالع كتب التفسير، ليعد تأملاته وخواطره حول القرآن الكريم – والتي يلقيها يوميًّا في مسجده (المسجد الكبير بالدوحة) ومنذ أكثر من أربعين عامًا.

وظل الشيخ هكذا لم يفارق مكتبه حتى اقترب موعد الإفطار، فدخل قبيل المغرب ليريح هذا الجسم الذي أتعبته نفس صاحبه، ولم تمر سوى ساعة أو يزيد قليلًا؛ حتى كان الشيخ ذو الثمانين عامًا في الصف الأول مصليًّا العشاء والركعات الأربع الأول، ثم ابتدأ في تأملاته وخواطره بعد أن جثت حوله الركب، وزحف إليه المصلون، ساكنة جوارحهم، خافتة أرواحهم، فأنصتت أسماعهم، وبهرت قلوبهم؛ بما عند الشيخ من لغة جميلة، وعرض رائع، ولهجة صادقة، ولسان فصيح، وأسلوب رصين جميل، وصوت قوي معبر، واستمر الشيخ في تأملاته نحو أربعين دقيقة.

وما أن انتهى الشيخ من تأملاته حتى دلف إلى محرابه ليؤم جموع المصلين؛ تاليًا ما تيسر له من كتاب ربه بصوته القوي، ولهجته الصادقة، وتفاعلاته غير المتكلفة.

ولم يستطع الشيخ أن يكمل صلاته (الوتر) فخرج مسرعًا، لا ليريح جسده، ولا ليأخذ

قسطا من الراحة – أرى من الواجب أن يأخذه – وإنما ليركب سيارته، بعد أن بدل فيها ملابسه، ووضع عمامته (فلكل مناسبة حلتها)، حيث كان الشيخ على موعد ثانٍ في تمام الساعة التاسعة والنصف في مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، وإلى هناك حث الشيخ سائقه على الإسراع مخافة التأخير، فجد في السير، وما هي إلا دقائق معدودة؛ حتى أطل الشيخ بوجهه السمح تعلوه بشاشة مشرقة، ليلقي محاضرة كان عنوانها: (كيف نربي أبناءنا تربية إسلامية صحيحة) طوّف فيها حول معانٍ عدة، فعرف التربية، ثم أوضح المقصود من التربية الإسلامية، وعدّد الشيخ أنواع التربية الإسلامية المطلوب توافرها للنشء، واستمر متحدثًا كأنما يقرأ من كتاب، أو يغرف من بحر، واستمرت المحاضرة ساعة لا تقل، بل تزيد بضع دقائق.

وطلب المنظمون للمحاضرة من الشيخ أن يجلس دقائق يلتقط فيها الشيخ أنفاسه، فاعتذر لارتباطه بعمل ثالث! إذ كانت جمعية البلاغ الثقافية – والتي يترأس الشيخ مجلس إدارتها – قد دعت إلى احتفالية كبرى يتم من خلالها جمع تبرعات لاستكمال مشروع (رحمة للعالمين)، الذي دعا له الشيخ بعد الإساءات التي نشرتها إحدى المجلات الدانماركية منذ ما يزيد على عام تقريبًا.

وكان الحضور على موعد، والحفل على انتظار، ودخل الشيخ القاعة، وجلس يلتقط أنفاسه، ويستجمع قواه، ليبدأ في محاضرة ثالثة، ربما تخيل البعض أن الشيخ لن يطيل فيها، نظرًا لتأخر الوقت، وطول برنامجه الليلة، المتصل بعمل النهار؛ لكنه تكلم فأطال، ولك أن تتخيل أخي القارئ أن المحاضرة استمرت قرابة الساعتين، ربما تعب المستمعون، لكني أزعم أن الشيخ لم يتعب.

وابتدأ الشيخ كلمته بوصف ما جاء علي لسان البابا وغيره من الرسوم المسيئة بأنها أكاذيب لا تستحق الرد عليها من عالم. وأشار الشيخ إلى أن الكثير من غير المسلمين لم يفهموا الإسلام، ولم يعرفوا حقيقة الرسول صلي الله عليه وسلم، ولا سيرته العطرة، وأن لديهم صورا مشوهة نقشت في رؤوسهم إلى من القديم وإلى اليوم.

وأوضح فضيلته أن هذه الإساءات ليست جديدة، وأن الرسول صلي الله عليه وسلم أوذي في سبيل نشر الدعوة، وتحمل الكثير من العنت 13 عامًا، وحينما عاد إلى مكة منتصرًا لم ينتقم وقال

قولته الشهيرة: ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فانتم الطلقاء.

وأوضح الشيخ في كلمته هذه: أن المسلمين مطالبون بتعريف الناس في الغرب سيرة محمد صلي الله عليه وسلم، والرسالة الخالدة، وأرجع الشيخ في ذلك لكون رسالة الرسول صلي الله عليه وسلم عالمية، وهو الرسول الوحيد الذي أعلن عالمية الرسالة، وخلودها.

وما أن أنهى الشيخ كلمته حتى عجت القاعة بالتصفيق، والتكبير، والدعاء والثناء، لشيخ هذه الأمة، وعالمها الذي أتعب من يأتي بعده، ولا أملك إلا أن أقول:

وإذا كانت النفوس كبارًا *** *** تعبت في مُرادها الأجسام

اللهم أدم شيخنا بعافية في دينه ودنياه، وفي نفسه وماله وأهله، واحفظ عليه صحته، وقوي له ظهره، وأعنه على حمل ما كلف به، واجعل له نورًا يمشي به في الدنيا، ويحيا به في الآخرة، وارزقه شهادة في سبيلك كما يتمنى. اللهم آمين آمين.

في مجلس سماع صحيح مسلم بإدارة الدعوة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية:

ومعه في الصورة الدكتور الريسوني والشيخ كريم راجح





الشيخ مهتمًّا بهموم المسلمين

الشيخ مهتمًّا بهموم المسلمين

للشيخ حفظه الله تعالى – ما لم يكن مسافرًا، أو مشغولًا بموعد، ومن سنين طويلة – جدول منضبط في مكتبه لا يكاد ينخرم، ومنه قراءة الصحف والمجلات والبريد، وبعد الساعة الواحدة – غالبًا – يصعد للطابق العلوي من المكتبة ليصلي الظهر، ويجلس معه عشرة أو أقل أو أكثر من مريديه وزائريه وقاصديه، ومنهم – دائمًا – ثلة قد جهزت جملة من الأخبار، ثم بعد الصلاة يبدأ يسألهم: ماذا عندك من أخبار يا أخ فلان؟/ وأنت يا أخ فلان؟/ وأنت؟

فيبدأ كل منهم يسرد ما كتبه أو جمعه من أخبار مما يهم المسلم، من أخبار العرب والعالم، مهما استغرق من وقت.

ولو كان في الحضور ضيف أتى من بلد آخر فإن الشيخ يرحب به، ويعرف الجالسين بمنزلته، ويتلطف معه، ثم يسأله ويستفصل عن أحوال المسلمين في بلده، وطبيعة البلد، وأخبارها، وغير ذلك؛ فتراه على متابعة لصيقة، ومعرفة دقيقة، أزعم أن غيره لا يطيقها، ولا يصبر عليها.

ولذلك فإنك تجده عارفًا – بشكل مميز – بأحوال المسلمين في القارات المختلفة، واتجاهات حكوماتهم نحوهم، والمصاعب، والمزايا، والعلماء الموجودين هناك؛ يرفد ذلك علاقاته ورحلاته وخبراته ومعارفه السابقة.

ولذلك فإنك تراه – أيضًا – حين يتكلم في قضية من قضايا الأقليات، أو عن بلاد الثورات، أو أحوال المسلمين في مختلف القارات، يتكلم كلام عارف، لا مجرد ظنون سامع.

- وهو لا يترك مسألة مما يهم المسلمين إلا وشارك فيها، وأدلى بدلوه؛ لمعرفته أن قطاعات كبيرة من المسلمين تنتظر رأيه الفاصل في الأمر، لذا فإنه درج من عقود على أن تكون خطبته الثانية في الجمعة دائمًا في أمر مما يهم المسلمين هنا، أو هنالك، أو يخصص حلقة من برنامجه التلفزيوني للحديث في الأمر إن كان عظيمًا، والمتابع يعرف كيف يتكلم عن قضايا المسلمين وهمومهم.
- وكم اتصل بي متصلون أثناء ثورات الربيع العربي يستشرفون آراءه في الموقف الذي يربكهم

ويؤودهم، من خلالي، ومن خلال بعض المحيطين به!

- بل إن أستاذي الدكتور على جريشة اتصل بي منفعلًا قبل موته بليلة واحدة – رحمه الله تعالى – يطلب أن يتدخل الشيخ في اليمن – أول الثورة على طاغيتها على صالح – ثم رحمه الله تعالى، وشاء ألا يطول به الأمر حتى يشهد التداعيات التي تبعت ذلك في اليمن الكسير!

ولا أدل على متابعاته الدقيقة والدائمة، من أنه هو الذي كتب عن الفتاوى المعاصرة، وفقه الأقليات الإسلامية، وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، والقدس، والخطاب الإسلامي في عصر العولمة، ونحن والغرب، والبابا والإسلام، والإسلام والعلمانية، والإسلام والفن، والدين والسياسة، والصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، وكتب عن التملك في الغرب،! حلقات في الشريعة والحياة للفتوى للناس في الغرب!

- وقد قدمت له ذات حلقة من الشريعة والحياة، جملة من الأسئلة وجهت إلي في إسبانيا، فأجاب عنها في حلقة خاصة:(الأسئلة السرقسطية كما سميتها حين أعطيتها للصديق الدكتور معتز الخطيب معد البرنامج) كما رأس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، ويرأس مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية، وعددًا من المؤسسات الإسلامية في الوطن العربي وخارجه.
- وكم أصدر تصريحات وبيانات باسمه، أو من خلال الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، أو غيرهما حول قضية أو نازلة تمس المسلمين، أو الأخلاق، والحقوق!
- ومن نماذج اهتماماته ومتابعاته ما ذكره الدكتور خالد حنفي:

شاركت بالحضور في دور المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في استانبول عام 2009 وكان موضوعها فقه المعاملات المالية تقريبًا. وقبل ختام الدورة بيوم وقع حادثة مقتل الشهيدة الصيدلانية المصرية مروة الشربيني – كانت تبلغ من العمر 32 عامًا – أول يوليو 2009م بمدينة دريسدن الألمانية؛ حيث قام مواطن ألماني يدعى أليكس دبليو فينز، يبلغ من العمر 28 عامًا داخل محكمة في مدينة دريسدن؛ بطعنها 18 طعنة في 3 دقائق، بعدما وصفها بالإرهابية بسبب ارتدائها الحجاب، وبعدها

فارقت الحياة!

وقد قامت مظاهرات في جنازتها شارك فيها آلاف من المصريين والعرب، منددين بالتطرف والعنف الذي يمارس ضد المسلمين. وطالب المتظاهرون الحكومة الألمانية بتوقيع أقصى عقوبة على القاتل. وفي 11 نوفمبر، 2009 حكم على القاتل بأقصى عقوبة في ألمانيا وهي السجن مدى الحياة.

ولما صدر بيان المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث دون التعرض للحادثة التي لم تكن قد عرفت وشاع أمرها – حيث وقعت على ما أذكر في اليوم الختامي للدورة أو قبلها بيوم – ذهبت أنا والدكتور صلاح سلطان فك الله أسره للشيخ، وحدثناه بالواقعة فتأثر كثيرًا، ونادى على الدكتور محمد الهواري رحمه الله – وكان مسموع الكلمة لدى الشيخ، وهو مرجع في ألمانيا؛ خاصة في قضايا الطعام الحلال والهلال والحسابات الفلكية – فسأله فقص عليه القصة.

وقلت أنا: إذا لم يكن للمجلس موقف في حادثة أوربية كبيرة كهذه فمتى يكون له موقف؟ ثم إن الخوف من ردة فعل المسلمين غير المحسوبة بعد شناعة الواقعة، ودور المجلس أن يوجههم إلى الواجب عليهم وإلى ضبط سلوكهم وتصرفهم.

فاقتنع الشيخ، وطلب من الشيخ حسين حلاوة الأمين العام للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث أن يصدر بيانًا مستقلًّا حول الحادثة، وكلفني الأمين العام بكتابة مسودة البيان؛ بحكم إقامتي في ألمانيا.
وكان له أبلغ الأثر في ضبط وتحجيم مشاعر المسلمين؛ خاصة رفض دعوات مقاطعة البضائع الألمانية لحادثة فردية رافقها رفض شعبي وإدانة رسمية. ولعل فيما ذكرته إشارة مغنية.



الباب السادس

القرضاوي دوليًّا

INTERPOL | YEARS OF INTERNATIONAL POLICE COOPERATION

HOME À PROPOS D'INTERPOL CENTRE DES MÉDIAS

Back to Search result





ALQARADAWI, YOUSF

WANTED BY THE JUDICIAL AUTHORITIES OF EGY

IDENTITY PARTICULARS

Present family name:	ALQARADAWI
Forename:	YOUSF
Sex:	Masculin
Date of birth:	09/09/1926 (88 years old
Language spoken:	
Nationality:	Egypte, Qatar

القرضاوي مطلوبًا

القرضاوي مطلوبًا

ليس بدعًا أن أعتبر من مناقب العلامة القرضاوي أن يكون مطلوبًا، وأن يحكم عليه بالإعدام، – بل بإعدامين، من السيسي وبشار – ولا أزكي على الله تعالى أحدًا! فلو استقرأنا التاريخ لوجدنا – دون عناء – أن المصلحين، والصالحين؛ على اختلاف مستوياتهم موصومون، متهمون، مطاردون، محاصرون، مسجونون، مقتولون: الأنبياء كلهم، والحواريون، والأصحاب، والأئمة والرواد، والمفكرون الحقيقيون!

وكان منهم من أحرق بالنار، ومن سلخ جلده، ومن مشط بأمشاط الحديد ما دون جلده وعظمه، ومن شق بالمنشار نصفين، ومن صلب، ومن ألقي للحيوان المفترس، ومن مات صبرًا، ومن حورب في رزقه، وأبنائه، ومن طرد من بيته ووطنه، ومن اتهم في عرضه، ومن قتل غيلة، أو بالرصاص، أو تحت أفانين التعذيب الهمجي!

أتذكر قارئي الكريم ما فعل بالنبيين يحيي وزكريا عليهما السلام؟ بلوطٍ وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام؟ بمريم وعائشة عليهما السلام؟ بحواريي عيسى وأصحاب محمد رضي الله عنهم؟ بالأئمة والعلماء: أبي حنيفة وابن حنبل وابن تيمية وأشباههم! وصولًا للبنا، وسيد قطب، ومحمد مرسي، وحازم أبو إسماعيل وعصام سلطان، ووو! في عصرنا السعيد؟

لقد نال القرضاوي كفله من هذا الابتلاء:

- فطُلب، وطورد، وهرب، واعتقل، وسجن وأهين، وكُفِّر من بعض عميان البصيرة، وألفت فيه الكتب التي تلعنه، وتحطه من قدره، وتصفه بأنه أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى، وتُكلم عن أهل بيته، حتى كتبت جريدة معروفة إنه تزوج بنت خمس عشرة سنة، وإنه اشترى لها خاتم الخطوبة من دار كذا بنصف مليون دولار، وفستان الزفاف من دار كذا بكذا! قرأت هذا

من سنين!

- ثم ختم الله له بالمنع من دخول أميركا وبريطانيا وفرنسا ودول عربية وأجنبية!
- ثم طلبه البوليس الدولي (The Interpol) باعتباره إرهابيًّا كبيرًا، ومجرمًا عتيًّا!
- ثم حكم عليه بإعدامين لا أدري لماذا! لا! بل أدري؛ فقط لأنه القرضاوي، الشجا في حلوق الباطل والمبطلين!

المهم أنه في قضية الإنتربول متهم بتهم مضحكة جدًّا، فقد وضعت الشرطة الدولية – أو ما يُعرف بالإنتربول – الشيخ على قائمة المطلوبين لديها، لكونه مطلوبًا من قبل السلطات المصرية لقضاء عقوبة بتهم "التحريض والمساعدة على ارتكاب القتل العمد، ومساعدة السجناء على الهرب، والحرق، والتخريب، والسرقة".*

وقد ذكرت CNN موقف الشيخ من القرار، فقالت: خرج الداعية المصري الأصل، يوسف القرضاوي، المرجع الروحي لجماعة الإخوان المسلمين، على قناة "رابعة"، التابعة للجماعة، ليرد بنفسه للمرة الأولى على قرار الإنتربول وضعه على قوائم المطلوبين، فتساءل عن معايير القرار، وسخر من اتهامه بالضلوع في أعمال عنف مع تقدمه بالسن ووجوده في قطر.

وقال القرضاوي، في اتصال هاتفي مع القناة: "أوجه رسالتي إلى الشعب المصري والعربي والأمة الإسلامية، أمة القرآن وأمة محمد، بأن يتحدوا وأن يقفوا صفًّا واحدًا: التقوى لا تكتمل والعبادة لا تتم إلا بالوحدة، فالأمة لا يمكن إلا أن تكون أمة واحدة."

وتابع بالقول: "هؤلاء الذين يتحدثون عن الإنتربول وسواه، أقول لهم إنني لا أعرف بأي مقياس يقيس الإنتربول! هل كل من يقول إن فلانا عمل شيئا ما يُصدق؟

كيف أكون قد فتحت السجون وأنا أعيش في قطر ومعي جواز سفر قطري لا أتحرك إلا به،

____
* في 12 / 9/ 2017 رفع اسم الشيخ من كشوف المطلوبين للإنتربول بعد تحققهم من عبثية الدعوى.

فهل خرجت من قطر في هذه الفترة؟ هل ذهبت إلى مصر في هذه الفترة أم أنني طرت في السماء؟" "أنا في سني هذا – وعمري الآن 88 عامًا – وعندي أمراض، ولا يمكنني السفر إلا بمرافق أو مرافقين بسبب ظروفي الصحية"!

ونفى القرضاوي حتى العلم بموقع سجن النطرون، الذي فر منه السجناء خلال ثورة 25 يناير قائلا: أنا حتى لا أعرف هذا السجن المسمى النطرون، وأعجب ممن يصدقون هذا الكلام ويقبلونه وعليهم مراجعة أنفسهم.

وتوجه القرضاوي إلى من عمل على إصدار القرار بالقول: أشكوهم إلى الله؛ فهو الذي يعلم الظالم من المظلوم، وسيقيم القسط بين عباده، ولا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه سر ولا علانية، ولا نشتكي إلى العباد بل إلى رب العباد ونسأل الله أن يعيد هذه الأمة إلى رشدها.

المهم قارئي الكريم أنهم قبلوا أن يوسف القرضاوي يسرق، ويخرب، ويحرق الممتلكات العامة، ويساعد السجناء على الهرب! وهو الذي لا يستطيع التحرك بسهولة بسبب حال ركبتيه، والذي يخطب ويصلي جالسًا من سنين بعيدة! تمامًا كما حكموا بالإعدام على الشيخ محمد عبد المقصود بتهمة قطع الطريق، وهو أشل لا يقدر على المشي الطبيعي، وعلى الشيخ أبو عيدة وهو أعمى!

على كل حال، وبمنتهى الصراحة: أنا تمامًا مع الإنتربول! وأطالب باعتقال القرضاوي؛ ذلك الإرهابي الكبير! فلا ينبغي لهذا الشيخ أن يجترئ أكثر، أو يقول أكثر، أو يؤثر أكثر، أو يمتلك قلوب الناس أكثر!

نعم يا سادتي: اقتلوا يوسف! اقتلوا القرضاوي، أو أثبتوه، أو أخرجوه من قريتكم؛ فهو يستحق ذلك وأكثر! وكل خيوط التهم تؤدي إليه، وكل الأصابع تشير نحوه.

اقتلوه أو حرِّقوه، فقد ثبت بالأدلة القطعية أنه كان يقطع الطريق بنفسه، ويذبح المواطنين الشرفاء تحت منصة رابعة، وينقلهم للكرة الأرضية تحتها، وهو الذي أطلق المساجين من المعتقلات، وحرق

المتجمعين (الشرفاء) من حملة السنج والمطاوي وزجاجات المولوتوف، وأنتم تعرفون جيدًا أن صحته (اللهم لا حسد) زي البمب، وحركته ولا الرهوان، وكان (أبو عيدة) يراقب له الطريق، ومحمد عبد المقصود (جرّاي) يمسك له بالناس له ليذبحهم!

اقتلوه، أو حرقوه، أو احكموا عليه بعشرين إعدامًا؛ فقد كان يدهس الناس بالسيارات الدبلوماسية، ويربض على الأسقف يقنص الشرفاء الأطهار، لأن (عينه زي الصقر) اللهم لا حسد!

لا تتردد يا إنتربول لحظة، فالرجل مراوغ خطير، ومجرم كبير، أخطر ممن حرقوا الناس في محمد محمود ورابعة، وممن هاجموا الاتحادية لإسقاط (الإرهابي مرسي)، بل أخطر من كراديزيتش وميلوسيفيشتش، وهبابيفيتش، وزفتيفيتش!

اقتلوا يوسف، أو حرقوه، فهو يسيء للأطهار الشرفاء من فئة ولي الله نتنياهو، وحجة الإسلام جورج بوش، وإمام الزمان خامنئي، وأحلافهم بشار الجحش، وبن علي اللص، وصالح الشاويش، ومبارك شيخ المنسر!

أسكتوا يوسف؛ فقد ثبت أن إسرائيل ركبت في جمجمته (Chip) تجعله لا يعي ما يقول؛ وفق ما أفتى صاحب الفضيلة الفقيه الأعظم الشيخ حسن يوسف، بشكل قطعي لا يقبل شكًّا!

(شد حيلك) يا إنتربول! وقم بجانب الولاء والوفاء لكل أعداء الحق والخير وما نزل من السماء ! وانتشوا يا صهاينة العرب! انشط يا موساد! اسعدي يا قوى الشر؛ فالأخطر والأعلم والأبصر والأكثر فاعلية صار مطلوبا إنتربوليًّا، ومجرمًا دوليًّا، ومتأسلمًا رسميًّا، وجاهلًا دينيًّا بشهادة الشيخ مزهر والفقيه ميزو والملا أبي حمالات وولي الله علي قفة! وقد جئتم على قميصه بدم كذب تعرفون أنتم حقيقته؛ فأنتم الذين حددتم فصيلته، وأحصيتم عدد كرياته، وضبطتم نسبة السمية فيه!

اسحبوا منه شهاداته، وخبراته، وإمكاناته، وتكريماته، ومناصبه، وجردوه حتى من لا إله إلا الله، فهو عميل إيراني صهيوني أمريكي حمساوي، ومندس من رجال أبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف، يجب اتقاء شره؛ حفاظًا على الإسلام الجميل الذي يعرف الفضل لكل زنادقة التاريخ، ومرَقة الواقع

وفجرة المستقبل! والذي تُحسن فهمه الحَصان إلهام، والطاهرة فيفي، والمصونة غارة!

لا تتركوا القرضاوي فهو أخطر من الإيبولا والإيدز. واعتقاله وكتم صوته أهم كثيرًا من تضييع الأمة، وتسليم سيناء، وتجفيف النيل، والإجهاز على مصر والمنطقة كلها.

أسكتوه فهو لا يسكت! خصوصًا وأن مشروع إعلان إسرائيل دولة من النيل إلى الفرات يوشك أن يملأ وسائل الإعلام، وسيرقص لها إعلام العرب المتصهين، قبل إعلام الصهاينة المتطرف!

أسكتوه فهو لا يرضى بذبح الدول الكبرى حول إسرائيل – العراق وسوريا ومصر – تمهيدًا لإسقاط الأقصى ورفع الهيكل، وسيقول ويتكلم ويحرك الجماهير، ولا ينبغي أن يحول بين إسقاط الأقصى وإقامة الهيكل حائل.

أسكتوه فهو ليس شيخًا رسميًّا يرقص على توقيعات السلطان، ولا يسبح بحمد الشيطان، ولا يقبل بتأليه الإنسان، ولا يطالب بحرية الشواذ، ولا تمكين الطواغيت، ولا يرضى بظلم الشعوب، ولا سرقة الحقوق، ولا وسم العالم على قفاه بميسم عبوديةٍ ملحدٍ كنود!

اخنقوه فهو – ويا للفجور – حر يطالب بالحرية في عالم لا يعترف بالحرية للشعوب الفقيرة، ويصر أن يضع على كواهلها فراعين يسومون العباد فيها الخسف والمذلة، ويحولون تريليوناتها لخزائن (أعدقائها) اللد، ليتضور مواطنوها جوعًا، ويقضوا مخمصة، ويشكُّوا في العدل والحق والخير، وفي رب العدل والحق والخير.

لا تتركوه طليقًا، فهو طالما تكلم، وصرح، وجهر، وواجه! وحسبه ما قال، فقد آن أوان قطع اللسان، والإجهاز على الأثر.

هيا يا إنتربول، طارد كتبه، وأحرقها، وأعد بركات المكارثية، ومحاكم التفتيش، ومنطق الإقطاعيين السفاحين الذين استعبدوا الناس، ومن أبى منهم الانحناء قتلوه.

هيا يا عرب العبودية، ويا عرب الرقص والشلبنة، ويا باعة مخدرات الشعوب: اضغطوا، وكونوا

حاسمين: لا تطالبوا الإنتربول وحده: اطلبوا من الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ومحكمة العدس الدولية، وهيومن رايتس بِتش، وحكومات العالم كلها، أن تصدر بياناتها بأنه أخطر من النووية والهيدروجينية والفراغية والفسفورية واليورانيوم المنضب!

طاردوه في المطارات، وابحثوا في الطرقات، وفتشوا عنه في الضمائر والسرائر، ونقبوا في قلوب ملايين ممن (غرر) بهم، وضللهم، وقال لهم: إن الله تعالى حق، وإن محمدًا حق، وإن الجنة حق، وإن الخير حق، وإن العدل حق، وإن المساواة حق، وإن الحرية حق؛ في زمن أرعن، لا يريد الحرية ولا المساواة ولا العدل ولا الآخرة ولا الله رب العالمين!

طاردوه كما طارد قوم لوط لوطًا، وكما طارد فرعون موسى، وكما فعل اليهود بالمسيح، وهل القرضاوي خير من رسل الله عليهم أزكى الصلوات وأتم التسليمات؟

كلا والله، وله الشرف ألا يرضى عنه الأفاكون والدجاجلة، وباعة الأعراض والأوطان! ولك الله يا قرضاوي! وإني أحبك يا شيخي في الله تعالى. وبعدًا للقوم الظالمين!



DAILY EXPRESS

AN EXTRA 20% OFF AT

Television's Food Doctor makes dieting easy

yourhealth

BAN THIS EVIL MAN

Muslim cleric who backs suicide bombers is on his way to Britain. So much for all Blair's tough talk

Polanski: How I was seduced days after my wife's funeral

الشيخ ممنوعًا مشتومًا

الشيخ ممنوعًا مشتومًا

يقول العقلاء: إن المعاصرة حجاب، يحول بين الناس وبين تقدير الرجل العظيم، وإدراك جوانب تميزه وعظمته. وهذا حق، لكنه ليس الحق كله فيما أحسب؛ فدون القرضاوي الفخيم حجُبٌ عديدة تحول بين بعض معاصريه، وبين إدراك قيمته الحقيقية، ومنزلته التي هو جدير بها.

- **بينهم وبين الشيخ القرضاوي حجاب المعاصرة، والرسام يحب دائمًا أن تُرى الصورة عن بُعد؛ لا أن يلتصق المتفرج بها ليرى ضربات الفرشاة، وخطوط اللون على النسيج.**
- **وبينهم وبين القرضاوي حجاب العصبية الذي يجعلهم لا ينظرون إليه بعين الرضا، مهما رأوا من الخير منه، ومهما فعل ما يعجز غيره عنه، ومهما وقف، ومهما أبدى، ومهما تصدى! فإقدامه عند بعضهم تظاهر، وعلمه تساهل، ومواقفه استعراض، واجتهاده ثورة على الثوابت وانتقاض!**
- **وبينهم وبينه حجاب الغباء الذي يحول دون قراءته، والتعرف إليه، واكتشاف مكامن التفرد، والإبداع، والموسوعية فيه. فلا ميزان يرجعون إليه، ولا معرفة لهم بالشيخ ولا بالذي أفاء الله عليه، ولا منهج ينطلقون منه، إنما هو ضيق العطن، وسوء الظن، واستباحة لحوم العلماء!**
- **وبينهم وبينه حجاب القصور الذي يجعلهم يرون الصورة ناقصة، فلا يلمحون منها إلا نتفًا وشذرات لا تحكي واقعًا، ولا تغني من حاجة. فهو الذي تكلم في الغناء والحجاب – وبس – وكأنما الشيخ لم يبذل من عمره سبعين عامًا مباركًا، في العلم والتعليم، والدعوة والجهاد، والحركة وأعمال البر، وكأنه لم يُخرج من العلم دررًا، ومن المؤلفات فرائد، ومن الأشعار خرائد في سهولتها وجدّتها وحسن سبكها!**
- **وبينهم وبينه حجاب الكبر الذي يجعلهم يبخسون الناس أشياءهم، ويغمطون الناس أقدارهم، ويتسورون حرماتهم. فأحدهم يضعفه، ويتتبعه، ويصحح له، ويرى نفسه رجلًا ويرى القرضاوي – في أحسن تقدير – رجلًا مثله، ولا يبالي أن يجهر بالكلمة الفاضحة: هم رجال ونحن رجال!**
- **وبينهم وبينه حجاب التربص والإرصاد، الذي يجعلهم يقلبون خيره شرًّا، ويجعلون حسنته سيئة، وسبقه تأخرًا، واجتهاده هباءً منثورًا!**

- **وبينهم وبينه حجاب الأحكام المسبقة، والآراء المستنسخة، وغياب المحاكمة العقلية، والضعف عن قراءة الواقع، والإدراك الكلي للأشياء!**

وما أعظم مولاي سبحانه الذي قال: (ويل للمطففين)، والذي أمر: (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)، وما أعظم سيدي المصطفي الذي قال: (ليس منا من لم! ويعرف لعالمنا حقه)!

فمن للأمة برجل كالعلامة القرضاوي جمع أجزاء الصورة سنًّا ودربة، وعلمًا وخبرة، وممارسة وموهبة!؟

- **إيتوني بمثله من الدعاة في القرن العشرين؛ بخلطته العجيبة النادرة!**
- **إيتوني برجل جمع في إهابه الفقيه والمحدث، والداعية والمرشد، والمثقف والأكاديمي، والعالم والإعلامي، والشاعر والناثر، والناقد والرائد، والمحاور والمناظر، والمعلم والحركي، والتاريخي والواقعي والمستقبلي!**
- **إيتوني بشيخ – تبارك الوهاب المنان – بمثل ذاكرته، ومثل حفظه، ومثل يقظته، ومثل موسوعيته، ومثل خبرته، ومثل تطوافه ومواهبه، ومثل سرعة بديهته وقوة عارضته.**
- **إيتوني بشيخ من الشيوخ جاب الأرض من أقصاها لأقصاها، وخبر الدنيا وحلب أشطرها، وعصَرته المحن وصهرته الخطوب، وعرف الحياة حنظلةً مريرة وسكّرةً حلوة!**
- **إيتوني برجل له مثل أولياته ومشروعاته، ورياداته ومؤلفاته، وغزارته وتدفقه، وانصرافه عن السفاسف للمعالي، وعن الوهاد للقنن!**

سيقول السفهاء: ما لك تغلو، وتبالغ، ولا تنظر إلا بعين الرضا؟! ما لك سميته الإمام، وجعلته فوق الأنام؟!

سيقول السفهاء: ما لك جعلته كأنه الأوحد الفذ، الذي لا نظير له؟!

وسأقول حالفًا حلفة واثق: ما أزكي على الله أحدًا، لكنني أحسبه والله حسيبه، وما أغلو ولا أبالغ، وما لي مصلحة ولا أرب؛ فأنا وإن كنت – أزعم – من أقرب الناس منه، من أبعد الناس عنه، وفضيلته يعلم أن (راسي حجر) وأنني صاحب استقلالية تامة في رأيي ودعوتي؛ لم أنتم يومًا لشيء،

ولم أغل في شيخ ولا لافتة؛ فإن دأبي الولاءُ للإسلام ذاته، ومنهجي حب المسلمين كلهم، وحب العلماء كلهم، وتقدير العظماء كلهم! هكذا علمني العظيم محمد المختار الشنقيطي الكبير عليه رحمات الله ورضوانه، وهكذا نُشِّئت في الأزهر، وهكذا تلقيت من علماء الحرم!

يعلم الله أنني ما أغلو وما أبالغ! لكن للأعلام الذين أثروا فيّ شأنًا آخر، فهم أصحاب فضل، وأصحاب يد، وأصحاب تمكّنٍ في القلب والضمير.

وللقرضاوي – الذي أثّر فيّ ما لم يؤثر غيره – شأنٌ آخر؛ لذا لا أفتؤ أذكر يوسف، ولا أملّ أعلن حبه – وأسأل الله تعالى أن ينفعني ذلك – فهو أهل للحب، وأهل للإكبار والثناء!

وحبي له ليس ذلك الحب التعصبي الذي يُعمي ويصم؛ بل هو نابع من مواقف، ومن مشاهدات، ومن ملاحظات، ومن أشياء رأيتها أنا – وحدي أو مع غيري – فأنا شاهدٌ معاين ولست متعصبًا، ولست راجيًا ولا راغبًا. بل كنت أولَ عهدي بالاستقامة – قبل نحو ثلث قرن – متحفظًا تجاهه شأن كثير من الشبان آنذاك، حتى بدأت أقرؤه، وأتأمل سعة واديه ومواهبه، فانتبهت إلى الحجب الصفيقة التي تحول دون كثير من الشباب والانتفاع منه. ولكم كتبت في ذلك ونبهت إليه!

وقد كنت أظن نفسي بدعًا في حب القرضاوي حتى وقعت على أخي الكريم الشيخ أكرم عبد الستار، فاتضح لي أن له سبحًا طويلًا في هذا المضمار، وأنه يحب الشيخ – مثلي وأكثر – ذلك الحب المستبصر، الذي لا يدعي عصمة، ولا يعرف غلوًّا ولا إفراطًا؛ بل هو ذلك الحب البصير الرشيد، الذي يزن الرجال، ويعرف الجوهر من الزيوف، والماس من الزجاج!

ولعل من المناسب هنا أن أشير إلى غلونا في المحبة وفي البغض بشكل قميء رديء، لا نحب هَوْنًا ما، ولا نبغض هونًا ما، بل حبنا كلَفٌ وبغضُنا تلف! وهذا من أعظم أمراض الإسلاميين في هذا الزمان! فكما يبغض القرضاوي أناس، يغلو فيه آخرون، وكما يحب غيرَه من العلماء أناس غلاة، نجد بالمقابل من يكرههم، ويتقرب إلى الله تعالى بالإساءة لهم، فنحن – إذن – بين هلكى بالإفراط والتفريط، بين غالٍ وقالٍ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم!

وهذا هو ما يحصل للقرضاوي من غلاة يجعلونه شياطين الإنس، ولا يرون له حسنة، ولا مزية؛ وقد كانوا قبل – سنتين أو ثلاث – يرونه فقيه الفقهاء، وحكيم الحكماء، ثم لما وجههم سادتهم انقلبوا عليه تثريبًا وسبًّا، وتقبيحًا وفحشًا، ولم يألوا جهدًا في تلطيخ اسمه، وقلب حسناته سيئات، ومحاسنه سوآت!

- **وكتب الدكتور منير جمعة: سيد سادات هذا العصر:**

الانقلابيون في غاية الانزعاج من هذا الرجل!

صادروا أمواله في البنوك المصرية أمس!

وأطلقوا صبيانهم المهازيل للنيل منه اليوم!

النكرات الذين ليس لهم كتاب واحد يعرفه الناس ويرتضيه العلماء!

يحاولون هدم تاريخ جليل باذخ من العلم والدعوة يسير على قدمين!

ليست القضية في تلك الفتوى التي صعقتهم ـ تحريم انتخابات الرئاسة ـ

وإنما في إحساسهم العميق بالدونية والانسحاق أمام هذا الجبل السامق!

فهو الرجل الذي لم يخن حين خانوا! ولم يهن حين هانوا!

والله يا مولانا الإمام؛ وأنا أعرفك منذ نعومة أظفاري!

لو لم يكن في سجلك العامر الزاخر سوى إغاظة هؤلاء الدجاجلة لكفاك!

هذا قدر الكبار يا سيدنا!

إن لم يكن العلماء هم الأولياء فليس لله ولي!

فاهنأ بحب تلاميذك العلماء الأفذاذ في مشارق الأرض ومغاربها

فأنت بركة هذا الزمان وحسنة هذه الأيام.. أحسبك كذلك!

يأيها المتفرد الجميل.. والعلم الفذ الجليل.. يا سيدي: إنك القرضاوي؛ وكفى!

وفي ذلك كتب الأستاذ الدكتور الحبيب حلمي القاعود:

هناك من صبية البيادة من هبطوا إلى درك سحيق! يقول أحدهم معلقًا على الخلافات التي جرت بين قيادات الإخوان المسلمين قبل الذكري الخامسة للثورة، في مقال بعنوان الأزهر وتخاريف القرضاوي، نشره في موقع اليوم السابع الكنسي المخابراتي بتاريخ 04 فبراير 2016:

" انفجرت مؤخرًا داخل جماعة الإخوان الإرهابية صراعات قد تبدو لنا أنها صراعات حقيقية، ولكنها صراعات وهمية 100 %، بل أستطيع تأكيد أنه لو كان هناك صراع فإنه صراع على قتل المصريين! ويستطرد الفتى خادم البيادة ليشير إلى قيادات الجماعة، ويزعم أن القرضاوي على رأسهم، ويصفه بشيطان الإخوان، وأنهم أصبحوا خطرًا على الإسلام، والدليل من وجهة نظر الفتى خادم البيادة الهجوم الأزهري على تخاريف القرضاوي، حيث انتفض علماء الأزهر الشريف وقياداته ضد الدكتور يوسف القرضاوي، ودعواته التحريضية للشباب، رافضين الصمت على تلك الدعوات التي وصفوها بالجرم العظيم، مطالبينه بكف لسانه، وأن يتقي الله في مصر، مشددين على أن 30 يونيو ثورة شعبية خرجت لتصحيح الوضع وإزالة نظام الإخوان الفاسد.

ويستشهد الفتى خادم البيادة بما قاله الدكتور إبراهيم الهدهد، رئيس جامعة الأزهر، الذي قال ردًّا على كلمة الدكتور يوسف القرضاوي في ذكرى ثورة 25 يناير: لقد تابعت ما نشر على المواقع الإلكترونية في ذكرى 25 يناير عام 2016 نقلًا عن قناة الشرق المغرضة، التي تبث من تركيا، ولا عمل لها إلا التحريض ضد هذا الوطن، والحرص على إشاعة القلاقل بدل الاستقرار، ولم يتعظوا مما حاق بالبلاد من حولنا من الإطاحة بالاستقرار، واستمرار القلاقل إلى هذه الساعة، وإراقة الدماء على لسان القرضاوي. وقد جاء في حديثه ما يندى له الجبين، ولكن حين تتابع هذا تقول يا أسفاه على عالم زل هذه الزلات، وهذه الزلات لا يمكن أن تدخل إلا في فكر الخوارج!

من هذه الزلات، للأسف الشديد، أنه يرمى ملايين المصريين المسلمين بالكفر حينما يحرض الشباب على الخروج، ويهون عليهم أمر الدماء، ويهون عليهم أمر مقدرات البلاد، ثم يستشهد بقوله تعالى فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا، نحن نقول: أنى لك بتكفير الملايين من المصريين؟ وهل

تتحمل إثم هذا أمام الله تعالى؟! ويعد الفتي أن هناك بقية لحديثه الكاذب ولكني لم أطلع عليها.

العمائم الانقلابية:

وكان الموقع الكنسي المخابراتي قد نشر تحقيقًا يوم الأربعاء، 03 فبراير 2016 – قال فيه:

- الأزهر يرد على القرضاوي بعد تحريضه للمصريين!
- رئيس جامعة الأزهر: زلاتك تدخل في فكر الخوارج!
- والبحوث الإسلامية: 30 يونيو ثورة، والجيش انحاز للشعب!
- والمعاهد الأزهرية: تسعى لسفك الدماء!

وكتب الموقع الكنسي المخابراتي في مقدمة تحقيقه الطويل، الذي استفتى فيه مجموعة من العمائم الانقلابية: انتفض علماء الأزهر الشريف وقياداته ضد الدكتور يوسف القرضاوي، ودعواته التحريضية للشباب، رافضين الصمت على تلك الدعوات التي وصفوها بالجرم العظيم، مطالبينه بكف لسانه، وأن يتقى الله في مصر، مشددين على أن 30 يونيو ثورة شعبية خرجت لتصحيح الوضع، وإزالة نظام الإخوان الفاسد، والتي أكدت أن المصريين أعقل وأحكم من أن ينساقوا وراء هذا التحريض المغرض!

وراحت العمائم الانقلابية تكيل الاتهامات والسباب للرجل الذي يدافع عن حرية بلاده، وكرامة شعبه، ويسعى إلى تحرير وطنه ممن اغتصبوا إرادته بقوة الدبابة، وداسوا على كرامته بسطوة السلاح، وفتحوا سجونها ومعتقلاتها للأحرار والشرفاء بمنطق النبوت.

لقد تحولت القيادات الأزهرية المتواطئة مع الانقلاب إلى عون للسلطة العسكرية الظالمة، وذراع لإصدار الفتاوى الحرام التي تساند الباطل، وتروج له، وتفتى للسلطان بما يريد؛ لدرجة أن جعلته نبيًّا ورسولًا، وصعدت به إلى مستوى الصحابة والقادة العظيم!

فلا عجب أن ينقلبوا على شيخهم وإمامهم، وأن يسلقوه بألسنة حداد، وأن يتهموه بما ليس فيه، وهم يعلمون جيدًا أنه كان يمكن أن يوفر على نفسه كثيرًا من المتاعب، ويتفادى الحملات التي وجهت إليه لو أنه قبل الظلم ورضي بالطغيان، وسكت عن الحق! ولكنه آثر طريق الحق الصعب،

خوفًا من ربه، وإيمانًا بدينه، وحبًّا لوطنه الجريح الذي أذله الانقلابيون الطغاة!

ويواصل الدكتور حلمي القاعود حديثه عن مشايخ السلطة فيقول:

المفارقة أن مشايخ السلطة ووعاظ الشرطة كانوا في عهد مبارك يحرمون التظاهر والخروج على ولي الأمر، وفي عهد الرئيس الأسير محمد مرسي أباحوا التظاهر والخروج عليه! وفي عهد الانقلاب العسكري رجعوا مرة أخرى إلى تحريم التظاهر والخروج! بئس ما يصنعون!

ولكن الشيخ بحسه الإسلامي المرهف، وإخلاصه لربه ودينه، وفهمه العميق لمقاصد الدين الحنيف في تحرير الإنسان من الاستبداد والاستباحة دعا في الذكرى الرابعة للثورة (الأحد، 25 يناير 2015) الشعب المصري إلى الخروج والتظاهر في الذكرى الرابعة لثورة يناير، مؤكدًا أن النزول "فرض عين" على كل مصري.

وقال القرضاوي في كلمة نقلتها عنه قناة "مصر الآن": أدعو الشعب المصري كله (أزهريين ومحامين وأطباء ومهندسين وكل طوائف الشعب) أن يصطفوا لمواجهة هؤلاء الظالمين! يجب أن نرفض حكم العسكر الذي لم يأت لنا إلا بالفساد، ولا بد أن يحكم الناس أنفسهم ويحكم من ارتضوه رئيسًا، ولا تصدقوا علماء السلطان وعلماء السوء الذين لم يأتوا لنا إلا بالشر!

وتابع: النظام لن يستطيع مواجهة الشعب اذا احتشد ضده بقوة، والنزول للميادين ضد الظالمين أصبح فرض عين على الجميع رجالًا ونساءً وشبابًا، على المصريين أن يخرجوا جميعًا ويقفوا للمطالبة بحقهم أن يعيشوا أحرارًا! علينا أن ننقذ مصر قبل فوات الأوان، وعلى جميع المصريين النزول في 52 يناير وألا يخافوا. لن يستطيعوا قتل الشعب كاملًا!

وخاطب علماء مصر: "أنتم لست بعلماء ولا فقهاء، وأنتم علماء وفقهاء السلطة، وسوف يقتص منكم الشعب المصري".

وواصل القرضاوي كلمته قائلا:"نحن نريد أن نعيد الحياة لمجراها الطبيعي! نعيش أحرارًا في العالم نختار حكامنا بنفسنا، والدكتور مرسي كان لا بد أن يفضح كل من تآمر على الوطن للشعب المصري، نحن من يحكمنا هم الغرب! الذين رفضوا أن يستمر الدكتور مرسي في حكمه، وماذا فعل الآلاف

من الشعب المصري حتي يقتلوا في ميادين مصر؟! قتلوا لأنهم أرادوا عودة شرعيتهم وعودة الديمقراطية والحكم للمدنيين".

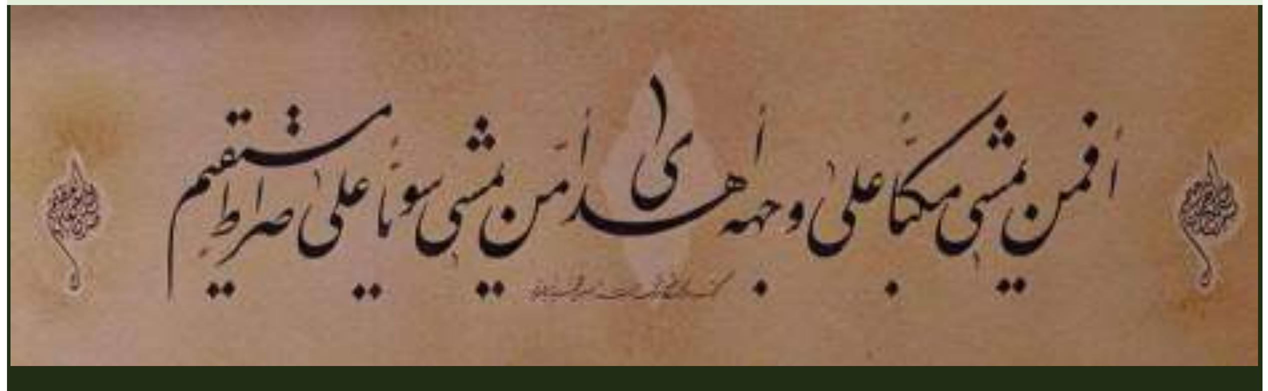
وفي الذكرى الخامسة للثورة كرر الشيخ نداءه للتظاهر والاحتجاج ضد الانقلابيين. لقد كان الشيخ وفيّا لدينه محبًّا لإسلامه ووطنه حين وجه يوم الاثنين، 25 يناير 2016 رسالة إلى شباب مصر بكل فصائله وتياراته في ذكرى الثورة قال فيها: "سينتصر الحق على الباطل، والعدل على الظلم، والخير على الشر! هذه هي سنة الله".

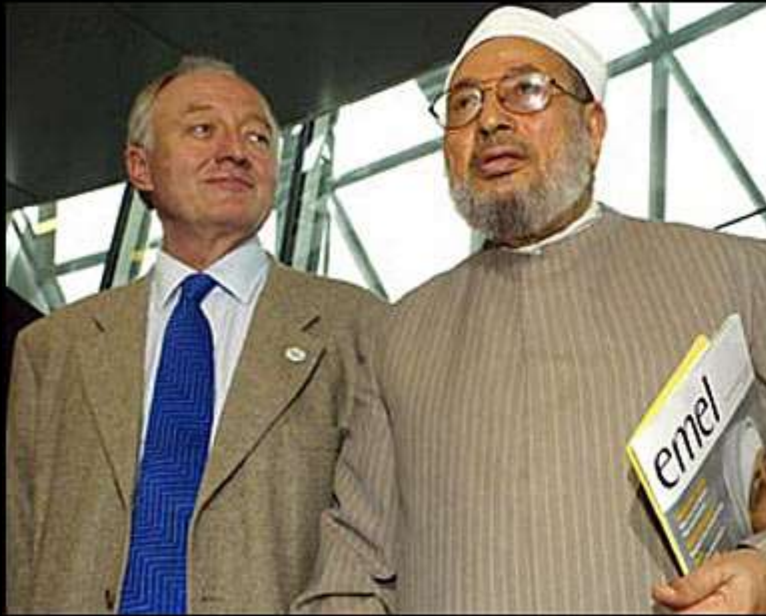
ودعا من خلالها كل الشباب إلى عدم اليأس والخروج ضد الظلم! "الله سينصركم على أعدائكم مهما كثروا".

وأضاف "إن كانوا كُثرًا فجند الله أكثر منهم وإن كانوا أقوياء فالله أقوى منهم! يد الله فوق أيديهم! إن كانوا مكرة فمكر الله أسرع منهم".

وختم العلامة القرضاوي رسالته " يا شباب مصر انهضوا ولا تيأسوا ولا تستسلموا لهؤلاء الظالمين! إن شاء الله سينتصر الحق على الباطل! سينتصر العدل على الظلم! سينتصر الخير على الشر! هذه هي سنة الله".

أما عن الشانئين الشاتمين في الخارج، فهذا شأن يحتاج كتابًا مستقلًّا لعل الله تعالى يعين يومًا على خراجه!





الشيخ وإنصاف بعض الخصوم

الشيخ وإنصاف بعض الخصوم

لم تكن خطوات العلامة القرضاوي على طريق من حرير، بل خاض الغمار، وواجه الضرار، وواجه الكثير من العنت والتربص، والسب والحط، وطعنه من الظهر خصوم لا يملكون شيئًا من شرف الخصومة، ولا طهر القلب، ولا عفة اللسان. بل قد ألفت كتب في تكفيره وردته، والافتراء، وعليه وتقويله ما لم يقل، واجتزاء كلمات من سياق كتبه أو قاله، وبناء أبراج من الإهانة على أساس هارٍ من البهتان، لا على تقوى من الله ورضوان.

كل ذلك والشيخ لا يلتفت، ولا يعقب، ولا يهتم بجمع ذلك، ولا الإحاطة بحجمه.

ومع وجود الفوتوشوب بدأ بعض من سفهاء الأحلام، مراهقي الفكر، يرسمونه أو يشوهون صورته بشكل بدائي بذيء، من نوعية تلك الرسوم التي يجترحها بعض الأميين على أبواب الحمامات.

وللقرضاوي أنواع من الخصوم، كتب عنهم الأستاذ هشام النجار، الذي قال:

لا شك أن هناك جهات كثيرة تريد لصوت الشيخ القرضاوي أن يسكت، كما عبر عن ذلك مؤخرًا أحد الصحفيين المصريين بطريقة فجة بذيئة – وذلك في مقال رئيسي بصحيفة الأهرام المصرية التي يرأس تحريرها– قائلًا: "آن للقرضاوي أن يخرس" جامعًا بينه وبين محمد البرادعي في نفس العنوان، ربما تخفيفًا من وقع الصدمة وامتصاصًا لحجم الغضب المتوقع ضده.

وتفسيرًا لهذا الهجوم المتواصل على الإمام القرضاوي من مصادر متنوعة؛ فهناك جهات ثلاث تمثل أركانًا رئيسة للخصومة مع القرضاوي والعداء له ورفض صوته الذي سبب لهم ولمصالحهم مشاكل وخسائر لا أول لها ولا آخر، وربما جاء مقال ذلك الصحفي مؤخرًا مُعبرًا عن حجم الوجع والضرر الذي سببه القرضاوي بمواقفه وصوته الجريء لهذه الجهات ومناصريها وأعوانها وخدامها.

وهذه الأركان هي:

أولًا :أنصار المستبدين والطواغيت الصغار، الذين لا يزالون يقاومون المد الثوري في محاولات حثيثة للحفاظ على مصالحهم ومراكزهم التي ترسخت قواعدها خلال فوضى الأنظمة الديكتاتورية.

ثانيًا: أنصار إيران في الداخل المصري من المستفيدين من المال الطائفي الحرام للترويج للمذهب الشيعي في البلاد السنية وعلى رأسها مصر.

ثالثًا: أنصار التطبيع والمصالحة مع العدو الصهيوني من المستفيدين من أموال الهِبات والمعونات الغربية بشروط مسبقة تضع الأولوية لخدمة المصالح "الإسرائيلية"، وحماية أمن "إسرائيل" القومي، ورعاية وضعها الإستراتيجي، كقوة لا ينازعها أحد في منطقة الشرق الأوسط.

والطريف أن هذه الجهات الثلاث لم تتوقع بالمرة أن يكون صوت الشيخ القرضاوي هو الصوت الأكثر تأثيرًا ووضوحًا على تلك الأصعدة؛ نظرًا لما يُعرف به من وسطية الخطاب واعتداله وميله للحوار والحلول السلمية والتعايش!

فكان هذا الصوت الوسطي المعتدل الذي تحمله حنجرة شيخ مُسنٍّ جاوز التسعين من عمره هو مصدرَ الإزعاج الأول الذي أقلقَ وأرَّقَ هذه الجهات الثلاث وأنصارها وعملاءها في الداخل المصري، وربما أيضًا في الخارج العربي والشرق أوسطي والدولي! أ.هـ.

لكن شيخي أيضًا لم يعدم منصفين شرفاء، قالوا كلمة حق، ودافعوا عنه حين لزم الدفاع، ومنهم عمدة لندن كين ليفينغستون الذي وقف في وجه اللوبي الصهيوني في لندن مدافعًا عن القرضاوي، ودفع منصبه ثمنًا لدفاعه هذا، وقد كتبت الصحف عن ذلك، ومنها الخليج الإماراتية التي كتبت في 2008/04/22: دافع عمدة لندن كين ليفينغستون عن الداعية الإسلامي الشيخ يوسف القرضاوي قائلًا إنه حليف في الحرب ضد الإرهاب. وكانت جماعات الضغط الصهيونية قد هاجمت بشدة ليفينغستون، بعد دعوته منذ عامين للشيخ القرضاوي لزيارة لندن، والظهور معه في ندوة عامة، وزعمت هذه الجماعات أن القرضاوي يدعم الإرهاب.

وقال ليفينغستون، الذي يخوض معركة ضارية من أجل اعادة انتخابه في هذا المنصب المهم، وسط منافسة قوية من حزب المحافظين، إن الشيخ القرضاوي عالم ديني وحليف كبير في الحرب ضد الإرهاب، وهو يشجب تنظيم القاعدة. وينافس ليفينغستون في السباق للفوز بمنصب عمدة العاصمة البريطانية بوريس جونسون النائب المحافظ والصحافي السابق الذي توضح استطلاعات الرأي تقدمه على نحو ضئيل على غريمه. وأكد ليفينغستون خلال ندوة انتخابية له أن الشيخ القرضاوي هو الرجل الذي بوسعه أن يوضح أن القاعدة على خطأ.

ثم نجحت ضغوط اللوبي الصهيوني بعد خروج ليفنجستون، وفي عهد جوردون براوين، في منع القرضاوي من الدخول للعلاج – كما كتبت: الرأي 8 فبراير 2008 – قائلة:

منعت الحكومة البريطانية، الداعية الإسلامي المصري الشيخ يوسف القرضاوي من زيارة لندن لغرض العلاج، فيما استنكر المجلس الإسلامي الخطوة، واعتبرها استجابة لضغوط لوبي المحافظين الجدد المؤيد للصهيونية.

وكتبت صحيفة الصن أن الخطوة جاءت بعد تدخل رئيس الوزراء غوردون براون الذي أمر بعدم منح القرضاوي تأشيرة زيارة، مشيرة إلى أن وزارة الداخلية أكدت أنها لن تمنح سمة زيارة للقرضاوي، الذي وصفته الصحيفة بـ واعظ الكراهية الذي يدعو الى قتل مثليي الجنس. وأضافت أن مسؤولين في حزب المحافظين المعارض أكدوا أن براون اتخذ هذه الخطوة استجابة للضغوط التي مارسها زعيمهم ديفيد كاميرون، والذي وصف القرضاوي بالخطير، وطالب بمنع من نعتهم بوعاظ الكراهية، من زيارة بريطانيا.

ووصف مارك لينش، الخبير في العلوم السياسية والشؤون الدولية، ومدير معهد دراسات الشرق الأوسط بجامعة جورج تاون الأمريكية في تقرير أعده بمجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs الأمريكية المتخصصة في الشئون السياسية الدولية، وصف الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد

العالمي لعلماء المسلمين، بأنه "شخصية محورية" وسط الانقسامات داخل العالم الإسلامي حاليًا، فهو "مدافع شرس" عن المشاركة الديمقراطية، بما جعله "معشوق " الإسلاميين غير المتطرفين.

وقال لينش إن القرضاوي اشتهر بإيمانه بمذهب الوسطية الذي يضع به حلًّا وسطًا بين العلمانية والأصولية يرفض من خلاله التطرف، مضيفًا أن أحد مفاتيح شعبية القرضاوي تتمثل في قدرته على استباق وجهات النظر العربية والإسلامية، فهو مقياس لرأي عام المسلمين نحو قضية ما.

كما وصفه بأنه "الأكثر إدراكًا" بشعور الرأي العام العربي تجاه قضايا المنطقة، موضحًا أنه طالما قاد الرأي العام أو اتبع الكثير في رؤيته، فضلًا عن أنه يمتلك "سجلًّا حافلًا" في قيادة المناقشات، وقال إن القرضاوي يتمتع بشعبية طاغية وسط جموع المسلمين .

وكتب طاهر هاني في موقع قناة france24: يتمتع الداعية الإسلامي يوسف القرضاوي بتأثير كبير على حياة المسلمين في العالم. فالبعض يرى فيه الرجل الميسر الذي يدعو إلى الاعتدال والوسطية، البعض الآخر يتهم مواقفه المتطرفة، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية. فمن هو هذا الرجل الذي يستقطب الملايين؟

نشر القرضاوي أكثر من مئة كتاب معظمها تتناول قضايا الدين والفقه وعلوم الاجتماع، وهو يعتبر شخصية دينية وسياسية قوية حسب عبد الباري عطوان، رئيس تحرير القدس العربي، الذي التقاه أكثر من مرة في لندن والدوحة. ويقول عطوان إن القرضاوي يتمتع بشخصية وسطية معتدلة وهو رجل ييسر ولا يعسر، ويحترم حقوق المرأة والفتاوى التي يصدرها قريبة من الاعتدال!

اتخذ القرضاوي مواقف شجاعة، فأدان مرات عديدة عمليات انتحارية نفذتها القاعدة، وانتقد طالبان عندما حطموا تماثيل البودا في أفغانستان. كما ندد باعتداءات نيويورك في سبتمبر 2001 وتلك التي طالت المدرسة اليهودية بتولوز والجنود الفرنسيين. كما ندد في 2003 بالاحتلال العسكري الأمريكي للعراق وأصدر فتوى تبيح قتل المدنيين والجنود الأمريكيين في هذا البلد.

يعد القرضاوي من أبرز المساندين للقضية الفلسطينية وهو يدعم المقاومة بكافة أشكالها، فضلًا عن تأييده للعمليات الانتحارية التي تستهدف جنودًا إسرائيليين.

ويعتقد عبد الباري عطوان أن هذا الموقف هو الذي جعل اللوبي اليهودي في دول الغرب يمنعه من الدخول إلى بريطانيا في 2005 ومن ثم إلى فرنسا في 2012 ويصنف في خانة الدعاة المتطرفين. وأشار عطوان إلى التقاء مواقف قطر مع مواقف القرضاوي في بعض الأحيان، خاصة عندما تعلق الأمر بالإطاحة بالعقيد القذافي، أو كما هو الحال حاليًّا بالنسبة لنظام بشار الأسد. كما ساند بقوة الشعوب العربية التي انتفضت على حكامها مثل مصر وتونس وليبيا وسوريا وحتى اليمن.

لقد أتقن القرضاوي استعمال الإعلام والتكنولوجية الحديثة، إذ استخدم الجزيرة كمنبر للتعبير عن مواقفه الدينية والتواصل مباشرة مع الشعوب العربية. ويعتقد عبد الباري عطوان أن القرضاوي استفاد من الإعلام، وأن الإعلام استفاد منه أيضًا، باعتباره يملك شخصية مثيرة للجدل و"كاريزما" دينية وسياسية خارقة للعادة تستقطب المشاهدين بالملايين.

ونشرت مفكرة الإسلام: نقلًا عن صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية على صدر صفحتها الرئيسية أن عودة يوسف القرضاوى، عالم الدين المصرى البارز إلى مصر أثارت قلقًا واسعًا في الغرب.

وأضافت أن الرجل الممنوع من الدخول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ألقى أمس خطبة الجمعة الأولى له منذ 50 عامًا (!) بمصر من ميدان التحرير، ليصبح بذلك صوتًا مهمًّا في النضال من أجل تشكيل إطار للدولة المصرية بعد الإطاحة بالرئيس مبارك.

وأشارت الصحيفة إلى أن القرضاوى، وهو مقدم برنامج تليفزيونى شهير يصل متابعوه إلى عشرات الملايين حول العالم، خاطب جمهورًا يتجاوز عدده مليون مصرى تجمعوا في ميدان التحرير للاحتفال بالثورة ولتكريم الشهداء، وحث المصريين والعالم العربى على "عدم محاربة التاريخ"، وإدراك أنه "لا

يمكن تأجيل اليوم عندما يبدأ، فالعالم العربى بدأ يتغير".

ورأت "نيويورك تايمز" أن شهرة القرضاوى وبروزه تجسد الخطر المحتمل أمام الغرب في الوقت الذى تتفتح فيه الآفاق في البلاد، فبرغم إدانة عالم الدين الشهير لهجمات 11 سبتمبر، إلا أنه أيد عمليات المقاومة ضد "إسرائيل" والهجوم ضد القوات الأمريكية في العراق.

وشدد القرضاوى أمس بحسب الصحيفة الأمريكية على ضرورة إحلال الديمقراطية، والتعددية، تلك السمات التى طالما أكد عليها في كتاباته وخطبه، وبدأ خطبته بتجاهل افتتاحيته المعتادة بقول "أيها المسلمون"، ليقول بدلا من ذلك "أيها المسلمون والأقباط"، وأثنى على المسلمين والمسيحيين لوقوفهم جنبا إلى جنب في الثورة المصرية، بل وأشاد بـ"شهداء" الأقباط، الذين قاتلوا الرومانيين والبيزنطيين"! "أدعوكم للركوع والصلاة معًا".

وقالت بي بي سي عربي: وفي الشأن نفسه ومن الجارديان مقال بعنوان "لو كان القرضاوي متطرفا فمن المعتدل؟". يقول كاتب المقال، سوهيب (صهيب) بوتا المتحدث باسم اتحاد مسلمي بريطانيا، إن كلمة "معتدل" أصبحت تعني في الغرب "عدم مساندة تنظيم القاعدة".

ويقول بوتا إن المسلمين ينظرون إلى القرضاوي باعتباره مثالًا لامعًا على الاعتدال من المنظور الإسلامي! غير أن زيارة القرضاوي تعرضت لحملة عدائية واسعة من جانب وسائل الإعلام البريطانية حتى أن صحيفة ذا صن وصفته بأنه "الشيطان" في مقال بعنوان "لقد حل الشر" والبعض دعا إلى طرد الداعية الإسلامي من بريطانيا.

ويقول بوتا إن كل ذلك يصيب المسلمين بالاكتئاب ليس على شخص القرضاوي وإنما لأنه إذا كان القرضاوي متطرفا فمن هو المعتدل إذن؟

ويضيف أن أحد الأسباب وراء دعوة القرضاوي إلى بريطانيا هو اتاحة الفرصة أمام الشعب ووسائل

الإعلام البريطانية لطرح تساؤلاتهم إلى داعية إسلامي معتدل. ومن الممكن مناقشة وانتقاد أية آراء مثيرة للجدل أدلى بها القرضاوي مع منحه الفرصة للتوضيح والدفاع عن وجهه نظره.

ويوضح بوتا أن التصريحات التي نقلت عن القرضاوي كانت تنقل عنه بصورة خاطئة أو بعيدا عن سياق معناها. ويتساءل عمن يتعين على مسلمي بريطانيا إتباعه اذن؟ مشيرا إلى أن الصحف البريطانية وصفت في مايو الماضي خطط الحكومة البريطانية إلى تشجيع بعض الداعين الإسلاميين – ومن بينهم حمزة يوسف وعمرو خالد وصهيب ويب – أن جميعهم يحترمون آراء القرضاوي.

ويقول إن المعتدلين الحقيقيين هم من يقولون أحكام الإسلام حتى وإن تعارضت مع الآراء العلمانية في الغرب. وأنه علينا أن نفخر بأن القرضاوي لم يخش أن يقول إن "العمليات الاستشهادية التي ينفذها الفلسطينيون هي سلاح الضعفاء". وكون رابي ويس أيده يعكس بوضوح أنه لا وجود لمزاعم معاداة السامية.

إن حرية التعبير عن الرأي هي من مصادر افتخار بريطانيا ويتعين أن تشجع على إدارة الحوارات بين الثقافات المختلفة. فإذا كان للبعض تساؤلات حول الإسلام عليهم أن يرفعوها في الوقت والمكان المناسبين.
– الولايات المتحدةarabic.cnn.com/2010/middle_east/1/24/!/index.html

وكتبت الفاينانشيل تايمز في 2011/12/9 إن القرضاوي يقود مسيرة حاشدة في ميدان التحرير، فبراير 2011 " تظهر الإسلاميين باعتبارهم أكبر قوة سياسية في العالم العربي، وذوي وجهات نظره واقعية حول الإسلام والديمقراطية يمكن أن تكون دليل اعتدال مفيد للمجتمعات العربية.

وكتب ديفيد شينكر عن القرضاوي والصراع من أجل الإسلام السُنِّي The Washington Institute for Near East Policy في أكتوبر 2013 يقول:
في الوقت الذي يلتهم فيه الصراع السني/الشيعي العراق والبحرين وسوريا ولبنان، نجد أن الأخبار المرتبطة بالطائفية هي التي تهيمن على عناوين الأخبار الخاصة بالشرق الأوسط هذه الأيام. لكن

هناك صراعًا آخر داخل الطائفة السنية لا يقل أهمية عن الأول، وتنكشف فصوله بين مختلف الدوائر الإسلامية، وتلك الأكثر ميلًا للعلمانية في جميع أنحاء المنطقة. وفي هذا الصدد، يعتبر عالم الدين المصري يوسف القرضاوي – الذي يتخذ من قطر مقرًا له – رمز هذا الصراع. فعلى الرغم من أنه قدّم نفسه لسنوات كرائد تيار "الوسطية" الإسلامي المعتدل، إلا أنه أصدر في الأشهر الأخيرة فتاوى مثيرة للجدل تدعم الصراع بين السنة والشيعة في سوريا، وتؤيد إعادة الرئيس الإسلامي المخلوع محمد مرسي إلى منصبه. وقد وضعت هذه الفتاوى رجل الدين البالغ من العمر سبعة وثمانين عامًا في قلب اثنين من القضايا الأكثر استقطابًا في المنطقة.

يعتبر القرضاوي رجل الدين السني الأكثر أهمية في الشرق الأوسط. فبالإضافة إلى رئاسته لـ "الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين"، فهو أيضًا كاتب غزير الإنتاج، ويلمع في برنامجه الذي يُعرض يوم الأحد من على قناة "الجزيرة" وقت ذروة المشاهدة، حيث يصل عدد متتبعيه إلى حوالي 60 مليون مشاهد. كما أنه النجم الهادي والمُنظّر الأيديولوجي للإخوان المسلمين، فضلًا عن كونه داعمًا لفرع الجماعة الإرهابي (هكذا) الفلسطيني – حماس. وفي الوقت نفسه، يعتبر مدافعًا صريحًا عن الديمقراطية والإصلاح السياسي.

إن وجهات نظر القرضاوي – حول التفجيرات الانتحارية ضد إسرائيل (التي يراها مشروعة)، وضرب الزوجة (جائزًا إذا كان "خفيفًا")، والشيعة (الذين يطلق عليهم اسم "الزنادقة ")، وغيرها من القضايا – لطالما جعلته شخصية مثيرة للجدل في واشنطن والغرب. ومع ذلك، ينظر إليه في الشرق الأوسط منذ فترة طويلة على أنه معتدل نسبيًا – على الأقل حتى وقت قريب، عندما أصبحت تصريحاته أكثر استفزازية ومسببة للانشقاق على نحو غير معهود. وقبل بضعة أسابيع، استقال نائبه في "الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين"، رجل الدين الموريتاني عبد الله بن بيه، من منصبه بسبب خلافات حول مصر وسوريا كما يُزعم.

ولقد كان الهجوم بالأسلحة الكيميائية بالقرب من دمشق في 21 آب/أغسطس العامل المحفز

لحصول تحول أيديولوجي في نظرة القرضاوي تجاه سوريا. وفي ذلك الحين، كان نظام الأسد قد قتل بالفعل عشرات الآلاف من السوريين بالوسائل التقليدية، وهي مجزرة أدانها القرضاوي باستمرار من منبره في قطر. حتى إنه طلب من واشنطن – أثناء خطبة ألقاها خلال صلاة الجمعة في نيسان/أبريل – أن تقوم بحماية الشعب السوري كما فعلت مع الليبيين.

ولكن من الواضح أن استخدام النظام السوري للأسلحة الكيماوية لقتل ما يقرب من 1500 شخص من المدنيين – بينهم مئات الأطفال – كان النقطة الفاصلة بالنسبة لرجل الدين. ففي أعقاب الاعتداء السوري، أصدر القرضاوي فتوى دعا فيها "كل مسلم سني كان قد تلقّى أي تدريب عسكري إلى الذهاب، وقتال الشيعة والعلويين في سوريا". كما أعلن أيضًا أن العلويين – والعلوية هي فرع من الإسلام الشيعي يتم اتباعه من قبل نظام الأسد – كانوا حتى أكفر من اليهود.

وفي أيلول/سبتمبر، عندما بدا لفترة وجيزة أن واشنطن تعد العدة لتوجيه ضربة جوية ضد سوريا، بارك القرضاوي هذه العملية علنًا. حيث قال "نحن [العرب السنة] لا نمتلك مثل هذه القوة، لذا فإن عاقبهم غيرنا، فهذا أفضل من لا شيء". ومع ذلك، فخشية أن يسيء أحد كلامه، ويعتبره علامة إعجاب بالولايات المتحدة، أضاف قائلًا "إن الله يهلك الظالمين بالظالمين".

لقد أشارت الدعوة إلى الجهاد في سوريا – بما في ذلك ضد حزب الله الشيعي اللبناني الذي كان قد دعمه القرضاوي سابقًا لعمليات "المقاومة" التي يقوم بها مستهدفًا إسرائيل – إلى احتضان غير مسبوق للطائفية. ويقينًا، فإنه من غير المرجح أن يستاء العديد من أهل السنة بحدة القرضاوي تجاه سوريا في ضوء الفظائع المتزايدة هناك. بيد أن بعض دوائره التقليدية تخالفه الرأي بوضوح في هذا الصدد؛ وأبرزها، الفرع الأردني لجماعة الإخوان المسلمين الذي لا يزال يعارض التدخل العسكري الخارجي في سوريا. وفي أواخر أغسطس، أصدرت جبهة العمل الإسلامي الجناح السياسي لهذه الجماعة، بيانًا قالت فيه إن مثل هذا التدخل لن يؤدي إلّا إلى تحقيق مصالح الصهاينة والأمريكان.

وقد أثبت موقف القرضاوي تجاه مصر أنه أكثر إثارة للجدل. فسابقًا عرض عليه الإخوان مرتين

منصب "المرشد العام" (الذي رفضه)، وكان مناصرًا قويًّا لصعود الجماعة الأخير إلى السلطة ورئاسة مرسي. لذا لم يكن مفاجأة أن رد فعله على العمل العسكري في تموز/يوليو الذي أدى إلى خلع مرسي وأودى بحياة العديدين من أنصاره قد وصل إلى حد العجز عن الحركة. فبعد عدة أيام من عزل مرسي، أصدر القرضاوي فتوى قال فيها "حرام على مصر أن تفعل هذا!لا يمكن أن يحدث بعد هذا سوى غضب الله وعقابه". وأصدر فتوى أخرى يدعو فيها "المسلمين من مختلف أنحاء العالم" أن يصبحوا شهداء في مصر – وهي دعوة للجهاد أساسًا. وقال القرضاوي: "سوف يسألك الله في يوم الحساب إن كنت قد شاهدت هذه المجازر البشرية وقعدت في بيتك".

وفي 14 آب/أغسطس، ظهر القرضاوي على قناة "الجزيرة" المصرية عقب قمع الجيش لاعتصام الإخوان في القاهرة، تلك الأعمال التي أودت بحياة المئات من نشطاء الجماعة. وقد كان مهتزًّا بشكل لا تخطئه العين، وناشد المصريين بحماسة قائلًا "انزلوا إلى الشوارع" وواجهوا الجيش، ووصف ذلك بأنه "فرض عين على كل مسلم مصري قادر، ومؤمن بأن يترك منزله".

وفي وقت لاحق من ذلك الشهر هاجم القرضاوي على قناة "الجزيرة" وعبر بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين مفتي الديار المصرية السابق علي جمعة لإصداره فتوى تدعم الإطاحة بمرسي.

وبالنسبة لجمعة، عكست مشاركة الملايين من المتظاهرين المناهضين لمرسي تفويضًا شعبيًا من أجل التغيير. ومع ذلك، فبالنسبة للقرضاوي، كان جمعة بمثابة "متحدثًا باسم الجيش"، و"عبدًا للشرطة والمسؤولين في السلطة"، ومتعهد الفتاوى "الشاذة".

وفي خطوة أبعد من ذلك، وصف القرضاوي أيضًا أنصار الانقلاب من الجيش والمصريين كخوارج. وحتى إنه لقب وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي بأنه خائن "سيعاقبه الله في الدنيا قبل الآخرة". وحذر من أن هؤلاء [السيسي ورئيس الجمهورية المؤقت ووزير الداخلية] هم "قتلة سيقتلهم الله".

إن طعن القرضاوي في جمعة – الذي خدم لسنوات كمسؤول ديني معين بأجر من قبل مبارك –

فتح موضوعًا حساسًا جدًّا. وردًّا على ذلك، أعرب جمعة من على شاشة التلفزيون المصري بأن "القرضاوي رجل (عجوز) ويعاني من مرض فقد الذاكرة". وبالمثل، فإن بعض زملاء جمعة في جامعة "الأزهر" – المؤسسة الدينية البارزة في مصر – انتقدوا القرضاوي لزرعه الفتنة بين المسلمين، وعزوا سوء تقديره إلى "الخرف".

كما اختلف بعض الإسلاميين المصريين الآخرين مع تدخل القرضاوي في الشؤون السياسية الداخلية. على سبيل المثال، وصفه "حزب مصر" ذو الميول الإسلامية، بأنه "خائن"، وطالب بإلغاء جنسيته. وأعلن مسؤول "حركة الجهاد الإسلامي" المصرية نبيل نعيم أن فتاوى القرضاوي كانت "في خدمة أمريكا وإسرائيل".





حملات ضد الشيخ

حملات ضد الشيخ

الحملات ضد الشيخ كثيرة ضارية، لكنها ازدادت ضراوة وسعارًا، واتسعت انتشارًا بعد ثورات الربيع العربي، وأضحت الدول تتسابق في التلفيق له، واتهامه والادعاء عليه! وبالمقابل وقف قلوب الملايين حوله، وأقلام ألوف المثقفين تناصره، وسأضع نماذج يسيرة في هذا المقام، وإلا لطال جدًّا:

فحين شن الشيعة الروافض حملتهم الضارية على الشيخ الجليل، أصدر مئات من المثقفين والمفكرين العرب بيانا شديد اللهجة في معرض إعلانهم التضامن الكامل مع الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ضد الهجمة الشرسة التي يتعرض لها من المراجع ووسائل الإعلام الشيعية؛ بعد أن فضح الجهود الإيرانية للتسلل إلى المجتمعات السنية وتشييعها، وبين خروج الشيعة من دائرة الفرقة الناجية لبدعهم وتكفيرهم الصحابة، وأكدوا أن تلك الحملة تكشف عن أحقاد تاريخية لم يثنها تسامح العلماء السنة معها. وفيما يلي نص البيان:

بيان من المثقفين حول التطاول على العلامة القرضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقى المثقفون الموقعون أدناه بأسف بالغ حملة الافتئات والتشويه الظالمة والمتعمدة من مراجع ووسائل إعلام شيعية للشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، والتي تناولت جملة من الأكاذيب والافتراءات منبتة تماما عن الصحة.

وإذ تناقلت وكالات الأنباء ردود الأفعال غير المسؤولة من قبل هذه المرجعيات والوسائل؛ فإننا نعرب في المقابل عن استهجاننا لهذا التطاول، وتلك الفريات التي ألصقت بالشيخ زورًا وبهتانًا.

ونوضح أننا لم نفاجأ بتلك الحملة؛ كونها صدرت من جهات لها مواقفها السلبية ممن هم أعظم مكانة عند الله من الشيخ القرضاوي، وهم وجوه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله

عنهم أجمعين، وشامة هذه الأمة، وعنوان قيمها، وسبيل الوحي المنزل إلينا والسنة المطهرة، كأبي بكر وعمر وعثمان، وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه، فشهد الله لهم بالرضوان ورسوله.

كما نؤكد على أن الحملة التي تشن على الشيخ القرضاوي اليوم تمس كل غيور على دينه، محافظ على أصالته وقيمه!

وإننا نشاطر العلامة القرضاوي حفظه الله محنته التي سبقه إليها المصلحون والعلماء المسلمون في سائر البلدان والأزمان، ونعلن تضامننا معه، ووقوفنا في صفه، وهو يواجه تلك الحملة، التي تكشف عن أحقاد تاريخية، لم يثنها تسامح العلماء السنة معها، لاسيما الشيخ القرضاوي، الذي كان أحد رموز الوحدة الإسلامية، ودعاتها البارزين.

وحيث نتابع بقلق تداعيات هذه الأزمة المترتبة على هذا التداعي على تصريحات الشيخ، ونهش سمعته، وتاريخه الناصع، نود أن نوضح ما يلي:

أولًا: أننا لا نستغرب إطلاق هذه الافتراءات، من أناس استمرؤوا الكذب حتى على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من علماء الأمة وأئمتها، وإنما نستهجن هذا الصمت المطبق من جانب جهات إسلامية، وقوى إسلامية، على هذا التطاول على قمة سامقة من رموز الشرع والعلم في هذا العصر، نال الاحترام في كافة الأوساط.

ثانيًا: أننا نعلم أن لهذا المساس بالشيخ الفاضل ما بعده من محاولات التشكيك فيه، وتعويق مسيرة التسامح التي يمثلها، وإطلاق الأراجيف والأكاذيب حوله، وبدلًا من توجيه الهدف نحو الاحتلال والهيمنة الخارجية يتم تقويض كل مسعى نحو الالتقاء حول أي قضية مشتركة!

ثالثًا: أننا ندرك أنه في حين تبرم دولة إيران الاتفاقات مع من كانت تسميهم في الماضي بالشيطان الأكبر بشأن تقسيم العراق وأفغانستان نفوذًا معها، وتتعاون سرًّا وجهرًا مع الأمريكيين والإسرائيليين، وتضع يدها في يد أعداء هذه الأمة، حيث يقول مستشار الرئيس الإيراني السابق

أبطحي: لولانا ما استطاعت الولايات المتحدة غزو العراق وأفغانستان، ويحل الرئيس الحالي ضيفًا على واشنطن، ويعالج سيستاني بلندن؛ فإن القرضاوي ممنوع من السفر للعلاج في أي من الدولتين!

رابعًا: أننا نود أن نذكر جموع المسلمين بأن من يكرس الطائفية في العالم الإسلامي هو من ساهم في تذبيح وتشريد وتهميش أهل السنة في كل من العراق وإيران، وما زال يحرك الفتنة في الخليج واليمن ولبنان، وتخلو أجندته من تحريك بيادقه في اتجاه تل أبيب وواشنطن ولندن، وأن من يقوم بجهد تشييعي في الداخل السني لا يقوم بنظيره في الخارج غير المسلم.

خامسًا: أن بيان الشيخ القرضاوي – على هدوئه – لا ينبغي أن يكون نهاية المطاف من لدن علمائنا الكرام، في تبصير الناس بما يلتبس عليهم، في وقت تطلق فيه الشبهات على أهل السنة عبر الفضائيات الشيعية، التي تنشر في برامجها ما لا يليق بهذا الدين الحنيف، وتبوح بما كانت في الماضي تخبئه تحت طائلة التقية والمداراة، وأنه لا بد وأن تتضافر الجهود الرسمية والشعبية من أجل منع هذه البلبلة والتشويش المتعمد على أصول وعقائد وثوابت المسلمين.

سادسًا: أن واجب الإعلام الإخباري والديني أن يقف منافحًا عن جادة الحق وأصول الدين وعقيدته الغراء، وألا يكون معبرًا للتلبيس على المسلمين فيما استشكل عليهم في شؤون دينهم، وأن ينطلق من ثوابت أخلاقية وعقدية تجعل مصلحة الأمة الإسلامية ووحدتها هدفًا ساميًا، لا يمر من خلال هذا الغثاء المعرفي الذي يقذف شبهاته في عقول المشاهدين. والله من وراء القصد.

هذا، وقد كان من أبرز الموقعين على بيان التضامن مع الشيخ القرضاوي:

- د/ أحمد طه ريان عميد أسبق لكلية الشريعة والقانون –جامعة الأزهر
- أ.د/ محمد عبد المنعم البري المراقب العام لجبهة علماء الأزهر
- الشيخ فرحات السعيد المنجي من كبار علماء الأزهر
- أ.د/سيد السيلي أستاذ العقيدة والثقافة الإسلامية بكلية الأزهر

- أ.د/ عبد الحليم عويس أكاديمي ومؤرخ مصري
- أ.جمال سلطان كاتب وإعلامي مصري
- د/عبد الله عبد الحميد سمك أستاذ جامعي
- د/ عبد العزيز مصطفى كاتب ومفكر إسلامي مصري
- د/حمدي عبيد رئيس مركز التنوير للدراسات الاستراتيجية
- د/ مالك الأحمد أكاديمي وإعلامي سعودي
- أ.أنور قاسم الخضري رئيس مركز الجزيرة للدراسات باليمن
- محمود سلطان رئيس تحرير صحيفة المصريون
- أ.وائل عبد الغني إعلامي وصحفي مصري
- أ.محمد أبو رمان مدير تحرير الدراسات في صحيفة الغد اليومية الأردنية
- أ.أمير سعيد كاتب وباحث سياسي مصري
- د/معز الإسلام عزت فارس أستاذ جامعي–جامعة البترا الأردنية
- أ.ممدوح إسماعيل محام ومثقف مصري
- د/محمد المنصور رئيس جمعية الصحب والآل بنيجيريا.
- أ.خالد روشه أكاديمي ومفكر مصري.
- د/محمد العتيق إعلامي سعودي
- د.أكرم كساب داعية إسلامي عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
- أ.أحمد بن عبد العزيز القايدي مدير تحرير مجلة التجديد الثقافي

- **د/عمرو عبد الكريم كاتب ومحلل سياسي بالكويت**
- **الشيخ أشرف عبد المقصود كاتب وباحث شرعي**
- **محمود عطية رئيس تحرير جريدة الدبلوماسي الدولي**
- **أ.خالد الشريف كاتب صحفي مصري**
- **د.صلاح سلطان مستشار بالبحرين**
- **أ.وفاء سعداوي صحفية وباحثة مصرية**
- **د/ناصر دكيدك أستاذ جامعي أردني**
- **د/محمد طلعت حرب أستاذ جامعي مصري**
- **د/ فرج الله عبد الباري عطا الله أستاذ جامعي مصري**
- **د/ جمال مصطفى النجار أستاذ جامعي مصري**
- **د/محمد حنفي أستاذ جامعي**
- **د/عبد التواب محمد عثمان أستاذ جامعي**
- **د/نبيل عبد السلام هارون أستاذ جامعي**
- **د/عرفات محمد عثمان أستاذ جامعي**
- **د/أشرف البحراوي أستاذ جامعي**
- **د/ حاتم الحاج مدرس بأكاديمية الشريعة بأمريكا**
- **د/أحمد السيد أكاديمي أزهري**
- **د/فاروق الشمري أكاديمي بحريني**

- د/مازن صلاح مطبقاني أستاذ جامعي بالسعودية
- د/ عادل هادي استشاري تخدير وعناية مركزة – كلية الطب بمصر
- أ.كاميليا حلمي رئيسة لجنة المرأة بالمجلس الإسلامي العالمي
- أ.أسامة شحادة رئيس لجنة الكلمة الطيبة بالأردن
- أ.مصطفى الأزهري مدير الإعداد الفني بقناة الناس الفضائية
- أ.طارق ديلواني كاتب أردني بالكويت
- د.محمد نظمي محمد الشيخ حسن أستاذ بجامعة البترا
- د.أحمد بن الحسين السليماني أستاذ التاريخ القديم بجامعة الجزائر
- أ.الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي، بيروت
- د.فاتن حلواني أستاذة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة
- أ.عائشة السليماني أستاذة بجامعة الطائف
- د.محمد الروكي أستاذ بجامعة محمد الخامس
- الشيخ شاهد جنيد نائب رئيس الجامعة السلفية ببنارس الهند
- الشيخ أصغر علي إمام أمين عام جمعية أهل الحديث بعموم الهند
- نوفل المعاوي باحث ـ جامعة أوسلو
- د.محمد السليماني أستاذ جامعي، إيطاليا
- أ.عصام زيدان كاتب
- أ.خباب بن مروان الحمد باحث وداعية إسلامي

وحين هب الإعلام العلوي الباطني ضد الشيخ كتبت نخبة من مثقفي سوريا وعلمائها بيانًا قالوا فيه:

نحن الموقعين أدناه:

نعتذر لفضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، وننتصر لمدرسة ورثة الأنبياء من حملة العلم الشرعي القائمين على أمر الله بالحق، (الذين يبلغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحدًا إلا الله؛ وكفى بالله حسيبًا)!

نعتذر لشهود الحق من رجال الإعلام الحر الشريف، الذين يبحثون عن الحقيقة ويوثقونها بالصورة والصوت والكلمة، وننتصر لقنوات إعلام الصدق والنزاهة وفي مقدمتها قناة الجزيرة بما تؤديه بإدارتها والعاملين فيها من أمانة وشهادة على الحق وانتصار للمظلومين!

يحوك إعلام النظام السوري بإدارته وعامليه والحاطبين في حباله حملة من الإفك والافتراء والأكاذيب لتشويه ثورة الشباب السوري على الاستبداد والفساد والظلم فما يزال فريق الشر هذا يتخبط في وحل الأكاذيب والترهات والأباطيل مما يبعث على الضحك والبكاء في وقت معا؛ الضحك على التفاهة والسفاهة وضيق النفوس وصغر العقول، والبكاء على ما آل إليه أمر سورية الوطن والإنسان أن تصبح نهبة لعصبة الزور والإفك من الناس!

ويستطير شر الأشرار وسفاهة السفهاء لتمتد ألسنتهم بالسوء إلى شيخ الإسلام وسلطان العلماء في هذا العصر، فترميه بالإفك، وتناله بما يعتمر في نفوس هؤلاء السفهاء من نتن وخبث وسوء، وحسب الشيخ الكريم في هذا المقام قوله تعالى: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور!) وهل يبسط لسانا في المؤمنين الصالحين المصلحين إلا كل خوان كفور (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر!) حقدًا على رجال الإسلام، ونفاقًا لمن باعوه دينهم لقاء عرض من الدنيا قليل!

وإذا أتتك مذمتي من ناقص *** *** فهي الشهادة لي بأني كامل

ويتطاول هؤلاء المجرمون الصغار الذين قلعوا أظافر الأطفال، ووطؤوا رؤوس مواطنيهم بالأقدام بلا خجل ولا حياء، واستباحوا الدماء وقتلوا الأبرياء؛ على قناة الجزيرة التي ما زالت تنصح لهم،

وتقارب برفق سوءهم حتى طفح كيلهم وتجاوز سيل سوئهم الزبى!

نعتذر للشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي باسم كل الأخيار من أبناء الشعب السوري ونعلن له ولاء ونصرة!

نعتذر إلى رجال الإعلام الحر، ونحيي شهداء الحقيقة شهداء الكلمة والصورة ونحيي قناة الجزيرة وأخواتها من العاملين على خدمة مشروع الحق والحقيقة، بإداراتها وكوادرها والعاملين فيها!

ونعلن براءتنا من القتلة والمجرمين والمتحدثين باسمهم والمنتصرين لهم والمتعاطفين معهم. (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين).

الموقعون!

-1علي صدر الدين البيانوني: المراقب العام السابق جماعة الإخوان المسلمين في سورية

-2وليد سفور: اللجنة السورية لحقوق الإنسان

-3نوال السباعي: كاتبة سورية دمشقية مقيمة في مدريد

-4زهير سالم: الناطق الرسمي باسم جماعة الإخوان المسلمين

-5ملهم الدروبي: مهندس كند

-6صابر زكية: رجل أعمال كندا!

-7أحمد سواس: طبيب – حلب مقيم في المنفى

-8محمد نديم مصطفى: تاجر في المنفى

– 9عبد الكريم يوسف: تاجر في المنفى

– 10محمد وليد جاموس: سوري منفي

– 11عدنان حاج أحمد: سوري منفي

– 12عبد الله صايم الدهر: سوري منفي

– 13محمد فاروق الإمام: كاتب صحفي في المنفى

14– عبد الحليم الخطيب: سوري منفي

15 – عبد الله سالم: مهندس في المنفى

16 – سليم عبد القادر: شاعر وكاتب

17 – أحمد حسن الضاهر: طالب دراسات علي

18 – بدر الدين حسن قربي: كاتب صحفي – كند

19– إبراهيم درويش: الناطق باسم وحدة العمل الوطني لكرد سورية

20 – جلال الجودي: نائب الناطق باسم وحدة العمل الوطني لكرد سورية!

21– محمد أحمد الكردي: مسئول العلاقات الخارجية في وحدة كرد سورية

22 – نداء شبارق: طبيبة – لندن

23– طاهر إبراهيم الحمدو: مهندس – في المنفى

24 – رسلان محمود المصري: رابطة العلماء السوريين

25 – عبد الله زنجير: كاتب سوري

26– محمد بسام اليوسف: عضو مؤسس في رابطة أدباء الشام

27 – صالح محمد مبارك: أكاديمي سوري

28 – محمد صادق شيخ الذيب: مهندس

29 – عثمان قدري مكانسي: كاتب وباحث وشاعر

30 – معاوية يوسف: مهندس برمجيات

31 – لؤي عبد الباقي: باحث وإمام وخطيب/ استرالي

32 – موسى الإبراهيم: رابطة العلماء السوريين

33 – رياض علي الشهابي: مهندس عمارة في المنفى

34 – بنان يوسف: مهندسة حاسوب

35 – أحمد عز الدين البيانوني: مستشار تكنولوجيا معلومات

– **36سليمان عواد الخالد: داعية في المنفى**

– **37أسامة السيد عمر: مهندس اتصالات**

– **38بشرى يوسف: طالبة جامعية**

– **39نجدت الأصفري: كاتب وداعية إسلامي**

– **40طريف السيد عيسى: ناشط سوري**

–**41عبد الودود يوسف: طالب جامعي**

–**42عائشة شعبان: داعية ومدرسة شريعة**

– **43إلهام صبري: داعية ومدرسة شريعة**

– **44كمال قدري مكانسي: مدرس**

– **45أحمد ناصر: تاجر**

– **46يوسف شرو: كردي سوري**

– **47غسان بنقسلي: داعية سوري في المنفى**

– **48محمد قطريب: مهندس في المنفى**

– **49عبد السلام عيسى السلامة: مهندس في المنفى**

– **50عائشة غزال: مدرسة شريعة**

– **51ميسرة سالم: باحثة ومترجمة**

– **52محمد فتوح: مدير تحرير أخبار الشرق**

– **53محمود عثمان: كاتب صحفي/ تركية**

– **54مروان أحمد حجو**

– **55هبة سالم: طالبة دراسات عليا/ لندن**

–**56مجد أحمد: المشرف على موقع رابطة العلماء السوريين**

–**57الشيخ محمد علي الصابوني: رئيس رابطة العلماء المسلمين – حلب**

58- الأستاذ علي صدر الدين البيانوني: المراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين

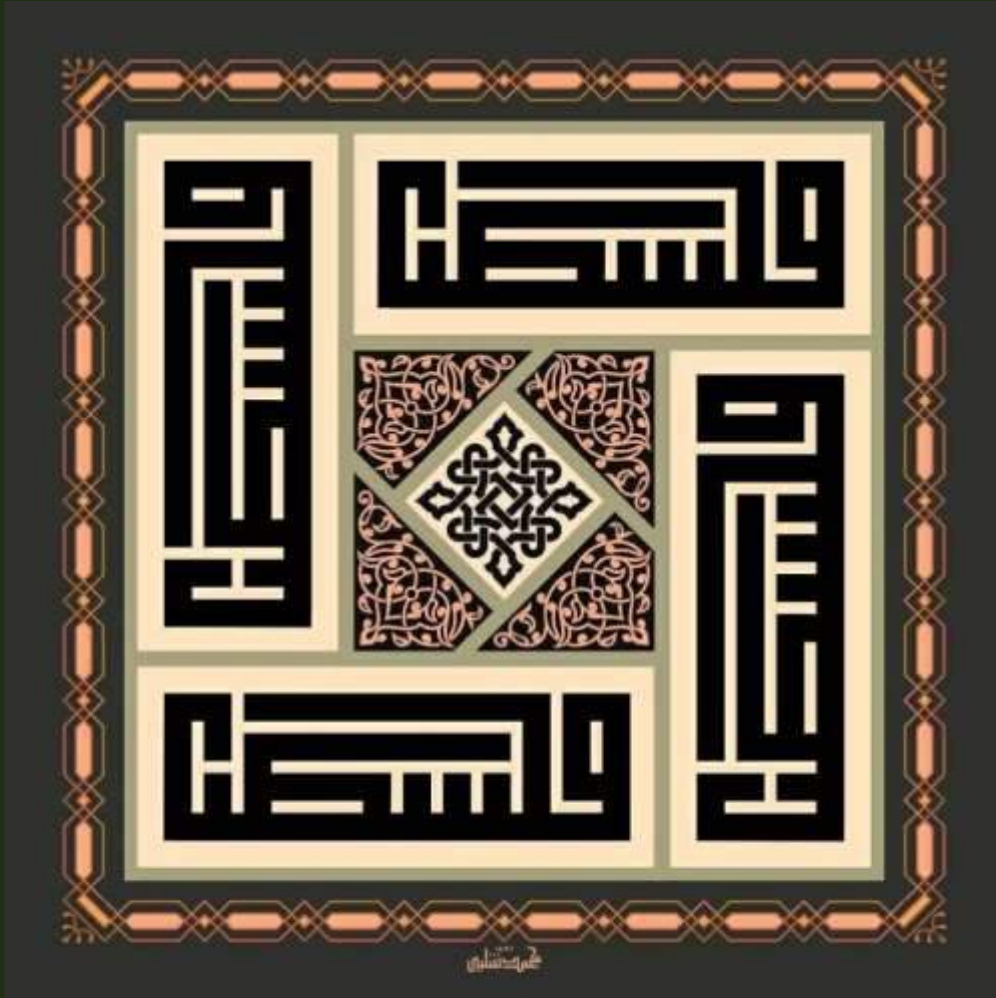
59- الشيخ محمد فاروق البطل: الأمين العام لرابطة العلماء السوريين

60- الدكتور عدنان زرزور: عالم وأستاذ جامعي – دمشق

61- الشيخ محمود أحمد الميرة: عالم وأستاذ جامعي حلب

62- المهندس محمد رياض شقفة: المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سورية

63- المهندس فاروق طيفور: نائب المراقب العام لجماعة الإخوان لمسلمين في سورية





مشاركات ومتابعات دولية قرضاوية

مشاركات ومتابعات دولية قرضاوية

لا تخفي متابعة العلامة القرضاوي لشؤون المسلمين والناس عامة، وما يدور من تظالم، وانتقاص للإنسان، وظلم وتجبر، يأباه الإسلام، والشرائع السماوية، والمواضعات البشرية المنصفة، وهذه عينات يسيرة من مشاركات الشيخ حفظه الله تعالى، في هذا الباب:

برقية القرضاوي إلى رئيس الحكومة الجزائرية بشأن تفجيرات الجزائر

أبعث إليكم بخالص عزائي في ضحايا العدوان الغاشم على المدنيين الأبرياء من أبناء الجزائر، الذي أدعو الله لهم أن يتقبلهم في الشهداء، وأستنكر أن يتم ذلك باسم الإسلام، الذي يقرر قرآنه مع كتب السماء.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

مكتب الرئيس

1428/3/24هـ – الموافق: 2007/4/12م

دولة الأخ الأستاذ/ عبد العزيز بلخادم!

رئيس الحكومة الجزائرية حفظه الله

أبعث إليكم بخالص عزائي في ضحايا العدوان الغاشم على المدنيين الأبرياء من أبناء الجزائر، الذي أدعوالله لهم أن يتقبلهم في الشهداء، وأستنكر أن يتم ذلك باسم الإسلام، الذي يقرر قرآنه مع كتب السماء: (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) المائدة:32، ويقول رسوله عليه الصلاة والسلام: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق".

والإسلام حتى في حروبه الرسمية العلنية بينه وبين أعدائه المحاربين، لا يقتل إلا من يقاتل: (وَقَاتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ، وَلا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة:190، (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ، فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} النساء:90.

إننا نناشد هؤلاء الشباب المفتونين أن يتوبوا إلى رشدهم، ويراجعوا فهمهم المغلوط، ويخرجوا من سراديبهم، ويجالسوا العلماء ويناقشوهم، ويدعوا فكر الخوارج الذي استباح دماء المسلمين، ومنهم ابن الإسلام البكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إنني أدعو إلى توحيد قوى الأمة كلها – حكامًا ومحكومين، مؤيدين ومعارضين – وأن يتحاوروا بالكلمة والحجة، لا بالقنبلة المفخخة، وقد حذرهم رسولهم فقال: "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض".

سيادة الرئيس، أحسن الله عزاءكم، وأعظم أجركم، وتقبل شهداءكم، ووقى بلدكم العزيز شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين



من الرئيس بوتفليقة للعلامة القرضاوي

تلقى فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي رسالة من الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، يشكره فيها على مشاعره تجاه الشعب الجزائري وبلده الجزائر، مؤكدًا على أن الرسالة التي تلقاها من القرضاوي كانت بمثابة النصيحة؛ لما احتوت عليه من آراء سديدة!

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي

حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:



تفضلت برسالتكم الغراء شاكرًا ممتنًّا؛ لما فيها من عواطف الصدق والإخاء تجاه شعبكم في الجزائر،

على إثر ما ارتكبته الفئة الضالة من جرم وإثم في حق الأبرياء، ولما حوته من كنوز القول، ودُرر النصيحة بما أنزل الحق، وبما هدى به الأقوام سيد الأنام عليه الصلاة والسلام إلى سبل الرشد والمحبة، والتعايش والسلام.

لقد استزدت انتصاحًا برأيكم السديد، وزدت ثباتًا على مبدأ المصالحة والمؤاخاة بين الناس، والدفع بالحسنى، وإشاعة السلم، والاجتهاد في طريق العدل والمساواة، والعمل على إرساء أسس نهضة اقتصادية تحرر الأمة من بؤس الفاقة، وربقة الدائنين، فتزكي أعمالها، وتنهض على نهج قيم خالٍ من الشطط والتطرف والغلو، محصن ضد التيارات الهدامة، ومظاهر الاستلاب والتفسخ.

ذلك دأبنا فضيلة الشيخ والأخ الكريم؛ بعد أن أمِننا الشعب على أرواحه وأرزاقه ومعتقده، وأيدنا في مسيرة الوئام والمصالحة الوطنية، كضامن لحقن الدماء، ونبذ الفرقة والشنآن، وجمع الناس على كلمة سواء.

ولن نستنكف بإذن الله تعالى عن سبيل المصالحة، مهما عتت نفوس البعض وتحجرت، ومهما صُمّت آذانهم عن سماع قول الحق واليقين؛ لاعتقادي الراسخ بأن هؤلاء المتطرفين والمغالين من تكفيريين ومجرمين، ومن يمولهم ويؤول لهم، ويشرع بغير ما أنزل الله، وبغير ما سنّ الرسول، وبغير ما اتفق عليه العلماء التقاة، هم على ضلال يخسؤون، ويكون مآلهم الخسر والهزيمة.

لقد أجابت رسالتكم عن هؤلاء، وأفحمت دعاواهم، وعرتهم من عللهم وأسبابهم وأهدافهم، فذكرتم من الآيات والأحاديث والأمثلة ما يقوض بنيانهم القائم على الضلال، كأنه عهن منفوش، وما يبطل هرطقاتهم، ويبعد انحرافاتهم.

وتلك لعمري من أنبل وأعظم مهام العلماء والفقهاء والوعاظ، في هذا الوقت الذي انبرى فيه رهط من غلاة القوم باسم الدين، من أصحاب "الفريضة الغائبة" على حد زعمهم، ففتنوا شبابًا على غير وعيهم، وألّبوهم على شعوبهم بفتاوى كاذبة وآراء "خارجية" لا قِبَل لديننا الحنيف بها، ولا لشريعتنا السمحة الغراء، فغدوا وبالًا ونقمة وعارًا على ديننا وأمتنا، ففسحوا بذلك للمتربصين

بديننا المجال، وهيؤوا لهم الذرائع لوسم أمة الإسلام بالإرهاب، وجريرة التخلف والعنف.

وإن لكم فضيلة الشيخ باعًا وتاريخًا في رأب الصدع بين المسلمين، وفي درء الأخطار والمكاره عنهم، من منطلق غيرتكم وحرصكم على حرمة دماء أبناء أمة لا إله إلا الله، التي ما فتئتم تدافعون عن امتدادها عن حرمة أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم في كافة أصقاع المعمورة، بقوة حجة، واقتدار في بذلكم لعظيم الجهد في مواجهة تيارات من الأفكار الشاذة التي يبتدعها هؤلاء وهؤلاء؛ حتى يشوهوا تعاليم ديننا السمحة، التي ظلت طوال التاريخ تتسم بالوسطية والاعتدال، ويضللوا شبابًا من أمتنا الإسلامية، ويروّعوا الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين بادعاء ما يسمونه جهادًا، والجهاد منهم براء.

فضيلة الشيخ والأخ الكريم:

أما وقد شفاكم الله، ومنَّ عليكم بالصحة والعافية والهناء، فما ذلك إلا من فضل الله ورعايته، فأنتم جديرون بكل محبة وتقدير ورعاية وإكبار، فلكم في قلوب الجزائريين والجزائريات مكانة الصدارة بما منَّ الله به عليكم من خلق حميد، وعلم غزير، وورع وتقوى، وبما تحليتم به طوال الحياة من وفاء لخدمة رسالة الإسلام بالوعظ والإرشاد، وبالإفتاء والاجتهاد، وبالتأليف ونصح العباد.

أغتنم أفضال هذا الشهر المبارك شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، مبتهلًا إلى الله أن يديم عليكم وعلينا نعمه، ويهدينا سواء السبيل، ويؤمن لأمتنا أسباب الرقي والازدهار، والمحبة والسلام.

وتفضلوا سماحة الشيخ والأخ الكريم بقبول دائم المودة والتقدير والاحترام.

أخوكم: عبد العزيز بوتفليقة

رسالة وزير خارجية فرنسا لفضيلة الشيخ القرضاوي



أبدى وزير الخارجية الفرنسي ميشيل بارنييه تقديره للشيخ العلامة يوسف القرضاوي بعد إدانته احتجاز الرهينتين الفرنسيين كريستيان شينو وجورج مالبرونو، برسالة قال فيها:

بمجرد عودتي من الزيارة التي قمت بها لمنطقة الشرق الأوسط، في إطار الجهود التي نبذلها من أجل إطلاق سراح الصحفيين الفرنسيين المحتجزين في العراق، فإني حريص على توجيه شكري البالغ الحرارة لكم، على حسن الاستقبال الذي قابلتموني به أثناء لقاءنا الذي تم في القاهرة، وعلى المساندة التي أبديتموها لنا في هذه اللحظات الصعبة.

وبإدانتكم القاطعة لاحتجاز الرهائن الفرنسيين، فإنكم وجهتم رسالة واضحة بدون لبس أو غموض في احترام القيم التي يحمل رايتها الإسلام.

ولقد عملت فرنسا دائمًا على ضمان المساواة بين جميع الأديان، وحمايتها في إطار القانون العام، وسوف تواصل عملها في هذا الاتجاه.

إن حياد الجمهورية الفرنسية إزاء الأديان يعد جزء لا يتجزأ من هويتنا، كما أن رد الفعل النموذجي لمسلمي فرنسا شاهد ساطع على انتمائهم الكامل للأمة الفرنسية.

وإني إذ أجدد لفضيلتكم آيات شكري على مساعدتكم الثمينة أرجو منكم فضيلة الشيخ قبول فائق تقديري واحترامي.

ميشيل بارنييـه

رسالة سفير جمهورية إيطاليا للدكتور يوسف القرضاوي



بعد أن أعرب فضيلة العلامة يوسف القرضاوي عن تعاطفه مع الشعب الإيطالي في شأن الرهينتين الإيطاليتين في العراق، وقال إن دافعه في هذا الموقف أمران:

الأول: موقف الشعب الإيطالي من الحرب الأمريكية على العراق؛ حيث خرجت مسيرات مليونية كبرى معارضة لغزو العراق!

والثاني: أن الرهينتين تعملان في مجالات إنسانية.

جاء ذلك أثناء زيارة قام بها وزير خارجية إيطاليا والسفير الايطالي لدى الدولة إلى منزل د.يوسف القرضاوي.

بعد ذلك أرسل سعادة السيد جيسيبي بوتشينوجريمالدي، سفير جمهورية إيطاليا الرسالة التالية للدكتور يوسف القرضاوي.

الدكتور/ يوسف القرضاوي

مدير مركز بحوث السنة والسيرة

الدوحـة، قطـر

تحية طيبة وبعد،

اسمح لي أن أعبر عن عميق الامتنان للدعم الثمين الذي قدمته لصالح إطلاق الرهينتين الإيطاليتين.

مناشدتك في قناة الجزيرة والمؤتمرات الصحفية كانت في غاية الأهمية والمنفعة، وذلك لجعل الجميع يدركون المهمة الإنسانية التي حققتها المتطوعتان الإيطاليتان.

أعتقد أن جهودك للحوار بين الأديان والفهم المحايد هما الطريق الصحيح للتغلب على التوتر

الحالي.

لقد سمعت بسرور كلماتك للوزير فراتيني عن الصداقة والدفء الذي أظهره للشعب الإيطالي نحو المهاجرين العرب.

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق التقدير والاحترام.

الدوحة في 2004/09/29م

جيسيبي بوتشينوجريمالدي

سفير جمهورية إيطاليا



L'AMBASCIATORE D' ITALIA

001098

Dr. Yousof Al Qaradawi,
Director of Islamic Studies Center,
Doha, Qatar

September 29th, 2004

Your Excellency,

let me express my deepest gratitude for the invaluable support in favour of the release of the two Italian hostages.

Your appeals in Al Jazeera and your press conferences have been extremely important and useful to make everyone understand the humanitarian mission accomplished by the two Italian volunteers.

I believe that your efforts for dialogue between religions and mutual understanding are the right way to overcome present tensions.

I heard with pleasure your words to Minister Frattini about the friendship and warmth shown by the Italian people towards the Arab immigrants.

Please accept, Your Excellency, the assurances of my highest consideration.

Giuseppe Buccino Grimaldi
Ambassador of Italy.

الباب السابع

رؤية نسائية لمناقب الشيخ



رؤية نسائية لبعض مناقب الشيخ

تغريدات

الأستاذة إحسان الفقيه



أطال الله بقاء فقيه العصر الشيخ يوسف القرضاوي، وحفظه للأمة، تعلمت منه وسطية الإسلام، وما من نازلة أو واقعة مستجدة، إلا ورأيتُ له نصيبًا من الإفتاء فيها، بعلمه الغزير بأصول الفقه والقواعد الفقهية، وما أسعد القطريين به إذ أكرموه على أرضهم، فظهر أثر نور علمه.

القرضاوي – ككلّ علماء المسلمين – يجتهد يُصيب يخطئ يُسدّد ويُقارب؛ فمن أنا أو أنتم أو ذلك المسخ؛ لكي نبخس عالِمًا لا نملك بعض علمه؟! طوبى لشرفاء الأمة.

القرضاوي عالم فقيه، له كغيره زلات تُغمر في بحر فضائله، وقدم الكثير للأمة بعلمه واهتمامه بالقضايا المعاصرة والقضايا السياسية التي ينأى عنها كثير من المنتسبين للعلم، ونادى بالتقارب مع الشيعة دهرًا، لكنه سرعان ما رجع عن قوله، بعدما تبين له أن التقارب عند الشيعة لا يعني سوى التشيع، واعترف بان علماء السعودية كانوا أنضج منه في هذا الشأن!

من ملامح التجديد عند الشيخ القرضاوي

د. أسماء غالب القرشي

من نعم الله تعالى على هذه الأمَّة، أن قيَّض لها من أنفسها من يقوم بحفظ دينها ونشر تعاليمه وتجديد أحكامه الفرعية والجزئية، وفق الأسس والأصول الشرعية، حتى أثروا كافَّة جوانب العلم الشرعي، فكان أن حظيت الأمة بسببهم بثروة علميَّة هائلة، لا نظير لها في أمة من الأمم، وكان من أبرز هؤلاء العلماء والدَّعاة المجددين الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الله القرضاوي – حفظه الله ونفع بعلمه– حيث جمع أطراف العلوم الشرعيَّة حتى صار له با ع طويل في فنون عدَّة، من فقه، وحديث، وفكر وغيرها وقد أكثر من التأليف، والتصنيف، فكان حريًّا بأن يعنى به طلبة علم الشريعة والدعوة ويتتلمذوا على منهجه، وينهلوا من انتاجه العلمي، وأن يكون محط رحل الباحثين في دراساتهم وبحوثهم؛ لما في علومه ومنهجه من عظيم نفع وجليل فائدة.

إذ أن أبرز ما يميز دعوة الشيخ حفظه الله هو التجديد، والدعوة إليه، وتبنيه كمنهج رباني، أصبح ضرورة من ضرورات الدعوة في العصر الحالي. وقد جسَّد هذا المفهوم تجسيدًا كليًّا في دعوته الممتدة عبر قرن إلا ربعًا من الزمان. وكثيرًا ما يستند ويستدل على ذلك المفهوم بقوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)!

وبعد التجوال والتتلمذ والنهل من الكثير من كتب الشيخ القرضاوي ومؤلفاته ومتابعة محاضراته وحواراته تبين لي أن منهجه في التجديد يقوم على الاجتهاد المبني على التيسير، والاعتماد على الحجة والدليل، والتحرر من العصبية والتقليد، مع الاستفادة والإفادة من الثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم، والاهتمام بما يصلح شأنهم، والإعراض عما لا يجدي ويفيد، والاعتدال بين الغلاة والمقصرين، وإعطاء الدعوة حقها من الشرح والتبيين!

وبهذا اتضح أن النزعة الدعوية التجديدية لدى الشيخ تكمن في الشجاعة العلمية والأدبية والنزعة الإصلاحية وإعمال مقاصد التشريع

المرأة في فكر الشيخ

إنصاف أيوب المؤمني



كتبت الأستاذة إنصاف المومني في رسالتها عن: "تربية المرأة في الفكر الإصلاحي المعاصر، القرضاوي أنموذجًا: يعد القرضاوي من الصفوة التي تحتل السقف الأعلى للأمة المسلمة في هذا العصر، ومن أبرز صفات هذا العالم وأخلاقه الإيمانية: الهمة العالية، يقول القرضاوي: "اتخذت شعاري الحكمة القائلة: "لا تسأل الله أن يخفف حملك ولكن أسأله أن يقوي ظهرك. وسلامة الصدر من الأحقاد والغل يقول: "أنا أحب الخير لكل الناس، لا أحمل عداوة ولا حقدًا شخصيًّا لأحد؛ إنما أعادي من يعادي أمتي ويحارب عقيدتي"، ويحب المرح والضحك ويقول: إن التدين لا يعني العبوس والتجهم والحزن الدائم. وكذلك معرفة أقدار الرجال، وليس أدل على ذلك من إفراد مؤلفات خاصة لبعض الأعلام والشخصيات الإسلامية مثل (الندوى، وحسن البنّا!).

ومن صفاته أيضًا عدم اليأس، والأمل، والشاهد على ذلك الكثير من خطبه وكتبه التي تكسر طوق الألم للخروج إلى دائرة الأمل فكتابه "المبشرات بانتصار الإسلام" ينطلق فيه من الأمل

والثقة بنصرة الله.

ومن صفاته أيضًا تدفق العاطفة وغزارة الإحساس؛ فهو الأديب الشاعر، صاحب ديوان "نفحات ولفحات".

ومن صفاته أيضًا الوفاء يقول: "أذكر أقاربي جميعًا الذين أعطوني من حبهم بعد يتمي المبكر" ويذكر شيوخه وأقرانه. وقد أفرد مؤلفًا للشيخ محمد الغزالي بعد وفاته وهذا ما سنأتي على ذكره.

ومن صفاته أيضًا رجوعه إلى الحق؛ فهو رجّاع إلى الحق! إذا اكتشف ضعف رأيه، أو وجد دليلًا أقوى مما استشهد به، تراجع دون كبر واستعلاء وكمثال على ذلك: فتواه (إسلام المرأة قبل زوجها) وهي قضية تكون في بلاد الغرب، فكان رأيه تبقى على ذمة زوجها، ولكنه غيَّر رأيه بعد ربع قرن، وقال بالتفريق بينهما.

وعن مجالات تربية المرأة في فكر الشيخ قالت:

تأتي أهمية تربية المرأة في فكر القرضاوي من عدة مناحٍ، يمكن أن نجملها في الآتي:

من أهمية الوظيفة التي تقوم بها المرأة، فهي تتعامل مع العنصر البشري – أرقى عناصر الوجود وأكرمها عند الله – وتمتلك زمام أخطر وأدق مفصل في حياته، وهو التربية. يقول القرضاوي:

"إن عمل المرأة الأول والأعظم – والذي لا ينازعها فيه منازع – هو تربية الأجيال، الذي هيأها الله له بدنيًّا ونفسيًّا، ويجب ألا يشغلها عن هذه الرسالة أي شاغل، فإن أحدًا لا يستطيع أن يقوم مقام المرأة في هذا العمل الكبير، والذي يتوقف عليه مستقبل الأمة، وبه تتكون أعظم ثرواتها، وهي الثروة البشرية.

تأتي أهمية تربية المرأة أيضًا من المساحة التي تحتلها المرأة في المجتمع الإنساني وسطوة تأثيرها بالإيجاب أو السلب، يقول القرضاوي:

"وإن كانت المرأة نصف المجتمع في العدد، ولكنها أكثر منه في التأثير بالإيجاب أو السلب في زوجها وفي أبنائها".

فالمرأة حارسة العش الذي تدرج فيه الطفولة، والأمينة على أنفس عناصر الوجود؛ وذلك بالعمل

من أجل إنشاء المحضن النظيف الواعي.

وقضية المرأة من أعظم قضايا العصر خطرًا، لما للمرأة من دور كبير في حياة الأسرة، وحياة المجتمع، ولا يمكن صلاح المجتمع والأسرة، إذا لم تصلح المرأة".

ولذا نجد المرأة مستهدفة من ذوي الإرادات المشوهة من الداخل والخارج؛ لزلزلة أركان الأسرة.

ويقول القرضاوي: "ولقد برز التحلل الذي أُصيبت به الحضارة المعاصرة بصورة حية ومجسمة في الكثير من المؤتمرات المغرضة والتي تستهدف المرأة أولًا ومنها مؤتمر السكان بالقاهرة عام 1994م".

ومن بنوده: "إباحة الإجهاض، وتقديم الثقافة الجنسية للمراهقات والمراهقين، وحرية ممارسة الجنس بدون أي التزام قانوني أو شرعي أو أخلاقي؛ ما دامت تلك الممارسات آمنة صحيًّا! وإباحة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج، مع تأمين هذه العلاقات بإعطائها حق السرية، وعدم انتهاكها!".

وقاطعت عدة دول إسلامية المؤتمر، كما هاجم بابا الفاتيكان المؤتمر، وما ينطوي على برنامجه من اعتداء على حق الحياة النظيفة، ولكن المستهجن حقًّا أن يلقى على بنوده ظلال الشرعية من بعض المغرضين.

وتأتي أهميتها أيضًا من أهمية التربية عامة والتربية الإيمانية خاصة؛ سيما في عصر جفت فيه روافد التربية الإيمانية. ويقول القرضاوي: وقد تبين لي أن الجميع أفقر ما يكون إلى تربية إيمانية صادقة، تغسل قلوبهم من حب الدنيا، وتأخذ بأيديهم إلى الله تبارك وتعالى، وتحررهم من العبودية للأهواء وللأوهام، لينعموا بالعبودية لله، وبذلك يطهرون عقولهم من الشرك، وقلوبهم من النفاق، وألسنتهم من الكذب، وعباداتهم من الرياء، وأقوالهم من اللغو، ومعاملاتهم من الغش، وحياتهم من التناقض. فهم محتاجون إلى التزكية، وهي مهمة الرسل الأساسية مع تلاوة آيات الله تعالى، وتعليم الكتاب والحكمة كما جاء ذلك في أكثر من آية من كتاب الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران: 164.

وتأتي أهميتها أيضًا من الوظيفة التربوية والاجتماعية للمرأة كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارها واجبًا شرعيًا مكلفًا به كل من المرأة والرجل معًا.

يقول القرضاوي: والقرآن الكريم يحمّل الجنسين – الرجال والنساء جميعًا – مسؤولية تقويم المجتمع وإصلاحه، وهو ما يعبر عنه إسلامنا بعنوان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ: (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة:71.

ذكر القرآن الكريم في هذا المقام سمات أهل الإيمان بعد أن ذكر سمات أهل النفاق بقوله: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم من بَعْضٍ: يَأْمُرونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعرُوفِ!) التوبة:67.

فإذا كانت المنافقات يقمن بدورهن في إفساد المجتمع بجانب الرجال المنافقين؛ فإن على المؤمنات أن يقمن بدورهن في إصلاح المجتمع، بجانب الرجال المؤمنين.

واليوم بعد أن انتشر التعليم بين نساء المسلمين لا بد أن يعود للمرأة مكانها الطبيعي؛ لتسهم في مسيرة الصحوة الإسلامية، وبناء الحياة الإسلامية المرجوة، ومناصرة القضايا الإسلامية أينما كانت.

وبذا يبدو جليًّا أن رائدة إشعال فتيلة الإبداع لمشروعنا الحضاري الإسلامي، هي المرأة التي تحصنت بسلاح المعرفة الراسخة، وغلَّقت الحصون بقوة الإيمان، وأضاءت الدرب بنور اليقين؛ لتعمل على إعمار الآجل والعاجل؛ وصولًا إلى القمة التي تسعى إليها كل منتمية لهذا الدين؛ لتثبت حضورها في ساحة نفسها، وساحة أسرتها، وساحة عالمها الرحب أمام هذه الأعاصير العاتية، التي تريد أن تجتث وجودها وأصولها؛ لتقصيها عن معترك الحياة الإسلامية؛ إما بتحويلها نموذجًا للمرأة الغربية، أو لسحقها تحت ضغوط الواقع المستسلم لموروث اجتماعي ليس له أصل ديني، بل يغذيه رافد الهوى، وسطوة المجتمع، ليروي ظمأ أهداف ضيقة محدودة المدى، فقدت عقد صلح شريف مع الحياة الفضلى. فتربية المرأة المستقاة من أصول الإسلام ومصادره هي أبرز الحلول المطروحة ولربما أنجعها للخروج من الهبوط الحضاري إلى الفعل الحضاري.

الدعوة النسائية عند الشيخ القرضاوي



د. جميلة تِلوت

إن موضوع المرأة من المواضيع الجدلية في العصر الحاضر، بين متشدد ومتسيب، حتى صار عند البعض الحكم على علمية الفقيه من خلال تصوره للمرأة.

وقد أولى الشيخ عناية كبيرة واهتمامًا شديدًا بقضايا المرأة وأحكامها، وسر هذا الاهتمام؛ كما يقول الشيخ، "أن الميدان النسائي قد غزاه شياطين الإنس، فأفسدوا على المرأة تفكيرها ووجدانها وسلوكها، فأصبحت في حاجة ماسة إلى أن ترد إلى رشدها، وتعود إلى أصالتها، وتعتز بشخصيتها الإسلامية، وترفض التقليد الأعمى، والتبعية الذليلة للغرب أو للشرق، راضية بالله وحده ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا"، الأمر الذي يستدعي أقلامًا أصيلة تبين مكانة المرأة في الإسلام ودورها في المجتمع، حتى لا يقع الاستلاب الغربي أو التقليد التاريخي. والحديث عن المرأة عند الشيخ القرضاوي لهو من أشد الأدلة ردًّا وتفنيدًا على من يقولون بذكورية الفقه في العصر الحالي، مسقطين تصورات داخلية أو خارجية، تاريخية أو واقعية على العلماء، من أجل تكريس رؤية قوامها ظلم الدين للمرأة، أي دين كيفما كان، دون تمييز، ما يكرس عقلية الإسقاط! والناظر لكتاباته سيلحظ أن الحديث عن المرأة لا يجمعه كتاب، ولا يحده مؤلف، ربما لأنه من المواضيع التي تندرج في كل الحقول المعرفية، فيصعب أن ندرجها في كتاب، ومن ثم – فللمعرفة الحقة لهذه الرؤى الفكرية والتصورات المعرفية – كان من الحتم الاطلاع على جميع تواليف الأستاذ، والتي لو جمعنا منها المادة الخاصة بالمرأة لما كفى السِّفر الضخم!

أراك فيهم وأراهم فيك

د. شيماء الصراف

CONFÉRENCE/DEBAT

La femme entre réalisme et idéalisme

المرأة بين الواقع و التنظير

La femme dans la societe musulmane du 15e sciecle-9e h(selon ASSAKHAOUI)

La femme telle qu'elle était, non comme elle aurait dû être

المرأة في مجتمع القرن العاشر الهجري \15 الميلادي

كما كانت فعلا لا كما ينبغي أن تكون

Dr.Shayma AL-SARRAF

Académicienne, Écrivaine

Spécialiste de la civilisation arabo-musulmane

Dimanche 24 Avril 2016 de 14h à 18:30

11, rue Ferdinand Gambon 75020 Paris

Accès : RER A Nation Metro :Maraichers/Porte de Montreuil

Tel : 01 43 73 75 03

الشيخ يوسف القرضاوي:

كتبت هذه المقالة القصيرة معنْونة باسمك؛ وراءك وبجانبك يصطف الكثيرون، مع ذلك فأنت الطليعة والمثال الحي على شجاعة النفس وقوّة العزيمة والمثابرة!

هم أحرار النفس. العدل هو البوصلة، زهرة عباد الشمس، يدورون معها أينما استدارت، لا يعترفون ولا يعرفون غيرها. لم يؤثروا السلامة بإطباق الفم. أنت فيهم وهم فيك، لم يعرفوا الشيخوخة، موت الروح المتجلّي في انكسار العينين.

في عصر واحد؛ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي: أبو حنيفة النعمان من العراق يمتنع عن تولّي عمل للسلطة! يفتي الإمام أن ليس فقط المتعاون مع سلطة ظالمة شريكًا لها في ظلمها، بل الراضي والساكت عن الحالة شريك في الظلم أيضًا. لقد نهى عن تولّي أبسط الأعمال للحكّام حتى لو كانت "بناء أو كراية الأنهر".

في المدينة أيضًا ينحو الإمام مالك بن أنس منحىً آخر تمامًا؛ عدم الانقطاع عن السلطان، إنه ينصح، يعظ، يأمر بالمعروف فيجد فيه مطيعًا، متقبّلًا، منفِّذًا، يمضي الوقت وتحدث المواجهة، فهناك حدود لا يمكن تجاوزها، المساس بسلطة الحاكم، يقابلها اختيار مالك بين الحق والباطل. ولا مجال للتردّد!

أراك في الإمام عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660 -1262 م). من على منبر المسجد في دمشق أنكر على السلطان فعله، ونال منه، لإعطائه قلاع الصَفَد والشقيف (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي) للفرنجة طوعًا واختيارًا، عُزل وحُبس وحين أطلقته السلطة رحل إلى مصر، عيّنه سلطانها قاضيًا، ولم يُهادن أحدًا ولم يتوقّف عن تغيير المُنكر بلسانه ويده!

هذه المرّة عزل نفسه عن القضاء، وأقام في بيته يفتي ويُدرِّس. حين بلغ السلطان خبر موته قال:" لم يستقر مُلْكي إلاّ الساعة، لأنه (ابن عبد السلام) لو أمر الناس فيَّ بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره".

أراك في الإمام ابن تيميّة – ت 728 – 1328 م – هذا الرجل ناضل ضدّ آفات المجتمع من الداخل كما ناضل ضد ما يعرض للأمّة من بلاء من الخارج.

في حملتين وفي سن الكهولة، خرج الإمام حاملًا سيفه يُقاتل التتار الهاجمين.

حارب ابن تيميّة الحشيشة بشراسة؛ هاجم المتصوّفة الذين يدّعون أنّ تعاطيها هو تقرّب من الله، وأنها تحرّك الإرادة الساكنة إلى أشرف الأفعال، وحكم أنهم – باعتبار تنظيرهم لها – أشد خطرًا ممن يقول إن الحشيشة حلال، والذين اعتبرهم مرتدِّين وكفرة. شخّص الإمام بدقّة خطر الحشيشة في مرحلة كان التتار يخرِّبون المجتمعات يقتلون ابناءها وينهبون خيراتها، كان على الجميع التكاتف ضدّهم وهو أمر لم يكن بمقدور متعاطي الحشيشة لفعلها التخريبي في جسمه وذهنه. مات ابن تيميّة سجينًا في قلعة دمشق.

أذكر قولين: الأول للإمام جعفر الصادق: " ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة".

الثاني للإمام أبي حنيفة النعمان: (هي موتة واحدة) قالها الإمام حين حلف والي العراق بضربه بالسياط إلى أن يموت إنْ هو استمرّ على رفضه تولّي القضاء.

قطرة من مناقب القرضاوي

د. كوثر يونس



لا أشك لحظة أن شيخي العلامة القرضاوي واحد من أبرز الرجال الذين عاشوا دعاة لله، ولسانًا من ألسنة التوحيد، وبحرًا من بحور الفقه، وجبلًا من جبال العلم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عما قدم ويقدم لدينه ولأمته خير ما يجزي العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، والأئمة المجتهدين.

القرضاوي هو مجتهد العصر، ونموذج الاعتدال والتجديد، الرجل الموسوعة، صاحب الكتب الإسلامية التراثية التي تعد كنزًا زاخرًا، وفكرًا باهرًا!

في فكر القرضاوي تجديد، ووسطية تجمع بين الأصالة والحداثة، إلى جانب رؤيته المتناغمة في المرأة والكون والفكر والدعوة.

والقرضاوي أمة في رجل، ورجل أمة، وللكرامة مراتب، وحياته – فيما أحسب – كرامة كبرى؛ فهو رجل صنع نفسه، ورجل يصنع أبناءه، ورجل يصنع عائلته، ورجل يصنع شرفًا، ورجل يصنع مجدًا، ويصنع صحوة في أحلك العصور وأشدها ضراوة وشراسة على أمة الحبيب محمد عليه صلوات الله وسلامه.

- **القرضاوي والأقصى:**

الأقصى شريان القرضاوي الأبهر، وتحرير فلسطين حلمه الأكبر، واستفاقة الأمة واستعادة مجدها مبتغاه الأعظم. دعا طيلة حياته بوجوب تحريره من عدو الله وعدو الدين وعدو البشرية جمعاء.

الأقصى هو الأمانة المحمولة في نفس القرضاوي منذ بواكير شبابه إلى يومه هذا! وهب عمره ينادي من أجل تحرير الأقصى وتحرير فلسطين: (أيها العرب: أيها المسلمون: أيها الأحرار في أنحاء العالم: هبوا من سباتكم، وانهضوا للدفاع عن حرماتكم. فحرام عليكم أن تعبث اليهود بالأقصى، ويحاولوا اقتسامه، كما فعلوا بالمسجد الإبراهيمي: زمانيًّا أو مكانيًّا. كل هذا مرفوض من كل مسلم ومسلمة، وفي سبيل المسجد الأقصى تراق الدماء، ويبذل المسلمون الأرواح والأموال والأولاد! لا معنى للعرب ولا مكانة إلا إذا اقترنت عروبتهم بإسلامهم، وأنقذوا أقصاهم، ودافعوا عن حرماتهم وطهروا مقدساتهم؛ فالأقصى العظيم شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها ولو كره الكافرون.

وهو موسوعة علمية، أدبية، إيمانية ضخمة هيأها الله لسد حاجة هذا العصر، تخاطب مدارك أبنائه وتطلعات أجياله، وتدحض أباطيل الفلاسفة الماديين، وتعجز منزوعي الهوية وأعداء هذا الدين، وتزيل شبهاتهم من أسسها، وتبطل سم سهامهم الموجهة لكبد هذا الدين العظيم، وتثبت حقائق الإيمان وأركانه بدلائل قاطعة، وبراهين ناصعة، وثوابت راسخة، وقرائن جازمة لا لبس فيها ولا تشكيك.

ذاب الإمام المجدد والشيخ المصلح القرضاوي في القرآن، وانصهر في أدبيات الإسلام، وارتوى بسنة حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام، وجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله وحفظ دينه ومقدساته، كما استمات في سبيل تحرير الأقصى! وكيف لا؟ أوليس الأقصى شريانه الأبهر؟!

- **القرضاوي والربيع العربي:**

إن للدعوة إلى دين الله جل وعلا رجالها البواسل، وللدعوة إلى دحر الظلم، فرسان وأبطال كواسر، ضحوا ويضحون بالنفيس والغالي في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وإخراج البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، عرفوا بالإخلاص لدينهم، واعتقدت الأمة ولاءهم لله ولرسوله، فهم الذين صدعوا بالحق في وجه الكفر والنفاق والظلم والجبروت، ولم يخشوا إلا الله، فهم ورثة الأنبياء والمرسلين بحق.

ومن هؤلاء الرجال، والأبطال المغاوير، الذين صاحوا في وجه الطغاة مزمجرين، الرجل الذي جعله

الله سيفًا على المتصلبين المتعنتين الجبابرة الظالمين، الرجل الذي كشف الوجه القبيح لطغاة العصر، وجاهدهم وهو يمضي إلى ما بعد التسعين، الرجل الذي دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فاهتدى على فكره الملايين، الرجل الذي كان جل همه الدعوة إلى النهوض بهذه الأمة التي تحن إلى تاريخها ومجدها التليد، ولم يرض بالذل والهوان والضعف الذي تعانيه الأمة عيشًا وحياة، مجاهدًا فذًّا بعلمه وفكرة المنير، ووسطيته ومنهج المعتدل الذي يشهد له العلماء وغير العلماء، فكان النذير الذي أيقظ المسلمين من النوم الذي كانوا غارقين فيه، علامة العصر الدكتور يوسف القرضاوي، جزاه الله عن الإسلام وعن المسلمين خير الجزاء.

لقد جاءت ثورة تونس، وتلتها الثورات على تلك النخب الكاذبة بعد أن تفشت روح الاستبداد وانتشرت الأخلاق الذميمة، النابعة من مجافاة الدين ومخالفته، فوقعت الأمة الإسلامية – وخاصة الشعوب العربية منها – في معتقل الظلم، وقمع الحريات، والتخلف، والتغريب، والتنصير!

رأى العلامة القرضاوي أن تلك الثورات جاءت على تلك النخب الكاذبة والكيانات الباطلة فابتلعتها وحقّ لها أن تبتلعها؛ لأنها حقيقة خارجة من الوجدان، وإيمان الفرد والشعوب أن هذه الشعوب حرة تحكم نفسها وبنفسها ولنفسها، تسطر مستقبلها وترتقي بذاتها، ولم تكن يومًا قطيع غنم يوضع له العلف دون أن يرفع أعناقه إلى أبعد من السياج!

ولقد أكد العلامة القرضاوي على أن الثورات العربية ستكون وحدها حاكمة على قارات المستقبل، وأن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والآخرة الأبدية ليس إلا هذا الدين الحنيف، الذي يحمل في مياهه العذبة النقية الرقي المادي والمعنوي للبشرية كلها. ومن قناعات العلامة القرضاوي أن هذه الثورات أثبتت استعداد هذا الوطن العربي للرقي المعنوي والمادي؛ لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي قد اجتمعت قوى لن تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة، لو فعّلناها ووظفناها:

– الحقيقة الإسلامية التي هي منبع جميع الكمالات والمثل، الجاعلة من الأمة المسلمة نفسًا واحدة، مجهزة بأسس المدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة، ولها من القوة ما لا يمكن أن تهزمها قوة!

– روح الحرية التي ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحق نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان!

– الشهامة الإيمانية؛ فإن المسلم الحق لا يرضى الذل على نفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه هو نفسه بالمظلومين!

– عزة هذا الدين، ففي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والمعنوي معًا، والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. ولا ريب أن شخصية العالم الإسلامي المعنوية والروحية سوف تدرك، وتحقق في المستقبل كل ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام.

لقد دأب فضيلته على دعوة الأمة الإسلامية وعلى رأسها الأمة العربية لأخذ مكانها الحقيقي قدوة صالحة تقف مواقف الحق، لا تخشى في الله لومة لائم، تتبنى القضايا المصيرية للأمة، وتعمل لإقامة العدل والأمن وتوجه الأمة لذلك، وتضرب لها المثل الحقيقي للثبات على الحق والتضحية من أجله بكل غال ونفيس.

وهو الذي يؤكد دومًا على ضرورة الحفاظ على الصورة الناصعة للثورات العربية، رغم أن الإعلام والثورة المضادة لبقايا النخب السابقة استطاعت تشويه كل سمات النقاء في الثورات، ولذلك حدث التشكك والريبة والصدام!

يدعو دومًا إلى تحرير الإعلام ذلك السلاح الأخطر الذي صور الثورات على أنها حركات غوغاء، وخيانات دعاة، وتطرف وإرهاب، بعد أن ظل إعلام النظام السابق على ما هو عليه، وصدقه ويصدقه الكثيرون ممن اعتادوا دفن رؤوسهم في الرمل، واتخذوا من مقولة أنا ومن بعدي الطوفان راية لهم!

- **القرضاوي المفترى عليه:**

ولأنه القرضاوي مجدد عصره، فهو يواجه دومًا هجمة إعلامية شرسة وسياسية قذرة تحاصره وتشوه صورته، وتنعته بالتطرف حينًا وبالإرهاب حينًا آخر، بما تقدمه بعض الفئات المنحرفة والغالية من تصرفات غير إنسانية وصور همجية تسيء للإسلام، وتلطخ سمعة المسلمين، وتعمل على تأليب

الرأي العام العالمي على الإسلام وعلى الأمة العربية، (ما يستدعي أن نكون حاضرين لهذه المواجهة بخطاب إسلامي معاصر لا ينتمي إلى عالم التكرار والاجترار، بقدر ما يسعى جاهدًا خلف الإبداع والابتكار، خطاب يصل إلى الأفكار والأبصار بأسلوب يعتمد الذكاء في إيصال ما نريد من خلال إقناع المشاهد أو المستمع أو القارئ برسالتنا وسماحة ديننا ووسطية إسلامنا).

ولقد تربع القرضاوي في قلب الأمة؛ فعلى الرغم من إقامتهم سدًّا منيعًا –إلى حدٍ ما – ليضيقوا عليه ويحولوا دون انتشار عطاءاته العلمية الايمانية والفكرية والأدبية، المستخلصة من سر ذوب قلبه وعقله ووجدانه في هذا الدين العظيم، وعلى الرغم من محاولتهم كسر قوة هذا العلامة الجليل بشتى أساليب الهجوم العنيف، وباختلاق الأكاذيب وإشاعة الدعايات الزائفة وتخويف الناس منه، وحملهم على التخلي عنه؛ على الرغم من ذلك فقد أحب هذا الشيخ ملايين البشر في مشارق الأرض ومغاربها. وانظر كيف يلتف الشباب والعلماء على فكر هذا الرجل هذا الالتفاف العجيب، وكيف تحظى كتبه ومحاضراته ولقاءاته بانتشار واسع ويتلقاها الناس بشوق بالغ!

- **الأخوة:**

ما من أحد أوصي المسلمين بالأخوة كما أوصى بها الدكتور القرضاوي: أوصيكم بالأُخوة، تآخوا في الله، وتحابوا فيه، وسارعوا إلى الأخوة، وابحثوا عنها بينكم وفي كل مكان؛ فهي الرابطة المتينة بين الفردوس المفقود والفردوس الموعود!

قالها بتأكيد وإصرار، وفي عينيه حزن دفين على عذابات الأمة وخساراتها ونكباتها، وماضيها القديم، ماضي الفردوس النقي، وبحر أمل متدفق أن الأمة سيعود مجدها ويعلو صرحها عاجلًا غير آجل، ومستقبل التواصل المتجدد مع أصولها الأولى التي انفصلت عنها!

إن الأخوة بالنسبة للعلامة القرضاوي هي القوة المتدفقة التي تمنح الشعور بالقدرة على امتلاك الذات! والوقوف في وجه التيار الجارف المسلط على الأمة ومنعه من سحقها والتهام حضورها!

الشيخ المجاهد العالم العامل القرضاوي، هو إمام الوسطية والاعتدال، إمام الصحوة واليقظة، ولم تكن حياته إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي وضع جميعها في خدمة القرآن العظيم وتفسير

نصوصه، وبيان مرامي آياته البينات ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر، وكانت غايتها النهائية بث اليقظة وإعادة الحياة والفعل للأمة الإسلامية بعد طول رقاد.

يدعو إلى إنقاذ الإيمان، وعودة الإسلام إلى الحياة، وعودة المسلمين إلى دينهم، وقرآنهم، وتحكيم شرع الله في سائر أمورهم وأحوالهم! تصدى بقوة ايمانه ويقينه وينابيع العلم الهادرة من عقل قرضاوي فذ. واجه العلمانيين والقوميين والسياسة الميكيافيلية القائمة على التزلف والنفاق والمصالح الشخصية، السياسة التي نحت الدين جانبًا، وولى أصحابها وجوههم نحو أوروبا، والسير في ركابها؛ ولهذا رأيناه يقف – بكل قوة وصلابة – في وجه التيارات الإلحادية الشاملة، وفي وجه كل ظالم مستبد برغم ضراوة الهجمة وشراستها، وبرغم ما تعرض له من ضغوط وتضييق؛ ليحمل هموم الأمة، ويقوم بأعباء رسالة نذر لها نفسه وحياته، وكل لحظة من وقته، ويقدم للدنيا موسوعة علمية فريدة لو نهل منها العرب جزءًا لتربعنا فوق عرش التطور والتقدم، وركبنا سفينة نجاة البشرية!



الموسوعي بحق

الأستاذة ماجدة محمد شحاتة



شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي هو علامة العصر، الموسوعي بحق، إليه تصغي أفئدة الأمة في كل ما يستجد من أمرها وأحداثها، ثقة بأن ماعنده هو الرأي البين، والحكم الفصل، اتخذ الوسطية منهجا بكل سماتها وخصائصها شمولًا ومراعاة لتغير الزمان وأحوال المكان، وحقائق النفوس والأشياء، ومواءمة بين القديم والجديد في غير قفز على الثوابت، ما أنتج أفكارًا عصرية ومفاهيم لم تنغلق على الماضي فتتجمد، ولم تنفتح على الحاضر وحده فتتشرد.

كان شيخنا – وما يزال – إمامًا وقدوة ومجددًا للعصر في فقه اقتضاه الواقع، في قراءة واعية لهذا الواقع؛ ما مايزه عن غيره حتى درجة التفرد في النظر والتأمل في استنباط أنواع من الفقه المقاصدي في الأولويات والتوازنات، فيما يجب أن تسخر له طاقات الأمة، بما يرسخ مبادئ الترجيح والتوازن، بين الاختيارات، وهو إلى ذلك مرشد الصحوة ومرجعها منذ النصف الأخير من القرن العشرين وحتى هذه الأيام، وما مضى بالأمة من أحداث جسام كانت له الكلمة، التي تصحح المسارات، وتحدد الاتجاهات في حركة الأمة فيما تواجه من تحديات.

وتراث شيخنا وذخائره بحر ممتد لا شاطئ له، هيهات أن يبحر فيه باحث حتى تثبت له قدم، أو يفيض ببعض علمه قلم، إنما هي سياحة عابرة في فتاوى الإمام فيما تعرض له من شأن المرأة، وما

لوحظ عليه من تغليبه نظرة مكرمة للمرأة، لا تهضمها حقها أو تغمطها مكانها وقدرها في مجتمعها،بل تؤمن إيمانًا لا التباس فيه بدور المرأة الفاعل في حركة المجتمع، أمًّا وزوجة وربة بيت، داخل البيت وخارجه، وهذا كله صحح الكثير مما علق بالإسلام واجتهادات السابقين من المفاهيم المغلوطة في النظر إليها، وبما يصلح أن يكون ثورة في التمكين للمرأة وفق ضوابط الشرع، بما لا يحرمها حقوقها، ولا يجعلها واقعة تحت وطأة مطالبات غربية تعيد صياغة الأمة من خلال المرأة لهدم مؤسسة الأسرة وانفراط عقد المجتمع كله، وما الوسيلة سوى تلك المرأة التي راهنوا عليها في التدمير.

وشيخنا القرضاوي أزال الركام عن كثير من الممارسات ضد المرأة حين عزاها إلى العرف والعادة وما اتسم به المجتمع من غياب الأخلاق، وإلى اجتهاد سقيم في فهم النصوص.



أهم المؤهلات الأخلاقية الدعوية التي اتصف بها الإمام

د. نجاة غانية



.......وأهم المؤهلات الأخلاقية الدعوية التي اتصف بها الإمام:

– الربانيـة:

ما قصدته من هذه الصفة باختصار، هو دوام صلة العبد بربه سبحانه وتعالى، واستحضار مراقبته في النية والقول والفعل، فكلامه وصمته وفرحه وحزنه ورضاه وغضبه لله رب العالمين، مصداقًا لقوله تعالى (قُلْ: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة الأنعام: 162. وقد يقول عاقل إن الإنسان بطبعه خطاء فكيف يكون ربانيًّا، فيكون الجواب أن الرباني كثير الرجوع لربه، كثير الاستغفار والتوبة إليه، سريع العودة إلى الحق وإن كان الحق مع غيره. وبدأت بهذه الصفة لاعتقادي أنها أساس الخِلال النبيلة والأخلاق الفاضلة التي تتبعها وتلزمها، فالربانيّ حسن الخلق، نقي النفس،

صافي السريرة، رقيق المشاعر، محب للخير للناس كافة، لا يبخل به على أحد، مبغض للظلم، لا يخشى في الحق غير الله تعالى.

ومما ساهم في تعميق معاني الربانية في نفس الشيخ القرضاوي: قراءاته المبكرة في كتب التصوف وكتب أبي حامد الغزالي رحمه الله، وكذا اتصاله بدعوة الإخوان الروحية، الربانية، الدينية، الأخلاقية، وتأثره بمرشدها الإمام حسن البنا رحمه الله وبشخصيته الفذة، واتصاله ببعض من درسه من الأساتذة الربانيين من أمثال الشيخ البهي الخولي والشيخ محمد الأودن والشيخ عبد الحليم محمود، وبغيرهم من رفقاء الدعوة والعلم من أمثال الشيخ العالم الفقيه الرباني محمد الغزالي رحمه الله، إلا أنه لم يقلد أحدهم في طريقته وأسلوبه، وعلى تأثره بهؤلاء جميعًا وبآخرين، بقيت للشيخ القرضاوي شخصيته المستقلة.

ويشهد له العلماء الربانيون ممن يعرفون الحق وأهله، بالربانية والروحانية التي صبغت كل كتاباته وخطبه، وشخصيته وفكره، حيث قال له شيخه البهي الخولي رحمه الله، عندما أخرج الشيخ القرضاوي كتابه (العبادة في الإسلام) وكتابه (الإيمان والحياة): أنك تحمل قلب صوفي خدعنا عنه عقل الفقيه".

- علو الهمة في طلب العلم وتبليغه

من مؤهلات العلامة القرضاوي الدعوية، علو همته في طلب العلم، وهذا مرده لأمرين: أحدهما بما حباه الله من قوة في الذاكرة وحدة في الذكاء!

والثاني: لاجتهاده وتفانيه في طلب العلم وتحصيله، وعدم اكتفائه بما يقدم له من دروس مقررة، هذا ولشخصيته الربانية الأثر الواضح في صدق طلبه للعلم، وحبه له، وتحمله المشاق والعنت في سبيله؛

فبدت عليه علامات التميز منذ التحاقه بالمدرسة الإلزامية، ثم الابتدائية بالمعهد، فالثانوية، فالجامعية، وبعد الجامعة؛ حيث أثبت في كل هاذه المراحل تفوقه وتميزه العلمي على زملائه.

وفي حياته الدعوية والعلمية كان علو همته سببًا في تحقيق الإنجازات العلمية العظيمة التي نفع الله بها الأمة والدعوة. وسمعته مرة في حوار معه يقول إنه يعتبر نفسه طالبًا للعلم، وإنه لن ينقطع عن طلب العلم ما بقي حيًّا. بتلك الهمة العالية في طلب العلم عاش العلامة القرضاوي، حفظه الله وبارك في عمره، ونفعنا بعلمه.

- حب الخير وأهل الفضل:

ومن أخلاقه حبه للخير والمروءات واعترافه بالفضل لأصحابه، حتى وإن خالفوه المبدأ بل والدين أيضًا، فكثيرًا ما أسمعه في خطبه وهو يشيد بمبادرة للخير قام بها شخص أو جمعية أو حكومة! ولا ينكر على صاحب فضل فضله، وما هذا إلا لأن حب الخير أصيل في نفسه، لكأنه مادة منه اختلطت بروحه وجسده، فلا يملك أن يراه إلا أن يبش له ويستبشر به، لا يهمه ممن كان، كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها)، وحوت كتبه ذكر الكثير من أصحاب الفضل عليه وعلى الإسلام وعلى الإنسانية كلها.

- حبه العلم وتقديره العلماء وطلاب العلم

أما عن حبه للعلم فكان كحب الولد لوالده، بل إن شئت قلت كحب الوالد لولده، فهو منه أشد وأصدق، يتعهده بالحفظ والتأمل والمذاكرة والتفكر، ويطلبه أينما حل، ويقيم حيثما قام، في همة تُعجز أصحاب الهمم وتعلو القمم. وكان للعلماء في قلب الإمام القرضاوي مكان ومكانة، بين شيخ علّمه، وطالب تتلمذ على يديه! يقول عنه الشيخ الدكتور عمر عبد الكافي إنه (لا ينادي

أحدنا باسمه مجردًا، هذا من أدب الشيخ) وتقديره للعلماء وطلاب العلم.

وأنشد في حب إمامه ومعلمه الإمام البنا رحمه الله في قصيدة ملؤها الحب والإكبار والتقدير منها:

لك يا إمامي، يا أعز معلم	يا حامل المصباح في الزمن العمي
يا مرشد الدنيا لنهج محمد	يا نفحةً من جيـل دار الأرقم!
أهديك نفسي في قصائد صغتها	تَهدي وتَرجمُ، فهي أخت الأنجم!

- ثائر ضد الظلم

وهو على حبه للخير شديد الكره للظلم، إلى حد الثورة عليه، فهو "الإمام الثائر" كما سماه البعض، وللدكتور وصفي عاشور أبو زيد كتاب متفرد في موضوعه"القرضاوي الإمام! الثائر"، لا أظن أنه قد كُتب مثله في موضوع الثورة والجهاد في شخصية الإمام القرضاوي، لكن أكيد عندي أن الكثير من المقالات تحدثت عن هذه الصفة. ويقول الدكتور وصفي في مقدمة كتابه: (لقد برزت ثورية الشيخ ووقوفه في وجه الطغاة والاستبداد في موقفه من ثورة مصر، وكذلك تونس من قبلها، وليبيا من بعدها،كما لم تبرز وتظهر من قبل، وقد مكنه من ذلك المرجعيةُ التي يمثلها؛ علمًا ومكانة ورمزية في العالم، ووسائلُ الإعلام التي عززت من هذه المرجعية، بالإضافة إلى تاريخ مشحون بكراهية الظلم ومعاناة القهر والاستبداد).

وتتحد الخلال الحميدة كلها لترفع صاحبها مكانة الثائر ضد الظلم والمجاهد لنصرة الحق، إذ ليكون المرء كذلك، يجب أن يكون له من الأخلاق الحسنة والفضائل ما قد لا تجتمع في غيره، وأهمها الشجاعة، وحب العدل والخير وعلو الهمة في طلبهما، وأحسب الشيخ العلامة القرضاوي منهم، ولا أزكيه على الله! وأذكر هنا كلمة للشيخ الفقيه الداعية الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، أصِف بها

الإمام القرضاوي: (إن الرجولات الضخمة لا تعرف إلا في ميدان الجرأة، والمجد والنجاح والإنتاج، تظل أحلامًا لذيذة في نفوس أصحابها، ولا تتحول إلى حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من روحهم، ووصلوها بما في الدنيا من حس وحركة) وهذا ما وجدته في شخصية الإمام فهو بحق مثال العالم العامل السباق في ميدان الجرأة وجعل للدعوة روحا وحركة من روحه وحركته.

- الحياء وعفة اللسان:

إن الحياء دليل العقل وبرهان الحكمة، فالحياء صفة كمال لا نقص، وصفة قوة لا ضعف، به تمام المروءة، فما رأيت حكيمًا ولا عاقلًا ولا حرًّا، إلا كان له من هذا الخلق نصيب، وأُشهد الله تعالى أن الإمام القرضاوي أشد الحكماء والعلماء والرجال حياء، ولا أخشى أن يعقب على شهادتي هذه، لأني خبرته في قوله وفعله، في شعره ونثره، في غضبه ورضاه، في انفعاله وهدوئه!في كل أحواله مما تسنى لي معرفته عنه، كطالبة علم منه. وتعلمون كم أن الحياء عصيّ على من لم يكن له خلقا وسجية، والناظر في سيرته وأخلاقه لا يجده إلا رجلًا يحب الستر فيما استوجب الستر، يغض الطرف عن أخطاء إخوانه وعيوب الآخرين، عف اللسان والقلم عما يؤذي سامعه والقارئ له، ولا يجادل إلا بالتي هي أحسن، معرض عن الجاهلين، يعف لسانه؛ حتى عن الذين آذوه وشتموه وظلموه وخاضوا في عرضه من الحساد والجاهلين؛ بل تجده في أحيان كثيرة يلتمس الأعذار لهم، إذ تقرأ في مذكراته ما كتبه عن جلاديه، محللًا الأسباب التي دفعتهم للقسوة على السجناء من الإخوان أيام اعتقاله وتعذيبه، تجده يتكلم عنهم بأسف على حالهم مع الله، ويقول عن حمزة البسيوني، أشدهم قسوة ووحشية وجرأة على الله، أنه (رجل حُرِم الخشية من الله)، وفي هذه الكلمة من معاني الشفقة والرثاء لحاله.

يقول الإمام القرضاوي: (من أكره الأشياء إلى نفسي، ثلاثة أمور: التكرار، والجدل العقيم، وتتبع

المخالفين لي والرد عليهم)، وحياء الشيخ القرضاوي فطري، فطره الله عليه منة وفضلًا، يقول عن نفسه (إن الحياء من أبرز الخصال عندي، فطرة فطرني الله عليها، لم أتكلفها).

- **الوفـاء:**

من ميزات الشيخ القرضاوي الأخلاقية الدعوية، التي جمعت حوله القلوب: وفاؤه لوطنه وقريته وأصحابه وأهله وعشيرته ولإخوانه وأساتذته وطلابه، ممن ساروا معه وسار معهم على طريق الدعوة، وفي رحلة الحياة، وكثيرًا ما كان يبكيه تذكر من فقد من إخوانه ممن كانوا معه طلابًا للعلم ودعاة وعلماء، ورأيته في مقطع مسجل لإحدى خطب الجمعة التي يلقيها من مسجد عمر ابن الخطاب بالدوحة بقطر، تأثرت لرؤيته وهو يبكي بكاء حارًّا صادقًا، حين ذكر بعض إخوانه ممن توفاهم الله، علمت أن لهذا الرجل العظيم قلبًا عظيًما، وسع كل من عرف من المخلصين والصادقين والعاملين لله، ولم يأخذهم الموت من قلبه، وإن أخذهم من دنياه؛ وهذا شأن الأوفياء، وهذا خلق الأنبياء، فكم بكى رسول الله عليه الصلاة والسلام من فقد من أحبته وأصحابه.

والشواهد كثيرة على هذا الخلق النبيل، الذي صار عملة نادرة في زمن المادة والأنا، منها تأبينه لشيخه ورفيقه في الدعوة، الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في مقال عنوانه: (وأخيرًا هوى النجم)، كتبها وفاء لفقيد الدعوة الإسلامية وابنها البار، بكلام تحسبه كتب بماء الدمع لا بمداد القلم، بدأه بقوله: وأخيرا هوى النجم الساطع، واندك الجبل الأشم، وطوي العلم المنشور، وغابت الشمس المشرقة، وترجل الفارس المعلم! ومات الشيخ الغزالي).

- **الشجاعة في قول الحق والصبر على الشدائد:**

ومن مميزات الإمام الدعوية تحليه بخلق الشجاعة، والشجاعة في الحقيقة من أخلاق القادة، فهو

للدعوة كالقائد للجيش، لذا استحق بهذا الخلق الكريم وصف إمام العصر وشيخ الإسلام، لعلمه وفقهه ولشجاعته في إبلاغ العلم، فكم من عالم ألجم الخوف لسانه، وقطع التهديد صوته وبيانه.

ويشهد التاريخ أن الإمام القرضاوي لم يخش في الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم، هذا خلقه مذ كان شابًّا حيث تعرض للاعتقال والسجن مرات عدة، لم ينثن فيها عن الحق، ولم يلن أو يركن للباطل، وواجه الابتلاء في كل مرة بثبات وشجاعة! فقد تعرض الإمام القرضاوي في شبابه وبدايات دعوته للسجن والاعتقال عدة مرات، حيث عذب وأوذي لانتمائه إلى الإخوان المسلمين، دخل السجن أول مرة عام 1949 في العهد الملكي، ثم اعتقل ثلاث مرات في عهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر أوائل سنة 1954 وأواخرها، ومكث نحو عشرين شهرا في السجن الحربي الذي كانوا يقولون عنه أن "الداخل إليه مفقود والخارج منه مولود". وآخر اعتقال له كان سنة 1962.

ولم تزده المحن إلا تجلدًا، قال عن فترة اعتقاله الأخير: (ومع قسوة هذه الفترة كان لا بد للإنسان أن يرضي نفسه بالواقع، وأن يتصبر ويروض نفسه على الصبر ليصبره الله)، وفي هذا الاعتقال نظم الشيخ ثلاث قصائد، وكتب مقدمة بحثه عن الزكاة إعدادًا للدكتوراه! وهكذا كان يجعل من المحنة منحة؛ ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

كما نظم في اعتقال سابق شعرًا، وثّق به ما كان يحدث في السجون من تعذيب وتنكيل بالشباب والشيوخ السجناء، في قصائد عدة وصف فيها قهر الظالم للمظلوم، وجبروت الحاكم وتسلطه على المحكوم، ومعاناة الأبرياء وأهليهم في قصائد منها: زائرة ولا مزور، وأشهر قصائده في هذا الغرض وأطولها الملحمة النونية، التي رثى فيها الإمام الإنسانية التي ماتت على أعتاب السجن الحربي، ونعى فيها العدل الذي ذُبح على منصة القضاء العسكري! بشعرٍ تفعيلاته الزفرات، ومداده العبرات، في ثلاثمائة وأربعة عشرة بيتًا، هي التقرير الكامل، على جرائم القتل والتعذيب المُمَنهج حينها، مطلعها:

ثارَ القريضُ بخاطري فدعوني	أفضي لكمْ بفجائعي وشجوني!
فالشعرُ دمعي حينَ يعصرني الأسى	والشعرُ عودي يومَ عزفِ لحوني

وبروح المسؤولية بلّغ الشيخ عن معاناة الإخوان في السجون، ووثق مأساتهم.

ومما تعرض له الشيخ في سبيل آرائه ومواقفه، المنع من دخول بعض الدول، حيث رفضت بريطانيا منحه تأشيرة الدخول إلى أراضيها بسبب فتواه بتأييد العمليات الاستشهادية بإسرائيل.

كما أعلن رئيس فرنسا السابق ساركوزي في 26 مارس 2012 منع الشيخ يوسف القرضاوي من دخول فرنسا، لاعتباره من الإسلاميين المتشددين.

- حسن الأدب مع المخالفين:

الشيخ القرضاوي كغيره من العلماء والدعاة، له أتباعه ومحبوه وله مخالفون. أما من خالفه في الرأي والاجتهاد مخالفة الأخ لأخيه، ومخالفة العالم للعالم في بعض الاجتهادات، حيث إن اختلف معه في الرأي الفقهي لا ينكر عليه أجر الاجتهاد. فكان الشيخ يرحب بذلك؛ بل إنه كثيرًا ما دعا العلماء إلى أن تتسع صدورهم لتقبل اجتهادات بعضهم البعض، وألا يبالغوا في النقد إن خالفوا أحدهم فيما رآه، حتى لا يرغم العلماء على كتم العلم، مخافة قسوة التعصب للرأي وشدة النقد.

وهو من أبرز العلماء الداعين إلى فتح باب الاجتهاد وتوسيع دائرة الاختلاف الفقهي، والتنوع الثقافي والمعرفي، الذي من شأنه النهوض بالإسلام.

أما أولئك الذين يتطاولون على العلماء، ويتجاوزون أدب الخلاف معهم، ويخوضون في أعراضهم، ممن يدعون العلم – والعلم منهم بريء – فأدبه معهم هو الإعراض عن جهالاتهم واتهاماتهم، مع

كرهه تتبعهم له وتركه الرد عليهم، إذ يقول (من أكره الأشياء إلى نفسي ثلاثة، منها: تتبع المخالفين لي والرد عليهم). وفي حادثة وقعت لي وأنا طالبة في السنة النظرية "ماجستير علوم جنائية"2010، كانت تدرسنا دكتورة، لا داعي لذكر اسمها، حدثتنا في إحدى محاضراتها عن موقف لها مع الإمام، في أحد الملتقيات العلمية في الخارج، أنها حين رأت الشيخ القرضاوي أخذت تلومه في أمر شخصي، لا يجوز لها التدخل فيه حتى مع شخص عادي، فما بالك بإمام بقدره!

وقالت إنه نظر إليها متعجبًا، ولم يرد بكلمة واحدة. كانت – المسكينة – تتندر بعجزه عن الرد! لكني أفهمتها أن هذا الجواب من حسن أدب الشيخ؛ إذ ليس من اللائق أن يرد على مثل هذا التدخل في أموره الخاصة، وأنه كان خيرًا لها لو سألته في أمر ينفعها في دينها!

وأشفق عليّ زملائي من كلامي هذا، مخافة أن تدبّر لي أمرًا وأنا بعد طالبة عندها، وبملاحظة منها قد تضيّع عليّ كل ما قدمته خلال السنة الدراسية، فاستعنت بالله تعالى، ومرّت السنة على خير.

- التواضع واللين وطلاقة الوجه:

إن كان العلم يصقل شخصية العالم ويضفي عليها من الرصانة والحكمة ما يميزه عن غيره، فإن الإمام القرضاوي برغم تميزه بشخصية قوية ومهابة، إلا أنه تميز كذلك بلين طبعه وتواضعه، وفيه أصالة الشخصية المصرية – التي يعتز بها كثيرًا – والتي تتصف بالتواضع واللين، وخفة الروح، وحضور الطرفة والنكتة في كلامه، وطلاقة الوجه والابتسامة التي لا تفارقه، حتى في أشد الأوقات وأصعبها، ومع من يعرف ومن لا يعرفه من محدثيه!

وهذا سبب آخر مهم من أسباب تعلق الشباب به واستيعابهم لكلامه وخطابه؛ إذ كان بهذه الشخصية الجميلة المحببة أقرب إلى قلوبهم ووعيهم من غيره. وقد تكون عاطفة الإمام الصادقة

والقوية واحترامه لمدعويه، من أهم أسباب انجذاب القلوب إليه وكثرة محبيه وأتباعه، وهي من أبرز صفات الداعية الناجح، فالنفس تمل وتنفر بالفطرة من الشدة وتُقبِل على اللين والرفق، قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران: 159.

ولا يتكلف الإمام هذه الشخصية؛ بل هي فطرة وطبيعة فيه، امتزجت بلغته شعرًا ونثرًا، وبخطابه في غير تكلف ولا إسراف، ولا ينقص ذلك من وقاره شيئًا، حيث يلزمه الأدب جادًّا أو مازحًا.

وفي أرجوزته: أصوليون يظهر براعته في صياغة النكتة السياسية، كما ذكرت سابقًا، وقصيدته "بنت قنا" التي صاغها في شكل لغز، يجعلك تعمل العقل وتحتار حتى يأتيك البيت الأخير بالحل، وأن كل ذاك الوصف ما هو إلا كناية عن"القلة القناوية الطينية البيضاء"، التي كان الفلاحون وأهل القرى يستخدمونها لشرب الماء وإبقائه باردًا بها. فكانت القصيدة لغزًا وطرفة!

والعجيب أن الشيخ نظمها في آخر اعتقال له، فانظر – رعاك الله – كيف تلقى الإمام المحنة والشدة، بهذا الثبات والاطمئنان، ثقة بالله وإيمانا بقضائه.

- العناية بالمظهر وحسن السَّمْت:

ومن مؤهلات الإمام القرضاوي الأخلاقية الدعوية: اهتمامه بجمال المظهر وحسن السّمت، إذ أن حسن السّمت يعد من العناصر الجاذبة للداعية وبالتالي للدعوة، فلا بد من مراعاة هذا الجانب الذي يعد أمرًا والتزامًا في ديننا: (خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) الأعراف: 31.

ومن مواقف الإمام القرضاوي الدالة على هذا الخلق الذي يعكس احترامه لمدعويه، وحرصه على ألا يروه في صورة قد لا ترضيهم، أو قد يساء فهمه، ما ذكره الشيخ في مذكراته عن ظهوره الأول

على شاشة التلفزيون المصري فيقول: (وأذكر أني سجلت هذه الحلقات بنظارة قريبة إلى اللون الأسود، حتى نبهني صديقي وبلديي وقريبي العالم المحقق الشيخ سيد أحمد صقر، وقال: إن الذي لا يعرفك، ويراك بهذه النظارة يحسب أنك كفيف البصر! وأنصحك أن تخلع هذه النظارة وتغيرها في الحال. وكانت نصيحة في محلها)! ونستنتج من هذا الموقف حسن تقبل الشيخ للنصح، وتواضعه وسعة صدره، بل وامتنانه لمن قدم له النصيحة وسرعة امتثاله لها، إن كانت صالحة وذات فائدة.

وموقف آخر حدث في أول زيارته للبحرين وتعرفه على سماحة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز المبارك، وكان رجلًا فاضلًا وعالمًا جليلًا. وعندما رأى العلامة القرضاوي بالزي الخليجي، أسرّ له أنهم يفضلون رؤية علماء الأزهر بزيهم المعتاد، الذي يُعرفون به عند الجماهير، فأجابه العالم الداعية بتواضعه المعهود وقبل طلبه.



بعض مناقب العلامة الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله



أ.د. نزيهة امعريج

المناقب في العادة هي ما عرف به المرء من كرم الفعل، أو اتصف به من جميل الخلق، أو اشتهر عنه من جهد في التنقيب عن حقائق الأشياء والعلم بدقائق الأمور، مع الفطنة الشديدة[16] في تعرف مناط الأحكام، والتقدم في اكتشاف أحوال الأمم والأقوام، والاهتداء إلى قواعد وسنن التغيير والإصلاح.

من ثم كانت مناقب الفرد هي ما تحقق له من تلك المقامات، وارتقى إليه وأدركه من هذه الدرجات.

ولما كان الأمر كذلك، فالظاهر أن حظ شيخنا العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله من مسمى المناقب وافر وكبير –كما شهدت به أفعاله وبينته أقواله– وهو مما تعجز السطور القليلة والكلمات المعدودة عن الإحاطة به والإلمام بتفاصيله وبذلك فإن المذكور منها في هذا المقام، وهو عبارة عن لمع وإشارات وأمثلة وعينيات ليس إلا، ومن هذه المناقب نذكر:

- المنقبة رقم 1: تأسيس الشيخ يوسف لأكبر هيئة علمائية في تاريخ الملحمة العلمية الطويلة والزاهرة في حياة هذه الأمة – الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين – وهكذا جاء هذا الاتحاد الذي بادر الشيخ إلى تأسيسه بمعية ثلة من علماء الأمة في عصرنا الحديث مختلفا ومتميزا عن كل الهيئات التي عرفها تاريخ العلم والثقافة لأمة الإسلام.

---

[16]– لسان العرب بتصرف 8/664–665 مادة نقب.

مختلفًا ومتميزًا من حيث:

أ- امتداد الاتحاد عبر أعضائه شرقًا وغربًا في جميع أنحاء المعمور، وهذا أمر لم يتحقق لمؤسسة علمائية إسلامية من قبل.

ب- ضم هذا الاتحاد لأبرز قامات العلم وهامات الحركة والإصلاح في عصرنا الحديث[17].

ج- المؤسسية في العمل؛ هيكلة واضحة، تخطيط استراتيجي منضبط، تداول ديموقراطي على المسؤولية، عمل ممنهج بالمشاريع!

د- التنوع والتكامل المعرفي لأعضاء هذا الاتحاد.

ه- المعالجة المتبصرة لقضايا العصر وتحديات المرحلة التي يزاوج فيها في الغالب الأعم بين التنظير البصير والتنزيل الراشد.

و- تأسيس الاتحاد لإصدار راتب تحت عنوان "مجلة الأمة الوسط" وبشعار "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" في إشارة واضحة وقوية إلى منهج الاتحاد الوسطي ومنهج للمعتدل الممتد بجذوره نحو أصول الإسلام، المستشرف بفروعه الخصوصية الحضارية والهوية المتميزة للأمة.

- المنقبة رقم 2: ما انفرد به الشيخ يوسف حفظه الله، من موقف تصحيحي إصلاحي بخصوص قضية المرأة، حيث لوحظ حرصه الشديد على أن تعود للمرأة المسلمة مكانتها في الريادة الحضارية، والفاعلية الاجتماعية، والحركية الفكرية والثقافية.

وهكذا عبر الشيخ في أكثر من مناسبة عن انزعاجه الكبير وقلقه البالغ لما آل إليه وضع المرأة في المجتمع المسلم، فصدع بدعوته الصريحة بضرورة مراجعة الاجتهادات الخاطئة والعمل على دحض العقبات الكأود التي عطلت دور المرأة المسلمة وحدت من فاعليتها وقللت من عطائها، وعلى رأس هذه المطالب مطلب تصحيح علاقة المرأة المسلمة بمؤسسة المسجد، مصدر الإشعاع

---

[17]- ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور أحمد الريسوني والشيخ راشد الغنوشي والشيخ علي القرداغي والشيخ عصام البشير واللائحة طويلة.

الرئيس والبعث المتميز والخير الوافر للأمة المسلمة.

فالإقلاع الحضاري السليم عند فضيلة الشيخ أساسه أجنحة متوازنة، متكاملة – الرجل والمرأة – ومدخله الرئيس رفع العطالة الحضارية عن فاعلية المرأة.

وهكذا قد دعا الشيخ مرارًا ونادى جهارًا المجتمعات المسلمة بعامة والمجتمعات المتمذهبة بالمذهب الحنفي بخاصة، إلى المبادرة العاجلة إلى تصحيح خلل منع المرأة أو عدم تشجيعها على ارتياد المساجد، وذلك من أجل بعث رسالي أصيل وإحياء حضاري رائد منطلق من المسجد ابتداء؛ بعث المسارعة في الخيرات تعبدًا وتعلمًا وتعليمًا ودعوة وتربية!

فالخسارة الحضارية التي لحقت الأمة نتيجة ابتعاد المرأة عن المؤسسات الحيوية للمجتمع المسلم – وفي مقدمتها مؤسسة المسجد – هي خسارة جسيمة وجليلة، وعليه فإن السبيل إلى تجاوز هذا العجز الحضاري الذي لميزانية الأمة هو الاستثمار الجيد والتوظيف السليم لرأسمالها الكامل من رجل وامرأة، وهذه مسؤولية مشتركة كما ذهب إليه الشيخ يوسف يتقاسمها العلماء والولاة، لذلك قد شدد الشيخ – وفي أكثر من مقال ومقام – على هذه المسؤولية مقيمًا الحجة ومبرئًا الذمة؛ حيث رأى حفظه الله أن العلماء مطالبون بإعادة الاعتبار للنص الصحيح، وكشف الغبار عن الفعل الصريح من هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم في المسألة، أما الولاة فدورهم يكمن في التنزيل السليم، والتمكين الراشد لمنظومتنا الحضارية، في تأطير المجتمع، وتوجيهه الوجهة الحسنة المستقيمة.

وبذلك يكون الشيخ الجليل قد خطا الخطوة المناسبة في المسار التصحيحي لهذه المسألة، فتصحيح علاقة المرأة بمؤسسة المسجد هي واحدة من المداخل التي راهن عليها الشيخ القرضاوي لإحياء دور المرأة الرسالي، وإبراز أهميته في صنع النهوض الحضاري المنشود.

وإلى جانب النموذج السابق تقف أمثلة كثيرة شاهدة على نضال الرجل وإصراره على إحياء ما اندرس من مكاسب المرأة المسلمة؛ نتيجة ما أصاب الأمة من تخلف وتعثر وتقهقر، وذلك بدءًا من إشراكه لهذه المرأة في تأسيس أعلى هيئة علمائية مسلمة عرفها تاريخنا الحديث – الاتحاد العالمي

لعلماء المسلمين – ومرورًا بانخراط هذه المرأة في هياكل هذا الاتحاد، بل وفي أعلى هياكل التسيير به – الأمانة العامة للاتحاد – وانتهاء بإقراره لها رئيسة لبعض لجانه، كما هو حال لجنة الأسرة التي تعاقب على رئاستها من أعضاء الاتحاد من النساء، الدكتورة فاطمة نصيف، ثم الدكتورة نزيهة امعاريج، والعجلة لا تزال ماضية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وهكذا نلاحظ أنه في الوقت الذي لا يزال التناول لقضية المرأة، ولأخطاء منهجية قاتلة يقف عند حدود المعالجة الجزئية الفروعية عند كثير من أبناء هذه الأمة؛ ما قد يتعارض مع تطلعات الأمة وطموحاتها، نجد الشيخ يوسف قد تناولها في إطارها الشمولي الكلي وبعدها المقاصدي المآلي، كما حددته الحنفية السمحاء.

فالمرأة في الإسلام إنسان كامل الأهلية الحضارية مؤهلة التأهيل التام لأداء دورها الحضاري من استخلاف وتعمير وتمكين، وعليه فهي مدعوة كأخيها الرجل إلى الانخراط الكامل والفعال لأداء هذه الوظائف الحضارية من غير نقص أو تبخيس.

هذا طبعًا مع وعي تام ومن غير إغفال لما يمكن أن تتميز وتنفرد به هذه المرأة من خصوصية من حيث الجنس البشري.

- المنقبة رقم 3: موقع القضية الفلسطينية من اهتمامات الشيخ وانشغالاته، فالقضية الفلسطينية هي قضية الأمة الأولى، ولذلك فهي تحتل مركز الصدارة ضمن اهتمامات الشيخ وانشغالاته، تماشيا مع ثوابت الإسلام، وانسجاما مع موقع فلسطين من عقائده.

فالإسلام قد صرح أن أرض فلسطين هي مسرى نبينا الكريم، كما أكد أن هذه الأرض هي أرض مباركة بالفطرة، وهي أرض الإسلام والمسلمين، وهي أرض الرباط والمرابطين، ومن ثم كان تنصيص الشيخ القرضاوي المستمر على ضرورة العناية والاهتمام بأرض فلسطين، وهو من وجوه:

أ– توضيحه حفظه الله لطبيعة التعامل المناسب في الظرفية الراهنة مع الكيان الصهيوني الغاشم، فقد بين أن هذا الكيان هو كيان معتدٍ، ظالم مغتصب، وعليه فكل حوار أو تفاوض معه في

الوقت الحاضر هو مخالفة صريحة لأصول الإسلام ومبادئه، ودليله على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا)[18].

ب- الترغيب في توفير الدعم المعنوي والمادي لنصرة أهل فلسطين وقضيتهم العادلة.

فالمعنوي ويشمل كل ما تيسر لنا من وسائل الدعم وسبله: عقد ندوات، تنظيم محاضرات، تأليف كتب، نظم أشعار، نشر مقالات. وأهمية هذا الدعم من حيث التعريف بالقضية والحفاظ عليها حية في أذهان الأجيال يتوارثها الأبناء عن الآباء.

أما الدعم المادي فأساسه فتوى الشيخ الجليلة، ووصيته لكل مسلم بأن يجعل أهل فلسطين على رأس قائمة المحتاجين فيما يجب عليهم في أموالهم من حقوق تجاه الفقراء والمساكين.

لذلك نص الشيخ يوسف على تقديم المسلم الفلسطيني في العطاء على كل محتاج آخر، على اعتبار أن الفلسطيني قد تجتمع فيه أكثر من الصفة الموجبة للمنح، فقد يكون هذا المحتاج الفلسطيني مسكينا ويتيما وأسيرا في آن واحد، وفوق هذا وذلك فهو مجاهد مرابط في سبيل الله، وهذه الخصائص والصفات نادرا ما قد تجتمع لغيره من المحتاجين الآخرين.

ج- طلب كرامة الشهادة الفعلية على أرض الرباط، حيث عبر الشيخ الكريم في أكثر من مناسبة عن طمعه في استجابة دعائه وإيتاء سؤله منه سبحانه وتعالى بأن يختم له بالشهادة على أرض الرباط، أرض المحشر والمنشر.

د- تخصيص لجنة خاصة بفلسطين ضمن لجنة الاتحاد للمتابعة اليومية لشؤون فلسطين مما يشهد على الانخراط الفعلي والعملي للشيخ الجليل في الدعم الدائم والمتواصل لفلسطين ولأهل فلسطين.

- المنقبة رقم 4: إصلاح ذات البين في التصور الإسلامي عمل عظيم وفعل جليل لا يتمثله إلا الحليم الرشيد، قال تعالى: (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

---

[18]- العنكبوت/46

إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ)[19].

وهذا السعي المشكور في إصلاح البين بين الأفراد والجماعات، هي من أبرز مناقب الشيخ القرضاوي، وقد تمثل ذلك في جاهزيته الدائمة للاضطلاع بهذا الأمر، أو تكليف بعض من ينوب عنه في المسألة ممن يثق بحلمهم وحكمتهم ورجاحة عقلهم وقدرتهم على إدارة الخلاف وتذويب الجليد والتقريب بين الأطراف.

- المنقبة رقم 5: ومن مناقبه العزيزة والبارزة – حفظه الله – إحسان الظن بأصحاب صنع القرار من أبناء هذه الأمة، والدعوة إلى الانفتاح عليهم والتواصل معهم، واستثمار مواقعهم وتطويع امتيازاتهم لخدمة مصلحة الأمة، ولذلك فإن من وفق من هؤلاء الولاة لما فيه خير الإسلام والمسلمين دعا له الشيخ وأثنى عليه[20] ومن تقاعس منهم عن ذلك، فإن الشيخ يوسف لم يتردد في نصحه وتعديله.

وهكذا يكون الشيخ قد زاوج في منهجه في الدعوة وإقامة الحجة بين توجيه الخطاب إلى القمة التي مثلها أصحاب صنع القرار، والقاعدة الشعبية التي يمثلها عامة المسلمين.

- المنقبة رقم 6: نصرة المظلومين والمستضعفين بعامة، ومن كان منهم من أبناء هذه الأمة بخاصة، والشاهد فيه إدانته واستهجانه حفظه الله الاعتداء على الأبرياء في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وعقائدهم، زد على ذلك مؤازرته المستضعفين والانتصار لقضاياهم العادلة، بما يضمن لهم الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والحرية السياسية، وإفراده في الاتحاد للجنة تهتم بقضايا الأقليات إحالة واضحة على أهمية المسألة عند الشيخ يوسف، على اعتبار أن أكثر الناس عرضة للظلم والازدراء والاحتقار والدونية هم الأضعف ناصرا والأقل عددا في المجتمعات البشرية.

---

[19] – النساء/114.

[20] – النموذج ثناء الشيخ على ملك المغرب محمد السادس أثناء خطواته الاستباقية في الإصلاحات الدستورية التي قام بها خلال موجة ثورات الربيع العربي ومؤازرته للرئيس التركي رجب الطيب أردوغان بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة على المشروعية والإرادة الشعبية في تركيا.

هذا ناهيك عن نصرة المغلوبين على أمرهم في أوطانهم المستهدفين من طرف أنظمة الجور والاستبداد والفساد، فقد امتاز الشيخ بجرأة نادرة في معارضته لهذه الأنظمة ورفضه لأساليبهم الغاشمة في سياسة الرعية.

- **المنقبة رقم 7**: الحرص على وحدة الأمة؛ إلا في حالة الاعتداء والظلم، ومما يفسر ذلك مجهودات الشيخ الجليلة ومحاولاته الكثيرة في التقريب بين مذاهب المسلمين من سنة وشيعة، ولم يعلن الشيخ تراجعه عن المسألة إلا بعد أن استيأس مما عند القوم، وتأكد له أن هؤلاء قد تحلوا إلى أخطبوط خطير يعتزم ابتلاع أهل السنة ويريد أن يتخطفهم من أراضيهم.
- **المنقبة رقم 8**: الجاهزية، أو ما عرف في أدبيات الحركات الإسلامية الأولى بالجندية والفاعلية، ومعنى ذلك الاستعداد التام والتهيؤ الدائم عند الشيخ الكريم للانخراط في الخير والإتيان به خدمة لهذا الدين ومراعاة لمصلحة الأمة، وهو ما ينم على امتلاكه لحس تربوي عميق، وتمثل بالغ لعقائد هذا الدين وشرائعه (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)[21].

والحمد لله رب العالمين.



---

[21]– الأنبياء/90.

الباب الثامن



طرائف وظرائف قرضاوية

طرائف وظرائف قرضاوية

قصتان مع الخمر:

من المواقف الطريفة في أسفار الشيخ – والكلام للدكتور جاسر عودة – أنه في إحدى زياراته لأمريكا في التسعينيات حجزنا له غرفة في فندق من الفنادق الفخمة في مدينة ديترويت التي أقمنا فيها المؤتمر السنوي الحاشد لرابطة الشباب المسلم العربي هناك، وفي تلك الغرفة بالفندق فوجئ الشيخ بزجاجات خمر في ثلاجة الغرفة، ولم يكن يعرف أنها غير مدفوعة الثمن إلا أن يفتحها نزيل الغرفة، وهنا قرر الشيخ أن يهرق الخمر، فأهرقها كلها في مرحاض الغرفة.

ثم في اليوم التالي – وفي كل يوم من أيام المؤتمر – جدد العاملون بالفندق زجاجات الخمر في الغرفة، فما كان من الشيخ إلا أن أهرق الخمر كله يومًا بعد يوم!

ولقد فوجئنا حين حانت ساعة مغادرة الفندق بحساب ثقيل عن خمور! فرفضنا أن ندفعها، وقلنا لإدارة الفندق إن هناك خطأ في الحساب؛ لأن المسلمين لا يشربون الخمر أصلًا؛ فضلًا عن الشيخ الجليل! فما كان من الشيخ إلا أن شرح الموقف لنا ولإدارة الفندق، وأصر على دفع الفاتورة المستحقة، وألا تتحمل الرابطة شيئًا من ذلك!

وفي مذكراته يقول الشيخ: ولقد بقيت يومًا في باريس، وصليت المغرب في إحدى المصليات، وأفطرت سريعًا مع الإخوة، وبت في الفندق، لآخذ طائرة الخليج في اليوم التالي إلى الدوحة.

وأذكر حادثة طريفة وقعت لي في تلك الليلة، فقد كان في حجرتي ثلاجة فيها مشروبات تعمل إلكترونيا، وأنا أُمّيّ في استخدام الإلكترونيات، فقد ضغطت على زر في الثلاجة، لأحصل على مشروب، فإذا بالزر الذي لمسته، ينزل لي زجاجة ويسكي! يا للهول! وماذا أفعل بهذه المصيبة؟!

المهم أني لا أستطيع أن أردها إلى موضعها من الثلاجة. وقد سجلت عليَّ في حسابي: ثمن زجاجة ويسكي معتّق!

وحين نزلت في الصباح لأغادر الفندق، أخذت الزجاجة معي مضطرًّا لحملها، مع ما ورد في لعن حامل الخمر، ولكني أريد أن تحذف من سجلي في الفندق.

واستعنت بأحد الإخوة من الجزائريين، الذين يعرفون الفرنسية، ليُفهم رجال الفندق بالقضية، أني مُصرّ على حذفها من سجلي، وبعد أخذ وردّ، وجذب وشد، استجابوا لي، ولله الحمد.

قصتان مع الفلكة

ومن فضل الشيخ حامد علي أنه لم يضربني قط، رغم أنه كان يضرب كثيرًا من أبناء الكتاب، وأنا في الحقيقة لا أحب أن أُضْرَب، ويعز علي أن أُضرب.

وأذكر أن الشيخ حامد (مَدَّني) مرة في (الفَلَكة) ليضربني، ولكن نجاني الله من الضرب. ولم يكن الضرب بسبب تقصير في واجبي الكُتَّابي اليومي، بل سبب آخر؛ فقد كانت أمي، ككثير من الأمهات والآباء الذين يخافون على أبنائهم من الغرق إذا ذهبوا للاستحمام في ترعة القرية، أو قنواتها الصغيرة، وخصوصًا يوم الجمعة! فكان الشيخ حامد يُعَلِّم على أفخاذنا بالقلم (الكوبْيَة)، وفي يوم السبت يكشف علينا، فإذا وجد العلامة باقية فبها ونعمت، وإذا وجدها زالت، كان ذلك دليلًا على إننا ذهبنا إلى الترعة.

وهذا ما حدث في هذه المرة واستحققت العقاب، ولكن قريبة لأمي كانت تسكن بجوار الكتاب، ومرت في ذلك الوقت وشفعت لي، فأنجدتني من الضرب، ولا أدري هل كان مرورها مصادفة أو كان ذلك بتدبير حتى لا أضرب؟ يبدو أن الاحتمال الأخير هو الأقرب.

وربما كان هذا التدبير من والدتي – رحمها الله – بالاتفاق مع الشيخ حامد رحمهما الله.

والمرة الثانية كانت من المباحث! كان الذين جاؤوا للقبض عليَّ هم مباحث المحلة الكبرى، وسرعان ما استاقوني إلى تفتيش المباحث العامة بالمحلة، وكان على رأسه ضابط شرس، كأنه وحش مفترس، اسمه محمد شديد، وكان له من لقبه نصيب أي نصيب، فهو شديد فظ غليظ، ولكن على أهل الإيمان والدين، وليس كما وصف الله أصحاب محمد بقوله: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) الفتح: 29!

وكان يعيش في المحلة، ويعرف نشاطي بها، ورصيدي فيها، وإقبال الناس علي من كل الطبقات، وهو ما يغيظه ويضيق به صدره، وآن الأوان ليشفي غليله مني، وقد أصبحت سجينًا لديه، وهو الآمر الناهي، وعنده من السلطات ما لا حد له، فلا يسأل عما يفعل.

وقد استقبلني بالحفاوة اللائقة بمثلي: التعليق في الفلكة (آلة تعذيب بدائية للضرب على الأقدام)، والضرب بالسياط قبل أن يسألني سؤالًا واحدًا، ولكنه التشفي.

ثم بدأ يحقق معي بتهمة الانضمام إلى الجهاز السري، وليس عنده من الوقائع أو الأدلة ما يثبت عضويتي في هذا الجهاز إلا دعوى رئيس الجهاز بالمحلة عبد الحميد الرفاعي، واتخذ من أساليب الإيذاء والتهديد كل ما في وسعه، فيجعل مني عنصرًا فعالًا في هذا الجهاز، ولم أكن كذلك.

بل بلغ هذا الرجل من سوء الأدب والجبروت أن طلب مني أن أضع حذائي فوق عمامتي، فلما قلت له: إن العمامة رمز العلم الإسلامي، وإهانتها إهانة للإسلام، سخر مني، وقال كلامًا أستحيي أن أذكره، وأمر أحد مخبريه أن يضع حذائي فوق عمامتي.

قلت له: أكنت تصنع ذلك لو كانت عمامة سوداء؟! فلم يرد عليَّ.

قصتان مع اختطاف الحقائب

وفي مذكرات الشيخ يقول: ومن الأحداث الغريبة التي وقعت لنا في تلك الفترة: اختطاف حقيبة زوجتي أم محمد حفظها الله، ثم عودتها إليها.

أذكر أنا كنا نشاهد التلفزيون البريطاني، وكان يعرض فيلمًا، وفيه رأينا فتاة تمسك حقيبتها بيدها وتحركها يمنة ويسرة، من باب اللعب واللهو، فإذا شاب يثب إليها في خفة وسرعة، ويختطفها من يدها. ويركض سابقا الريح!

هنا قلت لزوجتي مازحًا: إياك أن يخطف أحد هؤلاء حقيبتك من يدك ويطير! قالت: وماذا فيها؟!

قلت: صحيح إنها ليس فيها نقود كثيرة، ولكن فيها ما هو أهم من النقود: فيها جوازات السفر، وتذاكر السفر، وشيكات سياحية، وكذا وكذا.

ولم يكد يمر يومان أو ثلاثة على هذا المشهد والتعليق عليه، حتى وقعت هذه الواقعة: كانت زوجتي، وقد أوشكنا أن نعود إلى قطر، تريد أن تمر على بعض المحلات التجارية الشهيرة، تتسوق منها ما تحتاج إليه، مستفيدة من التنزيلات التي عمت سائر المحلات في تلك الأيام بمناسبة (الكريسماس).

وكان الأخ المرافق لي محمد عبد الرحمن يعرف هذه المحلات جيدًا، وكان يأتي بزوجته المصرية لترافق زوجتي، وهو يرافقني. وفي إحدى الليالي ذهبنا إلى متجر كبير – نسيت اسمه – لنتفرج على ما فيه، وأظن إننا لم نشتر منه شيئًا، وخرجنا من المحل، لنذهب إلى السيارة التي ركنها السائق في بعض الشوارع الخلفية، وهي قليلة الإضاءة، وغير مزدحمة بالناس. سبقنا الأخ محمد ليأتي بالسيارة، ومشت زوجتي وزوجته معًا، ومشيت أمامهما، وسرعان ما سمعت صرخة من زوجتي، فالتفت إليها، فوجدتها كادت تقع، ولم أجد الحقيبة في يدها، ووجدت رجلًا أسود يمسك بالحقيبة في يده، ويركض في سرعة الحصان، وهنا استجمعت قوتي وركضت وراءه بكل قوة، وكانت ركبتي لا تزال سليمة

والحمد لله، ودائمًا صاحب المتاع أقوى من اللص، وقد كنت منذ صباي أُحسن العَدْو!

ورغم أن اللص أشب وأخف مني قطعًا، إلا أني كنت ملاحقًا له، ولما أوشك أن ينتهي الشارع الخلفي هذا ويدخل اللص في الشارع الكبير المضاء الحافل بالناس: أدركه الخوف، فرمى بالحقيبة، والتقطتها. ورجعت إلينا سالمة، والحمد لله.

وقد عدنا إلى الفندق: فرأينا أن نضع الأشياء التي فيها في صندوق الأمانات، حفاظًا عليها من مثل هذه المفاجآت، ولم يبق فيها إلا قليل من النقود، التي تحتاج للاستهلاك السريع.

وأما المرة الثانية فوقعت معي أنا: في أحضان الحضارة المادية لا يأمن الإنسان على نفسه وماله! وفي يوم السفر من لندن إلى قطر؛ حدث لي حادث غريب، فقد كنت أقف في طابور أمام موظف الفندق الذي أوقع له التوقيع الأخير قبل المغادرة، وإعطائي ما يسمح بترك الفندق!

ونظرًا لزحام المغادرين في ذلك الوقت، ظللت في الطابور عدة دقائق. كنت أحمل في يدي حقيبة اليد (الهند باج)، فلما طال الوقوف بعض الوقت، وضعتها على الأرض بجواري، وما هي إلا ثوان، حتى نظرت فلم أجد الحقيبة. لقد أخذت في لمح البصر. كانت زوجتي هي وزوجة السائق المرافق لي في انتظار فراغي من مهمتي. سألتهما: ألم تريا الحقيبة؟ قالتا: لقد كانت بجوارك منذ لحظات، وذهبت يمنة ويسرة، لأبحث عن أي أثر للحقيبة، فلم أجد. أين ذهبت ومن أخذها؟ لا جواب. كما يقول المصريون: (فص ملح وذاب).

يبدو أن هذا اللص كان يراقبني، وعرف من خبرته أني سأتعب بعد فترة، وأضع الحقيبة من يدي، وكان بالمرصاد، فبمجرد أن وضعتها اختطفها وولى الفرار، أو لعله يجلس في المكان بعد أخذها وقد أخفاها بطريقة أو أخرى. وقلت: الحمد لله، فلم يكن فيها شيء ذو بال، فقد كانت التذاكر وما بقي من نقود في حقيبة زوجتي، أما حقيبتي فلم يكن فيها إلا نقود قليلة، ونظارة قراءتي، وكشكول

صغير، فيه بعض الكتابات القليلة، وهي أثمن ما ضاع مني. فلم يظفر اللص بصيد سمين كما كان يتوقع، من حقيبة رجل قادم من الخليج!

وهذا هو الأمن في لندن، اختطفت حقيبة زوجتي، ثم استردت بفضل الله، وسرقت حقيبتي ولم تعد. فالحمد لله على نعمة الأمان في بلادنا!

قصتان مع التأشيرة

سنة 1952: خرجت من الحدود السورية، لأصل إلى الحدود الأردنية، وهناك فاجأتني مشكلة أخرى جديدة لم أحسب لها حسابًا، فقد نظر المسؤول في جواز سفري، ثم وجه الخطاب إليّ، وكنت قد خلعت القميص والبنطلون، ولبست العمامة والكاكولة، فقال لي: يا شيخ يوسف، جوازك ليس فيه تأشيرة دخول.

قلت: نعم، ليس لكم سفارة في دمشق، (كانت العلاقة مقطوعة بين البلدين).

قال: كان عليك أن تحصل على التأشيرة من القاهرة قبل أن تغادرها.

قلت: ربما لم يكن عندي نية لزيارة الأردن في أول الأمر، ثم وجدت نفسي على مقربة من القدس، وأريد أن أصلي في المسجد الأقصى الذي تُشدّ إليه الرحال، فهل تمنعني من ذلك؟

قال: يا أستاذ، أنت رجل جامعي مثقف، وتعلم أنه لا يجوز لأحد دخول بلد أجنبي إلا بتأشيرة.

قلت له: إن الثقافة التي يعلمونها لنا في الأزهر، لا تعتبر الأردن بالنسبة لي بلدًا أجنبيًّا، إنهم يعلموننا أن المسلمين أمة واحدة، وأن بلاد المسلمين وطن واحد اسمه (دار الإسلام) وأن ابن بطوطة جال في البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا، ولم يوقفه أحد ليسأله: أمعك تأشيرة أم لا؟

وضحك الرجل، واتصل بأحد كبار المسؤولين في الداخلية، أظنه وكيل الوزارة، وقال له: عندي

طالب مصري أزهري لا يحمل معه تأشيرة دخول، وهو يجادلنا، ويقول: كيف تمنعوني من الصلاة في الأقصى؟ ويبدو أن هذا المسؤول كان رجلًا سمحًا، فقال له: أعطه تأشيرة.

ومرة ثانية أنسى! في المطار فوجئت بشيء لم يكن في حسباني، وهو: أني لم آخذ تأشيرة لزيارة الهند، ففي زحمة المشاغل والأعباء المتراكمة نسيت هذا الأمر البديهي؛ لأن جوازي القطري أدخل به إلى بلاد كثيرة في العالم العربي دون الحاجة إلى تأشيرة، بل أظن أن بريطانيا في ذلك الوقت لم تكن تحتاج إلى تأشيرة، كنت أدخل لندن بدون شيء، كما يدخلون هم قطر بدون شيء، ولم يكن لدي أي سكرتارية تعنى بهذه الأمور الإدارية وتكفيني إياها!

فلما سألوني في المطار: أين الفيزا؟ سقط في يدي، وتحيرت: ماذا أقول؟ وماذا أفعل؟

ورأيت نفسي في كربة دعوت فيها بدعاء ذي النون عليه السلام في بطن الحوت: (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) الأنبياء:87. وقد لاحظ الموظفون حيرتي وارتباكي، فرقق الله قلوبهم لي، وأشفقوا علي، وكان جوازي جوازًا خاصًّا، فنظر بعضهم إلى بعض، أن يمشوا الأمر، ويمنحوني تأشيرة من المطار، وأشار بعضهم: أليس معي (Money)؟

وكان معي بعض الدولارات، فأعطيتهم إياها. وأعتقد أنه لا مانع شرعًا من مثل ذلك، للخروج من هذا المأزق، للضرورة أو للحاجة التي تنزل منزلة الضرورة. وقد قال الله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) البقرة:173.

وقد تنفست الصعداء حين خرجت من دائرة الجوازات، وحمدت الله تعالى أن كشف هذه الغمة، وسهل هذه المهمة، وأنا أهوى الدعاء بتيسير كل عسير، وأحب دعاء سيدنا موسى: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) طه:25،26، وعلى لساني دائمًا: رب يسر وأعن. فالحمد لله الذي يسر أمري، وسهل طريقي.

رسالة له من شيخه د. البهي الخولي رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأخ الكريم الأستاذ يوسف القرَضاوي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت تهنئتكم بالعيد، فكان لها أكثر من معنى!

الروض الجاف الذي صوحت خمائله، وسكنت بلابله، وتفرَّقت عنه زهراته الحبيبة، حمل إليه العيد عبيرًا من ألمانيا من عبد المنعم (عثمان) الحبيب، وعبيرًا من قطر من يوسف (القرضاوي) الحبيب، وجاء مع العبير الذكرى، وامتلأ الرأس بالصور والأطياف، وامتلأ الصدر بالمشاعر، وتندى ما بين الجفنين بأثر الحنين والحنان!

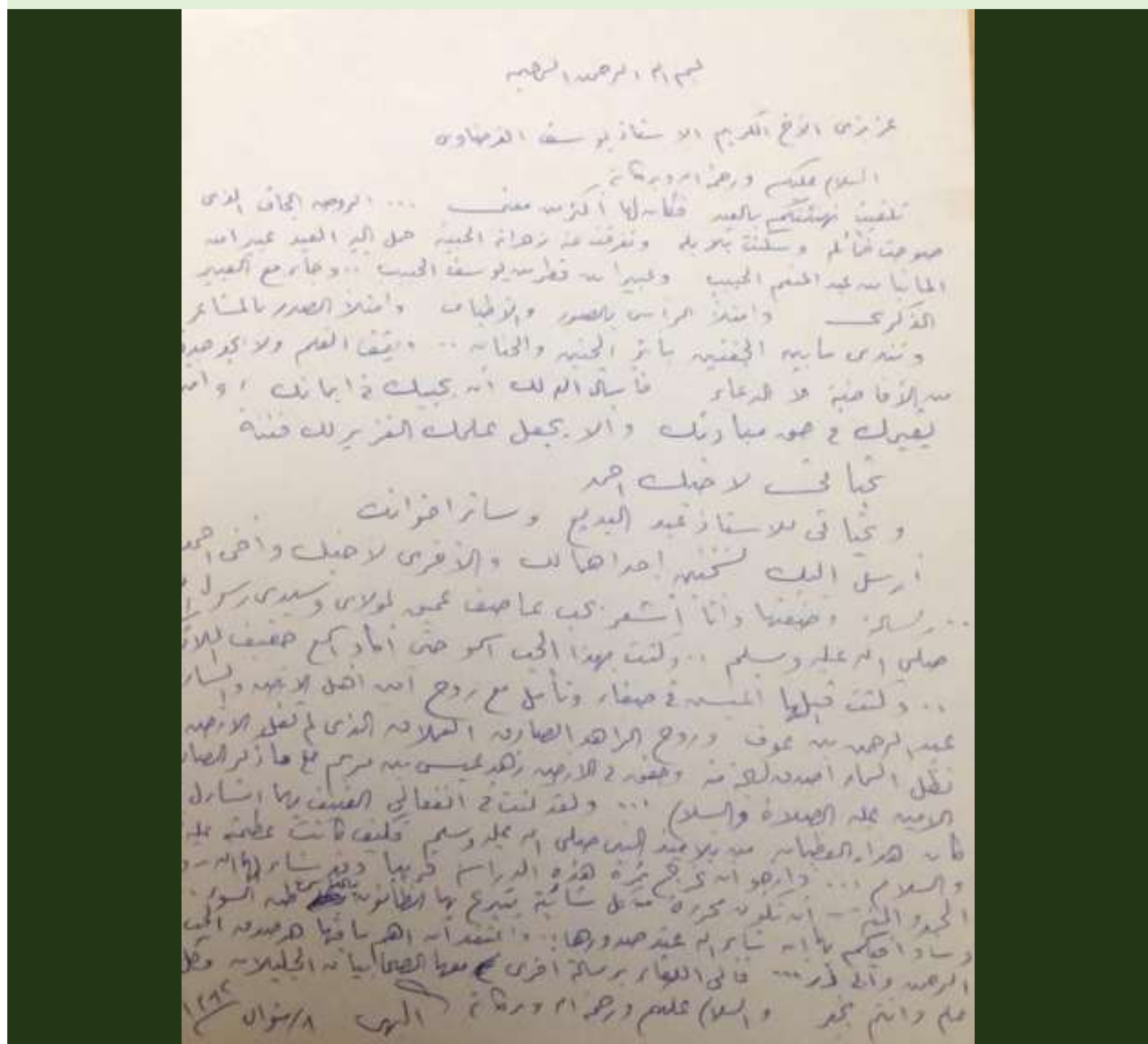
ويقف القلم ولا يجد جدوى من الإفاضة إلا الدعاء، فأسال الله لك أن يجيبك في إيمانك، وأن يقيمك في حق مبادئك، وألا يجعل علمك الغزير لك فتنة.

تحياتي لأخيك أحمد(العسال).وتحياتي للأستاذ عبد البديع (صقر) وسائر إخوانك. أرسل إليك نسختين؛ إحداهما لك، والأخرى لأخيك وأخي أحمد (العسال).

رسالة وضعتها وأنا أشعر بحب عاصف عميق لمولاي وسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت بهذا الحب أسمو حتى أكاد أسمع حفيفَ الملائكة، وكنت قبلها أعيش في صفاء وتأمُّل مع روح أمين أهل الأرض والسماء عبد الرحمن بن عوف، وروح الزاهد الصادق العملاق الذي لم تُقلّ الأرض ولم تظلّ السماء أصدقَ لهجة منه، وحقَّق في الأرض زهد عيسى بن مريم مع ما ذكر الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام!

ولقد كنت في انفعالي العنيف بهما أتساءل: إذا كان هذان العظيمان من تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم فكيف كانت عظمته عليه الصلاة والسلام؟! وأرجو أن تخرج ثمرة هذه الدراسة قريبًا. وقد شاء لهما الله – وله الحمد والمنة – أن تكون مُحرَّرة من كل شائبة يتبرع بها الظانُّون بالناس ظنَّ السَّوء.وسأوافيكم بها إن شاء الله عبد صدورها. وأعتقد أن أهم ما فيها هو صدق الحب لعبد الرحمن وأبي ذر. فإلى اللقاء برسالة أخرى معها الصحابيان الجليلان. وكل عام أنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. البهي 8/شوال/1382


بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأخ الكريم الأستاذ يوسف القرضاوي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته البهي ٨/شوال ١٣٨٢

مصري أم قطري؟

وفي سنة 1393هـ (1973م) جاءتني دعوة من لجنة التوعية بالحج، وكانت قد تكونت عن طريق وزارة الحج والأوقاف، أو طريق الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث والدعوة والإرشاد، لا أذكر.

المهم أنني استجبت للدعوة، وكنت لم أحج من سنة 1384هـ (1964م)، وكان الوقت مناسبًا بالنسبة للجو؛ فقد كان في فصل الشتاء، وهو مما يغري الناس بالإقبال على الحج، لأن جو مكة دائمًا أقرب إلى الحر.

وقد كان معي وفد إعلامي مسافر من قطر، يمثل الإذاعة والتلفزيون. وكنا نسافر على ثلاث مراحل: من الدوحة إلى الظهران، وفيها نتمم إجراءات الجوازات، وندخل المملكة، ومن الظهران إلى الرياض، ثم من الرياض إلى جدة. فكانت الرحلة إلى جدة تستغرق نحو يوم كامل، خصوصًا أننا ننتقل في الظهران من مطار إلى آخر، أي من الطيران الخارجي أو الدولي إلى الطيران الداخلي، وهذا يقتضي أن نتسلم حقائبنا، ونحملها إلى المطار الآخر.

وفي مطار الظهران حدثت مشكلة، فبعض الإخوة من وفد قطر الإعلامي كانوا فلسطينيين يحملون "وثائق سفر" قطرية، فتوقفوا معهم وقالوا: نريد جوازاتكم الأصلية، وقالوا لهم: ليس معنا جواز أصلي. قالوا: أنتم فلسطينيون، فلا بد أن معكم جوازًا آخر!

وقال الإخوة: لا بد أن نتصل بالدوحة، ونبحث عن حل للمشكلة مع القوم.

وجاء الدور عليّ، فنظر المسؤول عن الجوازات في الجواز الذي معي، وهو جواز قطري، وقال: أين جوازك الأصلي؟ قلت له: هذا جوازي الأصلي!

قال: ألست أنت الشيخ يوسف القرضاوي الذي نشاهده في التلفزيون ونترقب برنامجه بشغف؟

قلت: بلى، أنا هو!

قال: ألست مصريا؟ قلت: أنا الآن قطري!

قال: ولكنك مصري، ونريد جوازك الأصلي.

قلت: يا أخي، لقد اختلط عليك الأمر، الإخوة الذين أوقفتهم من الفلسطينيين يحملون "وثائق سفر" صالحة لسفرة واحدة أو لمدة سنة. أما أنا فأحمل "جواز سفر" كاملًا. فلأكن مصريًّا أو أستراليًّا، أو من أي جنس كان! أنت تتعامل مع الأوراق. وأمامك ورقة رسمية صادرة من قطر، ومن صاحب العظمة حاكم قطر. ودعك من أنك تعرفني أحمل جنسية أخرى من قبل. وهذا جواز زرت به بلاد العالم كلها، ولم يوقفني أحد كما أوقفتني أنت، لأنك تعرفني وتشاهدني في التلفزيون!

قال: وهل دخلت به المملكة من قبل؟

توقفت قليلًا، ثم تذكرت، وقلت: نعم، دخلت به المملكة من قبل، ومن هذا المطار نفسه!

وفعلا نظروا في الجواز فوجدوا فيه ختم دخول المملكة من الظهران. وقال الرجل: أنا آسف. أنا والله من المعجبين بك، والمتابعين لبرنامجك. قلت له: متابعتك هذه ضرتني ولم تنفعني، وكادت تعطلني بلا مبرر، ولو كنت شخصًا عاديًّا لمر بسلام.

طريفتان من الهند

عروس لكل شيخ: وصلت الوفود إلى دلهي، فاستقبلنا إخوة من الندوة في مطار دلهي، ومن دلهي ركبنا الطائرة إلى لكهنو، حيث وجدنا استقبالًا حافلًا في المطار، وقد ألبسونا عقودًا من الزهور والورود، على عادة أهل تلك البلاد. ثم رأينا الاستعدادات الضخمة في مقر ندوة العلماء لاستقبال الضيوف، ونزلنا في فنادق من الدرجة الأولى في المدينة، وكان مسلمو المدينة (لكهنو) ومسلمو الهند

عامة في خدمتنا، فما من مدينة في الهند إلا أرسلت ممثلين لها، وكأنا كنا ضيوفًا على مسلمي الهند جميعًا! فبالغوا في إكرامنا، حتى قال أخونا وصديقنا الدكتور محمد المهدي البدري مازحًا:

لم يبق على الشيخ الندوي إلا أن يزوج كل ضيف هندية مسلمة!

وعن ظلم الإنسان رأيت في بومباي ما رأيته في دلهي: مناطق تراها غاية في النظافة والرقي والتحضر، وأخرى غاية في الفقر والقذارة حتى ليكاد الناس لا يجدون ما يسترهم، وقيل لي في بومباي: إن هنا أناسًا يولدون ويعيشون ويموتون في الشارع لا بيوت لهم!

إنها الطبقية الصارخة، التي تجعل بعض البشر كالآلهة، وبعضهم أدنى مرتبة من الحيوان!

ولي أفيونجي

كنا نسهر في منزل الأخ الدمرداش، ويجتمع هؤلاء الأحبة وغيرهم في أحاديث دينية وعلمية وأدبية وتاريخية، ومناقشات قد تسخن أحيانًا. ومن هذه المناقشات ما حدثناه أحد الحاضرين عن شيخه ولي الله الذي أخذ عليه البيعة، وعن فضائله وكراماته، ثم فاجأنا بقوله: ولكنه يتناول (الأفيون)!

قلت له: كيف يكون وليًّا لله، وهو يتناول هذا المخدِّر، وهو أخو الخمر، أو هو جزء منها، فالخمر كل ما خامر العقل، وقد نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر؟

قال: لعله يستعين به على قيام الليل، وصلاة الأسحار؟

قلت له: هل يجوز الاستعانة بمحرم على طاعة هي نافلة؟

وهنا سكت الأخ، وقال: ولكن قلبي يحدثني أنه ولي لله؟

قلت له: وهل تأخذ أحكام الشرع من حديث قلبك أو من وحي ربك؟

قال: بل من وحي ربي.

قلت له: وحي ربك يحرم هذا، ولا يجيز اتباع من يرتكب مثل هذا، فإنه لا يؤمن على تربية الناس وهدايتهم إلى الله، وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضل من كانت العميان تهديه!

اللواء الركن القرضاوي

شاركت في ندوة عقدها التلفزيون المغربي حول (غزوة بدر) والدروس المستفادة منها، وكان معي فيها مؤرخ الفتوحات الإسلامية اللواء الركن محمود شيت خطاب، المعروف بمؤلفاته ودراساته في السيرة والتاريخ، والأخ العالم المعروف الدكتور عبد السلام الهراس.

ومن اللطائف: أن الأخ المذيع الذي كان يدير الندوة، ارتبك عند تقديمنا، فقال: يشترك في هذه الندوة: اللواء الركن يوسف القرضاوي، وفضيلة الدكتور محمود شيت خطاب!

وضحكنا من ذلك، وألغيت هذه المقدمة. وقد علق عليها اللواء شيت خطاب قائلًا:

إنه ليشرفني أن يطلق علي الشيخ محمود خطاب، لا فضيلة الدكتور، فلقب (شيخ) عندي أفضل من دكتور، ومن لواء، ومن أي لقب دنيوي يحرص عليه الناس.

وأحب أن يخاطب الشيخ القرضاوي بلفظ الشيخ لا بلفظ الدكتور.

طرفة من تركيا

....ووقفنا في طريق يمر منه الناس، نتوسم أحدًا يعرف العربية ولو مكسرة، وكلما مر شخص قال له الأخ الشيخ جمّاز: اسْبيك أرَبِك؟ قلت له: وماذا تفيد كلمة سبيك أربك هذه؟ إنها لا تفيد إلا من يعرف الإنجليزية. الأولى أن نقول له: هل تعرف العربية؟ فإن كان يعرف أجاب بنعم. وإلا لم يرد عليك. وذكرنا النكتة التي قالها أحد الظرفاء: أن أحدهم كان في لندن، وهو لا يعرف غير العربية، ويريد أحدًا يعرف العربية يسأله عن شيء، فوقف أمام إحدى السينمات، والناس خارجون، يقول

لكل من يواجهه: أنت رجل حمار! أنت رجل حمار! والناس يمرون عليه، ويسمعون هذه الكلمة ولا يعيرونه التفاتًا، إلى أن مر عليه أحدهم، فقال له: أنت رجل حمار! فقال: أنت ستين حمار!

فهناك أمسك به وقال له: إياك أريد. فأنا ما قصدت شتمك، إنما أردت اكتشافك.

ولم تُجْد معنا طريقة: هل تعرف العربية؟ كما لم تُجْد: سْبيك أرَبِك؟

الفول المدمس

....ذهبت من بيروت إلى بني غازي، وبت في أحد الفنادق بها، وفي الصباح نزلت إلى المطعم لتناول الفطور، فجاءني الندل الجرسون وكان مصريًّا، فسألني: ماذا نقدم لك؟ قلت: أول شيء الفول المدمس!

فقال: ألا تطلب شيئًا بدل الفول؟ قلت له: ولم؟ ألا يوجد عندكم فول؟

قال: يوجد عندنا، ولكنهم يعيروننا بأننا شعب الفول!

قلت: يا عجبًا! وهل أكل الفول معرة أو جرم حتى نعير به؟ وما الفرق بين من يفطر على الفول ومن يفطر على الحمص أو على الحلبة أو على البيض ونحوه؟

يا بني، لا تعبأ بهذه الترهات، واعتز بنفسك، فالفول من الطيبات التي رزقها الله للناس. دعني من هذا كله، وائتني بطبق الفول، ولا مانع من أن تخلطه بالحمص أو بالبيض المسلوق، ربنا يديمه علينا.

الفاشل تجاريًّا

في مذكراته تكلم الشيخ عن أول جائزة في حياته:

....وفي هذه المرحلة: ما بعد ختم القرآن، ولم أزل في المدرسة الإلزامية: أظن ذلك كان في صيف سنة 1937م وأنا في الحادية عشرة من عمري، استدعيت إلى إدارة المنطقة التعليمية بمجلس مديرية الغربية بمدينة طنطا، للامتحان في القرآن الكريم.

لم أعلم بذلك إلا يوم السفر، وسافرت مع الشيخ حامد أبو زويل محفظي للقرآن.

ووصلنا إلى موقع الإدارة، ناداني المفتش المسؤول عن الامتحان، وكنت أعرفه، فقد زار مدرستنا من قبل، وهو الشيخ عبد المقصود سليمان عيد، وكان رجلًا مهيبًا مشرق الوجه، طويل القامة، يلبس جبة وعمامة، وهو والد المحامي الكبير الشهير صديقي عادل عيد.

ولما دخلت عليه هش في وجهي، وأراد أن يزيل الرهبة من نفسي، وقال لي: طبعًا أنت حافظ القرآن يا ابني؟ قلت له: الحمد لله، أحفظه جيدًا.

وهنا وجه إلي نحو ثلاثين سؤالًا من مختلف أجزاء القرآن وسوره، ولا أذكر أني أخطأت في الإجابة أو تلعثمت.

فقال في النهاية: فتح الله عليك يا بني، وبارك فيك. ولك عندنا مكافأة باعتبارك أحفظ التلاميذ في المديرية. ولا أذكر هل صرفت المكافأة يومها أو بعدها بأيام؟

المهم أني صرفت هذه المكافأة، وقدرها جنيه وربع جنيه، وهي أول جائزة أتسلمها في حياتي.

ومنذ سنوات حضرت الاحتفال الأول لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، حيث كُرِّم شيخنا الشيخ محمد متولي الشعراوي باعتباره شخصية العام الإسلامية، وكرم أوائل الحفاظ للقرآن من أنحاء العالم، ممن لا يزيد عمرهم على 21 عامًا. وكان لي كلمة في ذلك الحفل، هنأت فيها صاحب الجائزة الشيخ محمد بن راشد المكتوم، ولي عهد دبي ووزير دفاع دولة الإمارات، وهنأت شيخنا الشعراوي، وهنأت الحفاظ الفائزين، وكان نصيب الأول 250 ألف درهم إماراتي (ربع مليون) وقلت لهم:

إني حصلت على الجائزة الأولى في صباي وكانت جنيهًا وربعًا، صحيح أن الجنيه والربع الآن قد تساوي نحو ألف درهم، ولكن جائزة الأول 250 ألفًا. فهذا من فضل الله تعالى على حفاظ كتابه، والدول العربية تتنافس في ذلك. وقد وسع الله عليها فلتوسع على أهل القرآن.

المهم أن فرحتي بهذه الجائزة كانت لا تقدر، لأنها جاءت على غير توقع، ودلت على أن الله لا يضيع أهل القرآن. كيف وهم أهل الله وخاصته؟

وقد حصل الشيخ حامد على ربع جنيه من المكافأة، وبقي الجنيه لي. وأصبحت أملك مما كسبت يداي جنيهًا مصريًّا!

وقد سلمت هذا الجنيه لعمي، فقال لي: لك به عُشر الجاموسة. وأنت ونصيبك، فما يجيء منها لك عشره.

وما يجيء منها عادة (عجل) في كل سنة، يباع بعد أربعين يومًا (بتلو) بخمسة جنيهات. ومعنى هذا أن يكسب الجنيه في السنة نصف جنيه، أي بحساب الأرقام 50.%

ولكن الذي حدث أن الجاموسة لم تحمل في تلك السنة ولم تلد، على خلاف السنوات الماضية. وقال عمي: هذا حظك يا بني، وهي أرزاق من عند الله.

وأذكر أني قبل ذلك اجتمع عندي من عيدياتي (ما آخذه في الأعياد من الأقارب) نصف جنيه، خمسون قرشًا، فاقترحت علي جدتي لأمي، أن تشتري لي بها (أوزة بياضة) وهذه تبيض كل عدة أشهر نحو عشر بيضات، وترقد عليها، وتفقس كل بيضة أوزة خضراء صغيرة، تتعهدها جدتي مع أوزها وطيورها ودواجنها، وكانت ماهرة في تربية هذه الأشياء وموفقة فيها، فإذا كبرت الأوزات الصغيرة قليلا باعتها بمبلغ يساوي ضعف رأسمالي أو أكثر.

فماذا حدث لأوزتي؟ لقد باضت بيضتين ثم توقفت، ودون سبب معروف. ولا يمكن أن ترقد الوزة على بيضتين.

وقالت لي جدتي: هذا حظك يا ابني، إنها أرزاق!

وأنا لست من المتطيرين والمتشائمين، ولكن يبدو لي من تجاربي وممارساتي في عالم التجارة والمال: أني من قليلي الحظ في هذا المجال! فجل المشروعات التي دخلت فيها أو شاركت فيها قدر الله أن تخسر. وليس هذا في مشروع ولا اثنين ولا ثلاثة. تكاد كل المشروعات التي ساهمت فيها – إلا القليل منها – تنتهي بضياع ما وضعت فيها من مدخراتي من كسبي ومن كتبي.

أول (مائة جنيه) ملكتها في حياتي كانت من حقوق تأليف أول طبعة من كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) وكانت ستين جنيهًا، مع أربعين أخرى ادخرتها، وكانت المائة جنيه في هذا الوقت ثروة، هذه المائة جنيه، وضعتها تأمينًا لقطعة أرض في مدينة نصر بالقاهرة أول ظهورها، عن طريق بعض الجمعيات التعاونية، وسلمنا المبلغ بواسطة الجمعية لبنك يسمى (بنك التعاون).

وحاولت بعد ذلك: أن أستفيد من ذلك بأخذ قطعة أرض، فلم أستطع، ثم حاولت أن أسترد المبلغ فلم أوفق، وخصوصًا أني سافرت بعد ذلك إلى قطر، وضاعت الجنيهات المائة إلى اليوم.

وبعد سنوات من قدومي إلى قطر، عرض عليّ سكرتيري في المعهد الديني: أن أشترك معه في شراء أرض للبناء، وهذه تتضاعف أسعارها بسرعة. ووافقته على ذلك، ودفعت له ما كان عندي في ذلك الوقت وهو 25000 ريال – أو روبية – ومرت عدة سنوات، والأرض ساكنة لم تتحرك!

فاضطر الأخ أن يبيعها بثمن شرائها، وأن يأخذ كلانا ما دفعه، والحمد لله على عدم الخسارة.

ومن المفارقات: أن هذه الأرض التي بيعت – بعد سنوات – بثمن شرائها، لم تكد تمضي عليها سنة واحدة، حتى تغير سعرها، ونفقت سوقها.

وبمناسبة أرض المباني، حدثت في قطر – وفي بلاد الخليج عامة – في بعض السنين طفرة هائلة في أسعار أراضي البناء، وربح بعض الناس منها ملايين في ذلك الوقت!

وقد رأى بعض أصدقائي من التجار القطريين هذه الظاهرة، فاقترح علي أن أشترك معه في شراء

قطعة أرض رآها مناسبة، وكان معي مبلغ كبير – نحو نصف مليون ريال – وبالفعل شاركت به معه، وجاءت له فيه صفقة تربح قليلًا، فطمع ولم يبع!

ثم ما لبثت الأرض أن عادت إلى أسعارها الطبيعية، وزالت هذه الطفرة المجنونة، وحدث نقص هائل في أسعار الأرض، حتى إن بعض الأراضي التي اشتريت لم تعد تساوي عشر ثمن شرائها!

وكان الناس يسألونني عن زكاة الأرض في تلك الفترة، فأقول: قوِّمها وأد زكاتها.

فيقول: كيف أقومها ولا أجد من يسومها؛ فقد عم الكساد، وما عاد أحد يشتري الأرض بكثير ولا قليل؟ وقلت: عوضي على الله، ومرت سنوات طويلة، حتى بيعت الأرض بالتقسيط، وعاد لي ثمنها الذي دفعته مرة واحدة على سنوات.

ولي تجارب شتى لا داعي لذكرها: في قطر، وفي مصر في شركات توظيف الأموال، وفي السودان وفي غيرها، آخرها (بنك التقوى) الذي وضعت فيه جل مدخراتي، في أسهمه ومضارباته، وحرضت أولادي أن يشتركوا فيه، وقد كان أحسن البنوك الإسلامية ربحا، وأسلمها معاملة، حتى إنه لم يعمل في المرابحة قط، ولم يدخل أسواق السلع والمقاولة، ثم دارت عليه الدوائر، فإذا هو يصفي الآن، ولا ندري: أنحصل على 10% من رأسمالنا أم لا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد قال الأخ يوسف ندا رئيس البنك ما قالته جدتي منذ نحو سبعين عاما: إنها أرزاق!

وبعض شركات التوظيف في مصر، مثل (شركة الحجاز) لم أحصل أنا ولا أولادي على فلس واحد من أموالنا فيها إلى اليوم.

ومع هذا، فإن خير الله عندي كثير، وفضله لا يجحد، ونعمه لا تحصى، وما ضاع مني شيء إلا عوضني الله مثله أو خيرًا منه، ولا يدري أحد أين يكون الخير "وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" (البقرة: 216) وقد ذكروا

عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال:

رضينا قسمة الرزاق فينا	لنا علم، وللجهال مال
فعز المال يفنى عن قريب	وعز العلم باق لا يزال

الناجح الوحيد

....وقدمت إلى كلية أصول الدين في شعبة التفسير والحديث وعلومه. وكان الذي يدرس لنا التفسير هو أستاذنا الشيخ أحمد علي أستاذنا في الكلية من قبل. والذي يدرسنا علوم القرآن هو أستاذنا الدكتور أبو شهبة، والذي يدرسنا الحديث هو شيخنا الشيخ محمد علي أحمدين، أستاذي في الكلية، والذي جرى بيني وبينه ما جرى في السنة الرابعة، ثم صالحني بعد امتحان التعيين في الشهادة العالمية، كما ذكرت ذلك من قبل. وكان الذي يدرسنا مصطلح الحديث هو أستاذنا الشيخ السماحي. وكان الكتاب المقرر هو "تدريب الراوي على تقريب النواوي" للحافظ السيوطي، وهو من خيرة الكتب في بابه.

وكنا نحو 30 طالبًا مسجلين في هذه الشعبة، بعضنا من خريجي أصول الدين، وبعضنا من خريجي الشريعة.

وكانت شروط الدراسة والامتحان صعبة ومعقدة؛ فمن رسب في الامتحان التحريري أو الامتحان الشفهي، أو امتحان التعيين؛ فقد سقط في امتحان السنة كلها، وليس له فرصة أخرى، وسقط حقه في الدراسات العليا في هذه الشعبة. وفي هذا من التشديد والتعسير ما فيه.

وهذا ما دفع أكثر طلاب الشعبة – أكثر من عشرين منهم – أن يقدموا قبل الامتحان إجازات مرضية؛ لإعفائهم من دخول الامتحان!

ولكن فضيلة الشيخ الأكبر عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر قال: ليس معقولًا أن يمرض هؤلاء جميعًا

في وقت واحد، واعتبر هذه الإجازات مفتعلة أو مزورة، ورفضها جميعًا.

والذي دفعهم إلى ذلك هو خوفهم من النتيجة؛ فإن من لم ينجح ضاعت عليه السنة، بل ضاع حقه نهائيًّا في الدراسة العليا في الشعبة.

وبقي 6 طلاب فيما أذكر دخلوا الامتحانات التحريرية والشفهية والتعيين، وكان الامتحان الشفهي في حفظ القرآن، وفي الحديث وعلومه، وكان التعيين في التفسير، وأذكر أن تعيين السنة الأولى كان في تفسير (آية الكرسي) سيدة آي القرآن.

وما زلت أذكر الأسئلة التي حاصرتني حول مسألة التفاضل بين آي القرآن، وهل في القرآن فاضل ومفضول؟ وما معنى أن هذه الآية أو هذه السورة أفضل عن غيرها؟ وهل الفضل راجع إلى موضوع الآية أو السورة أو إلى أمر آخر؟

وكان التعيين – كالعادة – امتحانًا لمدى معرفة الطالب بالعلوم الشرعية والعربية؛ فهو امتحان في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والفقه والحديث والمنطق والتوحيد. ويجب أن يكون الطالب مستعدًّا لأي سؤال يوجه إليه مما يتصل بهذا العلوم كلها.

والحمد لله فقد وفقت في إجاباتي في امتحان التعيين، والامتحان الشفهي، وكذلك في الامتحان التحريري، وظهرت النتيجة بنجاحي وحدي في الشعبة!

وكل زملائي للأسف أخفقوا: إما في الامتحان التحريري، وإما في الامتحان الشفهي أو التعيين. ومعنى رسوبهم: أنهم (شطبوا) من هذه الشعبة إلى الأبد، ولم يَعُد لهم أي حق في استئناف الدراسة. وهذا تشديد وتعقيد لا ضرورة له فيما أرى، ولا أرى أي جامعة تعامل طلابها بمثل هذه القسوة، والحمد لله الذي نجاني بفضله من هذا البلاء، وهداني بنوره في هذه الظلماء، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وحدي في السنة الثانية!

وفي السنة الثانية كنت وحدي في الشعبة، فإذا حضرت وُجِدت الشعبة، وإذا غبت فقدت. ولذا كان شيوخي يقولون لي: مر علينا ولو في كل أسبوع مرة (تحلة القسم) حتى نقول: حضرنا ودرسنا. وكنت أفعل ذلك كلما استطعت.

وفي هذه السنة مر علينا – وأنا أدرس الحديث عند الشيخ أحمدين – فضيلة شيخنا الشيخ صالح شرف، السكرتير العام للمعاهد الدينية، وهو الرجل الثالث في الأزهر بعد شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر، وقال له الشيخ أحمدين: هذا الشيخ يوسف القرضاوي الذي صفته كذا وكذا! ولو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من اليوم!

قال ذلك الشيخ أحمدين بحسن نية، وهو لا يعرف الأزمة التي حدثت لي معه أيام امتحان الشهادة العالمية. ولكن الشيخ صالح شرف كان عالمًا فاضلًا لم يعتبر في هذا الكلام أي تحدٍّ له!

وكنت قد نقلت إلى الأزهر بعد مجيء الشيخ شلتوت شيخًا للأزهر، محاولًا أن أجمع بقدر الإمكان بين ما يطلبه مني الأزهر من أعباء كلفنا بها الدكتور محمد البهي الذي كنا نعمل معه في الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، وبين الحضور الممكن في شعبة القرآن والحديث في كلية أصول الدين.

وجاءت الامتحانات، وانتهت بسلام، وانتقلت إلى السنة الثالثة والأخيرة في الدراسات المنهجية المطلوبة للحصول على درجة الأستاذية أو (الدكتوراه).

صلاة المغرب الفريدة

ومن الوقائع التي أذكرها ولا أنساها، ويذكرها معي كثير من الإخوة، ويذكرونني بها كلما لقوني: صلاة المغرب الوحيدة التي سمح لنا أن نؤديها كلنا جماعة في السجن الحربي، بعد أن بدأت الغيوم

تتكشف، والأحوال تتحسن، وكان باكورة ذلك أن نودي علينا لنقيم الجماعة في ساحة السجن، ودوى الأذان في ساحة السجن: الله أكبر، الله أكبر، وتجمع كل الإخوان من أدوار السجن الثلاثة، ونحن لا نكاد نصدق ما يجري: أحلم هذا أم حقيقة؟

وقدمني الإخوان لأؤمهم في صلاة المغرب، واعترتني حالة من الرقة والخشوع لا أنسى حلاوتها، وتلوت القرآن بصوت مؤثر يكاد يهز أركان السجن الأربعة، قرأت في الركعتين الربع الأخير من سورة آل عمران: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأنفسكُمْ، وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا، وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) ومررت بالآيات التي تتضمن دعاء أولي الألباب (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا، وَقُعُودًا، وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا – سُبْحَانَكَ – فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

وكان من هذه الأدعية (رَبَّنَا إننا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ أمنوا بِرَبِّكُمْ فَأمنا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَكَفِّرْ عَنَّا سيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ، وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ؛ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا، وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَقَاتَلُوا، وَقُتِلُوا؛ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ؛ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللهِ، وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ).

كنت أشعر كأني لا أقف على الأرض، ولكني أحلق في أفق عالٍ، وكنت كأنما أسمع رجفات قلوب الإخوان من خلفي، وأنا أتلو الآيات من خواتيم سورة آل عمران. وكأنما أجد في الآيات معانيَ جديدة ما كنت أجدها من قبل، حتى انتهيت إلى ختام السورة (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اصْبِرُوا، وَصَابِرُوا، وَرَابِطُوا، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). وقد وجدتني أقرؤها هكذا:

- يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اصْبِرُوا

- يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
- يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
- يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

وسلمت وسلم الإخوان، ووجدت الدموع على الخدود، لا أدري أهي دموع الخشية، أم دموع الرحمة، أم دموع الفرحة؟

يا سبحان الله، كيف أصبحت ساحة السجن التي طالما كانت ساحة للتعذيب والتكدير، والتي عوقبنا فيها ليلة المحاكمة المشهودة، والتي كُم نصبت فيها "العروسة" (صليب خشبي يحتضنه المعذب موثوق الأيدي والأرجل، ويجلد عليه) لعقاب المتمردين، والتي شهدنا فيها الضرب الوحشي للأخ حلمي مؤمن، والتي جُمعت فيها المصاحف وحُرقت! وغيرها وغيرها، كيف تحولت إلى جامع كبير لمثل هذه الصلاة التاريخية؟! لا نقول إلا: سبحان مغير الأحوال.

ووقف جنود السجن مشدوهين متأثرين من هذه الصلاة.

وطلب إليّ الإخوان بعد الصلاة أن ألقي كلمة، فاعتذرت، فلم تكن عندي رغبة في الكلام بعد هذه الصلاة. فتقدم الأخ الأستاذ فريد عبد الخالق، فقال: إنها والله فرصة تُغتنم، وإنما لكل امرئ ما نوى. وألقى كلمة توجيهية، بعث بها الأمل في النفوس، وأن الفجر قريب، وأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

من السجن للامتحان

...وقد كنت في هذه الأيام الساخنة المتوترة أتهيأ للامتحان في الفصل الثاني والنهائي في تخصص التدريس. وقبل أول أيام امتحاني في تخصص التدريس حدث حادث مهم بالنسبة لي؛ فقد فتشت المباحث شقتنا التي نسكن فيها بشارع راتب باشا بشبرا، واعتقل زميلي الذي يعيش معي في

حجرتي، وهو الأخ محمود نعمان الأنصاري، الطالب بكلية الآداب، الذي ضبط بحوزته كمية من المنشورات المحظورة، وكانت الشقة تتكون من أربع حجرات، كل حجرة يسكن بها شخصان. وكان محمود زميلي في نفس الحجرة! فلما قبض عليه وسألوه: لمن هذا السرير في حجرتك؟ فقال: هو لفلان.

فانتظروني حتى عدت في المساء؛ ليسوقوني إلى قسم روض الفرج الذي نتبعه، وأنا لا أعلم شيئًا عن المنشورات التي ضُبطت عند زميلي محمود. وهذه الأيام في غاية الأهمية عندي؛ لأنها أيام الامتحان النهائي لإجازة التدريس، بعد دراسة سنتين.

وقد أوصيت بعض زملائي في الشقة أن يتصلوا بأستاذنا البهي الخولي ليتوسط في الإفراج عني لأداء الامتحان، وأن يتم ذلك على وجه السرعة؛ فالامتحان في الساعة الثامنة صباحًا.

وقضيت هذه الليلة الليلاء ساهرًا، لم يغمض لي جفن، لا من أجل عشق ليلى وسُعدى، كما قرأنا للشعراء العشاق، ولكن خوفًا على الامتحان الذي لو ضاع فربما لا أعوضه إلا بعد سنين، أو ربما لا أعوضه أبدًا؛ فقد كنا مهددين بالاعتقال ما بين حين وآخر. وإن كنت في ذلك الوقت محسوبًا على جناح المعارضة الذي يمثله الأستاذ البهي ومن معه، ولكن أجهزة المباحث تعرف جيدًا أن ولاءنا إنما هو للدعوة قبل كل شيء؛ بغض النظر عما يحدث بين قادتها من خلاف. وهذا ما كان يخيفني: ألا تنجح وساطة أستاذنا البهي في الإفراج عني، ولكن القوم كانوا أذكى وأدهى، ويريدون للخلاف أن يتعمق وتمتد جذوره في الجماعة، فقبلوا الوساطة، ولا سيما مع إلحاح الأستاذ البهي!

وحوالي الساعة السابعة والنصف صباحا نودي علي بالإفراج، ولم أكد أغادر باب القسم، حتى ركضت ركض الفرس، لأصل إلى شارع شبرا، لآخذ أول سيارة أجرة (تاكسي)، لأصل بها إلى مقر الامتحان في (الدَّرَّاسة)، وقد دق الجرس، فظللت أعدو، حتى دخلت الفصل وأنا ألهث وأتصبب عرقًا، وسمح لي بالدخول بعد مرور عدة دقائق. وأديت الامتحان على ما يرام، وقد شعرت بتوفيق

الله تعالى لي في إجابتي عن الأسئلة، رغم أرقي الطويل تلك الليلة.

وربما كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي كسبته من وراء الخلاف الذي حدث بين الإخوان، وإن كان الخلاف كما قال ابن مسعود شرًّا، ولكن كما قال تعالى: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) البقرة: 216.

تركت الشقة التي كنت أسكن فيها بشارع راتب باشا في حدائق شبرا، حين عرفت أنهم يسألون عني؛ لأنها أمست مصيدة لرجال المباحث، فمن دخل إليها فقد ذهب إلى المعتقل برجله، وكنت حريصًا على ألا أعتقل في ذلك الوقت حتى تظهر نتيجة امتحان تخصص التدريس، وأعين مدرسًا بالمعاهد الدينية، وأثبت حقي في ذلك، ثم لا مانع أن أعتقل بعدها.

هكذا كنت أتصور الأمر، وقد ظهرت النتيجة بالفعل، وكان ترتيبي الأول بفضل الله تعالى وتوفيقه على طلاب الكليات الثلاث: أصول الدين والشريعة واللغة العربية، وكان عددهم في تلك السنة 500 طالب. وبقي انتظار التعيين.

وكنت في هذه الفترة أبيت عند الأصدقاء من الإخوان الذين أحسب أنهم غير مطلوبين للاعتقال، وأقيم في بيت أحدهم عدة ليالٍ ثم أغادره، ولا أكاد أغادره حتى يداهمه البوليس ويقبض على من فيه. وضاقت القاهرة عليَّ بما رحبت، وفكرت في الاختباء بعيدًا عن القاهرة؛ حتى يتم التعيين من ناحية، وحتى تخف وطأة الإيذاء والتعذيب، حيث تكون على أشدها في الفترة الأولى، ثم يحدث الاسترخاء شيئًا فشيئًا!

وكان معي في حجز المباحث الأخ الداعية الكريم الأستاذ محمد كمال إبراهيم من إخوان زفتى (بلدي حبيبتي ☺) وكان يعمل في نيابة سمنود، ولما رآني أُظهر الاعتزاز والشموخ، قال لي: هؤلاء إذا رأوك شامخًا معتزًّا بنفسك، افترسوك، وحاولوا أن يذلوك ما استطاعوا، وأن يقهروك بكل ما

يقدرون عليه، وأحسن طريقة معهم أن تظهر (التمسكن) حتى يكفوا عنك.

وقال: هذا ما حاولت أن أفعله معهم، قلت لهم: أنا رجل مقرئ، صوتي جميل بالقرآن، وكانت كل مهمتي في الإخوان أن أفتتح حفلاتهم بقراءة القرآن بصوتي.

قلت للأخ كمال: ألم نكن ننكر على الناس قولهم: "إذا كان لك عند الكلب حاجة قل له: يا سيدي"! وقولهم: "دارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم"، ونسمي هذه: أخلاق العبيد! فكيف تنصحني اليوم أن أتخلق بأخلاق العبيد؟

قال: كلامك صحيح في الظروف العادية، أما الظروف الاستثنائية فلها سلوكها الخاص بها! ألم تحدثونا أنتم علماء الشرع عن أحكام الضرورات، وأنها تبيح المحظورات، وعن أحكام الإكراه وما يترتب عليه، وأن من الصحابة الأخيار من اضطرته الظروف الاستثنائية أن ينطق بكلمة الكفر مكرهًا، وظل خائفًا مشفقًا على نفسه ودينه من هذه الكلمة حتى نزل قوله تعالى: (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) النحل: 106، وقال تعالى في موالاة الكفار من دون المؤمنين "وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي؛ شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) آل عمران: 28.

قلت: صدقت، ولكن هناك خيوطًا دقيقة بين المشروع والممنوع في هذا التعامل، فالعلماء قالوا: المداراة للسفهاء ونحوهم مشروعة، أما المداهنة فمحظورة.

قال: وأنت لا يُطلب منك أكثر من المداراة لهؤلاء السفهاء القساة، لا المداهنة لهم. كل ما أطلبه منك أن تتظاهر بالضعف وإن كنت قويًّا، حتى لا يتجبروا عليك، ويحاولوا أن يكسروا أنفك بما لديهم من وسائل إيذاء.

قلت: وهذه محنة أخرى داخل المحنة، أسأل الله تعالى أن يعيننا عليها. وتذكرت قول حكيم الشعراء أبي الطيب:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن!

واجتهدت أن أنتصح بنصيحة الأخ كمال، وإن كانت صعبة على نفسي. وعلى المرء في زمن كهذا أن يروض نفسه على تحمل الصعاب، مادية كانت أو نفسية!

من عبقرية العسكر:

....كانوا يلقون عليهم دروسًا وتوجيهات معينة تفهمهم أن هؤلاء الذين سيذهبون للتعامل معهم أناس أشرار، وهم خطر على أمن الوطن واستقراره ووحدته، وأنهم لو ترك لهم ما أرادوا لدمروا الوطن تدميرًا. ومعظم هؤلاء العساكر أميُّون لا يعرفون شيئًا، وليست عندهم أي ثقافة تمنعهم من تصديق ما يقال لهم عن الإخوان.

- ولا عجب أن سمعت أحد الجنود يقول لأحد الإخوان: يا مختلس الوطن!

ومعنى هذا: أنهم أفهموه أن تهمة هؤلاء ليست اختلاس خزينة أو متجر، بل اختلاس الوطن كله.

- ومما يدل على جهل هؤلاء تعليقاتهم الغريبة على بعض الوقائع، فأخونا الدكتور عبد الله رشوان سألوه: بتشتغل إيه؟ قال لهم: أنا محام! قالوا: يعني بتشتغل شغلتين في وقت واحد: دكتور ومحام!
- وأخونا الشيخ محمد مصطفى الأعظمي من علماء الهند، كان يدرس في الأزهر العالمية مع إجازة التدريس، وأخذوه مع الإخوان، وكان يلبس زي إخوإننا الهنود من البالطو الأسود، والقلنسوة السوداء، واللحية السوداء، فحينما رأوه حسبوه قسيسًا! فقالوا: يا ولاد الـ! حتى القُسَسة دخلوا فيكم!

ومن دلائل الجهل المطبق عند هؤلاء العساكر أن أحدهم ممن كان يشرف على الإخوان في دورة المياه، يجد تسعة منهم يدخلون المراحيض، والباقين ينتظرونهم حتى يخرجوا، فقال لهم:

يا بهايم، بدل وقوفكم بلا عمل، تنتظرون الذين في المراحيض، استغلوا هذا الوقت في الوضوء، حتى إذا جاء عليكم الدور في الدخول، تكونون قد كسبتم الوضوء، بدل انتظاركم من غير لازمة، لتدخلوا ثم تتوضؤوا!

لا يعرف المسكين أن دخول المرحاض لقضاء الحاجة ينقض الوضوء، مع أن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، يعرفه الخاص والعام.

وكانوا يغرونهم بعلاوات خاصة تدفع لمن كان منهم أشد قسوة، وأكثر وحشية، تسمى هذه العلاوة (علاوة إجرام)، فهذه رشوة مادية تقوي من ضعف منهم، وتزيده خشونة على خشونته، وجمهور هؤلاء – بل كلهم – من الفقراء، ممن يغريه القليل من المال لفعل ما يراد منه.

البكابورت (المجاري)

ومما لا أنساه أن فتحت الزنزانة في صباح يوم، وكان يوم جمعة، وأشار العسكري إليّ، وقال: تعال أنت، فسأله الإخوة: ماذا تريدون منه؟ قال: تنظيف "البكابورت" (مجمع المجاري في المكان)!

قالوا له: إنه لا يصلح لهذه المهمة، خد أحدنا مكانه، فهذا شيخنا وعالمنا. قال: لا، لا أريد غيره!

وذهبت معه إلى هذه البئر الذي سدته بعض الأوساخ والقاذورات، وكان لا بد من تسليكه، وقد وجدت هناك عددًا من الإخوة كأنهم انتقوهم انتقاء، كلهم من الأطباء والمهندسين والمحامين، أذكر منهم الأخ أحمد حشاد؛ الدكتور العالم أحمد حشاد بعد ذلك! وكنا نؤدي عملنا بهمة ونشاط، ونحن نضحك ونمزح، وماذا جرى؟ ذهبت وأنا يوسف القرضاوي، ورجعت وأنا يوسف القرضاوي!

وشكر الله لإخواني الذين حرصوا على أن يعفوني من هذه المهمة الكريهة في نظرهم، فأجروا بنيتهم، وإنما لكل امرئ ما نوى.

مغامرات تنتهي في غرفة الحريم

في أوائل شهر أغسطس سنة 1952م، أي بعد حوالي مضي أسبوعين على قيام ثورة 23 يوليو جاءني أمر من الأستاذ الهضيبي المرشد العام أن أتهيأ لرحلة إلى بلاد الشام: لبنان وسوريا والأردن، أنا والأخ الفاضل الأستاذ محمد علي سليم من إخوان الشرقية، توثيقًا للصلة بالإخوة هناك، وتعميقًا للتربية عندهم.

وكانت هذه أول رحلة لي خارج مصر، وقد رحبت بها كل الترحيب، فالسفر نصف العلم، وفي أمثالنا قالوا: الذي يعيش يرى كثيرا، قيل: لكن الذي يسافر يرى أكثر، وقد حفظنا من شعر الإمام الشافعي:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب	من راحة، فدع الأوطان واغترب
إني رأيت وقوف الماء يفسده	إن سال طاب، وإن لم يجر لم يطب
والتبر كالتُرْب ملقى في أماكنه	والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرّب هذا عز مطلبه	وإن تغرّب ذاك كان كالذهب

لهذا استبشرت بهذه الرحلة لأرى فيها الدنيا والناس، وأتعلم من مدرسة الحياة لا من الكتب وحدها!

وفيها كانت لي هناك أوليات شتى:

فهي أول مرة أستخرج فيها جواز سفر، وأول مرة أركب فيها الباخرة إلى خارج مصر، فقد ركبت الباخرة (عايدة) إلى بيروت، وأول مرة أركب فيها الطائرة عائدًا إلى مصر من عمَّان، وأول مرة ألبس فيها قميصًا وبنطلونًا، وأول مرة أضطر للتعامل مع إخواني باسم غير اسمي، وأول مرة أحمل فيه نقدًا غير العملة المصرية، وأتعامل به! إلى آخره.

كانت الثورة في أيامها الأولى، ولم يكن يُسمح لأحد بالسفر إلا بتصريح من رجال الثورة، ولا بد أن يكون التصريح مسببًا، ولكن كانت العلاقة حسنة بين رجال الثورة والإخوان، فاستطاع الأستاذ منير دلَّة عضو مكتب الإرشاد أن يستخرج لي تصريحًا بالسفر، مندوبًا لشركة أدوات كهربائية يملكها أحد الإخوان.

وكان علينا أن نسافر بأرخص الوسائل؛ حتى لا نكلف الجماعة الكثير، فكانت الباخرة هي الأرخص، وعلينا أن نختار أرخص الدرجات في الباخرة، وهي ما يسمونه (أون دِك) أي على السطح، وكان الأخ سليم هو الذي يتولى الصرف. ووصلنا إلى الإسكندرية، وألقيت محاضرة بدار الإخوان هناك، وبتُّ عندهم، لنسافر من الغد إلى بيروت.

وركبنا الباخرة (سيبيريا) على ما أذكر، وأخذنا موقعنا على سطحها، وقلنا: بسم الله مجراها ومرساها، وكان السطح جميلًا جدًّا، وخصوصًا بالليل، تطالعنا نجوم السماء، التي جعلها الله زينة ومصابيح للسماء، وزينها للناظرين، وكان البحر الأبيض في غاية الروعة والجمال والجلال، والباخرة الكبيرة تشق عبابه في قوة وانسياب، وأتذكر قوله تعالى: (ومن آياته الجوار في البحر كالإعلام) الشورى: 32.

وفي اليوم التالي، وصلنا إلى بيروت، وهي مدينة هادئة جميلة، ومعظم شوارعها لا يتسم بالسعة، ولم يكن فيها في ذلك الوقت أي ازدحام في الشوارع أو في المواصلات، بل الحياة رحبة كنسيم البحر الذي يهب عليها، ولم يكن للإخوان وجود رسمي بها، ولكن كانت هناك جماعة (عباد الرحمن) التي أسسها الداعية والمربي الفاضل الأستاذ محمد عمر الداعوق، فتعرفنا على من لقيناه منهم، ولا أذكرهم الآن، ولم يكن الأستاذ الداعوق حاضرًا ببيروت.

وكان في بيروت الأستاذ الفضيل الورتلاني أحد مشاهير علماء الجزائر الذين نفتهم فرنسا من الجزائر، لخطورتهم ونشاطهم، وقد بقي في القاهرة مدة من الزمن، وكان على صلة وثيقة مع الأستاذ

البنا، وقد كلفه الأستاذ البنا بملف (اليمن) والاتصال بأحرارها ورجال الإصلاح فيها، وكان له دور معروف غير منكور في انقلاب اليمن على الإمام يحيى حميد الدين، وقد فشل الانقلاب الذي قام به ابن الوزير، وسيف الإسلام إبراهيم ابن الإمام يحيى، بعد أن نجح أول الأمر، ولكنه لم يستقر، وقد فر الأستاذ الورتلاني من اليمن، وحاول أن يجد بلدًا يؤويه، فلم يجد، وظل على ظهر الباخرة شهرين، حتى استطاع بوسيلة وأخرى أن ينزل إلى بيروت، ويُعرف بين الناس باسم (أبو مصطفى) وكانت فرصة طيبة لي أن التقيت به وتحدثت طويلًا إليه، واستمعت إلى أفكاره في الإصلاح، واقترحت عليه أن ينزل إلى مصر، بعد تغير الوضع وزوال الملكية، ووافق على ذلك، على أن ينزل في صورة تليق بمكانته وتاريخه.

بقينا في بيروت نحو ثلاثة أيام، ثم عزمنا متوكلين على الله أن نتوجه إلى دمشق عن طريق البر طبعًا، وكان الأخ محمد سليم قد اقترح علي أن أغير زيي الأزهري، لأنه يلفت النظر في سوريا، في حين نريد أن نقضي أيأمنا في ربوعها بلا ضجيج ولا إعلان.

ولهذا اشتريت قميصًا وبنطلونًا، وخلعت الكاكولة والعمامة، ولبستهما لأول مرة، وكان هو الأليق بالحال في سوريا، فقد دخلت سوريا عصر الانقلابات العسكرية من حسني الزعيم إلى الحناوي إلى أديب الشيشكلي، الذي يحكم سوريا آنذاك، وقد كانت قبضة الحكم العسكري قوية، ورجال المكتب الثاني يسيطرون على أزِمَّة الأمور.

لهذا لم يكن من الحكمة أن أتحرك بالزي الأزهري، الذي يجعل الأصابع تشير إليّ حيثما ذهبت، بل اقترح علي الإخوة المسؤولون في دمشق، ومنهم الأخ كاظم نصري، والأخ علي الحسن المسؤول عن الأسر، أن أختار اسمًا آخر أتعامل به مع الإخوان، فاخترت اسم (عبد الله المصري) حتى لا يكون فيه كذب، فأنا عبد الله، ومصري.

وعرفني عامة الإخوان السوريين بهذا الاسم، إلا أخوين أو ثلاثة، ورتب لي الأخ علي الحسن

لقاءات مع عدد من الأسر، ألتقي بهم في سرية وتكتم، حتى لا نُكشف أمام جهات الأمن المفتحة الأعين.

وفي ليلة من الليالي كنت في بيت أحد الإخوان الدمشقيين، ألقي عليهم درسًا، مع حرصي على خفض صوتي، إلا أن طبيعتي غلبتني، وارتفع صوتي دون أن أشعر، وهو صوت مصري اللهجة، وسرعان ما سمع الإخوة طَرْقًا على الباب، فقالوا: المكتب الثاني!

وهنا أدخلوني إلى مكان الحريم في الداخل، وفُتح الباب، وإذا هو أحد رجال الأمن، اقتحم عليهم الباب، ودخل الحجرة التي فيها الإخوان، فقال: هل عندكم ضيف؟

فقالوا: ليس عندنا أحد، ولكنا نجلس لتلاوة القرآن، ويحدثنا أحدنا في تفسير بعض الآيات!

ولم يجترئ الرجل أن يفتش حجرات الحريم، ومرت الليلة بسلام.

غباء دعوي إندونيسي

وأذكر ما قاله لنا وزير الشؤون الدينية حين قابلته مع الشيخ الأنصاري رحمه الله، أن إحدى القبائل الوثنية الكبرى أرادت الدخول في الإسلام، فاتصل زعماؤها ببعض كبار مشايخ الدين في منطقتهم، وعرضوا عليهم رغبتهم في الدخول في دين المسلمين، فماذا يطلب منهم في ذلك؟

فقالوا لهم: مطلوب منكم شيء واحد حتى يكون إسلامكم مقبولًا؟

قالوا: وما هو؟

قال المشايخ: أن تختتنوا!

قال ممثلو القبيلة: وهل هذا أمر لازم؟

قالوا: هو من شعائر الإسلام، والفارق بين المسلم وغير المسلم!

وهنا قال القوم: نشاور أهلينا في ذلك، وذهبوا ولم يعودوا، خشية من هذه المذبحة الجماعية!

فتصوَّر هذا الفقه الأعوج، الذي يضع العقبات في طريق من يرغب في الإسلام!

ولقد دخل الألوف وعشرات الألوف أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، فما رأيناهم اشترطوا على الناس أن يختتنوا، أو يكشفوا على الناس، ليروا من اختتن ومن لم يختتن!

وكما قال الرسول الكريم: بني الإسلام على خمس! لم يكن منها الاختتان!

فانظر يا أخي إلى المنصرين الذي جاؤوا من أمريكا وأوربا وأستراليا: كيف يقدمون المغريات للناس ليدخلوهم إلى النصرانية؟ وكيف يضع مشايخنا المعوقات أمام الناس ليصدوهم عن الإسلام؟!

وشيء آخر عرفته من الإخوة هناك، وهو: أني وجدت الكتاب المقدس عند النصارى (العهد القديم والعهد الجديد) في كل حجرة في الفندق الذي ننزل فيه، ألم يكن الأولى أن نضع لهم مصحفًا معه ترجمة، قيامًا بواجبنا نحو الإسلام؟

فقال لي الإخوة: إن المشايخ لم يجيزوا ذلك؟ لأن المصحف لا يمسه إلا المطهرون، وهؤلاء نجس فلا يجوز لهم مس القرآن!

سأكون شيخ الأزهر:

جاءنا أحد المشايخ ونحن في السنة الأولى الثانوية، في حصة إضافية، وكان شيخًا ظريفًا صاحب نكتة، فأراد أن يتسلى مع الطلاب، فقال: أريد من كل طالب منكم أن يذكر أمنيته التي يريد أن يحققها في حياته، وفي مستقبل أيامه: ماذا يريد أن يكون؟

وطفق الطلبة في الفصل يذكر كل منهم ما يريد أن يكون في مستقبل حياته!

فقال أحدهم: أريد أن أكون ضابطًا في الجيش. فقال له الشيخ: ستكون إن شاء الله خفيرًا حارسًا

على مقابر الموتى.

وقال أحد الطلاب: أريد أن أكون مدرسًا في ثانوي الأزهر، مثل فضيلة الشيخ. فقال الشيخ: ستكون معلم كُتَّاب في قريتكم! حتى جاء عندي وقال لي: وأنت ماذا تريد؟

قلت له: اسمح لي يا فضيلة الشيخ أن أصارحك بما أريد، إني أريد أن أكون شيخًا للأزهر!

وتوقع الطلاب أن يعلق الشيخ الساخر على طريقته، وخصوصًا مع غرابة الأمنية، ولكنه فاجأ الجميع بقوله: لا تستبعدوا هذا يا أولاد؛ فكم من أمل كبير قد تحقق، وكم من حلم بعيد أصبح حقيقة. وفي التاريخ وفي الواقع أمثلة كثيرة لأناس حلموا أحلامًا ظنها الناس شطحات الخيال، أو من توقعات المحال، اجتهد أصحابها وجاهدوا حتى وصلوا إليها.

وقد سألني الأخ عبد العزيز السيد المذيع بتلفزيون دولة قطر، وقد كان يسجل معي ذكرياتي عن مسيرة الحياة، وجاء ذكر هذه الواقعة، فقال لي: وهل لا تزال هذه الأمنية واردة؟

قلت له: أولًا، قد فات الأوان من ناحية، فأنا في الخامسة والسبعين من عمري!

ومن ناحية ثانية، لم يعد شيخ الأزهر وحده قادرًا على تحقيق ما يريده من إصلاح وتجديد، حتى تسانده الدولة، أو على الأقل تطلق يده! ومن لمثلي بهذا؟

علو الهمة

كنت في الشهادة العالمية حريصًا كل الحرص على أن أكون الأول، والمسلم ينشد الأحسن والأمثل دائمًا، كما قال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه) الزمر:17-18.

والله تعالى يحب معالي الأمر ويكره سفسافها، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى).

فلا تلوموني إذا كان طموحي إلى الأولية، واشتد حرصي عليها، وقد استعددت لها بما يسَّره الله لي، ووفقني إليه من الاستذكار ومن المراجعة، التي أعتبرها كافية بالنسبة لي، ولتكويني العلمي السابق المؤسس على قواعد مثبتة، ولله الحمد.

للمسلمين جميعًا:

وبعد ذلك رأيت أن أستعفي من العمل التنظيمي في جماعة الإخوان، وأن أتحرر من الالتزام بأي عمل رسمي في تنظيم الإخوان، وأن أتفرغ للعمل الإسلامي العام، فوضعي اليوم يقتضي مني أن أكون للمسلمين جميعًا، على اختلاف اتجاهاتهم، واختلاف أقطارهم، واختلاف مذاهبهم.

هذا مع أني لا أنكر انتمائي لدعوة الإخوان نشأة وفكرًا وولاء، وسأظل أعمل لترشيد مسيرة الإخوان، وتسديد خطاها، وتحذيرها من المزالق والمضايق! وهذا لا ينافي أن أنقدها كما أنقد غيرها من الحركات والجماعات. وقد رضي مني الإخوان هذا الموقف الذي يراه كل الراشدين أنفع للإسلام ولأمته، وإن كان بعض رجال الأمن يعتبرون ذلك من باب (توزيع الأدوار). وهؤلاء لو أقسمت لهم بالأيمان المغلظة، أو أتيتهم بكل آية وبينة، لم يصدقوك.

خبرات الحياة

ومن المهارات التي اجتهدت في الحصول عليها في أواخر المرحلة الثانوية: الحصول على (رخصة القبانة) أو القبانية، ولها إجراءات وتعقيدات وامتحانات حتى يحصل المرء عليها من طنطا. وهذه الرخصة تمكن صاحبها من وزن (القطن) الذي يشتريه التجار من الفلاحين، في مقابل أجر، وإعطاء ورقة مختومة بمقدار وزن القطن بالكيلو جرام، مضروبًا في سعر القنطار، لمعرفة قيمة الصفقة بالجنيهات والقروش المصرية. وهذه الورقة التي يصدرها القباني معترف بها لدى البائع والمشتري والجهات الرسمية.

وكان هذا موردًا إضافيًّا، اشتغلت بها موسمًا واحدًا في إطار الأقارب والجيران، والأصدقاء، ثم تغيرت الأمور، فلم أكررها، مع أنه كلفني شراء قباني (ميزان من نوعٍ خاص) وما يعلق عليه.

وفي تلك الفترة –أو بعدها– دخلت في تجارة (القطن بالقطَّاعي) أنا وصديقي السيد مولانا، نشتري من الأفراد ما يريدون بيعه من الصفقات الصغيرة للقطن، التي يبيعها الفلاحون عادة لمحلات شراء

القطن الصغيرة، ونحن بدورنا نبيعها كل فترة للتجار الكبار، ونكسب من الفرق بين الشراء والبيع. ولكن لتجارة القطن مفاجآت في العلو والهبوط، فهي غدارة كالدنيا، وأذكر أننا بعد أن كسبنا كسبًا طيبًا، نزل السعر في السوق، فضاع ما ربحناه، ورجعنا نقول: (كأنك يا بو زيت ما غزيت)!

مسجد الشيخ يوسف

كانت نفقات الحياة بالقاهرة كثيرة؛ المسكن والمعيشة والتنقل والملبس والكتب! وغيرها، وليس لي مورد يغطي هذه التكاليف؟

أخي وزميلي محمد الدمرداش حل هذه المشكلة بالتقدم إلى وزارة التربية والتعليم ليعين بالثانوية مدرسًا، وقد كان، وعُين بالصعيد، ولكن مثل هذا العمل لا يلائمني بالمرة، فأنا لا أريد عملًا يقطعني عن الحضور بالكلية، ويبعدني عن القاهرة مركز الدعوة والنشاط والحركة.

ولهذا فكرت في أن أعمل خطيبًا بأحد المساجد الأهلية، وآخذ مكافأة تكفيني!

وقد دلني بعض الإخوة على مسجد يُنشأ في المحلة الكبرى في شارع البحر، وهو أكبر الشوارع في المحلة، وهو يوشك أن ينتهي، والذي أنشأه أسرة "آل طه"، من أعيان المحلة، وسيحتاجون قطعًا إلى خطيب للمسجد!

ودلوني على الحاج رشاد طه، وهو ضابط مهندس كبير بالجيش، ومن أهل الصلاح والتقوى، بالفعل سألت عن مسكنه في القاهرة وزرته وعرفته بنفسي، وحاجتي إلى العمل بالمسجد، وطلبت منه أن يسأل عني، فقال لي: الكتاب يُقرأ من عنوانه، وسأجتهد في إقناع عمي الحاج حسن بذلك، والله يختار الخير.

وتم الأمر بحمد الله، وافتتحت المسجد بأول خطبة حضرها عدد ملأ المسجد، وهو صغير نسبيًّا، وفي الجمعة التالية صلى الناس خارج المسجد، وما زال العدد يتضاعف حتى أصبح الذين يصلون

في الشارع أضعاف الذين يصلون داخل المسجد؛ وهو ما اضطر أصحاب المسجد أن يبنوا ملحقًا بجواره من عدة طوابق، حتى يتسع للناس.

وكان الناس يفدون إليه من طنطا، ومن سمنود، ومن طلخا، والمنصورة، وبات مدرسة متميزة يقصدها الكثيرون للاستفادة منها. وكنت كثيرًا ما أجعل الخطب سلسلة متماسكة الحلقات، بعضها في العقائد، وبعضها في العبادات، وبعضها في أخلاق المؤمن، وبعضها في مشكلات الحياة والمجتمع، وبعضها في قضايا أمة الإسلام.

وقد اشتهر المسجد باسم (مسجد الشيخ يوسف) وقلت للإخوة: أنا حريص على أن يظل اسمه (مسجد آل طه) تشجيعًا لهم، وتنويهًا بعملهم الصالح، فقد قرروا لي مرتبًا (عشرة جنيهات كل شهر)، حلوا بها مشكلتي الاقتصادية، جزاهم الله خيرًا، كما أنهم لم يضيقوا علي في حضور ولا غياب؛ فلي أن أباشر أنشطتي كما أشاء، وحسبهم السمعة الكبيرة التي جاءتهم من وراء المسجد!

وكنت آتي إلى المسجد مساء كل خميس، لألقي درسًا في المسجد، وأصلي الجمعة، وكثيرًا ما تكون هناك حلقة بعد الجمعة!

وبعد عودة الإخوان الرسمية كنا نخرج من المسجد في تجمع كبير إلى دار الإخوان، وهي قريبة من المسجد، وأصلي المغرب والعشاء في المسجد، ثم أسافر مساء الجمعة أو صباح السبت إلى القاهرة. وفي الصيف كنت أقيم بصفة دائمة في المحلة.

حب التفرد

في هذه السنة كانت أول خطبة منبرية في حياتي، فقد ذهبنا إلى القرية، لا أذكر بأي مناسبة، وطلب إلي أن أخطب الجمعة، فرحبت بذلك، وألقيت خطبة كان موضوعها (الشكر لله).

وقد لاقت قبولًا حسنًا من الناس، وأثنى عليها العلماء وطلاب الأزهر، وقالوا: إنها فريدة في

مضمونها وفي طريقتها وفي إلقائها. فلم أحاول أن أقلد فيها زيدًا أو عمرًا من الخطباء الذين كانوا قبلي. وهذا هو ديدني دائمًا وأبدًا: ألا أحاول تقمص شخصية غيري، بل أنطلق من ذاتي وحدها، تاركًا نفسي على سجيتها.

كان ذلك في مسجدنا الجامع مسجد المتولي، الذي بدأت به أول درس ديني. وكنت ألبس جلابية أقرب إلى أن تكون بيضاء، وطاقية على رأسي، ولم أتقيد بحمل السيف الخشبي الذي تعود خطباء البلدة أن يحملوه كلما ارتقوا المنبر؛ لأني لم أشأ أن أكون موضع سخرية للأدباء الناقدين الذين يقولون: سيوف كل الناس من حديد، وسيوف خطبائنا من خشب!

البنك الإسلامي

قامت البنوك الإسلامية أول ما قامت على أناس جاؤوا من البنوك الربوية، فليس عند أكثرهم أي فقه شرعي، ولا عندهم أي إيمان بفكرة بنك إسلامي، ولا عندهم أي التزام بخلق إسلامي، حتى كان منهم من لا يقيم الصلاة، ومن تدخل عليه وهو يدخن سيجارة. بل حكى لي بعضهم أن منهم من كان يفطر في رمضان! فهل يؤمن هؤلاء على إقامة مؤسسة إسلامية يأتمنها المسلمون على تنمية أموالهم في الحلال، وهم لا يعرفون حلالا من حرام؟!

لقد دخلت على مسؤول كبير في البنك يومًا فوجدته يلبس في يده خاتمًا كبيرًا من الذهب، فقلت له: هذا حرام على الرجال في الإسلام. فقال: إن والدتي أهدته إليَّ حينما تزوجت!

قلت: والدتك لم تكن تعرف أنه حرام. قال: ولا أنا أعلم أنه حرام.

قلت: سأهديك كتابًا يعطيك فكرة معقولة عن الحلال والحرام. فأهديته كتابي (الحلال والحرام في الإسلام). فلما قابلته بعد ذلك. قال: إن كتابك قد علمني كثيرًا مما كنت أجهله؛ لقد كنا في جهالة وعمى، ففتح عيني. ووجدته قد خلع خاتمه الذهبي، ولم يعد في يده!

محاكمة

بعد أن مكثنا أياما في السجن الحربي لا أذكر عددها، ولكنها ليست كثيرة، نودي علينا للذهاب إلى المحكمة، فحشرنا في (لوريات عسكرية) ونزلنا منها محلوقة رؤوسنا جميعًا بالموسى، وكان المحاكَمون في هذا اليوم من إخوان المحلة، وإخوان بسيون، وإخوان بين السرايات بالقاهرة.

وكانت الأعداد كبيرة، والمحاكمات سريعة، قد لا تستغرق محاكمة الفرد أكثر من ثلاث دقائق أو خمس على الأكثر. وربما كانت محاكمتي من أطول المحاكمات نسبيًّا، لما جرى فيها من نقاش لم يكن معتادًا، وإن كانت لم تلبث أكثر من دقائق معدودات.

تلا ممثل الادعاء التهمة الموجهة إليّ وإلينا جميعًا، هي:

1. الاشتراك مع آخرين في اتفاق جنائي لقلب نظام الحكم عن طريق إحداث فتنة دامية، والقيام باغتيالات واسعة النطاق، وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة للمرافق العامة، وتخريب شامل في جميع أنحاء البلاد، تمهيدًا لاستيلاء الجماعة التي ينتمي إليها على مقاليد الحكم بالقوة.

2. والاشتراك في جهاز سري مسلح مناهض للدولة ومخالف لقوانينها، بهدف قلب نظام الحكم بالقوة.

قال ممثل الادعاء كلامًا كثيرًا يطلب فيه لي ولإخواني أقسى العقوبات، وقال عني أكثر مما قال عن غيري من المتهمين، وإني كنت أهيئ الإخوان لعلميات الاغتيال والتخريب، وأعدّهم لليوم الموعود، وأعدهم على ذلك بجنة الفردوس، إلى آخر ما قال مما لم أعد أذكره.

وقال رئيس المحكمة: مذنب أو غير مذنب؟ قلت: غير مذنب.

سألني رئيس المحكمة؛ وقد نسيت اسمه: ألم تكن عضوًا في الجهاز السري للإخوان؟

قلت: أنا من الإخوان منذ سنة 1943م أخطب وأحاضر وأدرس، وأنظم القصائد، وأجوب البلاد، في وضح النهار، وتحت الأسماع والأبصار.

قال: حضرتك "حتخطب" لي خطبة؟

قلت: لا، ولكني أشرح لسيادتك أن عملي في الإخوان عمل علني بطبيعته.

قال: ولكن عبد الحميد الرفاعي رئيس الجهاز في المحلة قال: إنك عضو في الجهاز، وإن رئيس الجهاز في الغربية قال له: إنك الموجه الروحي للجهاز في الغربية.

قلت له: يا سيادة الرئيس، أنا الموجه الروحي للإخوان كلهم في الغربية، ولكني لم أبايع أحدًا للانضمام إلى الجهاز السري.

قال: هل تعرف يوسف طلعت؟

قلت: ومن في الإخوان لا يعرف يوسف طلعت؟ لقد عرفته في المعتقل سنة 1949م في جبل الطور.

قال: وهل عملت معه بعد أن تولى رئاسة الجهاز السري؟ قلت: لا. لا معه ولا مع غيره.

وصدر الحكم علي بالسجن عشر سنوات مع إيقاف التنفيذ.

وكان الذي يأخذ حكمًا مع إيقاف التنفيذ، أو الذي يأخذ حكمًا بالبراءة، يبقى في السجن، لا يغادره، حتى سئل أحد الإخوة الظرفاء بعد الحكم: بماذا حكم عليك؟ فأجاب: براءة مع إيقاف التنفيذ!

بل هذا شأن الذين لم يقدموا إلى للمحاكمة أصلًا. بل هو شأن أناس أخذوا خطأ، وليس له أي صلة بالإخوان من قريب ولا من بعيد، ولكنهم حشروا في زمرتهم فجرى عليهم ما جرى على الإخوان. وكثير منهم خرج من السجن وقد أصبح من الإخوان.

حمزة

وعدنا إلى السجن، ودخلنا زنازيننا، وأخلدنا إلى النوم قليلًا، وإذا بالزنازين تفتح علينا فجأة، وقلنا: يا ستار استر، اللهم إنا نعوذ بك من شر هذه الليلة، وشر ما فيها. فتح الزنازين في هذا الوقت قبل منتصف الليل لا يكون إلا لشر.

وما هي إلا ثوانٍ حتى نودي علينا بالنزول إلى صحن السجن، فوجدنا قائد السجن حمزة البسيوني ينتظرنا في الساحة، وحوله زبانيته وعساكره، وعلى رأسهم (صول) السجن أمين السيد، وصدر إلينا الأمر أن نركض ونعدو بأسرع ما يمكننا في صورة دائرة أو حلقة مفرغة في ساحة السجن، والعساكر بالكرابيج من حولنا يضربوننا لنسرع أكثر وأكثر. وإذا سقط أحد منا انهالوا عليه حتى يقوم!

ولا أدري كم مضى علينا من الوقت، ونحن نلهث تحت السياط! ولكني كنت شابا قوي الجسم، في الثامنة والعشرين من عمري، فلم يزعجني هذا الركض كثيرًا، فقد كنا نمارس المشي والجري من قبل، ولكن قلبي كان يتقطع إشفاقًا على إخوة لي بعضهم كبار في السن، أو بعضهم يشكون من السمنة وثقل الجسم، مثل الأخ محمد كمال إبراهيم من إخوان زفتى، ممن لا يستطيعون مواصلة هذا العَدْو، ولا سيما بعد أن طالت مدته، فكانوا يخرون من الإعياء، وعساكر البسيوني لا يرحمونهم، ولا يشفقون، بل يزيدونهم عذابًا على عذابهم بمضاعفة الضرب عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم أوقف هذا الطابور، وهم يسمونه (طابور تكدير) وأمرنا أن نقف صفوفًا، لنأخذ حظوظنا مما يقسمه أو (يصرفه) لنا القائد البسيوني من الكرابيج، فمنا من كان حظه (عشرة كرابيج) وهذا نصيب الأغلبية، ومنا من نصيبه خمسون كرباجًا، منهم الأخ خليل دبايح من "بين السرايات"، والفقير إليه تعالى.

وأصحاب العشرة عليهم أن يقعدوا في الأرض ويمدوا أرجلهم ليضربهم الجنود، واحدا بعد الآخر.

أما أصحاب الخمسين، فتنصب لهم (الفلكة) وتقيد فيها أرجلهم، ويجلدون بإشراف حمزة نفسه.

وقد جاء دوري، ووضعتُ في الفلكة، واستمر الضارب يضرب، ولا أدري هل أكمل الخمسين أو وقف دونها، ولا أذكر أنها آلمتني كثيرًا، إلا أني رأيت الدم يسيل من ساقي بغزارة.

ووقف حمزة يخطب فينا – نحن الذين حوكمنا في ذلك اليوم من إخوان الغربية وبين السرايات، والذين سيحاكمون غدا – فقد أحضرهم حمزة ليشهدوا بأعينهم ما نزل بنا، ليتخذوا منا عبرة.

ومما قاله البسيوني:

تريدون أن تجعلوا من أنفسكم أبطالًا بالإنكار أمام المحكمة. أنا سأحاكمكم هنا، وأصدر عليكم ما شئت من أحكام، حتى الإعدام، ولن يحاسبني أحد. أنا هنا القانون، لا قانون غيري!

ثم التفت إليَّ وقال: حضرتك رايح تخطب لي أمام المحكمة، وتنكر ما نسب إليك؟

قلت: من حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه.

قال: فاخطب لنا الآن خطبة من خطبك التي كنت تخطبها في المحلة أو في الأزهر.

قلت: المجال ليس مجال خطابة.

قال: اختر لك واحدة من اثنتين: إما أن تخطب لنا خطبة، وإما أن تغني لنا أغنية!

قلت: لست من أهل الغناء حتى أغني.

قال: فأسمعنا خطبة من خطبك.

قلت: لا بأس، وماذا تملك إذا سلط عليك متكبر جبار، مطبوع على قلبه، لا يخشى خالقًا، ولا يرحم مخلوقًا، جنوده من حوله مطيعون له كأدوات في يديه، وأنت أسير عنده، وهو يقول عن نفسه: أنا القانون. وهو كذلك فعلًا، فلا رقابة عليه، ولا أحد يحاسبه، وكم من شاب قضى نحبه

في زنازين التعذيب، وشطب من سجلات السجن، ولم يسائله أحد. فهل تملك أمام جبروته وتألهه إلا أن تؤمر فتطيع؟!

لهذا لم أملك حين أصر أن أخطب أو أغني، إلا أن أختار الخطبة. وحمدت الله تعالى وأثنيت عليه، وصليت على نبيه ثم قلت مخاطبًا الإخوان الموجودين في ساحة السجن، وبالقرب منا إخوان داخل الزنازين يسمعون ما يجري:

قال العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يرفع إلا بتوبة. وإن أحوج ما يكون المؤمن إلى التوبة والاستغفار إذا نزلت به الشدة، وحل به الكرب، فعليه أن يقول ما قاله أبوه آدم وأمه حواء: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفسنَا، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الأعراف: آية 23، وقد قص علينا القرآن قصة نبي الله يونس ذي النون، حين التقمه الحوت، فنادى في الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت: (أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ، سُبْحَانَكَ؛ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) الأنبياء: آية 87، وقال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) الأنبياء: آية 88.

وقال صلى الله عليه وسلم: "دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين."

فتضمنت هذه الكلمة: التوحيد بقوله: (لا إله إلا أنت) والتنزيه عن كل نقص بقوله: (سبحانك) والاعتراف بالذنب بقوله: (إني كنت من الظالمين).

ولا أدري أكان البسيوني يسمع ما أقول أم لا؟ وإذا سمع هل فهم أم لا؟ على كل حال لقد أرضى غروره بإرغامي على الخطابة. وربما فهم من كلمتي أنها اعتراف منا نحن الإخوان بأننا كنا من الظالمين، فسكت عني.

عودة للكتَّاب

وفي منطقتنا كان كتاب الشيخ "يماني مراد"، وكتاب الشيخ "حامد أبو زويل". وقد ذهبت أول ما ذهبت إلى كتاب الشيخ يماني، بإغراء من أحد أقاربنا الذي كان من تلاميذ هذا الكتاب. ولكني انتسبت إليه يومًا واحدًا فقط، ولم أعد إليه بعد ذلك؛ وذلك لأن الشيخ يماني ضرب التلاميذ جميعا (لتنشيطهم) وكنت بالطبع من المضروبين. فعز عليّ أن أُضرب ظلما وبلا سبب، وفي أول قدومي، ورفضت أن أعود إلى هذا الكتاب مرة أخرى.

ويبدو أن كراهية الظلم والنفور منه، والثورة على مرتكبيه – ولو كان ظلمًا صغيرًا – خصلة قديمة عندي، أو هي فطرة فطرني الله عليها، فلا أحب أن أَظْلِم أو أُظْلَم، وقد تعلمت بعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله أن يَظْلِم أو يُظْلَم، أو يَجهل أو يُجهل عليه.

وهذا الظلم الذي وقع علي جعلني أنقطع عن الذهاب إلى أي كتاب مدة من الزمن، حتى حرضتني والدتي رحمها الله على الذهاب إلى كتاب الشيخ حامد، وهو جار لبيت جدي (والد أمي) وأنها ستوصيه بي خيرًا، وستوصي والدته – خالتي رَيَّا – بي أيضًا، وكانت أمي حريصة كل الحرص على أن أتعلم. وبالفعل أخذت بيدي في زيارتها لبيت أبيها وسلمتني إلى الشيخ حامد، وقالت له: هو أمانة عندك! قال لها: إنه ابننا، وهو في أعيننا.

وفعلًا استقبلني الشيخ حامد رحمه الله استقبالًا حسنًا، وكنت محظيًّا عنده وعند والدته رحمها الله! وقد لاحظ الشيخ حامد أني تلميذ مجتهد؛ وانتبه لسرعة حفظي، وسلامة نطقي، كما لاحظ أني أول صبي يحضر إلى الكتاب، أذهب مبكرًا وأدق الباب على خالتي ريا، وآخذ مفتاح الكتاب، أو تفتحه هي لي، وتحذرني من (البراغيث) فقد كانت أرضية الكتاب من التراب، كأكثر منازل قريتنا، والكتاب جزء منها، وكان أول من يذهب إلى الكتاب تصطاده البراغيث وتتجمع عليه، وهذا ما

كان يحدث لي كل يوم، ولا ينجيني منها إلا القعود على (الدِكَّة) متربعًا! حتى يأتي بقية الصبيان، ويأخذوا حظهم بالاشتراك والمساواة من "قَرْص" البراغيث. وهذه البراغيث سهلت علي فهم قاعدة في النحو عرفتها بعد ذلك، وهي نجري على لغة من لغات العرب، ويسمونها لغة: أكلوني البراغيث!

كان الكتاب بمثابة مدرسة خاصة، ولكن رسومه وأجوره كانت زهيدة بسيطة؛ فهو يأخذ نصف قرش في يوم الأربعاء من كل أسبوع؛ وذلك لأن الأربعاء يوم سوق القرية، مع هذا كان نصف القرش هذا ثقيلًا على بعض الناس، وأنا منهم.

ولكن الشيخ حامد كان يتسامح معي إذا لم أجد نصف القرش؛ لأمرين: لأنه يعرف أني يتيم، والثاني: لنجابتي بين تلاميذه. وكان هذا من فضل الشيخ حامد ومكارم أخلاقه، حتى إنه أصبح يأخذ مني نصف القرش كل أسبوعين.

كان الشيخ حامد من حفاظ القرآن المحترمين، عزيز النفس، محتفظا بكرامته، كان جل حفظة القرآن يقرؤون في أيام "الأخمسة" على المقابر بأجرة زهيدة يدفعها أهل الموتى، كثيرًا ما تكون بعض المأكولات، ولكن الشيخ حامدًا نزَّه نفسه عن ذلك.

وكان رجلًا بسيطًا نظيفًا أنيقًا، يلبس جلبابًا وعمامة، ويصلي الصلوات الخمس في المسجد، وهو قريب من البيت والكتاب، وكثيرًا ما يؤم الناس إذا تغيب الإمام الراتب.

كان عملنا في الكتاب: حفظ فقرة مناسبة من القرآن الكريم. هذه الفقرة نكتبها بأيدينا في لوح مدهون بالزيت، بحيث يصلح للكتابة بالحبر. وكنا نشتري الحبر من الصباغين في القرية؛ حيث كان الفلاحون يلبسون الجلاليب الزرقاء، وهي في الأصل بيضاء صُبغت باللون الأزرق عند الصباغ. وكذلك تلبس المرأة (المَلَس) وهو من الحرير الأبيض، ثم يُصبغ باللون الأسود.

كنا نشتري الحبر منهم ونضعه في (الدواة) أو (المحبرة)، ونأتي بأقلام البوص ونبريها، وأحيانًا يبريها

لنا الشيخ حامد نفسه. ونكتب كل يوم القدر المطلوب حفظه، ونصححه على الشيخ قبل أن نحفظه، ثم نحفظه في المنزل بعد عودتنا من الكتاب، وفي اليوم الثاني (نُسمِّعه) على العريف. فمن لم يكن حفظه جيدًّا، رُدَّ ليجود حفظه. ثم إذا سمَّعنا المحفوظ اليومي، راجعنا ما حفظنا من قبل، ويُسمى (الماضي).

وكنا نتعلم القراءة والكتابة بالمحاكاة؛ يتعلم بعضنا من بعض، ولم تكن في الكتاب طريقة منهجية للتعليم، وإن كان الشيخ حامد يستعمل السبورة أحيانًا، أو يكتب بعض الكلمات، ويطلب من التلاميذ أن يحاكوها، ويكتبوها في اللوح عدة مرات، حتى يتعلموا الكتابة.

وكنا نردد كل يوم كلمات كالببغاوات، نلقنها بطريقة ملحنة بطريقة الأناشيد ولا نفهم لها معنى. نقول بصوت جماعي: با: با ألف، بي: با يي، بو: با واو. تا: تا ألف، تي: تا يي، تو: تا واو.

وكانوا يلقنون الطلاب كلمات نحفظها في العقيدة ولا نفهم لها أي معنى، مثل: صفات الله تعالى عشرون: الوجود والقدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانية، والعلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام، وكونه تعالى عالمًا ومريدًا وقادرًا وحيًّا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا.

كما كانوا يحفظوننا من السيرة النبوية أولاد النبي سبعة: عبد الله والقاسم وإبراهيم، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وكلهم من السيدة خديجة، إلا إبراهيم، فإنه من مارية القبطية.

ولعل هذا الجزء من السيرة هو الذي يجدي حفظه، أما العقيدة فلا يغني فيها (الصَّمّ) والحفظ بغير فهم، والذين يلقنون الصبيان العقيدة بهذه الصورة على المذهب الأشعري أخطؤوا الطريق؛ فالإيمان لا ينشأ بهذه الطريقة، ولا يتكون على هذا التلقين فكر سليم، ولا عاطفة حية.

بدأ الشيخ حامد رحمه الله معي حفظ القرآن من جزء "عم"، بحفظه منكوسًا أي سورة الناس،

فسورة الفلق، فالإخلاص فالمسد، فالنصر، فالكافرون، إلى أن فرغت من حفظ جزء عم، ثم جزء تبارك، ثم "قد سمع"، بهذه الطريقة، ثم جزء الذاريات، إلى سورة النجم.

ثم قفز بي الشيخ حامد إلى سورة الأنعام، فحفظت سورة الأنعام، ثم المائدة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم البقرة.

وعندما ختمت البقرة أقام الكتاب حفلًا صغيرًا بهذه المناسبة، فقد كان أهل القرية يسمون ختمة سورة البقرة (الختمة الصغيرة) وختم القرآن كله (الختمة الكبيرة). ووجدت لهذا أصلًا، وهو أن سيدنا عمر حين ختم سورة البقرة حفظًا نحر جزورًا – أي ناقة – ابتهاجًا بما وفقه الله إليه. ونحن لم ننحر جزورًا ولا شاة ولا دجاجة، إنما وزعنا بعض الحلوى، على الأولاد في الكتاب، ومن حضر من الأقارب.

وكان الشيخ حامد يعطينا بعض الضوابط في الآيات المشتبهة، التي كثيرًا ما يحدث فيها الخطأ من التلاميذ، ويلتبس بعضها ببعض، مثل كلمة "ضرًّا ولا نفعًا" أو "نفعًا ولا ضرًّا" فقد يضع التلميذ هذه موضع تلك، فحفظنا الشيخ حامد تلك الجملة لضبط ذلك: والنفع قبل الضر في سورة الأعراف، والرعد، سبأ. والمراد مما في سورة الأعراف قوله تعالى: (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا، إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ) الأعراف: 188.

ومثل ذلك عبارة "لهوًا ولعبًا" أو "لعبًا ولهوًا"، أيهما يقدم، وأيهما يؤخر، وهنا جاءت عبارة ضابطة:

تذكر أيها القارئ قبل أن تموت *** *** اللهو قبل اللعب في الأعراف والعنكبوت.

يعني في الأعراف قوله تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) الأعراف:51.

وكذلك كنا نحار في قوله تعالى: (يزيدهم من فضله) بين (يزيدهم) بالضمة أو بالفتحة، حيث لم نكن نعرف النحو، وكانت هذه الجملة: (ويزيدَهم) يا شاطر، في النور وفاطر. يعني قوله تعالى:

(لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) فاطر: 30.

ثم بدأت بعد ذلك أحفظ القرآن غير منكوس، ابتداء من سورة الأعراف ثم الأنفال ثم التوبة! إلخ حتى وصلت إلى نصف القرآن، ووقفنا عند ربع "أما السفينة" من سورة الكهف، وهو بداية الجزء السادس عشر من المصحف.

وهنا وقفنا وقفة لنراجع الماضي ونثبته، وفي هذه الفترة سافرت مع خالي في بعض سفراته التجارية، وانقطعت عن الكتاب عدة أيام، ومن خوفي من الشيخ حامد استمررت في الانقطاع وتماديت فيه، ولم يهتم أحد بهذا الانقطاع الذي كان يمكن أن يغير حياتي، وبقيت نحو عشرة أشهر، ثم أصر عمي على أن أعود إلى الكتاب، فعدت إليه، ورحب بي الشيخ حامد، واتفق على أن نثبت ما مضى أولا، ونعيد حفظه وتسميعه، ثم نبدأ في حفظ الجديد.

وكان الاتفاق أن أُسمِّع كل يوم نصف جزء من الماضي، وفعلًا لم يمضِ أكثر من شهر حتى كنت قد استعدت نصف القرآن الأول حفظًا، وسمَّعتُه على الشيخ حامد. وبدأت أحفظ النصف الثاني.

كتبت نصف ربع (أما السفينة) من سورة الكهف في اللوح كالعادة، وفي صباح اليوم التالي باكرًا سمَّعته، فقال لي الشيخ حامد: ما رأيك في أن تحفظ نصف الربع الباقي في المصحف؟

فقلت: لنجرب ولنستعِن بالله تعالى. فقرأته عليه لأصححه، ثم شرعت في حفظه، فما هي إلا فترة، حتى حفظت المقرر المطلوب، وسمَّعته على الشيخ حامد، فقال لي:

إذن من السهل عليك أن تحفظ كل يوم ربعًا من المصحف، ولا داعي لكتابته، وأن تقوم بتسميعه مباشرة، وقد كان.

ولهذا لم يأخذ النصف الثاني من القرآن معي أكثر من ثلاثة أشهر؛ إذ كنت قد حفظت من قبل من سورة النجم إلى آخر القرآن. وانتهى بي المطاف إلى اللوح الأخير في القرآن الكريم، وهو عادة

يكون من سورة الضحى إلى سورة الناس، وفي العادة يُكتب في لوح كبير، ويقرؤه التلميذ في حفل ختام القرآن.

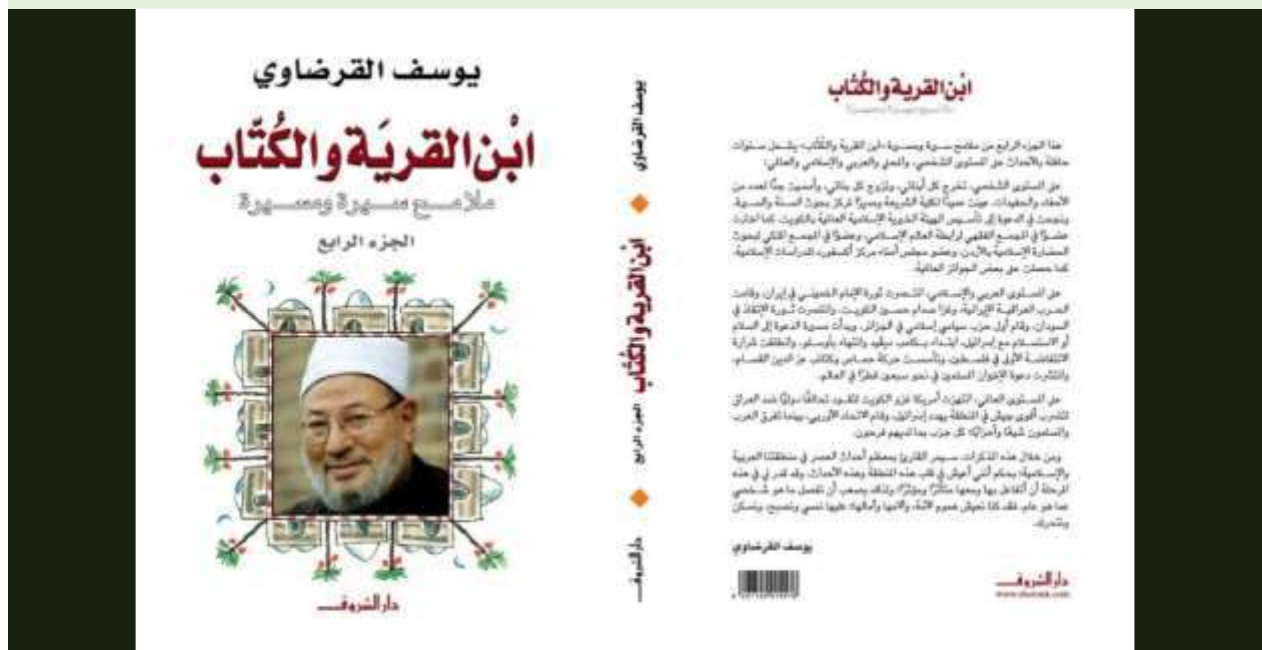
واستعدَّ الكُتاب، واستعدّ التلاميذ فيه، واستعدّ الأقارب بإحضار الشربات و(الكراملة)!

واستعد الشيخ حامد، فدعا بعض أحبابه للحضور!

واستعددت أنا لقراءة اللوح الأخير في اليوم المشهود، يوم الختمة الكبيرة.

وكان حفلًا متواضعًا، ولكنه كان جميلًا ورائعًا، كنت أقرأ السورة، وفي ختامها أقول: لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد. وأولاد الكتاب جميعًا يرددون معي هذا الذكر بصوت جماعي مؤثر، من سورة الضحى إلى سورة الناس.

كان عمري في ذلك الحين 9 سنوات وبضعة أشهر، وكنت أصغر طالب حفظ القرآن في القرية، ولولا الأشهر العشرة التي غبتها عن الكتاب لختمت القرآن قبل سنة تقريبًا. ولكن كل شيء بأجل مسمى.   ومن ذلك اليوم شيّخني الناس، وسموني (الشيخ يوسف) حافظ كتاب الله.



المقامة القرضاوية

بعد إحدى الهجمات العنيفة على العلامة القرضاوي حفظه الله



قال جديع الزمان الزفتاني: حدثنا المظلوم ابن غلبان، عن المرعوش بن الجبان، قال:

أنا رجل مسالم، أحب أن أعيش وأنا سالم، قد (أرنَبَتْني) السياسة، (وأجبَنْتني) سباقات العلو والرياسة، وأذلني التنافس على القوة، وقهرني صيرورة كلِّ أحد (قبَضايًا وفتوة)، فصرت أكره وجع الرأس، وكل ما يؤدي لتهمة أو حبس، وبِتُّ آكل العيش بالجُبْن؛ مجتنبًا كل ما يعكر الأمن، فتراني أسير دائمًا جنب الحيط، وأكره الحركة والتنطيط، حتى لا يظن بي فلانٌ شرّا، ولا يفكر علانٌ أن يلحق بي ضرّا، ولا يلفق لي ترتان تهمة، أو يقول فلتان عني كلمة، فلم تعد الحكاية ناقِصة، ولا الجِتَّةُ خالِصة، إذ إن أسهل شيء صار الاتهام، بالمروق والتمرد والإجرام، أو التخابر لصالح دولة أجنبية، أو تكوين مجموعة إرهابية. وعقوبة هذا الإعدامُ رميًا بالرصاص، أو التشريف في العقرب وأبي غريب بلا مناص، والإعلام المستنير جاهز للردح، وتكرير الاتهامات والفضح، فهو يبتغي جنازة ليشبع لطما، ويشنّع على الأبرياء ويتمادى شتما: كما أوقن أن الارتباط، يمسح بأصحابه البلاط، والتفكير صار – بالقانون – جريمة، والتذكير بالحق تهمة عظيمة، ولا شيء يعدل السلامة، فعقبى التفكير في زماننا – غالبًا – الندامة، حتى لو في تناقض ظاهر، وعوارٍ عائر.

يا رب فاشهد: إنني	شخصٌ نظيفُ منضبطْ
ألغيتُ عقلي عامدًا	في أمةٍ تهوى العَبط
وتركتُ أخلاقَ الأسو	دِ تَخِذْتُ أخلاقَ القطط
لا أعشق الأضوا! ولا	أهوى البهارجَ واللغطْ
وأخاف من ظلي كما	أخشى التورطَ والغلط

لم أرتكب جُنَحًا ولم	أجنح إلى العدوان قط
وأطيع سِيدي العسكر	يَّ بدون ريثٍ أو شطط
وأعاندُ القلبَ الحـ	ـرونَ هوىً لئلا يرتبط
لا باليمين أو اليسا	ر ولا العدالة والوسط

لكن ما جعلني أنسى طريقتي، وأتخلى عن عادتي، شيء أقض مضجعي، ونطَّط قلبي بين أضلعي، ولم يستطع عقلي فهمه، ولم تقبل معدتي هضمه، وهو موقف أهل الديمقراطية، وحماة حمى الليبرالية، والمكاييل التي بها يكيلون، والقيم التي عليها يعتمدون؛ فالأمر عندهم يكون الآن نعمة، وبعد دقيقة يصير بلية وتهمة، وهو على زيدٍ حرام، ولعمروٍ بفعله وِسام، وهو هناك حق مكفول، وعندنا هو إفك مرذول. وهذا الأمر جعلني أنسى منهج السلامة، وأتابع السكسوني وأقرأ كلامه! فمع هذا الازدواج، واضطراب المعيار والمنهاج، تراهم يتبجحون، ويتشرطون ويتحكمون، ويقولون نحن الأعقل والأعدل، ومنهجنا هو الأهدى والأمثل!

وهم من فرط (الفَتْوَنة) يسنُّون ويشرعون، ويقيمون المحاكمات والسجون. فهل هذا من باب الاستهبال؟ أم من الاستهانة بالناس والاستغفال؟

ولن أضرب أمثلة على هذا الكلام، ولن أطيل في لائحة الاتهام، بل سأذكر مثالًا لآخر البلاوي، عن رأيهم في سِيدنا الشيخ القرضاوي، الذي اشتهر في الأمة بالعلم والفضل، والخير والعطاء والبذل، وبالتميز الشديد والتفرد، والعطاء الثر والتجدد، فكم قالوا إنه صوت اعتدال، وأحسنوا له الاستقبال، ثم إذا بهم ينقلبون عليه، ويسيؤون في جرائدهم إليه، وإذا بهم يفرشون له الملاية، ويصِلون في سخفهم لأبعد غاية:

صار القبول تخوُّفا	والودُّ غادر واختفى
ومع الدعاوى العائرا	ت غدا الهدوءُ تطرفا
واستبدلوا البشرَ القديـ	ـم ضغينةً وتحسُّفا
والشيخُ أضحى مارقًا	وكأنما قد أرجفا

أضحت عمامتُه لظىً	كلماتُه باتت صفا
وسماحةُ العلمِ الرصيـ	ـن غـدت غثاءً مقرفا
ذَموا به إيمـانَنا	ويقينَنا والمصحفا
يا قوم أيـن عقولُكم؟	أوَ تتْبَعون المرجفا؟

واحتجت أن أستريح ببضعة أسئلة، لعلي أسيغ بالإجابة عنها المشكلة:

أتطلبون رأس الشيخ أم رأس الإسلام؟

أهاج وحدَه أم أنتم هيجتم الإعلام؟

هل القضية مقصودة في هذه المرحلة؛ لتستحدثوا بين أهل الأرض معضلة؟

أهي لعبة انتخابيةٌ، وضرب من التزوير؟ أم حرفنة سياسيةٌ، لإعطاء فرصة لبوش وبلير؟

أهي ضغطةٌ من اللوبي الصهيونيّ؟ أم قَرصةٌ من الجناح اليميني؟

أتصنعون رمزًا للشر من القرضاوي؟ على غرار ما فعلتم بأسامة والزرقاوي؟

هل يستوون؟ وبالميزان نفسه يوزنون؟

ألم تقرؤوا كتب الشيخ الكثيرة، وبحوثه الوفيرة الغزيرة؟

ألم تميزوا ما فيها من المنهجية؟ والسماحة والوسطية؟

ألم تروه داعيةً لكثير من جوانب حضارتكم، وظاهر تفوقكم ومعالمِ عمارتكم؟

ألم تعلموه حفيًّا بالعدل والإنصاف، وترك الظلم والفحش والإجحاف؟

ألم تروه مناصًرا للنساء؟ مدافعًا عن حقوق المقموعين والضعفاء؟

ألم تعرفوا أنه يرفض العنف ويأباه، ويحذر من التطرف وعقباه؟

أين العيونُ المبصرة؟	أين العقول النيرة؟
أين التوازن في المناهـ	ـج والعدالةُ ظاهرة؟
أبناءَ سكسونَ ما	لَـكُمُ؟ دهتْكم فاقرة
هل تستوي الظلمات عنـ	ـدكمُ وأضواءٌ باهرة؟

هل تستوي الحججُ المبيـ	ـنة والفهومُ القاصرة؟
أين الكلام عن التحـ	ـر والقضايا الغابرة؟
أين احترام وعودِكم	حول الحقوق مُوَفَّرة؟
للعلم والرأي الحصيـ	ـف وللرموز الزاهرة؟
ها قد كشفتم غِلَّكم	فدعُوا الدعاوى العائرة

وبعد أن جال هذا الكلام في تفكيري، وظننت أنني قد استراح ضميري، نط إبليس وأزعجني، وبالواقع الأسود أرهبني، وقال: كيف تقول هذا؟ وفيم تحشر نفسك ولماذا؟

ألا تعلم أنهم إذا غضبوا على فلان بهدلوه؟ وإذا تتبعوا علانًا مَزَّعُوه وشوهوه؟ وسلبوه كل مزاياه؟ وحقروا كل سجاياه؟ وقلبوا خيره شرًّا؟ وحسناته ضرًّا وعُرًّا؟

فلماذا ترمي بنفسك في المهالك؟ وتسير باختيارك في أوعر المسالك؟

اقفل فمك ولا تتكلم، واصمت كأنك لا ترى ولا تعلم، فالمجد للعميان والطرشان، والنعمة للمبطلين وأهل البهتان.

وماذا سيفيدك القرضاوي؟ إذا كان حبه سيجلب على أهلك البلاوي؟

انفد بجلدك وأنت سليم، ولا تعرِّض نفسك لسينٍ وجيم، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وهل أنت أفهم من وسائل الإعلام؟ وأعلم منها بسماحة الإسلام؟

ثم أتظن نفسك أدرى من الخواجات؟ وأبصر بالأحداث والمجريات؟

إن عليك السمع والطاعة، وترك التمحك واللكاعة: فإذا قالوا إنه إرهابي فقل آمين، وإذا أعلنوا أنه ظلامي فكن من الموافقين، وإذا اكتشفوا في كتبه غلطا، وفي فكره زيغًا وشططا، وإذا قالوا إنه متآمر، أو حشاش أو مقامر، فهو كذلك، بل وأكثر من ذلك!

ألا ترى إلى وجهه ينضح بالشر؟ وإلى لسانه لا ينطق إلا بالمر؟ ألا ترى إلى عمامته؟ وإلى زيه وهيئته؟ ألا ترى كلامه في محاضراته؟ وفي برامجه ومحاوراته؟ إنه يدعو للعنف، ويملأ قلوب المسالمين اليهود بالخوف! ويشجع العمليات الانتحارية، ويدعو بالنصر للعصابات البربرية، التي ترمي الأبرياء

بالحجارة، ويعتبر ذلك من البطولة والجسارة، وهو كذلك يدعو لقمع النساء، والقسوة عليهن والاعتداء! فكيف تظن أنه بالمشيخة جدير؟ وبالكتابة والدعوة والتنظير؟

أليس هو من نادى بنصرة أفغانستان؟ وأيَّد المتطرفين في الشيشان؟ أليس هو من كتب عن فلسطين؟ ونادى بأيامٍ كاليرموك وحطين؟ ألا يدل ذلك على أنه دمويّ؟ وأنه شرير تصفويّ؟

حاولت أن أجادل الخبيث وأرد عليه، وأبين تفاهة الحجج التي لديه، وأن أنبهه إلى أنه يقلب الحق باطلًا، وأنه يستخدم في حكمه ميزانًا شائلًا. لكنه حين أحس بذلك أخرج شريطًا فيه صور نزلاء أبي غريب، والتحقير المهين الغريب، الذي كان يُفعل بهم، والهوان الذي كان يحصل لهم، وكلمني بلهجة جادة آمرة، قضت على حججي الظاهرة، فالصور أقوى الحقائق، ولا ينسى (أبو غريب) إلا مائق، ثم نهرني وقال اسكت وإلا، فقلت: اعتراضي انقضى وولى، ورجع إليّ عقلي، وعاد التأرنبُ إلى شكلي، ووجدت لساني يقول ناصحا، وبأعلى صوتي أهتف صائحا:

اضبط كلامك أيها القرضاوي
فالعصرُ عصرُ المبطِل الغلَباوي
والحق حقُّ الأقوياء وشرعُهم
رجُمٌ يشيِّعُها أصمُّ نَواوي
ولسانُهم سمٌّ زعافٌ قولُه
هدمٌ ونيرانٌ ونشْرٌ كِمَاوي
وبعدْلِهِم ضجت سجونٌ صُفِّدت
فيها الرجال وعُرِّضوا لبلاوي
صار الجميعُ بحكمهم (بِنْ لادنٍ)
أو أيمنًا! أو مصعب الزرقاوي
مهما اعتدلتَ فأنت في قانونهم
شيخٌ عنيفٌ مستبدٌّ غاوي



ألبوم صور قرضاوي عالمي

بعض التكريمات










14 - 16 يوليو











مع الساسة حول العالم دون ترتيب (مع حفظ المقامات)



بين أميرين



مع عمدة لندن



مع الرئيس هنية



مع الرئيس الموريتاني



مع خالد مشعل



في ماليزيا



مع معمر القذافي



مع محمد بن راشد



مع هنية وسوار الذهب



مع الملك عبد الله



مع ش. سلطان القاسمي



مع عبد الله الأحمر

496



مع بشار الأسد



في بيته مع أنور إبراهيم



مع بوتفليقة



مع محمد مرسي



مع مانديلا



مع الحسن بن طلال



مع الرئيس اللبناني



مع خاتمي



مع قابوس



مع غازي القصيبي


LIC
TURE
BY
PROF.





أعلى مع د. أحمد داود أوغلو، وأسفل مع ش: زايد بن سلطان آل نهيان













استقبالات



أنور إبراهيم



مع د. صلاح سلطان ود. على القره داغي





د. برهان غليون



محمد عبده



د. محمد يسري



نخبة من علماء سوريا يتوسطه الشيخ الصباغ بجانب القراضاوي



الأستاذ محمد مهدي عاكف



الغنوشي، وأسفل سعادة وزير الأوقاف القطري الأسبق





الرئيس الصومالي، وأسفل: د. الديب فدكتور عمارة، ود. حسن عيسى، والجالس الصحفي محمد صبرة







د. وليد شرابي



سلمان العودة والقره داغي



في الصورة: محمد علي كلاي، والشيخ عبد المعز عبد الستار.. رحم الله الجميع



رئيس تحرير الشرق أ. جابر الحرمي



ش. سلمان الندوي





روديجو نيبرج والإمام طرفة بغجاتي من النمسا





خاتمة

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، أن يكون ما مر في هذه الورقات حقًّا كله، وخيرًا كله، ودعوةً كله، واستشرافًا للأجر، وتعظيمًا لأهل الخير، وأن يجمعني بشيخي في فردوسه الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسنت أولئك رفيقًا.

بوركت يا شيخ، ومُتع بك! أحبك في الله تعالى!

أبو سهيل

الدوحة يوم الجمعة 9/ 2016/9

الموافق: 7 من ذي الحجة 1437



الفهرس

الصفحة	الموضوع
6	السادة الذين استفدت من آرائهم وكتاباتهم في الكتاب
8	يسألونك عن المدح
11	مدخل
15	الباب الأول: باب المناقب الروحية والإيمانية
16	القرضاوي شفيفًا روحانيًّا
35	الشيخ باكيًا، ومقللًا من شأن ما قدم
42	الشيخ حريًا على السنة
51	الشيخ متواضعًا حييًّا
58	الشيخ متسامحًا غفورًا
67	الشيخ سخيًّا
73	الشيخ متفائلًا
80	الشيخ واضحًا غير مجامل
104	الشيخ غضبان منفعلًا
113	الشيخ مازحًا
141	الباب الثاني: باب المناقب القيمية
142	الشيخ وفيًّا
150	الشيخ محبوبًا مرتضًى
153	الشيخ صاحب مواقف
157	الشيخ مراعيًا من حوله

الشيخ معتذرًا	179
الشيخ متراجعًا	158
الباب الثالث: باب المناقب العقلية	192
الشيخ متميزًا	193
الشيخ ذو الذاكرة السيالة	217
الشيخ موسوعيًّا	222
الشيخ لغويًّا	230
الباب الرابع: باب المناقب القيادية الريادية	238
الشيخ قائدًا	239
الشيخ رائدًا	246
الشيخ مجددًا	256
الشيخ عنيدًا متحديًا	263
الشيخ ثائرًا	270
الشيخ دؤوبًا لا يكل	294
الشيخ مهتمًّا بهموم المسلمين	312
الباب السادس: القرضاوي دوليًّا	316
الشيخ مطلوبًا	317
الشيخ ممنوعًأ مشتومًا	324
الشيخ وإنصاف بعض الخصوم	333
حملات ضد الشيخ	345
مشاركات ومتابعات دولية قرضاوي	357
الباب السابع: رؤية نسائية لمناقب الشيخ	366

د. أسماء غالب القرشي	368
د. إنصاف أيوب المومني	370
د. جميلة تلوت	374
د. شيماء الصراف	375
د. نجاة غانية	378
أ.د. نزيهة امعريج	389
طرائف وظرائف قرضاوية	396
المقامة القرضاوية	446
ألبوم صور قرضاوي عالمي	451
خاتمة	479



كتب للمؤلف

وتشمل كتبًا أكاديمية، وكتبًا ثقافية منوعة (في الشريعة، والفكر، والفن، والأدب، والمجتمع) وكتبًا ساخرة وكتبًا (ألبومات) وكتبًا شعرية، ومسرحية! ومنها؛ أبجديًّا:

1. **أحمد ياسين مسرحية.. رؤية بالعامية المصرية**
2. **أزمة الغرب الإسلام هو الحل/ مراد هوفمان/ ترجمة**
3. **أسباب سقوط الحضارات**
4. **اسكن فؤادي أو فجن**
5. **اسم واحد وخطاطون شتى**
6. **أطول لوحة في العالم**
7. **اقتلوا يوسف مسرحية**
8. **الأب رؤية قرآنية ونبوية**
9. **الأخوة الإنسانية**
10. **الإسلام الصورة الأصلية**
11. **الأعظم مسرحية**
12. **الإعلام الإسلامي**
13. **الإفك والتزوير في العالم المعاصر**
14. **الأقصى.. عرض المسلمين**
15. **الألوهية في العقائد الشعبية**
16. **الأنبياء عليهم السلام**

17. الأندلسي
18. الانعتاق فرض عين
19. الإيثار في عالم نذل
20. الجمال–ج–1
21. الجمال/ 2
22. الحج.. والحجر الأسود
23. الحجاب في البوذية والسيخية وأوربا القديمة
24. الحجاب في اليهودية والنصرانية
25. الحراني مسرحية
26. الحرب على الإسلام.. مستلة
27. الحرباء مسرحية
28. الخطاطات المعاصرات
29. الدكتور حسن المعايرجي
30. الذئبة التائبة
31. الذين لا خوف عليهم
32. الرق وما ملكت اليمين
33. الرؤساء
34. الروم/ الغرب في الرؤية النبوية
35. الزهدي العظيم
36. السلفية المعاصرة

37. العدالة الفريضة الذبيحة
38. العفة وأهل العفاف
39. العلامة عبد العظيم الديب
40. الغزو المصطلحي
41. الغيرة خلق المسلم النبيل
42. القرضاوي رجل الهم والهمة
43. القرضاوي: السهرة القرضاوية (لوحات مسرحية)
44. القرضاوي شاعرًا
45. القرضاوي عالميًّا
46. القرضاوي– المقامة القرضاوية
47. الكذب المقدس
48. الله تعالى في منظور الأديان
49. المرأة في الإسلام
50. المعارضات لقصيدة البردة
51. المهتدون
52. النخبة الأليطة
53. بالشقلوب
54. تجربتي في التصحيح اللغوي
55. جن الحجر
56. حبوط الأعمال وضياع ثوابها

57. حرام عليكم يا إسلاميون

58. حريص عليكم

59. حقك وفوقه شوطة

60. خطاطون معاصرون رواد

61. خطبة حجة الوداع

62. خطيب الجمعة

63. دعاؤنا: لماذا لا يجاب

64. دعاة ومشاهير عرفتهم

65. ديوان إبراهيم عزت

66. رجل اسمه نرجس

67. رحلتي إلى غزة

68. رمضان في تاريخ المستعين بالله البسيوني

69. زفتا التي في خاطري النشأة (1)

70. زفتا التي في خاطري الإيراق/2

71. زفتا التي في خاطري/ رحلتي إلى طيبة الطيبة (3)

72. زفتا التي في خاطري/ الوجع (4)

73. زفتا التي في خاطري/ اللافتات (5)

74. زهرة/ ديوان شعر

75. سائح رغم أنفه

76. سبحان ربي الأعلى (للمهتدين الجدد وغير المسلمين)

77. سيدنا النجاشي رضي الله عنه

78. سيدنا إبراهيم الخليل

79. شجرة الحرية

80. شعراء نصارى مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم

81. شلال الإبداع علاء اللقطة

82. صيامكم مقبول

83. ضيعة العم هارون

84. عبقرية الغزالي

85. عرض دورة دعوية لغير العرب

86. عمالكم أعمالكم

87. فقه السيرة للغزالي قراءة وتدقيق

88. في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى

89. لله يا زمري

90. ليل الصب/ معارضات شعرية

91. ليلة القدر: مفاهيم منسية ورؤًى عصرية

92. ليلى حلمي/ مونودراما مسرحية

93. ماذا نريد من المرأة

94. ماذا يريدون من المرأة

95. محمد صلى الله عليه وسلم في الذاكرة الأوربية

96. مدهشات من الدولة العلية العثمانية ومساجدها

97. مساجد علقوا عليها الصليب
98. مطوية عن النبي صلى الله عليه وسلم
99. معرض فنون الخط العربي
100. مفاهيم إسلامية حول المسنين
101. مقامات وجيع الزمان الزفتاني
102. مقد ديوان إبراهيم عزت
103. من حكايات الكرام
104. من صور الحرب على الإسلام
105. من محاسن الإسلام
106. مواقف الحسرة يوم القيامة
107. نساء عديمات الأنوثة
108. نونية القرضاوي
109. هدية الجمعة لوحات خطية
110. هل حجزت لنفسك بيتًا في الجنة
111. هل يعبد المسلمون الحجر الأسود (ألبوم مصور)
112. ودخلت مقر القذافي في باب العزيزية
113. وقال نسوة
114. وهل في الإسلام حرية للرأي
115. يا دوحة رايتك بيضا/ نبلاء كرام/ **1**
116. يا دوحة رايتك بيضا/ الثقافة والفن/ **2**

117. يحكى أن

118. يسقط حكم العسكر

